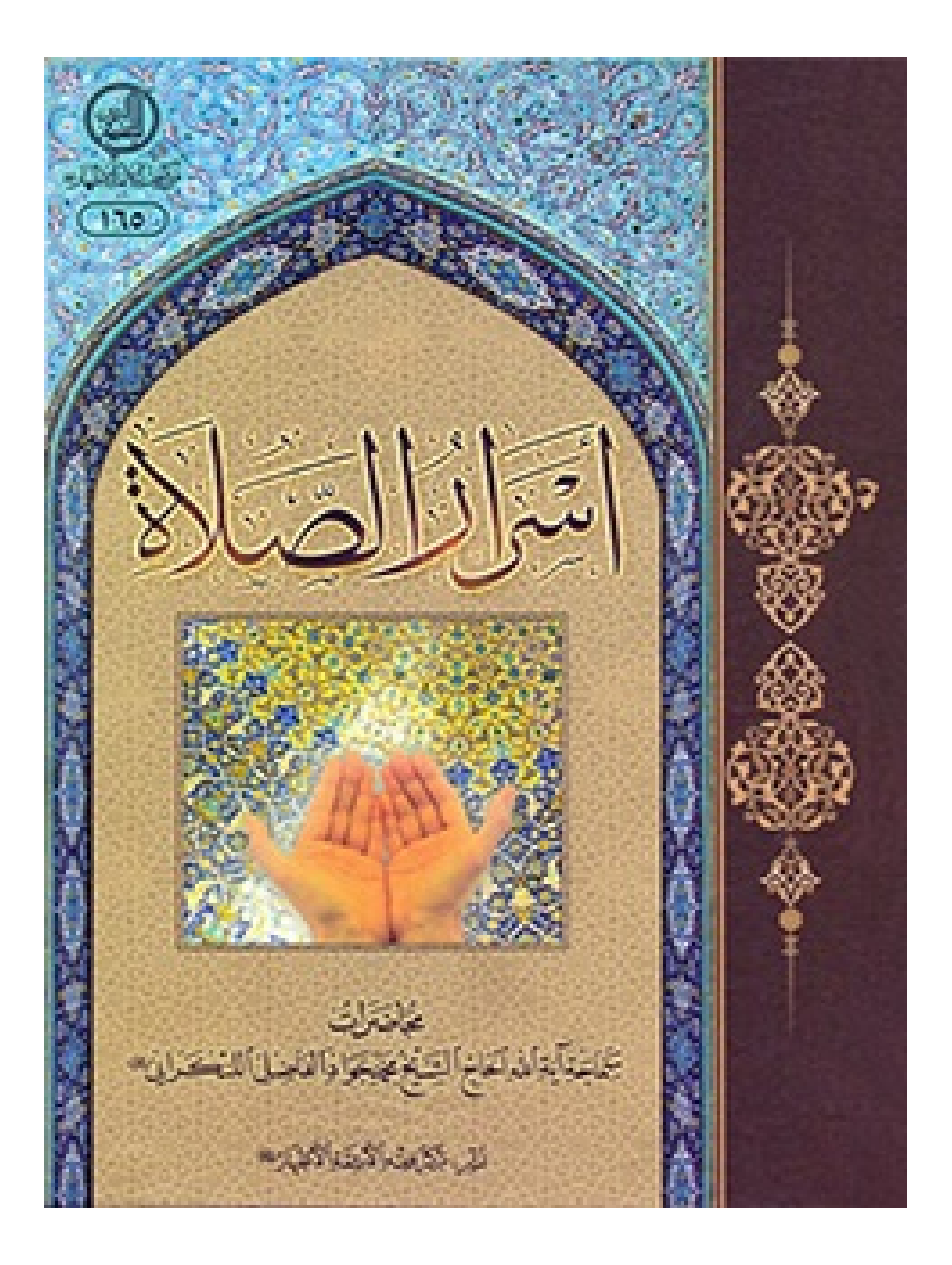


مركز القائمية اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
السلام عليك يا صاحب الزمان


١٦٥
أسرار الصلاة
محاضرات


بسم الله الرحمن الرحیم

اسرار الصلاه

کاتب:

محمد جواد فاضل لنکرانی

نشرت فی الطباعهٔ:

مرکز فقهی ائمه اطهار (علیهم السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

اسرارالصلاه ----- ۱۳

اشاره ----- ۱۳

اشاره ----- ۱۳

فهرس الموضوعات ----- ۱۷

المقدّمه ----- ۳۱

الفصل الأوّل: أمور عامّه حول أسرار الصّلاه ----- ۳۳

اشاره ----- ۳۳

۱- ضروره التعرّف علی أسرار الصّلاه ----- ۳۵

۲- أدّله وجود أسرار الصّلاه ----- ۳۸

۳- أهميّه إدراک باطن الصّلاه ----- ۴۱

۴- موارد اختلاف باطن الأعمال ----- ۴۴

۵- الصّلاه طریق الوصول إلی الحقائق ----- ۴۷

۶، ۷- الصّلاه جامعه لأسرار جمیع العبادات ----- ۵۰

۸- الصّلاه معیار الإیمان والتوحید ----- ۵۳

۹- الصّلاه سیر وسلوک نحو الحقّ ----- ۵۶

۱۰- الصّلاه، طریق الوصول إلی الیقین ----- ۵۹

الفصل الثانی: حضور القلب فی الصّلاه ----- ۶۳

اشاره ----- ۶۳

۱۱- المقصود من القلب فی مقوله «حضور القلب» ----- ۶۵

۱۲- المقصود من القلب فی الروایات ----- ۶۸

۱۳- الذنب، سبب لظلمه القلب ----- ۷۱

۱۴- آثار توجّه القلب وإقباله إلی اللّه ----- ۷۳

۱۵- مراتب حضور القلب ----- ۷۶

۱۶- خشوع وحضور القلب فی الصّلاه ---------- ۷۹

۱۷- موانع حضور القلب ---------- ۸۲

۱۸- لزوم حضور القلب والخشوع ---------- ۸۵

۱۹- کیفیّه تحقیق اللذّه من الصّلاه ---------- ۸۸

۲۰- اللّه یتعهّد بالصّلاه، بإدخال المصلّی إلی الجنّه ---------- ۹۱

۲۱- حقیقه الصّلاه تتجلّی فی الرکعه الاُولی ---------- ۹۴

۲۲- مراتب حضور القلب ---------- ۹۷

۲۳- الحضور الإجمالی: والاشتغال بحمد اللّه وثنائه ---------- ۹۹

۲۴- الالتفات إلی قبول الصّلاه ---------- ۱۰۳

۲۵- المرتبه الاُولی من الحضور التفصیلی فهم معانی الکلمات ---------- ۱۰۶

۲۶- المرتبه الثّانیه من الحضور التفصیلی: الفهم العقلی والبرهانی للکلمات ---------- ۱۰۹

۲۷- المرتبه الثّالثه من الحضور التفصیلی: التصدیق القلبی ---------- ۱۱۲

۲۸- المرتبه الرابعه من الحضور التفصیلی: شهود حقائق الألفاظ ---------- ۱۱۶

۲۹- المرتبه الخامسه من الحضور التفصیلی: الفناء فی الحقّ تعالی ---------- ۱۱۸

۳۰- أسباب حضور القلب ---------- ۱۲۱

۳۱- طریق التوجّه إلی عظمه الباری تعالی ---------- ۱۲۴

۳۲- رفع الموانع الخارجیّه لحضور القلب ---------- ۱۲۸

۳۳- رفع الموانع الخارجیّه لحضور القلب ---------- ۱۳۲

۳۴- حبّ الدنیا، أساس الخواطر القلبیّه والأفکار المتناثره ---------- ۱۳۴

۳۵- حبّ الدنیا أکبر مانع لحضور القلب ---------- ۱۳۷

۳۶- الدُّنیا المذمومه ---------- ۱۳۹

۳۷- أصل جمیع الفتن وعدم التوجّه إلی اللّه فی الصّلاه حبّ الدنیا ---------- ۱۴۲

۳۸- بغض الدنیا أفضل الأعمال ---------- ۱۴۵

۳۹- لزوم الاستمداد من اللّه لحضور القلب ---------- ۱۴۸

۴۰- سرّ توجّه القلب للاُمور الدنیویّه ---------- ۱۵۱

الفصل الثالث: أسرار مقدّمات وشروط الصّلاه ---------- ۱۵۵

الباب الأوّل: أسرار الطّهاره ---------- ۱۵۵
اشاره ---------- ۱۵۵
۴۱- مراتب الطّهاره ---------- ۱۵۷
۴۲- طهاره الظّاهر وطهاره الباطن ---------- ۱۶۰
۴۳- أسرار الوضوء ---------- ۱۶۳
۴۴- سرّ الطّهاره بالماء ---------- ۱۶۶
۴۵- الماء الرحمه المطلقه للوجود ---------- ۱۶۹
۴۶- الاستلهام من الماء فی الحیاه ---------- ۱۷۲
۴۷- الإخلاص والصفاء فی التوجّه إلی اللّه ---------- ۱۷۵
۴۸- سرّ غسل الوجه والیدین فی الوضوء ---------- ۱۷۸
۴۹- أقسام الوضوء فی نظر العرفاء ---------- ۱۸۱
۵۰- تأثیر الدعاء والذکر عند الوضوء ---------- ۱۸۵
۵۱- أسرار الوضوء فی حدیث المعراج ---------- ۱۸۷
۵۲- وضوء أهل الحقیقه (طهاره السرّ) ---------- ۱۹۰
۵۳- أذکار أمیرالمؤمنین علیه السلام عند الوضوء ---------- ۱۹۴
۵۴- باطن الوضوءتبدیل قطرات ماء الوضوء إلی ملائکه ---------- ۱۹۶
۵۵- آثار وفوائد الوضوء ---------- ۲۰۰
الباب الثانی: أسرار ستر العوره ---------- ۲۰۳
اشاره ---------- ۲۰۳
۵۶- أسرار ستر العوره فی الصّلاه ---------- ۲۰۵
۵۷- الصوره الإنسانیّه، ستر لحقیقه الأعمال الحیوانیّه للبشر ---------- ۲۰۸
۵۸- ستر العیوب والعورات الباطنیّه ---------- ۲۱۱
الباب الثالث: أسرار وقت الصّلاه ---------- ۲۱۵
اشاره ---------- ۲۱۵
۵۹- سرّ تعیین الوقت للصّلاه ---------- ۲۱۷
۶۰- حاله المصلّی عند حلول وقت الصّلاه ---------- ۲۲۰

۶۱- الأيّام لها حقيقه مستقلّه ---------- ۲۲۳

۶۲- نداء الأذان تذكير بالقيامه ---------- ۲۲۶

۶۳- تعيين أوقات الصّلاه فى القرآن ---------- ۲۳۱

۶۴- أهميّه صلاه الصّبح ---------- ۲۳۴

۶۵- صلاه الصّبح مشهوده ملائكه اللّيل والنّهار ---------- ۲۳۷

۶۶- لزوم الاهتمام بأداء صلاه الصّبح فى وقتها ---------- ۲۳۹

۶۷- سرّ أوقات الصّلاه فى جواب النّبى صلى الله عليه و آله للعالم اليهودى ---------- ۲۴۲

۶۸- سرّ تعيين وقت صلاه العصر ---------- ۲۴۴

۶۹- سرّ تعيين وقت صلاه المغرب والعشاء ---------- ۲۴۶

۷۰- عقوبه عدم الاهتمام بوقت الصّلاه ---------- ۲۴۹

الباب الرابع: سرّ استقبال القبله التوجّه إليها فى الصّلاه ---------- ۲۵۳

اشاره ---------- ۲۵۳

۷۱- لزوم التوجّه إلى الكعبه ---------- ۲۵۵

۷۲- سرّ أهميّه الكعبه وجعلها القبله للمسلمين ---------- ۲۵۸

۷۳- القبله والأمن المعنوى ---------- ۲۶۰

۷۴- تناسب الظاهر والباطن فى التوجّه إلى اللّه ---------- ۲۶۲

۷۵- الصوره الباطنيّه لعدم التوجّه إلى اللّه فى الصّلاه ---------- ۲۶۴

۷۶- خصوصيّات الكعبه ---------- ۲۶۶

الباب الخامس: أسرار الأذان والإقامه ---------- ۲۷۱

اشاره ---------- ۲۷۱

۷۷- أسرار الأذان والإقامه ---------- ۲۷۳

۷۸- الأذان: دعوه جميع قوى الملك والملكوت للحضور ---------- ۲۷۶

۷۹- سرّ التكبيرات الأربع والشهاده بوحدانيّه اللّه فى الأذان ---------- ۲۷۹

۸۰- ثواب الأذان ---------- ۲۸۲

۸۱- سرّ الشهاده بالرساله والولايه فى الأذان ---------- ۲۸۵

۸۲- الصّلاه أفضل الأعمال وأصل الفلاح ---------- ۲۸۷

۸۳- الأذان یبعد الشّیطان ---------- ۲۹۰

۸۴- الأذان حکایه أذکار الملائکه فی المعراج ---------- ۲۹۳

۸۵- سرّ التکبیرات الأربعه فی الأذان ---------- ۲۹۵

۸۶- سرّ التکبیرات الأربعه فی کلام الإمام الخمینی قدس سره ---------- ۲۹۸

۸۷- التکرار یوجب التصدیق القلبی ---------- ۳۰۱

۸۸- أسرار الشهاده بالتوحیدالمرتبه الاُولی والثانیه: الشهاده اللفظیّه والعملیّه ---------- ۳۰۴

۸۹- أسرار الشهاده بالتوحیدالمرتبه الثالثه والرابعه: الشهاده القلبیّه والذاتیّه ---------- ۳۰۷

۹۰- سرّ الشهاده برساله النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله فی الأذان والإقامه ---------- ۳۱۱

۹۱- سرّ الشهاده بولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام ---------- ۳۱۴

۹۲- دور الولایه فی قبول الأعمال ---------- ۳۱۷

۹۳- الشهاده بالنبوّه والولایه، هی روح العباده ---------- ۳۱۹

۹۴- احضار قوی الملک والملکوت ---------- ۳۲۲

۹۵- سرّ تکرار حیّ علی الصّلاه ---------- ۳۲۵

الفصل الرابع: سرّ القیام فی الصّلاه ---------- ۳۲۹

اشاره ---------- ۳۲۹

۹۶- القیام مظهر التوحید وقیّومیّه الحقّ ---------- ۳۳۱

۹۷- آداب القیام ---------- ۳۳۴

۹۸- حقوق الصّلاه فی کلام الإمام زین العابدین علیه السلام ---------- ۳۳۶

۹۹، ۱۰۰- حدود الصّلاه فی حدیث رزّام ---------- ۳۳۸

۱۰۱- حدود وخصوصیّات الصّلاه فی حدیث الإمام الصادق علیه السلام ---------- ۳۴۱

۱۰۲- علّه خوف وخشیه الأنبیاء والأئمّه علیهم السلام ---------- ۳۴۴

۱۰۳- الإمام زین العابدین علیه السلام قدوه العابدین ---------- ۳۴۷

۱۰۴- الغرض الإلهی من فرض الصّلاه علی العباد؟ العبادات، تجسید التوحید فی ملک البدن ---------- ۳۵۰

الفصل الخامس: أسرار النیّه ---------- ۳۵۳

اشاره ---------- ۳۵۳

۱۰۵- النیّه هی العزم علی أداء الفعل ---------- ۳۵۵

۱۰۶- الإخلاص وقصد القربه ----- ۳۵۹
۱۰۷- الإخلاص، أن يكون العمل قابلاً للعرض على اللّه ----- ۳۶۱
۱۰۸- الإخلاص، مصداق الهجره نحو الحقّ ----- ۳۶۴
۱۰۹- الإخلاص، مانع من تسلط الشيطان ----- ۳۶۶
۱۱۰- آثار الإخلاص ----- ۳۶۸
۱۱۱- مراتب الإخلاص ----- ۳۷۱
۱۱۲- مراتب الإخلاص المرتبه الثالثه: أن لا يقصد الأجر والثواب ----- ۳۷۴
۱۱۳- المراتب العاليه للإخلاص ----- ۳۷۷
۱۱۴- طريق الخلاص من العجب والغرورأن يعتقد الإنسان بأنّه مقصّر دائماً فى مقابل اللّه ----- ۳۸۰
الفصل السادس: أسرار القراءه وآدابها ----- ۳۸۳
اشاره ----- ۳۸۳
۱۱۵- فضيله قراءه القرآن فى الصّلاه وغير الصّلاه ----- ۳۸۵
۱۱۶- قيمه قراءه القرآن وأهميّتها ----- ۳۸۷
۱۱۷- فضيله قراءه سوره التوحيد ----- ۳۸۹
۱۱۸- آداب قراءه القرآن الالتفات إلى عظمه هذا الكتاب الإلهى والالتفات إلى أم الكتاب ----- ۳۹۱
۱۱۹- وجوه عظمه القرآن ----- ۳۹۴
۱۲۰- عظمه مضامين ومحتويات القرآن ----- ۳۹۸
۱۲۱- رعايه حقّ تلاوه القرآن الترتيل، التدبّر، العمل بالآيات، العبره من القصص توجه القارىء لتعاليم القرآن ----- ۴۰۱
۱۲۲- التأثير المضاعف لقراءه القرآن فى الصّلاه ----- ۴۰۴
۱۲۳- تعظيم القرآن، هو التوجّه إلى مضامينه ----- ۴۰۷
۱۲۴- القرآن كتاب تعليم وتربيه ----- ۴۱۰
۱۲۵- آداب التلاوه رفع الموانع والحُجب (العُجب - الأفكار الباطله) ----- ۴۱۳
۱۲۶- آداب التلاوه رفع الموانع، عدم حصر التفسير بفهم القدماء ----- ۴۱۷
۱۲۷- آداب التلاوه المانع الثانى والثالث لفهم القرآن: حجاب المعاصى وحبّ الدنيا ----- ۴۱۹
۱۲۸- آداب التلاوه التفكّر والتدبرّ فى القرآن وتطبيقه على النفس ----- ۴۲۲
۱۲۹- آداب التلاوه القلب الخاشع، البدن الفارغ، المكان الخالى ----- ۴۲۵

۱۳۰- تفاوت القرآن مع سائر الکتب ----- ۴۲۷
۱۳۱- آداب القراءه: التعظیم - التفکّر ----- ۴۳۰
۱۳۲- آداب القراءه: التخصیص ----- ۴۳۳
۱۳۳- آداب القراءه: الترقّی ----- ۴۳۵
۱۳۴، ۱۳۵- سوره الحمد فی الحدیث القدسی ----- ۴۳۷
۱۳۶- حقیقه الذکر فی الروایات ----- ۴۴۱
۱۳۷- بسم اللّه الرحمن الرحیم ذکر اللّه ----- ۴۴۴
۱۳۸- معنی اللّه فی کلام أمیرالمؤمنین علیه السلام ----- ۴۴۷
۱۳۹- مضافاً إلی الصّلاه کلّ عباده تنقسم بین اللّه وعبده ----- ۴۵۰
۱۴۰- الاستعاذه، آدابها وأرکانها ----- ۴۵۳
۱۴۱- الاستعاذه، غلق طریق نفوذ الشیطان ----- ۴۵۶
۱۴۲- الاستعاذه طریق النجاه من الوسوسه ----- ۴۵۹
۱۴۳- الاستعاذه: اللجوء إلی اللّه من الذنوب والانحرفات الفکریّه والعقدیّه ----- ۴۶۲
۱۴۴- الاستعاذه، الورود فی حصن اللّه والأمن من عذابه ----- ۴۶۵
۱۴۵- القیام، إعلان الاستعداد للدفاع عن الحقّ والتصدی للشیاطین ----- ۴۶۷
الفصل السابع: آداب الرکوع وأسراره ----- ۴۷۱
اشاره ----- ۴۷۱
۱۴۶- آداب الرکوع وأسراره ----- ۴۷۳
۱۴۷- آثار الرکوع، التزین بنور البهاء، الاستظلال تحت مظلّه کبریاء اللّه ارتداء لباس الخاصّیین ----- ۴۷۵
۱۴۸- الرکوع أدب، والسجود قرب إلی اللّه تعالی ----- ۴۷۷
۱۴۹- الرکوع، إظهار العجز والخضوع فی مقابل اللّه ----- ۴۸۰
۱۵۰- کیفیّه الرکوع حاله الذله والخضوع، عدم التسرع والعجله الوقار والسکینه فی القیام ----- ۴۸۲
۱۵۱- آثار طول الرکوع وذکره ----- ۴۸۵
۱۵۲- معنی الرکوع فی کلام أمیرالمؤمنین علیه السلام ----- ۴۸۸
۱۵۳- حدیث المعراج والتوجّه لعظمه الحقّ فی الرکوع ----- ۴۹۱
۱۵۴- حُسن الرکوع الصحیح یزیل وحشه القبر ----- ۴۹۳

۱۵۵- سرّ الانحناء واستقامه الرقبه فی الرکوع ----- ۴۹۶
۱۵۶- درک عظمه اللّه، یستجلب الخضوع ----- ۴۹۹
الفصل الثامن: أسرار السجود ----- ۵۰۳
اشاره ----- ۵۰۳
۱۵۷- أسرار وآداب السجود ----- ۵۰۵
۱۵۸- أهمّیه السجود ----- ۵۰۸
۱۵۹- سرّ السجود علی التراب ----- ۵۱۱
۱۶۰- حقیقه السجود فی کلام الإمام الصادق علیه السلام ----- ۵۱۴
۱۶۱- علّه تکرار السجود ----- ۵۱۶
۱۶۲- تأکید الأئمه علیهم السلام علی إطاله السجود ----- ۵۱۸
الفصل التاسع: أسرار التّشهد ----- ۵۲۱
اشاره ----- ۵۲۱
۱۶۳- سرّ الشهاده بالتوحید والنبوّه فی بدایه الصّلاه ونهایتها ----- ۵۲۳
۱۶۴- حقیقه التشهد ----- ۵۲۶
۱۶۵- أدب التشهد ----- ۵۲۹
الفصل العاشر: السّلام ----- ۵۳۳
اشاره ----- ۵۳۳
۱۶۶- حقیقه التسلیم ----- ۵۳۵
تعریف مرکز ----- ۵۳۸

اسرارالصلاه

اشاره

سرشناسه:فاضل لنکرانی، محمدجواد، ۱۳۴۱ -

عنوان قراردادی:اسرار و آداب نماز . عربی

عنوان و نام پدیدآور:اسرارالصلاه/ محاضرات محمدجواد الفاضل اللنکرانی.

مشخصات نشر:قم: مرکز فقهی ائمه اطهار (ع)، ۱۳۹۳.

مشخصات ظاهری:۵۱۹ ص.

فروست:مرکز فقه الائمه الاطهار؛ ۱۶۵.

شابک:۲۲۰۰۰۰ریال ۹۷۸-۶۰۰-۵۶۹-۴۹۸-۷ :

وضعیت فهرست نویسی:فاپا

یادداشت:عربی

یادداشت:کتابنامه به صورت زیرنویس.

موضوع:نماز

شناسه افزوده:مرکز فقهی ائمه اطهار (ع)

رده بندی کنگره:BP۱۸۶/ف۲الف۵۰۴۳ ۱۳۹۳

رده بندی دیویی:۲۹۷/۳۵۳

شماره کتابشناسی ملی:۳۷۵۵۳۶۴

ص :۱

اشاره

اسرارالصلاه

محاضرات محمدجواد الفاضل اللنکرانی

ص :۳

ص: ۴

فهرس الموضوعات

المقدّمه... ١٣

الفصل الأوّل: أمور عامّه حول أسرار الصّلاه... ١٥

١ / ضروره التعرّف على أسرار الصّلاه... ١٧

٢ / أدّله وجود أسرار الصّلاه... ٢٠

٣ / أهميّه إدراک باطن الصّلاه... ٢٣

۴ / موارد اختلاف باطن الأعمال... ٢۶

۵ / الصّلاه طريق الوصول إلى الحقائق... ٢٩

۶، ٧ / الصّلاه جامعه لأسرار جميع العبادات... ٣٢

٨ / الصّلاه معيار الإيمان والتوحيد... ٣۵

٩ / الصّلاه سير وسلوک نحو الحقّ... ٣٨

١٠ / الصّلاه، طريق الوصول إلى اليقين... ۴١

الفصل الثاني: حضور القلب في الصّلاه... ۴۵

١١ / المقصود من القلب في مقوله «حضور القلب»... ۴٧

١٢ / المقصود من القلب في الروايات... ۵٠

١٣ / الذنب، سبب لظلمه القلب... ٥٣

١۴ / آثار توجّه القلب وإقباله إلى اللّه... ۵۵

١۵ / مراتب حضور القلب... ۵٨

١۶ / خشوع وحضور القلب فى الصّلاه... ۶١

١٧ / موانع حضور القلب... ۶۴

١٨ / لزوم حضور القلب والخشوع... ۶٧

١٩ / كيفيّه تحقيق اللذّه من الصّلاه... ٧٠

٢٠ / اللّه يتعهّد بالصّلاه، بإدخال المصلّى إلى الجنّه... ٧٣

٢١ / حقيقه الصّلاه تتجلّى فى الركعه الأُولى... ٧۶

٢٢ / مراتب حضور القلب... ٧٩

٢٣ / الحضور الإجمالى: والاشتغال بحمد اللّه وثنائه... ٨١

٢۴ / الالتفات إلى قبول الصّلاه... ٨۵

٢۵ / المرتبه الأُولى من الحضور التفصيلى: فهم معانى الكلمات... ٨٨

٢۶ / المرتبه الثّانيه من الحضور التفصيلى: الفهم العقلى والبرهانى للكلمات... ٩١

٢٧ / المرتبه الثّالثه من الحضور التفصيلى: التصديق القلبى... ٩۴

٢٨ / المرتبه الرابعه من الحضور التفصيلى: شهود حقائق الألفاظ... ٩٨

٢٩ / المرتبه الخامسه من الحضور التفصيلى: الفناء فى الحقّ تعالى... ١٠٠

٣٠ / أسباب حضور القلب... ١٠٣

٣١ / طريق التوجّه إلى عظمه البارى تعالى... ١٠۶

٣٢ / رفع الموانع الخارجيّه لحضور القلب... ١١٠

۳۳ / رفع الموانع الخارجیّه لحضور القلب... ۱۱۴

۳۴ / حبّ الدنیا، أساس الخواطر القلبیّه والأفکار المتناثره... ۱۱۶

۳۵ / حبّ الدنیا أکبر مانع لحضور القلب... ۱۱۹

۳۶ / الدُّنیا المذمومه... ۱۲۱

۳۷ / أصل جمیع الفتن وعدم التوجّه إلی اللّه فی الصّلاه حبّ الدنیا... ۱۲۴

۳۸ / بغض الدنیا أفضل الأعمال... ۱۲۷

۳۹ / لزوم الاستمداد من اللّه لحضور القلب... ۱۳۰

۴۰ / سرّ توجّه القلب للأُمور الدنیویّه... ۱۳۳

الفصل الثالث: أسرار مقدّمات وشروط الصّلاه ۱۳۷

الباب الأوّل: أسرار الطّهاره... ۱۳۷

۴۱ / مراتب الطّهاره... ۱۳۹

۴۲ / طهاره الظّاهر وطهاره الباطن... ۱۴۲

۴۳ / أسرار الوضوء... ۱۴۵

۴۴ / سرّ الطّهاره بالماء... ۱۴۸

۴۵ / الماء الرحمه المطلقه للوجود... ۱۵۱

۴۶ / الاستلهام من الماء فی الحیاه... ۱۵۴

۴۷ / الإخلاص والصفاء فی التوجّه إلی اللّه... ۱۵۷

۴۸ / سرّ غسل الوجه والیدین فی الوضوء... ۱۶۰

۴۹ / أقسام الوضوء فی نظر العرفاء... ۱۶۳

۵۰ / تأثیر الدعاء والذکر عند الوضوء... ۱۶۷

۵۱ / أسرار الوضوء فی حدیث المعراج... ۱۶۹

۵۲ / وضوء أهل الحقیقه (طهاره السرّ)... ۱۷۲

۵۳ / أذکار أمیرالمؤمنین علیه السلام عند الوضوء... ۱۷۶

۵۴ / باطن الوضوء؛ تبدیل قطرات ماء الوضوء إلی ملائکه... ۱۷۸

۵۵ / آثار وفوائد الوضوء... ۱۸۲

الباب الثانی: أسرار ستر العوره... ۱۸۵

۵۶ / أسرار ستر العوره فی الصّلاه... ۱۸۷

۵۷ / الصوره الإنسانیّه، ستر لحقیقه الأعمال الحیوانیّه للبشر... ۱۹۰

۵۸ / ستر العیوب والعورات الباطنیّه... ۱۹۳

الباب الثالث: أسرار وقت الصّلاه... ۱۹۷

۵۹ / سرّ تعیین الوقت للصّلاه... ۱۹۹

۶۰ / حاله المصلّی عند حلول وقت الصّلاه... ۲۰۲

۶۱ / الأیّام لها حقیقه مستقلّه... ۲۰۵

۶۲ / نداء الأذان تذکیر بالقیامه... ۲۰۸

۶۳ / تعیین أوقات الصّلاه فی القرآن... ۲۱۳

۶۴ / أَهمیّه صلاه الصّبح... ۲۱۶

۶۵ / صلاه الصّبح مشهوده ملائکه اللّیل والنّهار... ۲۱۹

۶۶ / لزوم الاهتمام بأداء صلاه الصّبح فی وقتها... ۲۲۱

۶۷ / سرّ أوقات الصّلاه فی جواب النّبی صلی الله علیه و آله للعالم الیهودی... ۲۲۴

۶۸ / سرّ تعیین وقت صلاه العصر... ۲۲۶

۶۹ / سرّ تعیین وقت صلاه المغرب والعشاء... ۲۲۸

۷۰ / عقوبه عدم الاهتمام بوقت الصّلاه... ۲۳۱

الباب الرابع: سرّ استقبال القبله التوجّه إلیها فی الصّلاه... ۲۳۵

۷۱ / لزوم التوجّه إلی الکعبه... ۲۳۷

۷۲ / سرّ أهمیّه الکعبه وجعلها القبله للمسلمین... ۲۴۰

۷۳ / القبله والأمن المعنوی... ۲۴۲

۷۴ / تناسب الظاهر والباطن فی التوجّه إلی اللّه... ۲۴۴

۷۵ / الصوره الباطنیّه لعدم التوجّه إلی اللّه فی الصّلاه... ۲۴۶

۷۶ / خصوصیّات الکعبه... ۲۴۸

الباب الخامس: أسرار الأذان والإقامه... ۲۵۳

۷۷ / أسرار الأذان والإقامه... ۲۵۵

۷۸ / الأذان: دعوه جميع قوى الملک والملكوت للحضور... ۲۵۸

۷۹ / سرّ التكبيرات الأربع والشهاده بوحدانيّه اللّه فى الأذان... ۲۶۱

۸۰ / ثواب الأذان... ۲۶۴

۸۱ / سرّ الشهاده بالرساله والولايه فى الأذان... ۲۶۷

۸۲ / الصّلاه أفضل الأعمال وأصل الفلاح... ۲۶۹

۸۳ / الأذان يبعد الشّيطان... ۲۷۲

۸۴ / الأذان حكايه أذكار الملائكه فى المعراج... ۲۷۵

۸۵ / سرّ التكبيرات الأربعه فى الأذان... ۲۷۷

۸۶ / سرّ التكبيرات الأربعه فى كلام الإمام الخمينى قدس سره... ۲۸۰

۸۷ / التكرار يوجب التصديق القلبى... ۲۸۳

۸۸ / أسرار الشهاده بالتوحيد؛ المرتبه الاُولى والثانيه: الشهاده اللفظيّه والعمليّه... ۲۸۶

۸۹ / أسرار الشهاده بالتوحيد: المرتبه الثالثه والرابعه: الشهاده القلبيّه والذاتيّه... ۲۸۹

۹۰ / سرّ الشهاده برساله النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى الأذان والإقامه... ۲۹۳

۹۱ سرّ الشهاده بولايه أميرالمؤمنين عليه السلام... ۲۹۶

۹۲ / دور الولايه فى قبول الأعمال... ۲۹۹

۹۳ / الشهاده بالنبوّه والولايه، هى روح العباده... ۳۰۱

۹۴ / احضار قوى الملك والملكوت... ۳۰۴

۹۵ / سرّ تكرار حىّ على الصّلاه... ۳۰۷

الفصل الرابع: سرّ القيام فى الصّلاه... ۳۱۱

۹۶ / القيام مظهر التوحيد وقيّوميّه الحقّ... ۳۱۳

۹۷ / آداب القيام... ۳۱۶

۹۸ / حقوق الصّلاه فى كلام الإمام زين العابدين عليه السلام... ۳۱۸

۹۹، ۱۰۰ / حدود الصّلاه فى حديث رزّام... ۳۲۰

۱۰۱ / حدود وخصوصيّات الصّلاه فى حديث الإمام الصادق عليه السلام ۳۲۳

۱۰۲ / علّه خوف وخشیه الأنبیاء والأئمّه علیهم السلام... ۳۲۶

۱۰۳ / الإمام زین العابدین علیه السلام قدوه العابدین... ۳۲۹

۱۰۴ / الغرض الإلهی من فرض الصّلاه علی العباد؟...... ۳۳۲

الفصل الخامس: أسرار النیّه... ۳۳۵

۱۰۵ / النیّه هی العزم علی أداء الفعل... ۳۳۷

١٠٦ / الإخلاص وقصد القربه... ٣٤١

١٠٧ / الإخلاص، أن يكون العمل قابلاً للعرض على اللّه... ٣٤٣

١٠٨ / الإخلاص، مصداق الهجره نحو الحقّ... ٣٤٦

١٠٩ / الإخلاص، مانع من تسلط الشيطان... ٣٤٨

١١٠ / آثار الإخلاص... ٣٥٠

١١١ / مراتب الإخلاص (١ و ٢)...٣٥٣

١١٢ / مراتب الإخلاص (٣)...٣٥٦

١١٣ / المراتب العاليه للإخلاص... ٣٥٩

١١٤ / طريق الخلاص من العجب والغرور أن يعتقد الإنسان بأنّه مقصّر دائماً...... ٣٦٢

الفصل السادس: أسرار القراءه وآدابها... ٣٦٥

١١٥ / فضيله قراءه القرآن فى الصّلاه وغير الصّلاه... ٣٦٧

١١٦ / قيمه قراءه القرآن وأهميّتها... ٣٦٩

١١٧ / فضيله قراءه سوره التوحيد... ٣٧١

١١٨ / آداب قراءه القرآن؛ الالتفات إلى عظمه هذا الكتاب الإلهى و...... ٣٧٣

١١٩ / وجوه عظمه القرآن... ٣٧٦

١٢٠ / عظمه مضامين ومحتويات القرآن... ٣٨٠

١٢١ / رعايه حقّ تلاوه القرآن... ٣٨٣

١٢٢ / التأثير المضاعف لقراءه القرآن فى الصّلاه... ٣٨٦

١٢٣ / تعظيم القرآن، هو التوجّه إلى مضامينه... ٣٨٩

١٢٤ / القرآن كتاب تعليم وتربيه... ٣٩٢

۱۲۵ / آداب التلاوه (۱)...۳۹۵

۱۲۶ / آداب التلاوه (۲)...۳۹۹

۱۲۷ / آداب التلاوه (۳)...۴۰۱

۱۲۸ / آداب التلاوه (۴)...۴۰۴

۱۲۹ / آداب التلاوه (۵)...۴۰۷

ص:۱۰

۱۳۰ / تفاوت القرآن مع سائر الكتب... ۴۰۹

۱۳۱ / آداب القراءه: التعظيم - التفكّر... ۴۱۲

۱۳۲ / آداب القراءه: التخصيص... ۴۱۵

۱۳۳ / آداب القراءه: الترقّی... ۴۱۷

۱۳۴، ۱۳۵ / سوره الحمد فی الحديث القدسی... ۴۱۹

۱۳۶ / حقيقه الذكر فی الروايات... ۴۲۳

۱۳۷ / بسم اللّه الرحمن الرحيم ذكر اللّه... ۴۲۶

۱۳۸ / معنی اللّه فی كلام أميرالمؤمنين عليه السلام... ۴۲۹

۱۳۹ / مضافاً إلی الصّلاه؛ كلّ عباده تنقسم بين اللّه وعبده... ۴۳۲

۱۴۰ / الاستعاذه، آدابها وأركانها... ۴۳۵

۱۴۱ / الاستعاذه، غلق طريق نفوذ الشيطان... ۴۳۸

۱۴۲ / الاستعاذه طريق النجاه من الوسوسه... ۴۴۱

۱۴۳ / الاستعاذه: اللجوء إلی اللّه من الذنوب والانحرفات الفكريّه والعقديّه... ۴۴۴

۱۴۴ / الاستعاذه، الورود فی حصن اللّه والأمن من عذابه... ۴۴۷

۱۴۵ / القيام، إعلان الاستعداد للدفاع عن الحقّ والتصدی للشياطين... ۴۴۹

الفصل السابع: آداب الركوع وأسراره... ۴۵۳

۱۴۶ / آداب الركوع وأسراره... ۴۵۵

۱۴۷ / آثار الركوع، التزين بنور البهاء، الاستظلال تحت مظلّه كبرياء اللّه...... ۴۵۷

۱۴۸ / الركوع أدب، والسجود قرب إلی اللّه تعالی... ۴۵۹

۱۴۹ / الركوع، إظهار العجز والخضوع فی مقابل اللّه... ۴۶۲

۱۵۰ / کیفیّه الرکوع... ۴۶۴

۱۵۱ / آثار طول الرکوع وذکره... ۴۶۷

۱۵۲ / معنی الرکوع فی کلام أمیرالمؤمنین علیه السلام... ۴۷۰

۱۵۳ / حدیث المعراج والتوجّه لعظمه الحقّ فی الرکوع... ۴۷۳

۱۵۴ / حُسن الرکوع الصحیح یزیل وحشه القبر... ۴۷۵

۱۵۵ / سرّ الانحناء واستقامه الرقبه فی الرکوع... ۴۷۸

۱۵۶ / درک عظمه اللّه، یستجلب الخضوع... ۴۸۱

الفصل الثامن: أسرار السجود... ۴۸۵

۱۵۷ / أسرار وآداب السجود... ۴۸۷

۱۵۸ / أهمّیّه السجود... ۴۹۰

۱۵۹ / سرّ السجود علی التراب... ۴۹۳

۱۶۰ / حقیقه السجود فی کلام الإمام الصادق علیه السلام... ۴۹۶

۱۶۱ / علّه تکرار السجود... ۴۹۸

۱۶۲ / تأکید الأئمّه علیهم السلام علی إطاله السجود... ۵۰۰

الفصل التاسع: أسرار التّشهد... ۵۰۳

۱۶۳ / سرّ الشهاده بالتوحید والنبوّه فی بدایه الصّلاه ونهایتها... ۵۰۵

۱۶۴ / حقیقه التشهد... ۵۰۸

۱۶۵ / أدب التشهد... ۵۱۱

الفصل العاشر: السّلام... ۵۱۵

۱۶۶ / حقیقه التسلیم... ۵۱۷

المقدّمه

تحظى الصّلاه، من بين العبادات بأهميّه خاصّه، وتعدّ أفضل طريق وأكثره تأثيراً للوصول إلى الحقّ تعالى، فالصّلاه إقرار بالتوحيد واعتراف بعظمه وجلال البارى تعالى ومالكيّته يوم الجزاء والثواب، والصّلاه هى تنزيه اللّه تعالى من كلّ نقص وعيب وتتضمّن جميع مظاهر الحمد والثناء الخاصّه بالبارى تعالى، وبالصّلاه نصل إلى هذه العقيده، وهى أنّه لا موجود إلّااللّه تعالى يستحق الحمد والثناء، فجميع أشكال الحمد والثناء تعود لحمده وثنائه، والصّلاه هى الوصول إلى التوحيد الجامع والابتعاد والبراءه من كلّ شرك، والصّلاه إقرار بعظمه البارى تعالى، وأنّه لا موجود آخر غيره يستحق العظمه والكبرياء، والصّلاه أفضل طريق للتسلط على النفس والمادّيّات والشّهوات.

ولا يخفى أنّ الصّلاه المفيده والصحيحه هى الصّلاه التى يتعرّف فيها المصلّى على أسرارها ورموزها بدرجه معيّنه، وهذا الكتاب يستعرض زاويه من هذه الأسرار المستخلصه من الآيات القرآنيّه الشريفه وروايات الأئمّه المعصومين عليهم السلام.

والنقطه المهمّه هنا، إنّ جميع المؤمنين والمصلّين يجب عليهم تفهّم هذه

الأسرار واستحضارها دوماً، وينبغى على الأقل فى كلّ عام مرّه واحده استحضار هذه الأسرار ومطالعتها مرّه أخرى، وأساساً يجب فى الأمور التربويّه وحالات السير والسلوك المعنوى تكرار المبانى والتوصيات اللازمه لكى تتطبع النفس عليها وتتحوّل إلى مَلَكه، وبالنتيجه خلق واكتشاف أسرار جديده بواسطه هذه النفس المهذّبه.

وهذه المجموعه من المعارف بين يدى القارىء الكريم، تتضمّن بحوث ومسائل تمّ عرضها فى السنوات الماضيه فى مسائل الصّلاه وأسرارها وعلى شكل جلسات مختصره فى إذاعه صوت المعارف للجمهوريّه الإسلاميّه الإيرانيّه، ومن الجلى أنّه فى مثل هذه البحوث ليس من المقرر بسط وتفصيل وتعميق جميع الأبعاد العلميّه والمعنويّه للصّلاه، بل تمّت الإشاره بشكل واضح وسلس لبعض أسرارها وخفاياها، ولم يحدث فى هذا الكتاب أى تصرف كبير فى العبارات والألفاظ حدّ الإمكان، لتبقى بشكل سلسل وبمنهج واضح وميسور للجميع.

وأخير نتقدّم بالشكر الوافر للمسؤولين المحترمين فى المركز الفقهى للأئمّه الأطهار عليهم السلام، وكذلك سماحه حجّه الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ ماشاء اللّه استاد ميرزا دامت تأييداته، لمساهمته فى تدوين وتنظيم هذا الكتاب، وكذلك نتقدّم بالشكر الجزيل لكلّ من سماحه السيّد أحمد النجفى والشيخ هاشم الصالحى اللذين أقدما على ترجمه وتنظيم هذا الكتاب بهذه الصوره الجميله لتعمّ الاستفاده منه والاغتراف من منهله أكثر فأكثر، نأمل أن يساهم هذا الكتاب فى الارتفاع وترشيد هذه العباده المهمّه، إن شاء اللّه.

محمّد جواد فاضل اللنكرانى

١٣٩٢/٨/٢٨ ش / ٢٠١٣ م

ص:١۴

الفصل الأوّل: أمور عامّه حول أسرار الصّلاه

اشاره

ص:۱۵

۱- ضروره التعرّف على أسرار الصّلاه

إنّ أحد المواضيع المهمّه والمؤثره جدّاً فى البحوث العلميّه والمعنويّه، بحث أسرار الصّلاه، والالتفات إلى هذا البحث والتعمّق فيه يحقّق للمصلّى مراتب ومقامات ومنازل فى خطّ السلوك المعنوى، وللأسف فإنّ الغفله عن أسرار الصّلاه أدّى إلى أن تفقد الكثير من صلواتنا التأثير المطلوب والإيجابى فى وجودنا وفى حياتنا الاجتماعيه فى المجتمع الإسلامى، فلو أننا التفتنا إلى أسرار الصّلاه وأقمنا الصّلاه مع معرفه هذه الأسرار ومع الأخذ بنظر الاعتبار وجود مثل هذه الحقائق، فإنّ الكثير من مشكلاتنا الفرديّه والاجتماعيّه سوف تحلّ بل سوف تنكشف الأجوبه عن بعض الأسئله التى تدور فى أذهان الكثير من المؤمنين، وعاده يتبادر إلى أذهان شيعه أميرالمؤمنين على بن أبى طالب عليه أفضل صلوات المصلّين هذا السؤال، وهو: كيف أنّ الإمام عليه السلام عندما أخرجوا سهماً من قدمه وهو فى حال الصّلاه فإنّه استمر فى صلاته وكان غارقاً فى حاله من التوجّه إلى اللّه والاستغراق فى صفاته وأسمائه الحسنى بحيث إنّه لم يلتفت

ولم يشعر بهذا السهم، ولكن نفس هذا الإمام عليه السلام عندما سمع وهو فى حال الصّلاه صوت مسكين نزع خاتمه المبارك ودفعه إلى ذلك المسكين؟

عندما نلتفت إلى أسرار الصّلاه فسوف نجد الجواب عن كلّ هذه الأسئله، وهذه الشبهات إنّما لا نجد لها حلّاً فيما لو اكتفينا بالحضور الظاهرى للصّلاه، ولم نبحث فى بواطن هذه المرحله الظاهريّه ولم نتعقل الحقائق والأسرار الكامنه فيها، ولو نظرنا إلى الصّلاه من حيث الظاهر فسوف لا نجد الجواب عن هذا السؤال، ولكن لو دققنا إلى باطنها، فسوف لا نجد أى تعارض بالنسبه للشخص الغارق فى التوجّه إلى اللّه تعالى ويعيش حاله من مقام الشهود العظيم، بين هذا التوجّه العميق للّه تعالى وبين إعطائه الخاتم لذلك المسكين، لأنّ هذا الإنفاق والصدقه تقع فى ضمن هذا المسار ويترتّب عليها المزيد من التقرّب إلى اللّه تبارك وتعالى، وأساساً بما أنّ الإمام على عليه السلام كان يعيش حاله الذوبان فى جمال الحقّ تعالى، ينبغى أن يؤدّى ما عليه لتحقيق رضا اللّه تعالى، والاجابه لطلب ذلك المسكين والتوجّه إليه يقع ضمن هذا المسار.

وعلى هذا الأساس يتبيّن أننا لو التفتنا إلى أسرار الصّلاه فسوف نجد الاجابه عن هذه الأسئله التى تطرح فى مجال العلاقه والرابطه مع الصّلاه، إنّ أسرار الصّلاه لا يمكن استعراضها فى فتره قصيره ومختصره ولا يمكن التعرّف عليها وبيان زاويه منها، إنّ أسرار الصّلاه تمثّل معارف وحقائق غير محدوده ولا يمكن تبينها فى عدّه جلسات أو عدّه كتب، بل يمكن القول: إنّ الصّلاه لها أسرار مختلفه باختلاف الأشخاص، ولها حقائق متعدده باختلاف القلوب والضمائر لأفراد البشر، وسوف نسعى فى هذه البحوث لطرح بعض زوايا وخفايا هذا البحث ونأمل أن نستطيع بفضل البارى تعالى ولطفه بيان بعض جوانب من هذه الأسرار بحيث عندما نقف فى الصّلاه بين يدى البارى تعالى نشعر باللذه والبهجه إلى

درجه أننا لا نمل أبـداً من الصّـلاه، وتقع هـذه الصّـلاه مورد رضا البارى تعالى بحيث إنّه يباهى بها الملائكه، ومن شأن الالتفات والتوجّه إلى أسـرار الصّـلاه أن يُوجـد تحوّلاً ـ إن شـاء اللّه فى حياتنـا ويؤثر بشـكل فاعـل وإيجـابى فى فكرنـا وروحنـا وعلاقـاتنا الاجتماعيه وجميع أمورنا.

ص:۱۹

۲– أدلّه وجود أسرار الصّلاه

تقدّم فی البحث السابق، أنّ الصّلاه لها أسرار، وأحد الأسئله التی تتبادر إلی ذهن کلّ شخص أنّه ما هو الدلیل علی أنّ الصّلاه لها أسرار؟ بـدایه یجب علینا بیان هـذه النقطه، وهی: هل هناک أسـرار خارج دائره هذه الأفعال الظاهریّه (القیام والرکوع والسـجود والتشـهد والتسـلیم) أم لا؟ وقبل الإجابه عن هذا السؤال یجب الالتفات إلی أنّ مقصودنا من سـرّ الصّلاه هو باطن الصّلاه، فأسرار الصّلاه یعنی باطن الصّلاه کما ورد بالنسبه للقرآن الکریم وفی روایه عدّه أنّ القرآن له ظاهر وباطن، والمراد من «السرّ» فی هذا المورد البـاطن، والسـرّ لا یعنی الخفاء حتّی یقال هنا أنّ السـرّ یعنی الاُحجیّه الخفیّه، فالمقصود من سـرّ الصّلاه هی تلک الحقیقه التی تقع وراء هذه الأفعال العبادیّه وتتجلّی فی عالم آخر.

والسؤال هو: ما هو الدلیل علی أنّ هذه الصّلاه لها أسرار؟ وللاجابه عن هذا السؤال لابدّ من بیان ثلاثه أمور:

الأمر الأوّل: وجود دلیل عقلی مبنیّ علی أنّ کلّ شیء فی هذا العالم له سرّ

وباطن «لِكُلّ ظاهِرٍ باطِن»، وبحسب البراهين العقليّه التى ذكرها كبارنا فى كتبهم ومسطوراتهم الفلسفيّه أنّ كلّ موجود طبيعى فى هـذا العـالم له وجود مثـالى فوق هـذا العـالم، وفوق كـلّ موجود مثـالى يوجـد أيضاً موجود عقلى، وحتّى بحسب مبانى الحكمه المتعاليه وقاعده «بسيطُ الحقيقه كلّ الأشياء» هناك عالم رابع يمكن تسميته بعالم «الاُلوهيّه»، ولكن هذه العوالم الثلاثه المعروفه «عالم الطبيعه، وعالم المثال، وعالم العقل» مترتبه بشكل طولى، بمعنى أنّ ما يوجـد هذا العالم من قبيل الإنسان، التراب، الجماد، والنبات، له وجود مثالى فوق هـذا الوجود المادى ويتمتع بحقيقه أسـمى وأعلى، ولكلّ مرتبه معينه من الوجود، فإنّ العقل يحكم بأنّ كلّ ما يقع فى المرتبه الدانيه فهو مسبوق بوجود أعلى ومرتبه عاليه، وكلّ شهود مسبوق بغيب، فما لم يكن العالى فإنّ الدانى لا يتحقّق، وما لم يكن هناك غيب فلا يكون معنى للشهود، فكلّ ظاهر بحسب العقل له باطن وحقيقه، وعلى أساس هـذا الدليل العقلى فـإنّ الأمور التى يقوم بها الإنسـان فى هـذا العـالم من حركـات وأفعـال سواءٍ كان أفعال حسـنه أم أفعال سيّئه، لها باطن وحقيقه، وهـذه الحقيقه موجود فى عالم آخر وسوف تظهر فى يوم القيامه وربّما فى عالم البرزخ، وقد فى الروايات مسأله بعنوان تجسم الأعمال، وتجسم الأعمال هو انكشاف الحقيقه والباطن لكلّ عمل يرتكبه الإنسان فى هـذا العالم، فأصـغر وأقل عمل يقوم به الإنسـان فى هـذا العـالم له حقيقه وبـاطن سوف يظهر ويتجسم فى عالم البرزخ، وسواءً كانت أعمال جيـده أم سيّئه، ذنوب أم حسنات.

وحسب هذا البرهان العقلى فإنّ لكلّ ظاهر باطن، ولكلّ شـهود غيب، والصّلاه بدورها لها باطن، ولا ينبغى أن نتصوّر أنّ الأعمال التى مؤدّيها بحسب الظاهر منفصله ومنفكه عن العوالم الأخرى، ولا يوجد أى شىء لها فى العوالم الأخرى، العقل يقول بأنّ هذا العمل له حقيقه وراء هذه الحركات الظاهريّه وله باطن،

ص:٢١

وأساساً فإنّ هذا الظاهر وجد لغرض الوصول إلى ذلك الباطن، فظواهر العبادات هى من أجل الوصول إلى تلك البواطن والحقائق.

وعلى هذا الأساس عندما نراجع عقولنا، فإنّ العقل يقدّم لنا قاعده كليّه بأنّ لكلّ ظاهر باطن، ومن هذه الجهه ينبغى الالتفات إلى أنّ صلاتنا لها باطن، وينبغى أن نتعمّق فى هذه الحقيقه وهى أنّ وراء كلّ فعل يصدر منّا حقيقه معينه يجب علينا اكتشافها والاستفاده منها والوصول من ذلك الظاهر إلى هذا الباطن... نوّر اللّه قلوبنا جميعاً بنور الإيمان والعباده والعبوديه.

ص:۲۲

٣- أهميّه إدراک باطن الصّلاه

«فَسُبْحانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْ ءٍ...» (١).

ذکرنا أنّ العقل یـدرک بأنّ لکلّ ظاهر باطن، ولکن بالإضافه إلی الـدلیل العقلی فإنّ القرآن الکریم یقرّر هـذه الحقیقه فی آیات عدیـده بأنّ لکلّ شـیء فی عالم الطبیعه ملکوت، وذلک فی قوله تعالی: «فَسُبْحانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْ ءٍ...» ؛ وهذه الآیه تـدلّ علی أنّ کـلّ شـیء فی هـذا العـالم له وجـود ملکـوتی، والملکوت هو بـاطن الشـیء، ولکـلّ إنسـان ملکوت، والأـرض لها ملکوت، والسماء لها ملکوت، وأعمال الإنسان لها ملکوت، ومن جمله الأمور التی لها ملکوت هی الصّلاه، فالصّلاه أحد الأعمال التی یأتیها الإنسان فی واقع الحیاه، ولذلک لها صوره ملکوتیّه.

فیقول تعـالی فی سوره المؤمنون الآیه ٨٨: «قُلْ مَنْ بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْ ءٍ...» ، إنّ الأمور المختصّه باللّه تبارک وتعالی هو أنّه یملک باطن کلّ شیء، فلو تصوّرنا

١- (١) سوره یس، الآیه ٨٣.

بحسب الظاهر أنّ أعمالنا الظاهريّه تصدر من قدره وتدبير الإنسان واختياره «وحتّى فى هذه الأعمال الظاهريّه نحتاج فيها يقيناً إلى عنـايه البارى تعالى ولطفه وإرادته وبـدون ذلك فإننا لا شـىء»، أمّا فى باطن العمل فلا توجـد قـدره وإراده غير قـدره اللّه تعالى وإرادته ومشـيئته، فهو الذى يسـتطيع أن يتصـرف فى باطن الأعمال على أساس التوسـعه والتضييق، ويقوم بزياده أو نقيصه بواطن الأعمال المختلفه للأشخاص، لأنّ كلّ باطن وملكوت كلّ شىء يقع تحت تصرّف وقدره البارى تعالى.

وتقول الآيه الأخرى: «وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»١.

وتقول الآيه: «وَ إِنْ مِنْ شَىْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُوم»٢ ، وهذا يعنى أنّ هذه الصّلاه التى نؤدّيها بحسب الظاهر هى فعل يسـتغرق عـدّه دقائق من الوقت، وهو وقت قصـير والإنسان لا يتصوّر أنّ هـذا العمل يرتبط بشـىء قبله وبعده، ولكن هذه الأعمـال ترتبـط بـالحقيقه بما وراء هـذا الظاهر، وهـذه الحقيقه موجوده عنـد اللّه تبارك وتعالى، ونحن بوسـيله هـذا الظاهر نريد التوصل إلى ذلك الباطن وتلك الحقيقه.

وعلى هـذا الأساس فبالإضافه إلى الـدليل العقلى، فإنّ القرآن الكريم يـدلّ على هـذا المعنى بجلاء، وهو أنّ جميع الأمور فى هذا العـالم لهـا ملكوت، ونحن وخـاصّه فى بـاب الصّلاه نملـك روايات كثيره تقرّر أنّ جميع تفاصـيل هـذا العمل مرتبط بلطف اللّه وعنـايته، وكمـا وردت الإشاره إلى ذلك فى كتب علماؤنا العظام من أنّ جميع حالات الصّلاه من مقـدّماتها كالوضوء والطهاره والأمور المقارنه لها، وكذلك منافيات الصّلاه إلى تعقيباتها، لها جميعاً أسرار، وقد ذكر هؤلاء

العلماء أسراراً لتكبيره الإحرام، وأسراراً للنيّه، وأسراراً للقراءه، وما هو السرّ فی قیام الإنسان للصّلاه بین یدی الحقّ تعالی؟ وما هی الأسرار الکامنه فی الرکوع والسجود، وهذه الروایات نفسها تعتبر دلیلًا جلیّاً علی هذه الحقیقه، بمعنی أننا لو لم یکن لدینا دلیل عقلی، ولو لم تکن الآیات القرآنیّه تقرّر أنّ لکلّ شیء باطن وسرّ، فإننا نستنبط من الروایات المعتبره الوارده فی کتبنا أنّ للصّلاه أسراراً کامنه فی هذه الأعمال الظاهریّه.

ونشیر فی هذا البحث إلی هذا الحدیث الشریف عن أمیرالمؤمنین علیه السلام إذ یقول:

«مَنْ تَوَضّأ مِثلَ وُضُوئِی وَقَالَ مَثلَ قَولِی خَلَقَ اللّهُ تَبَارَکَ وَتَعالی مِنْ کُلِّ قَطرَهٍ مَلَکَاً یُقَدِّسُهُ وَیُسَبِّحُهُ وَیُکَبِّرُهُ فَیَکتُبُ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ ثَوابَ ذَلِکَ لَهُ إِلی یَومِ القِیامَهِ»(۱).

وهذا شاهد علی وجود أسرار فی الطهاره، فعندما یتوضأ الإنسان ویجری الماء علی وجهه وعلی یدیه وتقطر من ذلک الماء قطرات، فالإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام یقول إنّه لو کان وضوء الشخص مثل وضوئی ویقول مثل قولی فإنّ اللّه تبارک وتعالی یخلق من کلّ قطره من ماء الوضوء ملکاً یقدّس اللّه ویسبّحه ویکبّره، وهکذا نری النتیجه المترتبه علی هذا الباطن، بأنّ هذا الملک یسبّح اللّه تعالی إلی یوم القیامه ویکون ثواب ذلک لهذا الشخص المتوضیء.

ومن هنا نعلم أنّ جمیع أجزاء الصّلاه والأمور المترتبه علیها من شروط الصّلاه ومقدماتها ومقارناتها ومنافیاتها وتعقیباتها لها أسرار، ویجب أن نسأل اللّه تعالی أن یکشف لنا هذه الحقائق والأسرار.

۱- (۱) من لا یحضره الفقیه، ج ۱، ص ۴۱۳.

۴- موارد اختلاف باطن الأعمال

ينبغى فى هـذا البحث الموجز أن نبيّن المقصود من «أسـرار الصّلاه»، هو وجود معنى عـام وشامـل لجميع مـا يـذكر تحت عنوان «أداب الصّلاه» فى الكتب الأخلاقيّه والعرفانيّه، وربّما يشـمل الحِكم المذكوره للصّلاه فى الروايات الوارده، ولا يخفى على أهل الفن أننا نستطيع التمييز بين أسـرار الصّلاه وآدابها وحِكمها، فالحكمه فى الصّلاه هى الغايات المرتبه على الصّلاه، من قبيل: إنّ الصّلاه معراج المؤمن، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وهـذه الأمور تعتبر من فوائـد وغايات الصّلاه وحكمتها، ورغم وجود بحث أخلاقى فى الصّلاه من خلال التوجّه العميق للّه تعـالى والنيّه الخـالصه فى هـذه العباده بعيـداً عن أى شـكل من أشكال الرياء، والأهم من ذلك حضور القلب وخشوعه، كلّ هذه تذكر بعنوان آداب الصّلاه، أمّا السرّ والأسرار فى الصّلاه فلها معنى فوق هذه المعانى، ولكننا فى هذا البحث سوف نسلك مسلك الكبار كالمرحوم الشهيد الثانى رضوان اللّه تعالى عليه، ونستعرض المعنى العام لسرّ الصّلاه.

ص:۲۶

المسأله المهمّه هنا أنّ أسرار الصّلاه تختلف باختلاف الأفراد والأزمنه، فالصّلاه التی یؤدیّها شخص جاهل لا یمکن مقایستها فی مجال السرّ والباطن والحقیقه مع صلاه العالم، والصّلاه یؤدیّها المؤمن فی أوّل الوقت تختلف کثیراً عن الصّلاه فی آخر الوقت، کما ورد فی الروایات:

«إنَّ الصَّلاهَ إذَا ارتَفَعَتْ فِی أَوَّلِ وَقتِها رَجَعَتْ إلی صَاحِبِها وَهِی بِیضاءٌ مُشرِقَهٌ تَقُولُ حَفِظتَنِی حَفِظَکَ اللّهُ وَإذَا إرتَفَعَتْ فِی غَیرِ وَقتِها بِغَیرِ حُدُودِها رَجَعَتْ إلی صَاحِبِها وَهِی سَوداءٌ مُظلِمَهٌ تَقُولُ ضَیعتَنِی ضَیَّعَکَ اللّهُ»(۱).

نستوحی من هذا الحدیث الشریف أنّ الصّلاه فی أوّل وقت لها باطن، والصّلاه فی آخر الوقت لها باطن آخر، وأنّ صلاه العالم لها باطن وصلاه الجاهل لها باطن آخر، وقد ورد فی روایه عن الإمام علیّ بن الحسین علیهما السلام، الذی یلقّب بالسجّاد وزین العابدین فی عبادته، وبحسب ما ورد فی الروایات المعتبره أنّ هذا الإمام علیه السلام کان یصلّی فی کلّ یوم ألف رکعه، یقول:

«رَضِیتُ أَنْ یَکُونَ جَمِیع هَذِهِ الصَّلوات مُقابله لِرُکعتَینِ مِنْ صَلاهِ أَمِیرِ المُؤمِنین».

یعنی أنّ باطن صلاه أمیرالمؤمنین علیه السلام تختلف حتّی مع باطن صلاه الإمام زین العابدین علیه السلام، وکذلک فإنّ باطن صلاه أمیرالمؤمنین علیه السلام لا یقبل المقارنه مع صلاه النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله.

والصّلاه فی المسجد لها باطن یختلف عن باطن الصّلاه فی المنزل، والصّلاه فی المسجد الحرام والصّلاه فی مسجد النّبی لها باطن آخر، والسرّ فی أننا نری فی الروایات أنّ المؤمن لو صلّی فی المسجد الحرام فإنّ صلاته تعادل مائه ألف رکعه من صلاته، أو أنّ الصّلاه فی مسجد النّبی لها ثواب عشره آلاف رکعه فی

۱- (۱) الکافی، الطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۲۶۸.

غيره، وذلك أنّ باطن هذه الصلوات مختلف، وإلّا لا فرق بينها بحسب الظاهر؟ فربّما تكون صلاه المؤمن فى مسجد النّبى مطوله وتكون القراءه فيها جيده ويقرأ سور قرآنيّه مطوله، ولكن مع ذلك فإنّ باطن هذه الصّلاه يختلف عن باطن الصّلاه فى المسجد الحرام، يعنى كما أنّ اختلاف المقام يوجب اختلاف بواطن الصّلاه، فإنّ اختلاف الزمان يوجب أيضاً اختلاف بواطن الصّلاه وحقيقتها.

وعلى هذا الأساس ينبغى الالتفات إلى أنّ باطن الصّلاه ليس أمراً ثابتاً، فما ورد فى الحث على أن تكون الصّلاه مع جماعه لأنّ صلاه الجماعه تختلف فى باطنها عن صلاه الفرادى، أو ما ورد من التوصيه بضروره الصّلاه فى المسجد، فرغم أنّ الصّلاه فى المسجد ومع الجماعه لها فوائد ومنافع ظاهريّه كاجتماع المسلمين والتوحّد والتكاتف بينهم وما يترتّب على ذلك من تقويه العزّه للمسلمين، ولكن الصّلاه فى بيت اللّه الحرام، حتّى لذلك الشخص الذى يصلّى لوحده فى المسجد الحرام بدون جماعه فإنّ هذه الصّلاه الفرادى فى المسجد الحرام تختلف فى باطنها مع الصّلاه الفردى التى يؤديها المصلّى فى داره، وينبغى الالتفات إلى أنّ اللّه تعالى قد وهب هذا المؤمن عطيه وهديه كبيره جدّاً، فلو أننا التفتنا إلى هذه النعمه العظيمه وفهمنا كيفيه الاستفاده الأفضل من مصاديق هذه النعمه وجعلنا من أنفسنا من أفضل مصاديق المصلّين فإنّ اللّه تبارك وتعالى سيكشف لنا الحقائق الغيبيه فى هذه الصّلاه على قلوبنا، وينبغى الاعتقاد بأنّ الإنسان لو أدّى صلاته مع الالتفات إلى أسرارها والحقائق الكامنه فيها فإنّ الكثير من مشكلاته ستنحلّ ويؤدّى ذلك إلى تعاليه فى طريق السير والسلوك إلى اللّه تعالى وتبتعد عنه الكثير من الرذائل الأخلاقيّه والأخطاء الفكريّه، ولكن لو صلّينا بدون التوجّه إلى هذه الأسرار والحقائق فسوف نضيع أنفسنا وصلاتنا معاً، نسأل اللّه تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً من المصلّين الحقيقيين.

ص:٢٨

۵- الصّلاه طريق الوصول إلى الحقائق

يقول الإمام الحسن العسكرى عليه السلام: «إِنَّ الوُصُولَ إِلى اللّهِ عَز وَجلّ سَفَرٌ لا يُدرَكُ إِلّا بِامتِطاء اللّيل»(۱)

لا يتيسر الوصول إلى حقائق الصّلاه وأسرارها من غير طريق الصّلاه نفسها، فلو تصوّر شخص إمكان وجود طريق للوصول إلى هذه الأسرار غير طريق الصّلاه فهو واهم، فمن أجل الوصول إلى باطن الصّلاه ينبغى فقط العبور من ظاهرها إلى الباطن، ووجوب إقامه الصّلاه بجميع شروطها ورعايه، ومن هذه الجهه ورد عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام يقول: «إِنَّ الوُصُولَ إِلى اللّهِ عَز وَجلّ سَفَرٌ لا يُدرَكُ إِلّا بِامتِطاء اللّيل».

وفى الحقيقه أنّ الصّلاه هى أحد الوسائل لهذا السفر.

فى هذه الروايه ورد أنّ الوصول إلى اللّه تعالى هو باطن الصّلاه وهو شهود جمال المعبود والحقّ تعالى، فلماذا نشعر بالتعب والملل من صلاتنا؟ لأننا نغفل

۱- (۱) بحار الأنوار، طبعه بيروت، ج ۷۵، ص ۳۸۰.

عن باطن الصّلاه، ولماذا تتسبّب الصّلاه أحياناً بالامتعاض والثقل الظاهرى ونحسبها تكليفاً ثقيلًا على أنفسنا؟ لأنّنا نؤدّى هذه الصّلاه بعيداً عن هذه السرّ والباطن والحقيقه الكامنه فيها.

لو إننا التفتنا جيداً إلى باطن الصّلاه وهو الوصول إلى اللّه تعالى، ولو أننا علمنا أنّ حقيقه الصّلاه هى مشاهده المعبود، فحينئذٍ لا يشعر الإنسان بالتعب والملل من صلاته، فالسبب فى جميع حالات التعب والملل ابتعادنا عن حقيقه الصّلاه، وأحياناً يسأل البعض أنّ الأئمّه الطاهرين عليهم السلام كيف استطاعوا أن يصلّوا فى اليوم والليله ألف ركعه ونحن عندما نؤدّى هذه الركعات القليله من صلاه اليوميّه نشعر بالتعب والثقل؟ والجواب يكمن فى هذه النقطه، وهى أنّ هؤلاء الأئمّه عليهم السلام كانوا يعيشون اللّذه والبهجه فى رؤيتهم لحقيقه الصّلاه وأنّ جميع وجودهم مستغرق فى صلاتهم، ولذلك لا يشعرون بأى تعب أو ملل منها، ليس فقط الأئمّه الطاهرين عليهم السلام بل إنّ أصحاب الأئمّه عليهم السلام أيضاً يصلون إلى هذه المرتبه أحياناً وترون أنّ الشيخ «الكشفى» وهو أحد علماء الرجال عندما يتحدّث عن الزهاد الثمانيه، أى الأشخاص المعروفين بالزهد فى ذلك الوقت وهم ثمانيه مثل: اويس القرنى، عامر بن عبدقيس و...، فإنّه يذكر أحدهم واسمه الربيع، وينقل حكايه عن سيرته ويقول: «كان يسهر بالليل إلى الفجر فى ركوع واحد»(۱) ، وهذا الشخص أحد أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ومن الذين تربّوا فى مدرسته، وعندما يصبح الصباح يتأوه ويقول: «آه سبق المخلصون وقطع بنا»، أى أننا تخلفنا عن طريق الوصول إلى اللّه تعالى واستطاع المخلصون سلوكه، هذه «آه» عباد اللّه المخلصين.

لو أجريتم مقارنه بيننا وبينهم فنحن نطلق كلمه «آه» فيما يتّصل بالأمور

۱- (۱) . مصباح الشريعه، ص ۶۲.

المادیّه الفانیه، ونتأوه من فقدان المقام والثروه والسلطه، أمّا عباد اللّه المخلصین فإنّهم یتأوهون فی مجالات أخری، هذه الکلمه «آه» تعلّموها من مولی المتقین أمیرالمؤمنین علیه السلام عندما قال: «آه مِنْ قِلَّهِ الزّادِ، وَطُولِ الطَّرِیقِ، وبُعدِ السَّفرِ»(۱).

إذن فعندما یفهم المؤمن أسرار الصّلاه ویلتفت إلیها فإنّه لا یرغب فی إتمامها، فلو أنّه اشتغل بالصّلاه من أوّل اللّیل إلی طلوع الفجر، وهو وقت خاص لیکون للصّلاه باطن، فإنّه عندما یری طلوع الفجر وانتهاء اللّیل یتحسّر ویتأوه بسبب أنّه فَقَد هذه الحاله المعنویّه، وعلی هذا الأساس فإنّ التوجّه لأسرار الصّلاه هو الذی یوصل الإنسان إلی مرتبه الحقّ تبارک وتعالی.

وجاء فی روایه عن الإمام الحسن العسکری علیه السلام أنّه قال: «الوُصُولَ إلی اللّهِ عَز وَجلّ»، وهذا یعنی أنّ الوصول إلی اللّه موفّر وله طریق، وبإمکاننا کأشخاص عادیین الوصول إلی اللّه تعالی أیضاً، ولکنه «سَفَرٌ»، هذا السفر یعنی الحرکه والعمل والسعی، «لا یُدرَکُ إلّا بإمتِطاء اللّیل»، فالصّلاه فی جوف اللّیل تعتبر طریقاً معبّداً للوصول إلی اللّه تعالی، وقلنا إنّ لکلّ صلاه باطن خاص، فالصّلاه الواجبه لها باطن، والصّلاه المستحبّه لها باطن آخر، وصلاه اللّیل لها باطن وصلاه النّهار لها باطن آخر، ولکن لا ینبغی الغفله عن هذه الحقائق، ولا ینبغی أن نسمح لعمرنا بالانتهاء ونحن فی غفله من هذه الحقائق، فهی خساره عظیمه جدّاً.

۱- (۱) نهج البلاغه، (صبحی الصالح)، ص ۴۸۱؛ بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۳۴، ص ۲۸۵.

۶، ۷- الصّلاه جامعه لأسرار جميع العبادات

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «أَوَّلُ مَا يُحاسَبُ العَبدُ عَلَيهِ الصَّلاهُ فإِنْ قُبِلَتْ قُبِلَ مَاسِواها وإِنْ رُدَّتْ رُدَّ مَاسِواها»(١)

تعتبر الصّلاه أهم عباده من بين العبادات التی قرّرها اللّه تبارک وتعالی للبشر، ومن هذه الجهه فإنّ «أسرار الصّلاه»: تعدّ أهم الأسرار، وربّما تکون الصّلاه جامعه لجمیع أسرار العبادات الأخری کلّها، وقد وردت روایات مشهوره فیما یتّصل بالصّلاه أنّ الإنسان فی یوم القیامه إذا قبل اللّه تعالی صلاته فسوف تقبل بقیه أعماله الأخری، وإن کانت هذه الأعمال ناقصه فإنّ اللّه تعالی سیغض النظر عن ذلک، ولو لم یقبل اللّه تعالی صلاه الشخص فإنّ سائر أعماله لا تکون مقبوله حتّی لو جاء بها الشخص بشکل کامل وصحیح: «إِنْ قُبِلَتْ قُبِلَ مَاسِواها وإِنْ رُدَّتْ رُدَّ مَاسِواها»، هذه العباره تشیر إلی أنّ الصّلاه تعدّ أهم العبادات، والإنسان العابد لا یمکنه أن یتقرّب إلی اللّه تبارک وتعالی بأی وسیله أخری مثل الصّلاه، ولعل ما

ص:۳۲

۱- (۱) فلاح السائل، ص ۱۲۷.

جاء فی بعض الروایات أنّ اللّه تعالی ینظر إلی عبده عندما یقف للصّلاه ویباهی الملائکه بعمل هذا المؤمن، کلّ ذلک یکشف عن وجود أسرار خاصّه فی الصّلاه، بحیث لا تقبل المقارنه مع سائر العبادات الأخری، ولو أنّ الإنسان نال التوفیق لعباده الحقّ تعالی وأراد تحقیق العبودیّه والطاعه للّه فإنّه لا شیء کالصلاه یحقّق له هذا المعنی، وأساساً فإنّ الصّلاه من بین العبادات تعتبر أحبّ عباده إلی اللّه تعالی ولا شیء مثل الصّلاه له قیمه عند اللّه، ومن هذه الجهه إذا اهتمّ الإنسان بصلاته واعتبر أنّ الصّلاه رکناً أساسیاً فی حیاته، فسوف یحظی بمرتبه مهمّه عند الباری تعالی.

لماذا کان الأئمّه المعصومون علیهم السلام یهتّمون ویکثرون من الصّلاه إلی هذه الدرجه، بحیث إنّه ورد فی الروایات أنّهم کانوا یصلّون فی الیوم واللیله ألف رکعه؟ الإنسان عندما یلتفت إلی أسرار الصّلاه ولو بشکل إجمالی ویفرغ ذهنه عن سائر الأمور الأخری أثناء الصّلاه فهو بمثابه الشخص الذی وجد ضالّته وحصل علی ما یبتغیه فی حیاته ممّا یدفعه ذلک إلی الإکثار منها، یجب أن تکون صلاتنا بهذه الصوره، یجب أن نشعر باللذه والبهجه من الصّلاه، بل یجب أن نشعر بالراحه وزوال التعب فی حال الصّلاه وتکون استراحتنا من الأعمال الأخری فی الصّلاه، لأنّ هذه الصّلاه من شأنها أن تزیح غبار الظلمه والتلوث فی الأمور الدنیویّه عن أنفسنا وتطهّر قلوبنا وتخفّف من مشاکلنا ومعاناتنا، فالإنسان وببرکه صلاه واحده تتوفّر فیها الشروق والتوجّه القلبی إلی أسرارها یمکنه أن یجد الحلول لمشاکله الأخری.

لماذا نجد أنّ بعض شبابنا وفی عزّ الشباب یبتلون ببعض المشاکل الروحیه والأزمات النفسیّه؟ لماذا لا نحلّ مشاکلنا النفسیّه بالصّلاه؟ أیّها الإخوه والأخوات، عندما نجد کلّ هذه الأهمیّه من قِبل اللّه تعالی للصّلاه، فلو أننا التفتنا

إليها بمقدار العُشر فإنّ الكثير من مشاكلنا ستنحلّ، إنّ الأكابر من علمائنا كانوا يحلّون معضلات العلوم والمسائل الفلسفيّه الغامضه ببركه الصّلاه، إنّ روح الإنسان وبواسطه الصّلاه، ليس فقط تتطهر من لوث الذنوب والمعاصى، بل من حالات الجهل، وتجد روح الإنسان تصفيه وتنقيه فى حال الصّلاه بحيث تسكن وتهدأ وتزول عنها حاله التوتّر وبالتالى تنكشف لها الحقائق العلميّه بسهوله، فالروح المظلمه والمكدّره لا تستطيع حلّ أبسط المسائل الجزئيّه.

وعلى ضوء ذلك يجب أن نهتم كثيراً بالصّلاه، ولا يجدر بنا أن نبلغ من العمر خمسين أو سبعين سنه ونكون لا سامح اللّه مشمولين بهذه الروايه الوارده عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «وَاللّهِ إِنّهُ لَيأَتِى عَلَى الرَّجُلِ خَمسُون سنه وَمَا قَبِل اللّهُ مِنْهُ صَلاهً وَاحِده فَأَىُّ شَيٍّ أَشدُّ مِنْ هَذا»(۱).

فاللّه تعالى ليس من شأنه أن يشدّد على الناس الأمور العباديّه، ولكننا قد أوجدنا فى نفوسنا الشقاوه والظلمه بحيث إنّ الإله الكريم المطلق لا يقبل منّا هذه الصّلاه والأعمال العباديّه مدّه خمسين سنه، تعالوا نهتمّ بهذا الأمر ونحاسب أنفسنا على ما مضى من عمرنا ونسعى لما تبقى من العمر للسعى وبالاستمداد من لطف اللّه وعناياته أن تكون أعمالنا مقبوله من الحقّ تعالى.

ص:۳۴

۱- (۱) الكافى، الطبعه الإسلاميّه، ج ۳، ص ۲۶۹.

۸– الصّلاه معيار الإيمان والتوحيد

إنّ أحد الأهداف المرسومه للصّلاه هو الوصول إلى مرتبه معرفه اللّه، وأساساً لو أنّ الإنسان أراد أن يقيس ميزان تدينه ومعرفته باللّه ويرى هل أنّه صار من جمله المؤمنين والموحّدين أم لا؟ فإنّه يمتحن نفسه من خلال الصّلاه ويرى مقدار حبّه وارتباطه القلبى بالصّلاه. هل أنّه يشعر عندما تنتهى الصّلاه بالراحه والفرح بأنّه انتهى من صلاته ليفرغ لسائر أعماله الأخرى أو أنّه يتحسّر على انتهاء الصّلاه وانتهاء مدّه اتّصاله مناجاته للّه تعالى، ولا يعلم هل أنّه سيُوفّق فيما بعد للصّلاه والوقوف بين يدى اللّه تعالى أم لا؟ الصّلاه تعدّ أفضل وسيله يستطيع من خلالها الإنسان أن يرى مراتب التوحيد فى نفسه، تلك المراتب التى تحدّث عنها الأكابر والأولياء وهى: التوحيد الذاتى، التوحيد الصفاتى، التوحيد الأسمائى، التوحيد الأفعالى، فكلّ هذه المراتب من التوحيد يستطيع الإنسان من خلال معيار الصّلاه أن يكتشفها فى نفسه.

إنّ الغايه من الصّلاه هى أن ينقطع الإنسان عن جميع الأمور الأخرى ويرى

ص:۳۵

الجمـال المطلق للحقّ تعـالى بعين الشـهود، وللصّلاه أحكام ظاهريّه وبعض الأمور السـطحيّه من قبيل: الوضوء، أركان، وشـروط الصّلاه، وتعتبر المرتبه الأدنى من شروط الصّلاه التى يجب على الإنسان توفيرها وإيجادها.

ولكن علمـاء الأخلاق الكبـار وعرفائنـا، صـرّحوا بوجود موارد أخرى بعنوان الجهـاد الأكبر وجهـاد النفس وفى خصوص عباده البارى تعالى فهو من الجهاد الأوسط، يعنى بعد رعايه المراتب الظاهريّه للصّلاه، تصل النوبه إلى الجهاد المستمر للنفس وتهذيبها وإزاله غبار الشـهوات والتلوّث بالنوازع والرغبات الدنيويّه والغفله وأمثال ذلك، يعنى أن يطهّر الإنسان نفسه ممّا سوى اللّه تعالى، وهذا عمل مشكل جدّاً جدّاً، وربّما يكون محالاً لأمثالنا.

ولكن الموجود فعلاً هو أنّ الجهـاد الأكبر يعتبر مرتبه أعلى من جهـاد النفس المسـتمر، وذلـك بـأن يترك الإنسان عقله وفهمه وعلمه جانباً أيضاً ويتحلّى بالإيمان وبعشق اللّه تعالى، فلا ينبغى أن تقول أنا اصـلّى لأنّنى أعلم بأنّ اللّه تعالى أمرنى بالصّلاه، هذه المرحله جيـده، ولكن ينبغى أن تقول أنا اصـلّى لأنّنى أعشق المناجاه والارتباط القلبى مع اللّه تعالى وأشـعر بالإيمان الكامل باللّه تعالى، ولذلك اريد أن اعبر عن هذا العشق بواسطه الصّلاه، وهذا ما يعبّر عنه بغلبه الإيمان والعشق على العقل.

وهكـذا يقف الإنسـان فى هـذه الحـاله من الإيمان القلبى والتصـديق الباطنى فى مقابل اللّه تعالى، فالصّلاه تعـدّ حاجه ضـروريّه للإنسان العاشق للّه تعالى، لماذا وردت التوصـيه الأكيده على أنّ الإنسان عندما يواجه مشكله فى حياته ولو كانت أعقد المشاكل فإنّه ينبغى أن يصلى ركعتين؟ لأنّ هذا الشخص وبهذه الركعتين سيحقق لنفسه ارتباطاً وثيقاً وعميقاً مع الحقّ تعالى.

وقد ورد فى الروايات أنّ الإنسان عندما يقف للصّلاه بكامل اطمئنانه

وحضور قلبه، فإنّ اللّه تبارك وتعالى سينظر إليه ويقبل عليه، ويتكفّل جميع أموره:

حَنِينُ قُلُوبِ العارِفِينَ إِلى الذِّكرِوَتِذكارِهم وَقتَ المُناجَاهِ لِلسِّتْرِ

ادِيرتْ كُؤوسٌ لِلمنايا عَلَيهِمُ فَاُغفوا عَنِ الدُّنيا كإغفَاءِ ذِى السُّكرِ

هُمُومُهُم جَوَّالهٌ بِمُعَسكِرِبِهِ أَهلُ وُدِّ اللّهِ كالأَنْجُمِ الزُّهرِ

فَأَجسَامُهُمْ فِى الأَرضِ قَتلى بِجُبِّهِ وَأَرواحُهُمْ فِى الحُجبِ نَحوَ العُلى تَسرِى

فَما عرّسُوا إِلّا بِقُربِ حَبِيبِهِموَما عَرَّجُوا عَنْ مَسِّ بُؤسٍ وَلا ضُرِ

ولو أنّ الإنسان أقبل على اللّه فى حال الصّلاه وترك سائر الأمور خلف ظهره وكان يهدف من صلاته التقرّب إلى اللّه وشهود جمال الحقّ تبارك وتعالى، فإنّ مثل هذه الصّلاه ستكون معراجاً له إلى ساحه الحقّ تعالى.

نسأل اللّه تعالى أن يصفى قلوبنا بعبادته ويفتح لنا أبواب المعرفه بالصّلاه، وأن نشعر باللذه والبهجه الروحيّه من الصّلاه.

٩- الصّلاه سیر وسلوک نحو الحقّ

إنّ إحدى النقاط الأساسيّه التى يجب على المصلّى الانتباه لها، هى أن يعلم أنّ الصّلاه سفر نحو الحقّ تبارك وتعالى، فالإنسان يرحل من هذا العالم ومن كائناته ومن الدنيا وما فيها وينفصل عن هذه الكثرات الظلمات ويتحرّك فى صلاته نحو الحقّ تعالى، وفى نهايه الصّلاه يعود إلى هذا العالم مرّه ثانيه وهو محمّل برأس مال عظيم من النورانيّه والإيمان والتوحيد والشهود، ويلتفت إلى عباد الصالحين ويسلّم عليهم بقوله: «السّلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين»، وإذا أردنا أن نتحرى الدقّه والعمق أكثر فى بيان معالم هذا السفر المعنوى فإنّ العرفاء والفلاسفه ذكروا أربعه أسفار للإنسان السالك وبيّنوا أنّ السالك يستطيع فى صلاته أن يسافر هذه الأسفار الأربعه:

السفر الأوّل: «السفر من الخَلق إلى الحقّ»، يعنى أن يتحرّك الإنسان فى سلوكه إلى اللّه تعالى من ذاته وينفصل عن الدنيا وما فيها ويبدأ هذا السفر بالنيّه، أى أنّه يقصد التقرّب إلى اللّه بهذه الصّلاه وامتثال أمره.

السفر الثانی: «السفر من الحقّ إلی الحقّ بالحقّ» وهو السفر فی أسماء اللّه وصفاته، وهناک ینقطع الإنسان بشکل کامل عن الخلق والکثرات ویتحرّک فی سیره فی وحده معنویّه بشکل لا متناهی وهذا السیر هو الذی یمنح السالک معرفه ببعض الأسماء والصفات الإلهیّه ویتعرّف علی عظمه اللّه وقدرته وکبریائه، وقدرته المطلقه، ویتطلع علی علم اللّه وحکمته، رحمانیّه اللّه ورحیمیّته، مالکیّه اللّه، ویسبّح ویقدّسه ویحمده ویثنی علیه.

السیر فی الحقّ هو الانشغال بأسماء اللّه الحسنی وصفاته العالیه عن غیره، بمعنی أنّ الإنسان عندما یصل إلی هذه المرحله الثّانیه یجب أن یتخلّص من جمیع صفاته الدنیویّه وحالاته الذمیمه والخصال السیّئه، وما ورد فی الروایات من أنّ الإنسان إذا صلّی صلاته بجمیع شروطها وآدابها فإنّه یطهر من جمیع الذنوب، والسرّ فی ذلک هو أنّ هذا الشخص الذی یراعی شروط الصّلاه یتطهّر من جمیع ذنوبه وآثامه ویتخلّق بأخلاق اللّه وأسمائه الحسنی، ولذلک یصبح هذا الشخص بعد کلّ صلاه مثل مَن ولد حدیثاً من امّه طاهراً من جمیع الذنوب والخطایا، ولا ینبغی أن نتصوّر أنّ هذه المسأله مسأله اعتباریّه، فاللّه تعالی یقول إنّ الشخص الذی یصلّی صلاته باخلاص فإنّی سوف أقوم بمحو ذنوبه وآثامه من صفحه أعماله، ورغم أنّ هذا المعنی بحسب الظاهر قابل للفهم والتبریر، ولکن الحقیقه هی أنّ حقیقه الصّلاه وهذا السلوک السامی الذی یتحقّق للإنسان فی صلاته یؤدّی به أن یتخلّق بأسماء اللّه وصفاته ویتخلّق بأخلاق اللّه عزّ وجلّ.

هنا یذکر الإمام الخمینی قدس سره نقطه مهمّه، من جهه أنّ جمیع العرفاء یعتقدون أنّ الوصول إلی الحقّ تبارک وتعالی یقع فی نهایه السفر الأوّل، ولکن الإمام الراحل قدس سره یری فی کتابه مصباح الهدایه أنّ الوصول إلی هذه المرتبه نهایه السفر الثانی.

ص:۳۹

السفر الثانی ینتهی بصفات الحقّ تعالی والوصول إلی الأُفق الأعلی، وهذه الملاحظه مذکوره فی کلام العرفاء وهی أنّ السفر الأوّل وهو الوصول إلی الأُفق المبین وهی مرحله أدنی من الأُفق الأعلی، أمّا السفر الثانی فالإنسان یصعد إلی افق أعلی بکثیر، ثمّ یعود مرّه أخری فی السفر الثالث من الوحده إلی الکثره: «من الحقّ إلی الخَلق»، وهی مرحله الشهاده للتوحید ونفی غیر اللّه والشهاده برساله نبی الإسلام صلی الله علیه و آله، وفی السفر الرابع: «من الخَلق إلی الحقّ»، یری بعین الوحده متّجهاً نحو الکثره فیشاهد الجمیع أنّهم من عباد اللّه الصالحین.

وهکذا ترون أنّ هذه المنازل والأسفار الأربعه جمعت کلّها فی هذه العباده، ألا ینبغی أن نهتمّ بهذه العباده ونؤدّیها علی وجهها الأکمل؟! ألا ینبغی أن نتنبه إلی أنفسنا ونقول: لا ینبغی أن نضیع هذا الرأسمال المعنوی الذی منحنا اللّه تعالی إیّاه؟ ونسعی الاستفاده منه بنحو الأکمل، وذلک بأن نقیس صلاتنا فی کلّ یوم بالصّلاه فی الأیّام السابقه ونری الفرق بینها وما هو امتیاز الذی حقّقناه فی هذه الصّلاه، وقد ذکر الأعاظم – وهو الحقّ – بأنّ أولیاء اللّه عزّ وجلّ فی کلّ صلاه تفتح لهم أبواب جدیده، وفی کلّ صلاه تنکشف لهم حقائق وتتجلّی علی قلوبهم حِکم وتجری علی ألسنتهم...، ینبغی أن نعرف قدر هذه الصّلاه ونطلب من اللّه تعالی أن یلهمنا معرفه قدر الصّلاه فی قلوبنا ونفوسنا.

۱۰- الصّلاه، طریق الوصول إلی الیقین

«وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ» (۱)

یقول اللّه تبارک وتعالی فی القرآن الکریم: «وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ» ، وهذا خطاب إلهی إلی الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله یأمره بالعباده والدوام علیها إلی أن یکتب له الیقین، وبالرغم من أنّ الروایات التفسیریّه الوارده فی هذا الشأن تقرّر أنّ الیقین هنا بمعنی الموت، ولکنّه لا یتنافی مع المعنی الأوّل، ونحن نختار هذا المعنی أیضاً، ففی ذات الوقت نقول إنّ إحدی النقاط المستفاده من هذه الآیه الشریفه هی أنّ الصّلاه أفضل وسیله لوصول الإنسان إلی مرحله الیقین، المرحله التی یعیش فیها الإنسان حاله الإیمان من جمیع الجهات ویتحقّق له الإیمان بالمقدار الممکن والمقدور، فمرحله الیقین بحسب ما ورد فی الروایات الشریفه هی أعلی من مرحله التسلیم والتفویض ومرتبه فوق أصل الإیمان.

ومن الجلی أنّ هذه الآیه الشریفه لا تختصّ بالنبی الأکرم صلی الله علیه و آله، فکلّ إنسان

۱- (۱) سوره الحِجْر، الآیه ۹۹

مصلی إذا أراد أن یمتلیء قلبه بالإیمان باللّه تعالی ویفنی فی الحقّ ومشاهدته، فإنّ الصّلاه تعدّ أفضل وسیله للوصول إلی مرتبه الیقین، والإنسان عندما یفنی فی ذات الحقّ تبارک وتعالی فسوف تتساقط عنه الرذائل والقبائح ویعیش الصفاء والنقاء فی قلبه ویمتلیء قلبه بالنورانیّه، ومثل هذا الشخص یستطیع أن یجد الطریق لساحه الذات المقدّسه.

إنّما الحُبّ فَناءٌ کُلُّه رحم اللّه امرءً قال بهِ

إنّ مَنْ أضحی بقلبِ سالماً لم یذرْ مِنهُ سوی قالبه

فِی ضلال الشوق قلبی راقدٌ مِنْ هَجیر الهجر قد قال بهِ (۱)

فلو أراد الإنسان أن تکون له حظوه واعتبار فی مقام القرب الإلهی ویصل إلی هذه المرتبه فینبغی أن یتّخذ العباده وسیله ولا یمکنه أن یصل إلی هذه المرتبه بدون عباده، وهنا ینبغی أن نذکر هذه الحقیقه، وهی أنّ بعض الأشخاص البعیدین عن هذه الحقائق یقولون إنّ الإنسان عندما یصل إلی مرحله الیقین فإنّه لا یحتاج بعدها إلی الصّلاه، ولکن کیف یمکن لهذا الیقین الذی هو معلول الصّلاه أن یبقی فی ذات الإنسان عندما یترک الصّلاه؟ إذا أراد الإنسان أن یزداد یقینه یوماً بعد یوم ویشتدّ ویتعمق فی ذاته یجب علیه أن یزید فی عبادته، والسرّ فی أنّ علماءنا وأولیاء اللّه کانوا یعیشون حالات الشوق إلی الصّلاه والعباده هو أنّهم یرون أنفسهم ینتقلون فی کلّ صلاه من مرتبه من الیقین إلی مراتب أعلی، ویجب علینا محاسبه أنفسنا لنری أننا فی هذه الصّلاه التی صلّیناها الآن وانتهینا منها ما هی ثمرتها ومقدار ما حصلنا علیه من زیاده الیقین باللّه تعالی؟ فلو أننا رأینا أنفسنا بعد الصّلاه أقرب إلی اللّه تعالی ورأینا اللّه تعالی بالمشاهده أکثر بهذه النفس الناقصه وشعرنا بعظمه اللّه فی قلبنا أکثر وازدادت حاله الخوف والرجاء من اللّه

۱- (۱) . الإمام الغزالی، مجموعه رسائل، ص ۴۶۹.

فی قلوبنا، فنعلم حینئذٍ أنّ یقیننا قد إزداد، أمّا لو رأینا بعد الصّلاه أنّ حالنا لم یختلف عمّا کان علیه قبلها فإنّ هذه الصّلاه لم تؤثر فینا ویجب علینا أن نأسف لهـذه الحاله، وعلی هـذا الأساس عنـدما نقف للصّـلاه بین اللّه تعالی ونریـد أن ندعوه ونناجیه، فیجب علینا الالتفات إلی أننا نریـد زیاده یقیننا وإیماننا، ونحن بحاجه إلی زیاده الیقین، ونحن نحتاج یوماً بعد آخر إلی غرس الیقین فی قلوبنـا أکثر فـأکثر، ومن هـذا المنطلق فـإنّ أحـد الآثار المهمّه للعباده هو الوصول إلی مرحله الیقین وهو التوحیـد التام، وقـد ذکر العرفـاء فی محلّه أنّ التوحیـد التـام لاـ یعنی أنّ الإنسـان یقطـع بـإرادته الارتبـاط والتـوجّه إلی غیر اللّه بـل أعلی من ذلـک، وهو الانقطـاع، فیجب علی الإنسـان أن یصل إلی مرتبه بحیث یشـعر بالانقطاع التلقائی عن غیر اللّه تعالی، ویکون إلتفاته فقط متوجّهاً إلی اللّه تعالی ولذلک یتلاشـی وجوده فی عظمه الحقّ تعالی، فینبغی علی الإنسان أن یلاحظ ما مقدار ما حصل علیه بصلاته من القرب الإلهی بحیث یستغرق وجوده فی محضر الباری تعالی ویشعر بالمحو فی الذات المقدّسه، وهنیئاً للشخص الذی یستطیع أن یعیش هذه الحاله فی جمیع صلاته، وهذا توفیق عظیم للمؤمن ونسأل اللّه تعالی أن یمنحنا جمیعاً هذا التوفیق إن شاء اللّه.

ص:۴۳

الفصل الثانی: حضور القلب فی الصّلاه

اشاره

ص:۴۵



۱۱- المقصود من القلب فی مقوله «حضور القلب»

«لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ...» (۱)

إنّ هذه الحقیقه جلیّه وواضحه للمصلّین وأصحاب السیر والسلوک والعباده، لأنّ الوصول إلی حقائق الصّلاه وفهم حقیقه کلّ عباده لا یتیسّر إلّامن خلال العمل بالشریعه والسلوک من الظاهر إلی الباطن، وهذا یعنی أننا لا نستطیع أن ندرک حقیقه الصّلاه، إلّامن خلال ظاهر الصّلاه والعمل بأحکامها وشروطها ورعایه آدابها الظاهریّه، وبدون تحقّق هذا الظاهر فلا یمکن الوصول إلی ذلک الباطن، ومن أجل الوصول إلی ذلک الباطن یجب رعایه الشروط والأعمال الظاهریّه بشکل کامل، یقول الإمام الخمینی قدس سره فی تعلیقاته علی شرح فصوص الحِکم: «إنّ الطریقه والحقیقه لا تحصل للسالک إلّامن خلال طریق الشریعه، لأنّ الظاهر طریق إلی الباطن، والشخص الذی لا یصل إلی الباطن من خلال العمل بالتکالیف

۱- (۱) سوره الأعراف، الآیه ۱۷۹.

الإلهيّه فيعلم أنّه لم يؤدّى الظاهر بشكل صحيح»(۱).

وعلى هذا الأساس، نقول إنّ المصلّى إذا أقام الصّلاه بكامل أحكامها وشروطها، مثلاً الصّلاه فى المكان المغصوب أو باللباس النجس وغير الطاهر، أو الصّلاه بدون رعايه استقبال القبله بشكل صحيح، وكذلك سائر الأجزاء والشروط المعتبره فى الصّلاه، مثل هذا الشخص سوف لن يصل أبداً إلى معرفه أسرار وباطن وحقيقه الصّلاه.

وبعد أن ذكرنا المسائل السابقه بوصفها مقدّمه لهذا الموضوع، فإنّ أوّل مسأله فى باب أسرار الصّلاه وقعت مورد إلتفات الأكابر من العلماء، مسأله حضور القلب فى الصّلاه، فبعض الأكابر مثل المرحوم الميرزا جواد الملكى (رضوان اللّه تعالى عليه)، ومن أجل أن يستطيع الإنسان أن يؤدّى صلاته بصوره كامله ذكر لذلك ست مراتب:

- المرتبه الأُولى: حضور القلب. - المرتبه الثّانيه: التفهّم.

- المرتبه الثّالثه: التعظيم. - المرتبه الرّابعه: الهيبه.

- المرتبه الخامسه: الرجاء. - المرتبه السّادسه: الفناء.

وقال رحمه الله: يجب أن يحصل للمصلّى هذه المراتبه الست، ليتمكن من أداء الصّلاه بصوره تامّه وكامله، ولكن فى كلمات الآخرين كالمرحوم الشهيد الثانى رحمه الله أو الإمام الراحل قدس سره فى كتابه «سرّ الصّلاه» لم يرد التفكيك بين هذه الحالات والمراتب، وقد يكون هذا هو الصحيح، وذلك أن نطرح كلّ هذه المراتب كلّها مرّه واحده بعنوان «حضور القلب»، بمعنى أنّ حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبه والرجاء والفناء جميعها متعلّقه بمسأله حضور القلب كما سيأتى توضيحه.

ومن أجل أن يصل الإنسان إلى حقيقه الصّلاه يجب عليه أن يعيش حضور

۱- (۱) تعليقات على شرح فصوص الحكم.

القلب وحضور القلب يعنى أن يلتفت فى قلبه بشكل كامل للصّلاه، وهنا من المناسب أن نذكر ثلاث نقاط فيما يتّصل بكلمه «قلب»، النقطه الأُولى: ما هو المراتب من كلمه «قلب»؟ وهل أنّ المراد من القلب فى هذه المسائل هو تلك القطعه الصنوبريّه من اللحم، أو المقصود دماغ الإنسان الذى هو عضو من أعضاء بدنه، من الواضح أنّ المقصود ليس ذلك، والمراد من القلب فى هذه المسائل تلك اللطيفه الربانيّه التى يطلق عليها أحياناً بالنفس، وأحياناً أخرى بالروح، وقد ورد فى الآيات والروايات الشريفه: «لَهُم قُلُوبٌ لايَعقِلُونَ بِها»، فهؤلاء لهم قلوب ولكنّهم لا يستطيعون فهم هذه المسائل الدينيّه، وهذا يعنى أنّ المراد من القلب هو وسيله الإدراك والفهم، والقلب الذى له إقبال وإدبار، وله علاقه بشىء معين وله نفور من شىء آخر، وتاره يتّجه نحو شىء وأخرى يعرض عن شىء، والمقصود هو القلب الذى يملك البصر والعمى، وما ورد فى الروايات من «طبع القلب» هو القلب الذى يعيش الرين والغشاوه، والقلب الذى طبع عليه، والقلب الذى يملك نورانيّه وظلمانيّه، فلو أجرينا مقارنه بين القلب اللحمى للمؤمن مع قلب الكافر فسوف لا نجد أى فرق بينهما، ولكن الروايات تقول إنّ قلب المؤمن نورانى وقلب الكافر ظلمانى، فقلب الأشخاص الذين يملكون البصيره والنورانيّه يرى الحقائق، وهذا هو ما يقال أحياناً فى كلمات الناس بأنّه يرى بعين القلب، أو يجب أن ترى ذلك بعين القلب، ما هو المقصود من القلب هنا؟ القلب هو ما يعيش حالات القبض والبسط ويملك جميع الصفات الأخلاقيّه الحميده، والفضائل الإنسانيّه تتعلّق بهذا القلب، وكذلك أنّ جميع الصفات السيّئه والرذيله تتعلّق بهذا القلب أيضاً، وهذا هو ما يبقى من الإنسان بعد موته، إذن فالمقصود من القلب فى بحثنا هو هذا القلب.

۱۲- المقصود من القلب فی الروایات

«إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَی السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِیدٌ» (۱)

وصلنا فی البحث إلی معنی القلب وما یتعلّق به بشکل عامّ، ویقول الإمام الخمینی قدس سره(۲): «فی موجودات العالم، فإنّ نورانیّه وکمال کلّ موجود ترتبط بالصوره النوعیّه والکمال الآخیر له، أمّا فی الإنسان فإنّ کماله وسعادته مرتبطه بنفسه الناطقه وهی النفخه الإلهیّه التی یقول عنها الباری تبارک وتعالی: «وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی...»۳، ومقصودنا من القلب هو الحقیقه الإنسانیّه التی جعلها اللّه ودیعه فی الإنسان، وهی الروح التی نفخت فی هذا البدن المادّی وتستوعب جمیع وجود الإنسان وتشکل حقیقته، ونحن فی بحثنا عن أسرار العبادات نواجه مثل هذه الحقیقه، ونحن فی مقام بیان هذه المسأله، وهی أنّ هذه الحقیقه الإلهیّه کیف یمکنها أن تکون أکثر نورانیّه، وکیف یمکن أن تفقد هذه النورانیّه، وکیف

۱- (۱) سوره الأعراف، الآیه ۱۷۹.

۲- (۲) . سرّ الصّلاه معراج السالکین، ص ۱۵-۱۶.

تصل هـذه الحقيقه إلى كمالها المنشود، وكيف لا تصل إلى الكمال؟ ثمّ بحثنا فيما يتّصل بالصّلاه والعبادات ما هو المقدار التى ترتبط هـذه الحقيقه بفعل الإنسان، ولعلّه يمكن القول إنّ اللّه تبارك وتعالى نفخ فى وجود الإنسان هـذه النفخه الرحمانيّه، والإنسان بدوره ينفخ فى أفعاله من هـذه النفخه الإلهيّه المودعه عنده، ويمنح أفعاله الحياه، وكلّما كانت رابطه الإنسان مع هذه النفس ومع أفعاله أشدّ وأقوى كان ذلك بمعنى حضور القلب.

النقطه الثّانيه فيما يتّصل بالقلب، هى أنّ مراد من القلب بشكل عام، يعنى بغض النظر عن مسأله الصّلاه، فقد ورد فى الروايات الشريفه مسائل كليّه تتّصل بهذه الموضوع: «إِذا أَرَادَ اللّهُ بِعَبْدٍ خَيراً جَعَلَ لَهُ وَاعِظاً مِنْ قَلبِهِ»(١).

فلو أراد الإنسان أن يفهم أنّ اللّه تعالى هل يهتمّ ويعتنى به أم لا؟ فإنّ إحدى العلامات لذلك هو أن يرى هل أنّ قلبه يسدى له الموعظه والنصيحه له أم لا؟ فعندما يجلس وحيداً فى مكان ما ويفكّر فى ارتكاب الذنب، فهل أنّ قلبه سينهاه عن ذلك ويلومه ويُوبّخه أم لا؟ هل أنّ قلبه يشوقه ويدعوه إلى أعمال الخير ويلفت نظره إلى الآثار والمعطيات الجيده والسيّئه لأعماله أم لا؟ فربّما نرى البعض منّا وللأسف الشديد يرتكب بعض الأعمال المخالفه ولكنّه لا يجد فى نفسه رادعاً عنها ولا يجد قلبه يلومه عليها، وهذا يعنى أنّ قلبه ليس واعظاً له.

وكذلك ورد فى بعض التعابير الأخرى: «مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ قَلبِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيهِ مِنَ اللّهِ حَافِظٌ»(٢).

وهذا هو ما ورد عن القلب بشكل عام عباره اسوداد القلب كما نقرأ فى هذا النص: «قَلْبُ المُؤمِنِ أَجرَدُ فِيهِ سِرَاجٌ يَزهَرُ وَقَلْبُ الكَافِرِ أَسْوَدُ»(٣).

واتفق أن ذكرنا أنّ المراد من القلب ليس هو القطعه من اللحم الموجوده فى

١- (١) بحار الأنوار، طبعه بيروت، ج ٧٠، ص ٣٢٧.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) مرآه العقول، ج ٩، ص ٤١٣.

الصـدر، وهـذا يعنى أنّ الشـخص الكـافر قـد أظلم نفسه وجعل قلبه أسود بأعماله، وهـذه النفس لا تـدعوه بالسـير نحو اللّه تعالى وعبـادته، وهـذه النفس تحوّلت إلى حقيقه مظلمه تماماً، ولـذلك أنّ الإمام الباقر عليه السـلام يقول فى روايه: «إِنَّ القُلُوبَ ثَلاثَةٌ قَلبٌ مَنكُوسٌ لايَعى شَيئاً مِنَ الخَيرِ وَهُوَ قَلبُ الكَافرِ».

وهذا يعنى أنّ مثل هذا القلب صار بمثابه الإناء والظرف لا ينسجم ولا يتناسب مع أى عمل نورانى.

«وقَلبٌ فِيهِ نُكْتَةٌ سَودَاءُ فَالخَيرُ وَالشَّرُّ فِيهِ يَعتَلجَانِ فَأَيُّهُما كَانَتْ مِنْهُ غَلَبَ عَلَيهِ»(١).

وهذا هو النوع الثانى من القلوب حيث تزدحم فيه حاله الصراع بين الخير والشرّ.

«وقَلبٌ مَفتُوحٌ فِيهِ مَصابِيحُ تَزهَرُ وَلا يُطفَأُ نُورُهُ إِلى يَومِ القِيامَهِ وَهُوَ قَلبُ المُؤمِنِ»(٢).

وهـذا هو ما ورد التعبير عنه بالنفس النورانيّه الإلهيّه التى منحها اللّه تعالى للإنسان المؤمن، ولكن الشـخص الكافر جعل من هـذه النفس التى وهبهـا اللّه تعـالى إليه ظلمـانيّه ولا ـ مجـال لاشـراق النور فيهـا، بعكس قلب الإنسـان المؤمن ونفسه، فهى محـلّ تجلى الأنوار الإلهيّه والخيرات الربانيّه.

وعلى هـذا الأساس، فمن جمله النقاط التى يجب الالتفات إليها هى هـذا القلب، فينبغى أن نرى فى كلّ يوم يمرّ علينا ما مقدار ما اضـيف إلى قلبنـا من نورانيّه أو لا ـ سـمح اللّه مقـدار ما قلّ ونقص من نورانيّته ونرى الاختلاف فى درجات نورانيّه القلب، وهـذا الاختلاف يقع فى باطن وحقيقه الصّلاه، نسأل اللّه تعالى أن يزيد من نورانيّه قلوبنا جميعاً.

١- (١) مرآه العقول، ج ٩، ص ٤١٣.

٢- (٢) الكافى، الطبعه الإسلاميّه، ج ٢، ص ٤٢٢.

۱۳- الذنب، سبب لظلمه القلب

«كَلّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ» (۱)

تقدّم أنّ القلب هو هذه النفس الربانيّه والإلهيّه التى أودعها اللّه تعالى فى وجود الإنسان ويستطيع الإنسان بواسطتها من إدراك الأمور الحسنه والسيّئه، والخير والشرّ، والصحيح والسقيم، ويميّز بين الحقّ والباطل، وعندما نستعرض الآيات والروايات فى هذا المجال فسوف يتبيّن لنا المراد من القلب ما هو؟

يقول البارى تبارك وتعالى فى القرآن الكريم: «وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ»۲ أو قوله: «وَ طَبَعَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ...»۳ ، أو أنّ اللّه يطبع على قلوب الأشخاص المذنبين، وفى دائره الثقافه القرآنيّه لو أنّ الإنسان سقط فى وادى الذنوب ولم يرجع عنها ويتوب، فعندما أذنب لأوّل مرّه لم يتب، واستمر فى ارتكاب الذنب الثانى والثالث ولم يحدث نفسه عن التوبه والإنابه، ثمّ تراكمت

۱- (۱) سوره المصطفين، الآيه ۱۴.

علیه الـذنوب والمعاصـی إلی درجه أنّ هـذه الذنوب غطت قلبه واسـتولت علیه، والقرآن یعبّر عن هذه الحاله بأنّ اللّه تعالی یطبع علی مثـل هـذا القلب الملوّث بالـذنوب والملیء بالخطایا وبالتالی لا یتحرّک هـذا الإنسان فی طریق النور والحقّ والحقیقه، وجاء فی آیه أخری: «کَلاّ بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ» ، وهـذا هو مقصود من الرین علی القلب، أو أنّ الأعمال السیّئه التی یقترفها الإنسان من شأنها أن تسـتولی علی قلبه إلی درجه أنّ هذا الشـخص لا یستطیع بعدها التمییز بین الحقّ والباطل، وبین الخیر والشرّ، وهکذا یصاب قلب الإنسان بحاله الرین والطبع.

ونقرأ فی روایه زراره عن الإمام الباقر علیه السلام أنّه قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ إلّا فِی قَلْبِهِ نُکْتَهٌ بَیضاءُ فَإذا أَذْنَبَ ذَنباً خَرَجَ فِی النُّکْتَهِ نُکْتَهٌ سَوَداء، فـإنْ تَـابَ ذَهَبَ ذَلِکَ السَّوادُ، وإن تَمادَی فِی الـذُّنُوبِ زَادَ ذَلِکَ السَّوادُ حَتَّی یُغطِّی البَیاضَ، فإذَا غَطّی البَیاضَ لَمْ یَرجَعْ صَاحِبُهُ إلی الخَیرِ أَبَداً...»(1).

ثمّ یقول الإمـام علیه السـلام مستشـهداً بهـذه الآیه الکریمه وهو قول اللّه عزّ وجلّ: «کَلّا بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ» . وهذا هو معنی الرین علی القلب.

وهکذا تبیّن المراد من القلب فی النصوص، أی القلب الذی یعیش حالات الظلمه والنورانیّه، القلب الذی یتقبّل السعاده والشقاوه، القلب الذی یملک إقبالاً وإدباراً، وهذا هو المقصود من حضور القلب فی الصّلاه.

۱- (۱) الکافی المطبعه الإسلامیّه، ج ۲، ص ۲۷۳.

۱۴- آثار توجّه القلب وإقباله إلى اللّه

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لَيسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤمِنٍ يُقبِلُ بِقَلْبِهِ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَلاتِهِ وَدُعائِهِ إلّا أَقْبَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيهِ بِقُلوب المُؤمِنين؛...».

النقطه الثّالثه فيما يتّصل بقلب الإنسان وهو نفسه وروحه الإنسانيّه، هی أنّ الإنسان إذا أقبل علی اللّه تبارک وتعالی فی أی عمل وعباده وخاصّه فی صلاته، فإنّ هذا الأمر يتسبّب بأنّ اللّه تعالی سيقبل عليه أيضاً.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «فَإذا صَلَّيتَ فَأَقبِل بِقَلْبِکَ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإنَّهُ لَيسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤمِنٍ يُقبِلُ بِقَلْبِهِ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَلاتِهِ وَدُعائِهِ إلّا أَقْبَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيهِ بِقُلوب المُؤمِنينَ إلَيهِ وَأَيَّدَهُ مَعَ مَودَّتِهِم إيَّاهُ بِالجَنَّه»(۱).

وهذا يؤيّد أنّ أوّل ثمره لحضور القلب والدعاء هی إقبال اللّه تعالی علی هذا العبد المؤمن «وَأَيَّدَهُ مَعَ مَودَّتِهِم...»، أی أيّد هذا الإنسان المؤمن بمودّه ومحبّه المؤمنين له.

۱- (۱) من لا يحضره الفقيه، ج ۱، ص ۲۰۹.

ونقرأ فی روایه أخری عن الإمام الباقر علیه السلام أیضاً أنّه قال: «إِذا قَامَ العَبْدُ المُؤمِنُ فِی صَلاتِهِ نَظَرَ اللّهُ أو قَالَ أَقبَل اللّهُ عَلَیهِ حَتّی ینْصرِف، وَأَظَلَّتْهُ الرَّحمَهُ مِنْ فَوقِ رَأسِهِ إِلی أُفقِ السَّماءِ؛

وهذا کنایه عن أنّ مطر الرحمه الإلهیّه ینزل علی هذا الشخص المصلّی الذی ارتبط قلبه بالصّلاه.

وَالمَلائِکَهُ تَحُفُّهُ مِنْ حَولَهُ إِلی أُفُقِ السَّماءِ، وَوَکَّلَ اللّهُ بِهِ مَلَکاً قَائِمَاً عَلَی رَأسِهِ، یقُولُ لَهُ أَیُّها المُصَلِّی لَو تَعلَمُ مَنْ یَنظرُ إِلَیکَ وَمَنْ تُناجِی مَا التِفتَ وَلا زِلتَ مِنْ مَوضِعِکَ أَبَداً»(۱).

إذن فإقبال القلب یؤدّی إلی إقبال الباری تبارک وتعالی علی الإنسان، وهذه العباره وردت أیضاً فی کلمات الإمام الخمینی (رضوان اللّه تعالی علیه) حیث یقول: «واللّه یعلم فی هذا الإقبال من اللّه علی عبده ماذا یحصل العبد علی کرامات وأنوار لا یدرکها عقل أی بشر ولا تخطر علی قلب أحد»(۲).

وهکذا هو إقبال اللّه تعالی علی الإنسان ولیس مثل إقبال إنسان علی إنسان آخر من قبیل إقبال الملک أو رئیس البلاد علی بعض أفراد الشعب، أو من قبیل إقبال العالم علی الجاهل، فإقبال اللّه تعالی علی عبده لا یقارن بمثل هذه الحالات من الإقبال، إذن فالصّلاه التی یصلّیها المؤمن بحضور القلب والتوجّه إلی الباری تعالی ستکون عاملاً علی إقبال الباری تعالی علیه ونظره إلیه وبالتالی فسوف تفتح علیه جمیع أبواب السعاده ومعرفه الحقائق وتملأ وجوده الرحمه الإلهیّه، وتفتح له الأبواب الطرق إلی الکمال المعنوی، فهل یعقل أنّ اللّه تعالی یُقبل علی الإنسان وینظر إلیه بنظر الرحمه ولا یؤثر هذا النظر فیه؟ الإنسان یستطیع بنظر

۱- (۱) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۲۶۵.

۲- (۲) سرّ الصّلاه (معراج السالکین)، ص ۲۷.

واحـده من اللّه تعـالى عليه أن يكشف الغموض عن الكثير من الحقـائق العلميّه وتنحـلّ أمـامه العقـد والمشاكل التى يواجهها فى حياته، فيجب علينا أن نستثمر هذه الكرامات من اللّه ونقبل عليه فى صلاتنا.

ص:۵۷

۱۵- مراتب حضور القلب

بالنسبه لحضور القلب فی الصّلاه لابدّ من ذکر مسائل کثیره، فماذا یعنی حضور القلب فی الصّلاه؟ وما هی مراتبه وأسبابه وموانعه؟ وإذا تیسّر لنا إن شاء فسوف نبسط الکلام عن هذه النقاط المهمّه بلطف اللّه تعالی وفضله، وسنتحدّث عن أهمّ هذه المسائل.

وسبق أنّ بیّنا أنّ بعض الأکابر ذکروا أنّ حضور القلب فی الصّلاه یعتبر أحد الحالات المهمّه فی طریق السلوک إلی اللّه، وذکروا لحضور القلب مراتب عدّه، المرتبه الأولی أنّ الإنسان یعلم أنّه یقف فی محضر اللّه تعالی وفی حضوره وهو فی حال الحدیث مع اللّه ومناجاته ویمتثل لأمره، وفی هذه الصوره فما لم یلتفت الإنسان إلی هذا الموقع ولا یفهم ماذا یقول وما یؤدّی ولا یعلم ما هی حقیقه هذه الأفعال والأرکان ولا ینتفع من هیئه الصّلاه، فی هذه المرحله ربّما لا یلتفت أیضاً إلی قراءته الصحیحه فی الصّلاه بلحن عربی دقیق.

والمرتبه الثّانیه، أن یؤدّی هذه الکلمات وظاهر هذه الأفعال کما أراده اللّه

تعـالى منه وأمر به، فيهتمّ كيـف يقـف بين يـدى اللّه فى حـال القيـام؟ وكيـف ينحنى فى حـال الركوع والسـجود؟ وكيف يتلفّظ بكلمات القراءه فى قيامه وركوعه وسجوده؟ هذه مرتبه أخرى من حضور القلب.

أمّا المرتبه الثّالثه، أن يتـوجّه إلى حقيقه هـذه الأفعـال والأذكـار ويعلم مـا هى حقيقه الركـوع وفرقه مع القيـام، ويعلم أنّ حقيقه السـجود هى الفناء المحض فى تبارك وتعالى، وما هو فرقه عن الركوع ويعلم ما هى معانى الأذكار بشـكل كامل؟ كأن يـدرك معنى قوله «اللّه أكـبر»، فعنـدما يبتـدىء المصـلّى بـالتكبيرات الابتـدائيه وبعـد تكبيره الإحرام عليه أن يفهم مـاذا يقول ومـا معنى الكلمات والعبارات التى يتلفّظها فى حال الصّلاه، وأنّ قصـده ونفسه وعواطفه مصـدقه لما يجرى على لسانه أم لا؟ ويفهم ما هى حقيقه الذكر فى الركوع وسائر الأذكار الأخرى.

والمرحله الأعلى، أن يتـوجّه بشـكل كامـل إلى اللّه تعـالى ويفنى فى وجـوده المبـارك بحيث يسـتغرق فى وجـوده بـاللّه تعـالى وتـدخل الكلمات إلى قلبه، مضافاً إلى أنّه فى المرحله السابقه فهم معنى «الحمـد للّه ربّ العالمين»، فيفتح قلبه لمثل هذه الحقيقه بمعناها الواسع، وهـذا المعنى الواسع هو أنّ الحمـد من أى شـخص يصدر ومن أى حامد ولأجل أى شـىء فهو فى الحقيقه حمد للّه، فلو أنّ شـخصاً مـدح عالمـاً لعلمه، أو أكرم صالحـاً وزاهـداً أو فنانـاً أو عارفاً، فإنّه فى الحقيقه إنّما يحمـد اللّه ويثنى عليه فلا موجوده يستحق الحمـد والثنـاء سوى اللّه تعـالى، فلو أنّهم أحضـروا هـذا المعنى العميق فى قوله فإنّه يعنى كما يقال أكابر علماء الأخلاق حضور القلب فى الصّلاه، وبعـد حضور القلب، نصـل إلى الحاله الثّانيه فى الصّلاه، وهى حال التفهّم، فالكثير من آثار الصّلاه وثماراتها من قبيل المنع من الفحشاء والمنكر «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ...»۱ ، تتعلقّ بحاله التفهّم، يعنى

قبـل أن يقول المصـلّى بأى فعل من الأفعال الصّلاه عليه أن يفهم نفسه ماذا يفعل وقبل أن يتحـدّث بأى كلمه عليه أن يفهم ماذا يقول، ويستمر به هذا الحال إلى آخر الصّلاه فيفهم حقائق الأفعال والأذكار.

الحـاله الثّـالثه، حـاله التعظيـم، والتعظيم هـو العلم بعظمه اللّه تعـالى، ومعرفه الإنسـان بعظمه الحـقّ تعنى أن يعلم أنّه يقـف مقـابل موجود عظيم ذو قـدره مطلقه يسـتطيع أن يقبل عمل هذا الإنسان أو ردّه، ويسـتطيع أن يكرم هذا الشـخص أو يهينه، وبيده جميع أمور العالم، حتّى هذه الكلمات التى يذكرها فى حال صـلاته إنّما هى بواسـطه عنايته ومشـيئته، فالمصلّى يجب أن يدرك عظمه الموجود الذى يقف أمامه ويناجيه.

وتقـدّم فى روايه أنّ اللّه تعالى يُوكّل ملكاً من الملائكه للمصـلّى يقول له: «... لَو تَعلَمُ مَنْ يَنظرُ إِلَيکَ...»، وتعلم من الذى تناجيه وتـدعوه لم تفـارق مكانک ولم تترک صـلاتک، وسـتواصل صـلاتک مرّه بعـد أخرى، فالإنسان عنـدما يشـعر فى قلبه ووجوده بعظمه الحقّ تبارک وتعالى فكيف ينشـغل فكره وذهنه بأمور أخرى؟ وعندما لا نلتفت إلى عظمه ذلک الموجود الذى نقف بين يديه فسوف ينحرف ذهننا وينشـغل فكرنا بأمور أخرى، ولكن لو أنّ الإنسان اسـتغرق فى عظمه اللّه تعالى وأدرک بوجوده وقلبه هذه العظمه فلا يمكن أن يلتفت إلى شىء آخر فى حال الصّلاه.

۱۶– خشوع وحضور القلب فی الصّلاه

«قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ» (۱)

ورد التعبیر عن حضور القلب فی الصّلاه بالخشوع، فعندما یتحدّث القرآن الکریم عن صفات المؤمنین فی الصّلاه یقول: «اَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ» ، فالشخص الذی یلتفت إلی أنّه یقف فی مقابل عظمه الوجود المطلق، والشخص الذی یتوجّه إلی أنّه یقف فی مقابل موجود عظیم إلی درجه أنّ جمیع الوجودات التی تعتبر عظیمه تقع فی مقابله لیس صغیره فحسب بل هی صفر فی مقابل عظمه الحقّ تبارک وتعالی، فمثل هذا الشخص سوف یشعر بحاله الخشوع فی صلاته، وبدیهی أنّ هذه الخشوع القلبی سوف یتجلّی علی ظاهره وبدنه فیعیش بدنه حاله الخشوع أیضاً، والشخص الذی یعبث فی حاله صلاه بیده أو بلباسه أو برأسه ورقبته فإنّه لا یعیش حاله الخشوع، والشخص الذی یعبث بیده وقدمه أو ینشغل باصلاح لحیته وشعره فهذا الشخص لا یشعر بالخشوع فی صلاته،

ص:۶۱

۱– (۱) سوره المؤمنون، الآیه ۱ و ۲.

فالقرآن يقول: إنّ الإنسان المؤمن هو الشخص الذى يعيش الخشوع فى صلاته، يعنى لا- يكفى أن يقف المؤمن فى الصّلاه والعباده، ولا يكفى أن يهتمّ الإنسان فى صلاته بظاهره وبدنه ويتوجّه ببدنه فقط، وهذا لا يعنى حاله الإيمان الحقيقى فى نفسه ويفرح مثل هذا الشخص بأنّه من زمره المؤمنين.

وتقدّم أنّ الإنسان يستطيع من خلال الصّلاه أن يفهم مقدار معرفته للّه وتوحيده، ويستطيع أن يعين مقدار إيمانه بالصّلاه، فكلّما يكون خشوع الإنسان فى الصّلاه أكثر فإنّ إيمانه باللّه تبارك وتعالى أكثر، والخشوع هو حضور القلب فمجرّد أن يشعر الإنسان أنّه يقف فى محضر اللّه تعالى وأنّه فى حال الحديث مع اللّه ومناجاته ويلتفت إلى مقامه بين يدى اللّه فسوف يعيش حاله الخشوع.

ونقرأ فى سوره الماعون المباركه: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ»١ ، وهم الأشخاص الذين يعيشون الغفله عن حالات الخشوع فى الصّلاه فلا يدركون فى مقابل أى موجود يقفون ويدعون.

وجدير بنا الالتفات إلى هذه النقطه، وهى أنّ هذا العمل الشائن إلى أى درجه هو قبيح عند اللّه ويوجب ابتعاد الإنسان عن ربّه أنّ اللّه تعالى يقول: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ» ، ويل هى أحد مراتب ودركات جهنّم العميقه، وهذا يعنى أنّ هذا الشخص المصلّى كثره ذنوبه أو شدّه كفره يستحق الويل والثبور، وهذا الويل الذى أعدّه اللّه لهذا الإنسان غير ذلك الويل الذى نستعمله نحن فيما بينا ونقول:

«الويل لفلان».

عندما لا نشعر بحضور القلب فى الصّلاه يجب أن نفكّر بهذه الآيه الشريفه وهو قول اللّه تعالى: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ» ، فلماذا أنّ اللّه تعالى مع رحمته الواسعه وكثره ألطافه ونعمائه على عباده يعبّر بهذا التعبير المخيف لهذا المصلّى الغافل

ويقول له «ويل لك»؟ وذلك أنّ هـذا الشـخص عنـدما يقف للصّـلاه بين يدى اللّه تعالى ولا يلتفت إلى هذه الحقيقه، فهو بمثابه المستهزىء بهذا المقام، والشخص الذى يستهزىء باللّه تعالى يستحق مثل هذه العقوبه.

وجاء فى روايه عن الإمام الباقر عليه السـلام فى حديثه عن أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه عندما كان يقف للصّلاه يتغيّر لون وجهه وعندما يصل إلى حال السجود لا يرفع رأسه إلّاووجهه يتصبب عرقاً، أى يقول: إنّ أبى عندما يقف للصّلاه فإنّه يكون مثل جذع الشجره لا يتحرّك أبداً إلّابما تحرّكه الرياح من ثيابه، أى أنّه لو تحرّكت عباءته مثلاً فإنّ ذلك بسبب حركه الهواء.

فهل اختبرنا أنفسنا فى صلاتنا؟ وما مقدار سكوننا وأدبنا فى مقابل تبارك وتعالى فى صلاه ذات ركعتين، أو نتحرّك بحركات مختلفه فى حال الصّلاه بحيث نبتعد عن أصل الصّلاه وحال العباده؟

ويروى أبوحمزه الثمالى قال: رأيتُ علىّ بن الحسين عليهما السـلام يصـلّى فسـقط رداؤه عن منكبه، قال: فلَم يسوّه حتّى فرغ من صلاته، قال: سألته عن ذلك فقال:

«وَيحَكَ أَتَدرِى بَينَ يَدَى مَنْ كُنتُ إِنَّ العَبدَ لا يُقبَلُ مِنهُ صَلاهٌ إِلّا مَا أَقبَلَ مِنها».

فقلت: جعلت فداك هلكنا.

فقال: «كَلّا إِنَّ اللّهَ مِتمّم ذَلِكَ لِلمُؤمِنينِ بِالنّوافِلِ»(۱).

۱- (۱) وسائل الشيعه، ج ۴، ص ۶۸۸.

۱۷- موانع حضور القلب

قال الإمام الرضا علیه السلام: «طُوبی لِمَنْ أَخلَصَ للّهِ العِبادَهَ وَالدُّعاءَ وَلَمْ یَشغَلْ قَلْبَهُ بِما تَری عَینَاهُ وَلَمْ یَنسَ ذِکرَ اللّهِ بِما تَسمَعُ اذُنَاهُ».(۱)

إنّ إحدی الحقائق المهمّه فیما یتّصل بصلاه العباده، أنّ الصّلاه تتضمّن الکثیر من الأسرار والحقائق والفوائد وقد فتح اللّه تبارک وتعالی الطریق للإنسان لفهمها والتعرّف علی مقدار من أسرارها، وبذلک یستطیع الانتفاع من هذه الصّلاه، فلو أنّه لم یؤدّی الصّلاه فی وقتها فإنّ اللّه تعالی فتح له باب القضاء فیستطیع قضاء الصّلاه فی خارج وقتها، ولو أنّه لم یتمکن من الخضوع وحضور القلب بشکل صحیح فی صلاته فإنّه یستطیع جبران ذلک بالنافله.

ویروی زراره عن الإمام الباقر علیه السلام أنّه قال:

«إِذا قُمْتَ إِلی الصَّلاهِ فَعَلَیکَ بِالإِقبالِ عَلَی صَلاتِک، فإنّما لَکَ مِنها مَا أَقبَلتَ

ص:۶۴

۱- (۱) سوره المؤمنون، الآیه ۱ و ۲.

عَلَيهِ»، بمعنی أنّ الإنسان عندما یقف للصّلاه فإنّ اللّه تعالی یقبل علیه بمقدار ما یعیش حضور القلب فی هذه الرکعات، «وَلا تعْبَث فِیها بِیَدِیکَ وَلا بِرأسِکَ وَلا بِلِحیَتِک وَلا تُحدّث نَفسَک»(۱)، فهذه نقطه مهمّه جدّاً وردت أیضاً فی کلمات النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله:

«إنَّ العَبْدَ إذا اشتَغَلَ بِالصَّلاهِ جَاءَهُ الشَّیطَانُ وَقَالَ لَهُ اذکُر کَذا اذکُر کَذا حَتّی یُضِلُّ الرَّجُلَ أَنْ یَدرِی کَم صَلّی»(۲)، فهذه الروایه عجیبه وفی غایه الغرابه، فإنّها تقرّر أنّ إحد أعمال الشیطان اهتمامه یدخله بالشخص المصلّی، والشیطان لا یهتمّ بالأشخاص الذین ترکوا صلاتهم ولا یتعب نفسه فی إغوائهم، ولکن الشخص الذی یقف للصّلاه والعباده، فالشیطان یهتمّ بذلک لأنّ هذه الصّلاه تبعده إلی الأبد عن الشیطان، وهذه الصّلاه تعتبر سلاحاً قویّاً لمواجهه تسویلات الشیطان، فمن هذه الجهه فالشیطان لا یترک هذا الشخص بل یتحرّک بقوّه لصدّه عن ذکر اللّه، ویقول النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله: «إذا اشتَغَلَ بِالصَّلاهِ» إنّ هذا الشخص عندما یقف للصّلاه یأتی الشیطان ویقول له: تذکر العمل الفلانی ویجب علیک أن تهتمّ بالعمل الفلانی وهکذا یقوم بتذکیره بأعمال أخری حتّی ینشغل عن الصّلاه «اُذکُر کَذا اذکُر کَذا»، وعندما نقف للصّلاه فسوف نتذکر أننا یجب علینا الیوم أن نؤدّی العمل الفلانی ونتحدّث مع فلان شخص بکذا وکذا وربّما نتأسف علی أننا لم نقل لذلک الشخص الکلام المناسب، وهکذا ینشغل ذهن الإنسان بأمور أخری بعیده عن ذکر اللّه وحقیقه الصّلاه، وأساساً فالإنسان أحیاناً یقول إننی إذا أردت أتذکر شیئاً فإننی أتذکره فی حال الصّلاه، هذا هو الشیطان الذی یذکر الإنسان فی صلاته بما نسیه وغفل عنه.

۱- (۱) . وسائل الشیعه، ج ۵، ص ۴۶۳.

۲- (۲) . بحار الأنوار، مطبعه بیروت، ج ۵۳، ص ۲۶۹.

أيّها الإخوه والأخوات، عنـدما نقف بين يـدى اللّه تعالى ونقف للصّلاه والعباده، فلو تذكّرنا مسأله علميّه أو غير علميّه، دنيويّه أو غير دنيويّه، كلّما يخطر فى أذهاننا فعلينا أن نتذكّر هذا الحديث للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأنّ الشيطان قد ساقنا إلى وادى الغفله عن صـلاتنا، والشـيطان يريـد أن نعيش الغفله عن اللّه وعن الذكر وعن حضور القلب لئلا نتقرّب إلى اللّه تعالى ولا نحظى بإقبال اللّه تعالى علينا، ومن هذا المنطلق يجب الاهتمام بمسأله حضور القلب فى الصّلاه.

وجاء فى روايه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إِذَا كُنتَ فِى صَلاتِکَ فَعَلَيکَ بِالخُشُوعِ وَالإقبَالِ عَلَى صَلاتِکَ فَإِنَّ اللّهَ تَعالى يَقُولُ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاتِهِم خاشِعُون»(۱).

ويقول الإمام الثامن على بن موسى الرضا عليه السلام فى روايته عن أميرالمؤمنين صلوات اللّه وسلامه عليه أنّه قال:

«طُوبى لِمَن أَخلَصَ للّهِ العِبادَهَ وَالدُّعاءَوَلَمْ يَشغَلْ قَلْبَهُ بِما تَرى عَينَاهُ وَلَمْ يَنسَ ذِكرَ اللّهِ بِما تَسمَعُ اذُنَاهُ»(۲)

وللأسف أنّ الإنسان أحياناً يقف للصّلاه فى مكان تسمع فيه أصوات مختلفه حتّى أصوات اللعب واللهو فيستمع إليها هذا المصلّى فتثير فى نفسه غبار الغفله والإعراض عن اللّه، فأى صلاه هذه نصلّيها ونتقرّب بها إلى اللّه؟! يجب على المصلّى أن يعيش حالات التوجّه إلى اللّه فى كلّ جوارحه وقلبه وأن يستقبله بنفسه وعينه واُذنه حتّى تستطيع مثل هذه الصّلاه أن تعرج به فى عالم الملكوت وتصعد به إلى أجواء عالم القرب الإلهى.

۱- (۱) وسائل الشيعه، ج ۵، ص ۴۷۳.

۲- (۲) سوره المؤمنون، الآيه ۱ و ۲.

۱۸- لزوم حضور القلب والخشوع

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «اعبُدُ اللّهَ کَأَنَّکَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تَکُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ یَرَاکَ».(۱)

ذکرنا آنفاً بعض الآیات والروایات المتعلّقه بحضور القلب فی الصّلاه، ونوصی الإخوه والأخوات المؤمنین بأن یتمعّنوا فی هذه الآیات والروایات الوارده فی مسأله حضور القلب، ولو أنّهم التفتوا إلی مضمون هذه الروایات فسوف تتغیر صلاتهم وتصبح صلاه أخری، یقول النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله: «اعبُدُ اللّهَ کَأَنَّکَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تَکُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ یَرَاکَ»، فهو یری قیامنا وقعودنا ویسمع کلماتنا، والحقیقه أننا لو التفتنا فی حال الصّلاه لکلام النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله فسوف نشعر بحاله أخری، ونعیش البهجه ونشعر بإقبال اللّه تعالی علینا.

ونقرأ فی روایه أخری عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله أیضاً أنّه یقول:

۱- (۱) مصباح الشریعه، ص ۴۵۳.

بَینَ صَلاتَیهما مِثلَ مَا بَینَ السَّماءِ والأرض»(۱). فما هو هذا الشیء الذی خلق هذه الفاصله البعیده؟ هل هناک غیر الخشوع والإقبال والتوجّه إلی اللّه تعالی والحضور بین یدی فی أفضل الصلاتین وانعدام هذا الحال فی الأخری؟

وجاء فی روایه أخری عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«إنَّ مِنَ الصَّلاهِ لَما یُقبَلُ نِصفُها وَثُلُثُها وَرُبُعُها وَخُمُسُها إلی العُشرِ، وإنَّ مُنها لَما یُلَفُ کَمَا یُلّفُ الثَّوبُ الخَلَقُ فَیُضرَبُ بِها عَلَی وَجَهُ صَاحِبِها»، فی بعض هذه الصّلاه التی نصّلیها للّه تعالی لا نشعر بها فتلف وتلقی علی وجوهنا وتردّ علینا، وهذا یعنی أنّ هذه الصّلاه لا قیمه لها عند اللّه إطلاقاً ولا تساوی شیئاً فی عالم الملکوت، وهکذا یتمّ إعاده هذه الصّلاه إلی صاحبها من موقع الرفض لها وعدم قبولها، والنّبی الأکرم صلی الله علیه و آله یعطینا قاعده کلیّه ویقول: «وَإِنَّ لَکَ مِنْ صَلاتِکَ مَا أَقْبَلَتَ عَلَیهِ بِقَلبِکَ»(۲).

وجاء فی روایه عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «وَاللّهِ إِنَّهُ لَیَأتِی عَلَی الرَّجُلِ خَمسُونَ سَنهً وَما قَبِلَ اللّهُ مِنْهِ صَلاهً وَاحِدَهً».

ثمّ قال علیه السلام: «فَأَیُّ شَیءٍ أَشَدُّ مِنْ هَذا؟»(۳).

هل فکّرنا یوماً فیما یتعلّق بصلاتنا الماضیه وهل أنّها کانت مقبوله عند الحقّ تعالی؟ ونعرف بعض الکبار من المراجع أنّهم کانوا منذ بلوغهم وحتی قبل ذلک إلی آخر عمرهم یهتمّون بأداء صلاتهم بدقّه متناهیه ویحافظون علی وقتها ولکنهم کانوا یقولون، إننی أعدت صلاتی لسنوات عمری ثلاث مرّات، وهذا الاهتمام البالغ بالصّلاه بسبب هذه الروایات التی تتحدّث عن حضور القلب فی الصّلاه ولأنّهم کانوا یقولون أنّه ربّما لم تکن الصّلاه التی صلّینا مورد قبول الباری

۱- (۱) . بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۸۱، ص ۲۴۹.

۲- (۲) بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۸۰، ص ۲۶۰.

۳- (۳) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۲۶۹.

تعالى أو إنّنا لم نُقبِل على اللّه فيها وبالتالى فإنّ اللّه تعالى لم يُقبِل علينا فيها، ولـذلك نعيـد هذه الصّلاه مادمنا أحياء لعلّها تكون مورد قبول وإقبال من اللّه.

لماذا نقصّر فى أداء الواجبات والصلوات اليوميّه، ونوكل ذلك بعد فوت وقتها، ونوصى بقضاءها عنّا بعد وفاتنا؟ إذن ثمّه نقص وقصور فى صلاتنا فيجب علينا مادمنا أحياء جبران هذا النقص والخلل، فركعه واحده من الصّلاه التى نصلّيها ونحن أحياء لا تقبل المقارنه مع عشر سنوات من الصّلاه بعد وفاتنا، ويجب علينا أن نصلّى بحضور القلب وإقبال النفس على الصّلاه لكى تكون مقبوله إن شاء اللّه من البارى تعالى بلطفه وكرمه.

ص:۶۹

۱۹- کیفیّه تحقیق اللذّه من الصّلاه

إنّ أفضل دلیل علی أنّ حضور القلب فی الصّلاه أمر ضروری ولازم، الروایات الوارده فی هذا الباب، فمن مجموع هذه الروایات یمکننا نستوحی نقاطاً کثیره، والالتفات إلی هذه النقاط الموجوده فی الروایات، من شأنه تیسیر حضور القلب لدی المصلّی، مثلاً ما ورد فی روایه الإمام الباقر علیه السلام والتی نقلها المرحوم الکلینی فی کتابه «الکافی» أنّ المصلّی عندما یقف للصّلاه «وَکَّلَ اللّهُ بِهِ مَلَکاً قَائِماً عَلَی رَأسِهِ»(۱)، فالالتفات إلی هذه النقطه یستدعی حاله الخشوع لدی المصلّی، فعندما یقف الإنسان للصلاه بین یدی الباری تعالی ویعلم أنّ اللّه تعالی قد وکّل به ملکاً وأنّ جمیع الجنود الإلهیّه وملائکه السماء یتنظرون لیروا ماذا یصنع هذا الشخص، فساحه الربوبیّه، ساحه عظیمه جدّاً، وعندما یعلم المصلّی أنّه قد فتح له الطریق لعالم الملکوت وفتحت له باب المناجاه والحدیث مع اللّه وکأنّ اللّه قد فتح أبواب رحمته علی هذا الإنسان المصلّی ودعا جمیع الملائکه لیروا عمله

ص:۷۰

۱- (۱) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۲۶۵.

فإنّ هذا الشعور وهذا الفهم من شأنه أن يخلق فی نفسه حاله الخشوع وحضور القلب.

ولاـ يتصوّر المكلّف أنّه فی حـال الصّـلاه لا يلتفت له أحـد ولا يسـمع كلامه أحـد، ولا يرى أحـد حركته وقيامه وقعوده، إنّ اللّه تعالى عنـدما يرتكب المرء ذنباً وخطيئه فإنّه بحكم لطفه ورحمته به لا يسـمح للملك بكتابه هـذا الذنب فی صـفحه عمله، ويمنع المأمورين به من الاطّلاع على ذنبه، فكيف الحال عندما يقف الإنسان فی صـلاته بين يدى ربّه، فانظر ماذا يصـنع اللّه؟ وماذا يوفّر له من أسـباب التوفيق، ومـا هو حاله فی عالم الملكوت؟ أحياناً نتصوّر أنّ الصّـلاه هی تكليف ظاهری فقط ويجب علينا أداء هـذا التكليف ونعتبر أنّ اللّه تعالى مولانا قد طلب منّا امتثال هذا التكليف وأداء هذه الوظيفه ولا شـیء آخر، فی حين أنّ الصّلاه تخلق تحوّلاًـ كبيراً فی عالم الإنسان وملكوته، وتصـعد بالإنسان إلى مراتب عاليه وتحشـره فی زمره الملائكه الإلهيين، وتجعله مشـهوداً ومشـهوراً لهم، فعندما نقف للصّـلاه ينبغی أن نستحضـر هذا الملك الموكّل وجنود اللّه الآخرين بل أحياناً نسـتطيع أن نجعل من هؤلاـء الجنود الإلهيين واسـطه بيننا وبين عالم الملكوت ونتحـدّث بلسان القلب معهم لترتفع حاجاتنا ومناجاتنا بشـكل أفضل إلى ذلک العالم.

علينا الانتباه إلى أنّ ذلک الملک موكّل من قِبل اللّه تعالى، فماذا يقول هـذا الملک؟ هل أنّ هـذا الملک يريـد أن يعلم أنّ هـذا الشخص قد أدى واجبه أم لا؟ فلو أنّ الإنسان أصغى بقلبه إلى ذلک الملک ماذا يقول له:

«لَو تَعلَمُ مَنْ يَنظرُ إلَيکَ وَمَنْ تُناجِی مَا التِفتَ وَلا زِلتَ مِنْ مَوضِعِکَ أَبَداً»(۱)، أی أنّ الإنسـان إذا علم فی حال الصّـلاه أنّ اللّه تعالى ينظر إليه بنظره الخاص وأنّه فی موقع حضور اللّه تبارک وتعالى، فرغم أنّ جميع أعمالنا وحالاتنا وسكناتنا،

۱- (۱) . الكافی، المطبعه الإسلاميّه، ج ۳، ص ۲۶۵.

ونومنا ويقظتنا وجميع أمورنا تحت نظر اللّه تعالى، فلو أنّ اللّه لم ينظر إلى هذا العالم لحظه واحده لفنى هذا العالم، ولكن فى حال الصّلاه هناك نظر إلهى خاصّ، بمعنى أنّ اللّه تعالى ينظر بنظر خاصّ إلى هذا الإنسان فى حال الصّلاه، أى أنّه دخل فى ضيافه اللّه وفى مضيفه وجلس معه فى لقاء خاصّ، ومع أنّ هذا اللقاء خاصّ بينه وبين اللّه تعالى فإنّ اللّه حشّد له كثير من العوامل ليشعر بهذه الحاله الملكوتيّه، فالملك يقول له:

«لَو تَعلَمُ مَنْ يَنظرُ إلَيکَ وَمَنْ تُناجِی مَا التِفتَ وَلا زِلتَ مِنْ مَوضِعِکَ أَبَداً»، أنت فى حال الحديث والمناجاه مع الموجود المطلق المهمين على جميع أجزاء العالم، وجميع العالم وما فيه بمثابه الذرّه الصغيره والصفر أمامه، الموجود الذى يستطيع أن يفنى هذا العالم بما فيه بطرفه عين، كما أنّه أوجد هذا العالم بطرفه عين، الموجود الذى يستطيع الإنسان أن يطلب منه كلّ ما يريد «إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ» ، الموجود الذى يعلم بما يجرى فى باطن الإنسان ويعلم بخطرات قلبه ونواياه، الموجود الذى يريد مصلحه الإنسان وخيره، وهكذا يقف المصلّى فى مقابل مثل هذا الموجود العظيم ويناجيه ويدعوه، ويقول له هذا الملك: لو أنّك تدرك لذّه هذا النظر وهذه المناجاه «مَا التِفتَ وَلا زِلتَ مِنْ مَوضِعِکَ أَبَداً»، بحيث إنّك تترك جميع الأعمال وتستمر فى صلاتك أبداً ولا تلتفت إلى شىء آخر أبداً، فتترك الدنيا وما فيها وجميع أمور المعيشه بل لا تلتفت إلى أحبّ الأشياء لديك، فلو أنّ الإنسان فى حال الصّلاه أدرك ولو بمقدار قليل لذّه النظر والمناجاه مع اللّه، فإنّه لا يلتفت إلى ما سوى اللّه أبداً، بل إنّك لا تريد أن تفعل شيئاً سوى الصّلاه، ولهذا السبب أحياناً نرى أنّ أولياء اللّه فى بعض الأيّام يصلّون ألف ركعه من الصّلاه ولا يشعرون بالتعب والملل، وهم يعيشون دوماً حاله البهجه واللذّه من مناجاتهم مع اللّه، فينبغى علينا أن نهتمّ بأمر صلاتنا، فإنّ أبواب لطف اللّه وكرمه وفضله تنفتح علينا أكثر فى صلاتنا، وسوف نذوق لذّه المناجاه مع اللّه إن شاء اللّه.

ص:٧٢

۲۰- اللّه يتعهّد بالصّلاه، بإدخال المصلّى إلى الجنّه

قال الإمام الصادق عليه السلام: «... مَنْ أَقَامَ حُدُودَهُنَّ وَحَافَظَ عَلَى مَوَاقِيتِهِنَّ لَقِيَ اللَّهَ يَومَ القِيامَهِ وَلَهُ عِنْدَهُ عَهدٌ يُدخِلُهُ بِهِ الجَنَّهَ».(۱)

إنّ لحضور القلب فى الصّلاه له آثار وثمرات كثيره للمصّلى، وأحد هذه الآثار المترتبه على حقيقه الصّلاه هو أنّ الصّلاه بمثابه عهد بين الإنسان وربّه، فالمصلّى يعلم أنّ حقيقه الصّلاه هى عهد يوجده مع اللّه، وبهذه الطريقه يدخل هذا المصلّى الجنّه الخالده والنعيم الدائم، وربّما يخطر فى ذهن البعض هذا السؤال وهو: ما هو الفرق بين الإنسان المصلّى مع غير المصلّى؟ هل أنّ الفرق فى أنّ المصلّى يؤدّى تكليفه الظاهرى فيمتثل أمر اللّه تعالى بالعباده والصّلاه بينما الشخص الآخر لا يمتثل لأمر اللّه ولم يؤدّى تكليفه الشرعى؟ أو أنّ هذه المسأله لا- تنتهى عند هذا الحد، فحسب ما ورد فى روايه نقلها المرحوم الكلينى فى كتابه «الكافى» من وجود عهد بين المصلّى وربّه من خلال هذه الصّلاه بحيث يكون المصلّى من أهل

ص:۷۳

۱- (۱) مصباح الشريعه، ص ۴۵۳.

الجنّه، يقول أبان بن تغلب: «كُنتُ صَلَّيتُ خَلْفَ أَبِى عَبدِ اللّهِ عليه السلام بِالمُزدَلِفهِ فَلَمّا انصَرَفَ إلتَفتَ إِلَىَّ فَقالَ: يا أَبانُ الصَّلَواتُ الخَمسُ مَفرُوضاتُ مَنْ أَقَامَ حُدُودَهُنَّ وَحَافَظَ عَلَى مَوَاقيتِهِنَّ لَقِى اللّهَ يَومَ القِيامَهِ وَلَهُ عِنْدَهُ عَهدٌ يُدخِلُهُ بِهِ الجَنَّهَ»(۱)، وهذا يعنى أنّ حقيقه الصّلاه هى عهد بين هذا المصلّى وبين اللّه تعالى وبوسيله هذا العهد يدخل هذا المصلّى الجنّه.

ونرى أنّ هذه الروايه قد عبرت عن الصّلاه بالعهد، يعنى أنّ اللّه تبارک وتعالى يتعهّد فى مقابل هذه الصّلاه التى صلّاها هذا الشخص وأقام حدودها وشروطها والتزم بخصوصيّاتها أن يدخله الجنّه، ولكن ما معنى هذا العهد؟ العهد عباره عن التزام وتعهّد، فاللّه تعالى يعقد عهداً وميثاقاً بينه وبين هذا المصلّى، ونتيجه هذا العهد أنّ هذا الشخص يدخل الجنّه يوم القيامه: «وَمَنْ لَمْ قُيِمْ حُدُودَهَنَّ وَلَمْ يُحافِظ عَلَى مَوَاقِيتِهِنَّ لَقِى اللّهَ وَلا عَهدَ لَهُ إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»، فحتى لو صرخ بأننى قد صلّيت جميع سنوات عمرى وأدّيت ما علىَّ من الصّلاه فى حياتى فلا يسمع له ويقال له: أين صلاتک؟ إنّ صلاتک لم تصعد إلى عالم الملكوت لكى يتسبّب فى إيجاد هذا العهد بين الإنسان وبين اللّه تبارک وتعالى.

وينبغى الالتفات إلى أننا فى كلّ مرّه نقف بين يدى اللّه تعالى للصّلاه فسوف ينعقد عهد جديد بيننا وبينه، وما ورد فى الروايات أنّ الصّلاه تتسبّب فى غفران الذنوب السابقه إنّما هو بسبب هذا العهد يعنى عندما يؤدّى الإنسان الصّلاه بشكل صحيح مع توفّر جميع الشروط والخصوصيّات فإنّ اللّه تعالى يتعهّد أن يمحو ذنوب هذا المصلّى ويغفرها له ويجعله من أهل الجنّه.

إذن فقد ورد فى هذه الروايه أنّ هذا العهد بين الإنسان وربّه فى دخول الجنّه يتمثّل فى الصّلاه مع حضور القلب وتوفّر جميع شروط الصّلاه، فلو أنّ المصلّى

۱- (۱) . الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ۳، ۲۶۷.

لم يراع هذه الشروط فإنّ صلاته لا تكون مقبوله عند اللّه فيأتی يوم القيامه فلا يجد شيئاً من صلاته قد كتب فی صحيفه أعماله: «لَقِیَ اللّهَ وَلا عَهِدَ لَهُ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»، والآن لو لم يكن هناك عهد بينه وبين اللّه فما هی النتيجه؟ «إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»، وهكذا يتبيّن أنّ الإنسان لو أدی الصّلاه بجميع خصوصيّاتها فإنّها سوف توجب عهداً لهذا الإنسان من اللّه وأنّه يستحق دخول الجنّه، ولكن إذا لم يكن هناك مثل هذا العهد فهذا الشخص لا يستحق الجنّه، بل يستحق العذاب، إذن فأحد الأثار والثمرات المترتبه علی الصّلاه، إيجاد عهد بين الإنسان وربّه.

نرجو أن يجعل اللّه تعالی صلواتنا بحيث يستوجب هذا العهد بيننا وبين اللّه لكی نستحق دخول الجنّه بواسطه هذه الصّلاه إن شاء اللّه.

ص:۷۵

۲۱- حقیقه الصّلاه تتجلّی فی الرکعه الاُولی

قال الإمام الرضا علیه السلام: «... أَصلُ الصَّلاهِ إِنَّما هِی رَکعَهٌ وَاحدَهٌ».(۱)

بالنسبه للعلاقه بین حقیقه الصّلاه وباطنها نواجه نقطه مهمّه وردت فی الروایات الشریفه، وهی أنّ حقیقه کلّ صلاه تکمن فی الرکعه الاُولی منها، فلو أنّ المصلّی استطاع فی الرکعه الاُولی من صلاته منذ أن یکبّر تکبیره الإحرام إلی نهایه السجده الثّانیه أن یحفظ حضور القلب بشکل کامل فإنّه یستطیع بمقدار معین الاطلاع علی حقیقه وأسرار الصّلاه، وسبق أن ذکرنا أنّ اللّه تبارک وتعالی لا یبخل علی عباده بمعرفه حقائق الصّلاه وأسرارها ولا یحرمهم من هذا الفیض، ومن هذه الجهه اضیفت لأصل الصّلاه وهی رکعه واحده، رکعه ثانیّه أیضاً، لأنّ غالبیّه الأشخاص ربّما لا یتوجّهون فی الرکعه الاُولی إلی حقیقه الصّلاه وخصوصیّاتها، وبعد ذلک قام النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله أیضاً بإضافه رکعه واحده أو

ص:۷۶

۱- (۱) وسائل الشیعه، ج ۴، ص ۵۳.

رکعتین لبعض الصّلاه الیومیّه، وکانت النتیجه أن أصبحت هذه الصلوات متکّون من ثلاث رکعات أو أربع رکعات، ولکن أصل وحقیقه الصّلاه هی الرکعه الاُولی منها، ولکن بما أننا لا نستطیع غالباً أن نحصل علی حضور القلب بشکل کامل فی الرکعه الاُولی بسبب تشتت الخاطر وتشتت الذهن وتناثر الأفکار، فإنّ اللّه تبارک وتعالی لم یوصد الطریق أمامنا فأضاف إلیها الرکعه الثّانیه لیتمکّن المصلّی من جبران الفراغ والخلل الحاصل فی الرکعه الاُولی بهذه الرکعه الثّانیه.

وینقل صاحب کتاب «وسائل الشیعه» روایه عن کتاب «عیون أخبار الرضا» عن الإمام الثامن علی بن موسی الرضا علیه السلام أنّه قال:

«إنّما جَعَلَ اللّهُ أَصلَ الصَّلاهِ رَکعَتَینِ وَزِیدَ عَلی بَعضِها رَکعَهٌ وَعَلَی بَعضِها رَکعَتانِ، وَلَمْ یُزَد عَلَی بَعضِها شَیءٌ لأَنّه أَصلُ الصَّلاهِ إنَّما هِی رَکعَهٌ وَاحدَهٌ، لأَنَّ العَدَدِ وَاحِدٌ فإذا نَقصَتْ مِنْ وَاحِدٍ فَلَیستْ هِی صَلاهٌ فَعَلِمَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ العِبادَ لا یُؤدُّونَ تِلکَ الرَّکعَهَ الوَاحدَهَ الَّتِی لاصَلاهَ أَقَلَّ مِنها بِکمالِها وَتَمامِها وَالإقبالِ عَلَیها، فَقَرَّقَ إلَیها رَکعَهٌ أُخری لِیُتَمَّ بِالثّانِیهِ مَا نَقَصَ مِنَ الأُولی فَفَرَضَ اللّهُ عَزَّ وَجلَّ أَصلَ الصَّلاهِ رَکْعَتَینِ، ثُمَّ عَلِمَ رَسُولُ اللّه صلی الله علیه و آله أَنَّ العِبادَ لایُؤدّونَ هَاتَینِ الرَّکْعَتَینِ بِتَمامِ مَا أُمِرُوا بِهِ وَکَمالِهِ، فَضَمَّ إِلی الظُّهرِ وَالعَصرِ وَالعِشاءِ الآخرِهِ رَکْعَتَینِ رَکْعَتَینِ»(۱)، وهذا هو ما ورد فی فقهنا بعنوان فرض النّبی، وعلی هذا الأساس یجب علینا السعی لنحصر فکرنا وبشکل کامل ونهتمّ لحضور القلب فی الرکعه الاُولی، وبشکل عام عندما نقف للصّلاه بین یدی اللّه ولمّا کنّا لا نعلم متی یحین أجلنا وتحین ساعه الموت فینبغی أن نقول لأنفسنا أننا ربّما لا نوفّق لأداء الرکعه الثّانیه، فیجب ترکیز الذهن والقلب بالصّلاه، وفی الرکعه الاُولی بالذات، وهنیئاً

۱- (۱) . وسائل الشیعه، ج ۴، ص ۵۴.

للأشخاص الذين يعيشون هذه الحاله فى صلاتهم، ولو أننا أوحينا إلى أنفسنا بمثل هذا التلقين وعندما نقف للصّلاه نفكر أنّ هذه الصّلاه هى آخر صلاه نصلّيها للّه فسوف نشعر بحاله روحيه أخرى، وسوف نعيش حضور القلب أكثر، وهكذا تكون صلاتنا وعبادتنا للّه تعالى.

ص:٧٨

۲۲- مراتب حضور القلب

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «إِنَّ اللّهَ لايَنظُرُ إِلى صُوَرِكُم وَأَعمَالِكُم وَإِنَّما يَنظُر إِلى قُلُوبِكُم».

أشرنا فى البحوث السابقه إلى مراتب حضور القلب فى الصّلاه، وأحد النقاط المهمّه فى هذا الموضوع هو أن لا يتصوّر المصلّى أنّ حضور القلب فى الصّلاه له معنى سطحى وساذج وهو مجرّد الالتفات إلى حضوره أمام اللّه تعالى، وحضور القلب فى الصّلاه له مراتب عدّه وبعض هذه المراتب ميسوره لجميع الناس، وبعضها الآخر لا يتيسر فهمها ودركها حتّى للعرفاء والكُمل من الأولياء فضلًا عن العمل بها وتجسيدها على أرض الواقع، وأساساً لو أننا أرادنا الوصول إلى حقيقه الصّلاه فيجب علينا سلوك هذه المراتب للحضور بشكل أكمل من السابق، أى أنّ حضور القلب فى الصّلاه فى هذا اليوم يجب أن تكون أكمل وأفضل من اليوم السابق، ويجب الالتفات إلى هذه الحقيقه وهى أنّه كلما توجّهنا إلى مراتب حضور القلب أقوى وأشد فإنّ كشف أسرار الصّلاه للإنسان يتيسر أكثر، حتّى يصل الإنسان إلى تلك المراتب العاليه من حضور القلب وتنكشف بعض أسرار الصّلاه لبعض هؤلاء المصلّين كما ورد فى بعض الروايات:

ص:۷۹

«إِنَّ اللّهَ لا یَنظُرُ إِلی صُوَرِکُم وَأَعمـالِکَم وَإِنَّما یَنظُر إِلی قُلُوبِکَم»(۱)، ورغم أنّ تکلیف الإنسان یکمن فی الوصول إلی حقیقه وعمق الصّلاه وأسرارها من خلال سلوک طریق الظاهر، فلا أحد یمکنه أن یدعی الوصول إلی الحقائق من غیر طریق الصّلاه، ولا یمکن أن یحقّق أی إنسان هذا الهدف بدون الصّلاه، فهذا ادعاء الجهلاء من الناس ولا یقوم علی أساس متین، لأنّ الوصول إلی أسرار الصّلاه وهی عباده لها أسرار خاصّه بها، لا یمکن الوصول إلیها من طریق الآخر غیر الصّلاه، ولکن بحسب هذه الروایه أنّ اللّه تعالی ینظر فی هذه الصّلاه إلی قلب المصلّی ونیّته.

إنّ نظر الباری تعالی إلی قلب المؤمن یترتب علیه أن یکون قلب المصلّی مستعداً لتلقی بعض الأسرار وانکشافها له، ومن هذه الجهه یستحب للإنسان فی حال الصّلاه أن ینظر إلی موضع السجده من صلاته وینتبه إلی أنّه یقف فی مقابل أعظم موجود فی هذا العالم فینظر إلی موضع سجوده والمکان الذی یضع أفضل وأشرف قسم من بدنه وهو جبهته، وهذا معنی حضور القلب، ولو أنّ الإنسان استطاع إیجاد بعض هذه المراتب فی نفسه وفهمها فسوف تنکشف له أسرارها، وما ذکره بعض أولیاء اللّه أنّه توجد فی بعض مراتب حضور القلب من اللذّه والبهجه ما لا توجد فی مراتب أخری.

وعلی هذا الأساس نؤکّد علی هذه النقطه، وهی أنّ حضور القلب له مراتب متعدّده، ولا ینحصر بعنوان ثابت وتوجّه إجمالی بأن یعلم الشخص أنّه واقف بین یدی اللّه تعالی، وطبعاً هذا المعنی لوحده یعدّ أمراً مهمّاً جدّاً، ولکن حقیقه حضور القلب لا تنحصر بهذا المقدار، بل هو أوّل قدم للمصلّی أن یعلم أنّه یقف بین یدی اللّه القادر المطلق، إنّ هذا المعنی یعتبر أوّل وأقلّ مرتبه من مراتب حضور القلب، وهناک مراتب أخری سوف نشیر إلیها لاحقاً إن شاء اللّه.

۱- (۱) . بحار الأنوار، ج ۶۷، ص ۲۴۸.

۲۳- الحضور الإجمالی: والاشتغال بحمد اللّه وثنائه

«إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ». (۱)

ذکرنا أنّ حضور القلب فی الصّلاه له مراتب عدیده وأنّ الإنسان المصلّی یجب علیه الالتفات إلی هذه المراتب، وطبعاً فإنّ فهم وتحقّق بعض هذه المراتب میسور لجمیع الأفراد والبعض الآخر لیس میسوراً للجمیع، وفهم بعضها یعتبر محالاً للکثیر من الناس.

ومن بین ثلاثه کتب معروفه تتحدّث فیما یخصّ أسرار الصّلاه وتکالیف المصلّین القلبیّه، کتاب «التنبیهات العلیه» للشهید الثانی رضوان اللّه علیه، و «أسرار الصّلاه» للمرحوم المیرزا جواد الملکی التبریزی رضوان اللّه علیه، و «سرّ الصّلاه» للإمام الخمینی رضوان اللّه علیه، وهذه الکتب الثلاثه تحدّثت عن هذا الموضوع بالذات، وأدقّ کتاب منها فی بیان مراتب حضور القلب ما نراه فی کلمات الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه، بالرغم من أننا عندما نطالع کتاب

۱- (۱) سوره الأنعام، الآیه ۷۹.

«سرّ الصّلاه» للإمام الخمينى، فسوف يتبيّن لنا بشكل واضح أنّ الإمام قدس سره فى كلامه هذا ناظر إلى كتاب الشهيد الثانى قدس سره، ولكن العمق والدقّه فى بيان مراتب حضور القلب فى كلمات الإمام الراحل قدس سره لا توجد مثلها فى كتاب الشهيد الثانى قدس سره، الإمام الراحل رضوان اللّه عليه ذكر ثمان مراحل لحضور القلب وفى المرحله الثامنه يقول: «إنّ هذه المرحله لها مراحل عدّه نعجز عن فهمها ودركها وبيانها، وسنشير نحن أيضاً إلى هذه المراتب بحدود معينه».

يقول الإمام الخمينى قدس سره(۱): أوّل مرحله من حضور القلب الحضور الإجمالى، للحصول على هذه المراتب ميسور لجميع الناس، فمعنى الحضور الإجمالى هو أنّ الإنسان يفهم قلبه ويعلم بأنّه يقف فى مقام المدح والثناء للحقّ تبارك وتعالى، والمصلّى يعلم أنّه يقف فى مقام التسبيح والتنزيه والتقديس وبيان صفات البارى تعالى وحمده، ولو أنّه لا يعلم كيف يكون حمده وتسبيحه، بل يعلم فقط أنّه فى حال بيان صفات اللّه وتسبيحه وتنزيهه، ولكنّه قد لا يلتفت إلى حقيقه هذا الوصف وبأى بيان وكلام، وهذا مثل الشاعر الذى يمدح شخصاً كبيراً وجليلاً بحضور طفل، فهذا الطفل لا يعلم ما يقوله هذا الشاعر، ولكنّه يدرك أنّه يتحدّث عن مدح وتجليل هذا الشخص المحترم، وهكذا حال المصلّى وهذه أوّل مرتبه لحضور القلب، بأنّ يعلم المصلّى أنّه فى مقام الثناء للّه، وأى ثناء؟ أنّه كما أثنى اللّه على نفسه وما ورد على لسان الخاصّين من أوليائه.

والإمام رضوان اللّه عليه يلفت النظر إلى نقطه مهمّه لا يتيسر فهمها على الأشخاص العاديين، وهو أنّ الشخص الذى يحمد اللّه ويثنى عليه يقول فيما بينه وبين اللّه: إلهى! أنا لست جديراً ولائقاً للثناء عليك، بل أنا اثنى عليك كما أثنى عليك أولئك الأولياء فى صلاتهم وعبادتهم، وأنا اسبحك وأُثنى عليك بلسانهم،

۱- (۱) . سرّ الصّلاه (معراج السالكين)، ص ۱۷.

هذا الثناء بلسان الأولياء بعيد عن أى شبهه الكذب والنفاق، فالإنسان إذا أراد أن يحمد اللّه ويثنى عليه من قِبل نفسه، بما أنّ قوله لا يتطابق مع عمله فسوف يرتكب الكذب والنفاق، ولكنّه عندما يحمد اللّه ويثنى عليه بلسان الأولياء فإنّ قوله يتطابق مع عمله.

ونقرأ فى الصّلاه عبارات وأذكار خاصّه من قبيل قولنا قبل الشروع بالصّلاه:

«إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ» ، فهل أنّ هذا الإنسان عندما يتكلّم بهذا الكلام صادق واقعاً وأنّه يتوجّه فقط فى هذه الحال إلى خالق السماوات والأرض أو أنّ وجهنا متوجّه نحو الدنيا حتّى عندما نقف للصّلاه فإننا نطلب من اللّه تعالى حاجاتنا الدنيويّه، وعندما تكون عباره «...

وَجَّهْتُ وَجْهِیَ...» ، خاليه من الكذب والنفاق يجب علينا أن ننوى مثل هذه النيّه، أى كما أنّ أولياء اللّه العظام مثل إبراهيم الخليل عليه السلام قال هذا الكلام وهذا الدعاء فأنا أيضاً اريد أن احقّق فى نفسى هذا الدعاء، وعندما نصل إلى الآيه «إِیّاکَ نَعْبُدُ...» ، وننظر إلى قلوبنا وباطننا فماذا نرى وماذا يوجد فى نفوسنا من آلهه غير اللّه، إذن لا يمكن القول بأنّ هذه العباره ذكرت من موقع الصدق.

إذا أردنا أن ينطلق هذا الكلام من موقع الصدق والحقيقه، فيجب أن ينطلق من موقع كلام الأنبياء والأولياء وأنّهم هكذا حمدوا اللّه وأثنوا عليه فى محضرك المقدّس وقالوا: «إِیّاکَ نَعْبُدُ...» ، فنحن أيضاً نذكر هذا الكلام فى الصوره.

وينقل هذا الكلام الإمام رضوان اللّه عليه فى كتابه عن استاذه المرحوم شاه آبادى - قدّس سرّ - (۱) وأنّه قال: إنّ الشخص الداعى يدعو بهذا الدعاء بلسان مصادره والقائل له، وهكذا الحال فى غير الصّلاه فإنّ كلّ دعاء ندعو به ينبغى أن يكون بلسان ذلك الشخص الذى صدر منه هذا الدعاء، وبهذا المعنى سيكون

۱- (۱) . سرّ الصّلاه (معراج السالكين)، ص ۱۸.

الـدعاء أقرب للإجابه وأفضل ممّا يقول الـداعى ويـدعو بهـذا الـدعاء بلسان حاله، والسـبب فى أنّ الكثير من أدعيتنا لا تقع موقع الإجابه هو لأننا ندعو بلسان حالنا، ولكن إذا دعونا اللّه تعالى بلسان الأشـخاص الذين صدر منهم هذا الدعاء ووصل إلينا فإنّ هذا الدعاء سيكون أقرب للإجابه.

إذن فـاوّل مرتبه من مراتب حضور القلب هو الحضور الإجمـالى الـذى يكون ميسوراً لجميع الأـفراد، أى أننا نعلم بأننا نقف أمام اللّه تبارك وتعالى بحاله الدعاء والثناء والتقديس والتسبيح.

ص:٨۴

۲۴- الالتفات إلى قبول الصّلاه

قـال الإمـام الصـادق عليه السـلام: «وَاللّهِ إِنَّهُ لَيـأتِي عَلَى الرَّجُلِ خمسُون سَنَةً وَمَا قَبِل اللّهُ مِنْهُ صَلاةً وَاحِدَةً فَأى شَىءٍ أَشَدُّ مِنْ هَذا...».(۱)

أسلفنا أنّ حضور القلب التام يؤدّى إلى معرفه الإنسان بحقيقه الصّلاه وأنّ نورانيّه العباده تتوقف على حضور القلب، وكذلك قلنا إنّ حضور القلب له مراتب عدّه، وأوّل مرتبه لذلك هى مرتبه حضور القلب الإجمالى، يعنى أن يعلم المصلّى إجمالاً بأنّه مشغول فى صـلاته فى مناجـاه البـارى تعـالى وحمـده وثنـائه ولو لم يعلم بالألفاظ و الكلمات التى يحمـد اللّه تعالى بها أو لم يلتفت إلى مفاهيم ومعانى الألفاظ التى يـذكرها فى القراءه والركوع والسـجود، بل يعلم بها المقـدار وهو أنّه مشـغول بتكريم وتعظيم البارى تعالى وتسبيحه وحمده وتقديسه.

وقبـل بيـان المراتب الأخرى لحضور القلب فى الصّلاه نتبرك فى كلامنا بـذكر روايه عن الإمام الصادق عليه السـلام: «وَاللّهِ إِنَّهُ لَيأتِي عَلَى الرَّجُلِ خَمسُون سَنَةً وَمَا قَبِل اللّهُ

ص:۸۵

۱- (۱) الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ۳، ص ۲۶۹.

مِنْهُ صَلاةً وَاحِدَةً...»، فبالرغم من أنّ هذا الشخص قد أدّى تكليفه الشرعى ولا يؤاخذ يوم القيامه على ترك صلاته ولا يقال له لماذا لم تصلّ؟ ولكن مع ذلك فإنّ صلاته لا تقع مقبوله عند اللّه تعالى، فهذه الصّلاه ليست ممّا يترتّب عليها الآثار والثمرات الإلهيّه المقرره، وهذه الصّلاه ليست تلك الصّلاه التى ينظر البارى تعالى للإنسان بنظر اللطف والرحمه ولذلك يقول الإمام عليه السلام: «فَأى شَىءٍ أَشَدُّ مِنْ هَذا...»، وأى مصيبه أعظم وأشدّ من هذه الحاله؟ وهكذا ترون فى كلام أهل البيت عليهم السلام السعاده والشقاء تدوران على ماذا؟ وقد جاء فى الروايات أنّ الشخص يُوفّق للصّلاه فى أوّل وقتها وبخاصّه صلاه الجماعه وبالأخصّ فى المسجد فيكون من مصاديق الأشخاص السعداء.

وأحد العوامل المهمّه فى ثقافتنا لنيل السعاده التوفيق للصّلاه فى أوّل وقتها وفى جماعه، ويقول الإمام الصادق عليه السلام فى هذه الروايه أيضاً أنّ الإنسان قد يمضى من عمره خمسين سنه وقد أدّى صلاته طوال هذه المدّه ولكنّ أيّاً من صلاته لم تقع مورد قبول البارى تعالى وهو من أشقى الناس، فهل خلونا بأنفسنا فى كلّ يوم وليله لحظه واحده لنرى أى مقدار من صلاتنا وقعت مورد القبول عند اللّه؟ هل نملك مثل هذا الحاجز بأن نتحمّل لدقائق معدوده محاسبه أنفسنا والتفكير فى صلاتنا وركوعنا وسجودنا وقيامنا وقعودنا هل أنّها ارتفعت إلى السماء؟ وهل أنّها وقعت مورد قبول البارى تعالى؟ يقول الإمام عليه السلام إذا كان هذا الشخص بمثل هذه الحاله فهو شخص سعيد، ولكن لا سمح اللّه إذا لم تقبل صلاته، أى أنّ عبادته ودعاءه وصلاته لم تترك أى أثر وبدون فائده فى ارتقائه المعنوى، فهذا يعنى أعظم شقاء يعيشه هذا الشخص، ويتابع الإمام عليه السلام فى هذه الروايه:

«وَاللّهِ إِنَّكُم لَتَعرِفُونَ مِنْ جِيرانِكُم وَأَصحَابِكُم مَنْ لَو كَانَ يُصلِّى لِبَعضِكُم مَا قَبِلَها مِنْهُ...»، أى لو أنّ أحداً من جيرانكم أو معارف سلّم عليكم بسلام مقترن

ص:۸۶

بالاستخفاف فماذا يكون موقفكم منه؟ إذا كان سلامه عليكم من موقع الغرور والتكبر والأنانيّه، فهل تقبلون منه هذا السلام؟ ثمّ يقول عليه السلام: «اِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَقبَلُ إلّا الحَسَنَ فَكَيفَ يَقبَلُ مَا يُستَخَفُ بِهِ»، هل صلاه التى نصلّيها ونتحدّث فيها مع اللّه تعالى ولكن فكرنا وذهننا فى ذلك الوقت مشغول بالأمور المادّيّه والدنيويّه، وكيف ندبّر أمورنا ومعاملتنا لنربح أكثر، أو كيف نستطيع أن نحصل على المقام والموقف الفلانى، مثل هذه المعامله مع اللّه تعالى الذى يعلم بنيّتنا وسريرتنا، فإنّها لا تحمل فى مضمونها سوى الاستخفاف به، نعوذ باللّه أن تكون مثل هذه الصّلاه تصغيراً لشأنه جلا وعلا، فعندما ننتهى من هذه الصّلاه نهتم بكلّ شيء غيره، فهل يصحّ أن نتوقع بعد ذلك أن تكون هذه الصّلاه مقبوله عند اللّه تعالى.

إذن يجب أن نهتمّ بأصل حضور القلب فى الصّلاه ومراتبه، فلو أننا لم نملك القدره على فهم مراتب حضور القلب فعلى الأقلّ تلك المرتبه الأُولى من حضور القلب الإجمالى والتى هى ميسوره للجميع، فلو لم يعلم الشخص الفرق بين التحميد والتسبيح والتنزيه فيكفى أن يعلم أنّه يقف بين يدى اللّه تعالى وأنّه يذكر عظمته وجلاله.

نسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا جميعاً لحضور القلب فى الصّلاه.

۲۵- المرتبه الأُولی من الحضور التفصیلی فهم معانی الکلمات

إنّ بحث حضور القلب ومراتبه فی الصّلاه یعتبر من البحوث المهمّه والضروریّه للإنسان المؤمن والمصلّی، وللأسف فإنّنا قضینا عمراً طویلاً- دون أن نسأل من أنفسنا عن حضور القلب فی الصّلاه أو نسأل من شخص عالم وعارف أو شخص کبیر وصالح یملک حاله جیده فی الصّلاه عن هذه المسأله، أو نسأل من إنسان مهذّب یعیش حاله الشوق للصّلاه ما هو حضور القلب فی الصّلاه؟ والأهمّ من ذلک نسأل عن النقاط المهمّه التی ترکها لنا علماء الأخلاق الکبار والعرفاء وبخاصّه المسائل العمیقه جدّاً التی ذکرها الإمام الراحل فی کتابه «سرّ الصّلاه»(۱)

والتی یصعب جدّاً فهمها، ولکن بما أنّ الإمام الراحل قدس سره یتمتع بشخصیّه کبیره ومهذّب فقد تجاوز الکثیر من المراتب فی سلوکه إلی اللّه ووصل إلی مراحل عالیه فی طریق المعنویّات والسیر إلی اللّه تبارک وتعالی، فیری الإنسان فی هذا

ص:۸۸

۱- (۱) . سرّ الصّلاه (معراج السالکین)، ص ۱۵-۲۳.

الکتاب بحراً من المعارف الإلهیّه قدّمها لنا الإمام الراحل قدس سره کهدیه للاستعانه بها فی هذا الطریق.

وبعد أن ذکرنا مرتبه حضور القلب الإجمالی نتحدّث عن مسأله حضور القلب التفصلی فی الصّلاه، فالحضور التفصیلی للقلب فی الصّلاه له خمس مراحل، المرحله الخامسه بنفسها لها ثلاث مراتب سنتعرض لها بالمقدار الممکن والمیسور لعموم الناس، وأوّل مرتبه من الحضور التفصلی للقلب هی أنّ الإنسان یفهم معانی الألفاظ التی یتکلّم بها فی الصّلاه، من التکبیرات الافتتاحیّه (التکبیرات التی یأتی بها المصلّی أوّل الصّلاه قبل النیّه)، إلی تکبیره الإحرام والقراءه وذکر الرکوع، وذکر السجود وسوره الحمد التی تتضمن أصول معارف الدین من المبدأ والمعاد، وهی سوره فاتحه الکتاب، وکذلک سوره التوحید التی تتضمن معارف عمیقه جدّاً، فیما یتّصل بالذات المقدّسه وصفات الباری تعالی، وحضور القلب بشکل تفصیلی هو أن یفهم المصلّی معانی ومفاهیم الکلمات التی یقولها ویعلم ماذا یتحدّث مع اللّه تعالی وما هو مدلول الحمد والثناء فی أذکاره؟

یجب أن یفهم قلب العابد والمصلّی فی حال الصّلاه کلّ الکلمات التی یقولها، فعندما یقول: «إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ»١ علیه أن یفهم معنی هذه العباره، ومن هنا یتّضح الفرق بین العالم والعابد، فالعالم یفهم معانی هذه الکلمات أمّا العابد فإنّه یفهم ظواهر هذه الألفاظ والکلمات لکنّه لا یفهم معناها والمفاهیم الکامنه فیها.

والنقطه المهمّه، أنّ کلّ إنسان لابدّ أن یفهم بمقدار إدراکه وفهمه معانی هذه الکلمات، ومن الخصوصیّات المهمّه جدّاً للقرآن هی أنّ کلمات القرآن الکریم لها معنی واسع وعمیق جدّاً، ولذلک فالأشخاص وبسبب اختلافهم فی الفکر قد

يختلفون فى فهم معانى هـذه الكلمات والألفاظ، النقطه التى أشار إليها الإمام الراحل رضوان اللّه عليه فى هذه المرتبه الاُولى هى أنّ الإنسان المصلّى لا ينبغى أن يتصوّر أنّ معانى الألفاظ محدوده بهذه الحدود التى يفهمها، فعندما يقول:

«اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ»١ وإذا فهم معنى هـذه العباره فلا ينبغى أن يتصوّر أنّ هذا المعنى محدود بفهمه وحدود إدراكه، وأحد الأمور التى تضـرّ كثيراً بالإنسان أن يعتقـد بفهمه فقط فيتوقّف عنـد حـدود هذا الفهم، يجب أن يعلم أنّه قد فهم القليل من معنى الصـراط المسـتقيم الـذى يتضـمّن معانى عديده وواسـعه جدّاً، إنّ القناعه فى باب فهم كلمات بعض ألفاظ الصّلاه من شأنها أن تعيق الإنسان فى سيره وحركته العلميّه العمليّه، وهذه هى إحدى الحيل الشيطانيّه الشهيره.

إنّ الشـيطان يقول للإنسان فى حال الصّلاه أنّ صلاتك ليست بأكثر من ذلك، وهو ما تفهمه من هذه الألفاظ والكلمات ويكفى أن تؤدّى هـذه القراءه والأذكـار بهـذه الحاله وبهـذا المعنى، وهكـذا نرى أنّ الشـيطان يسـجن الإنسان فى فهمه الخاطىء لأذكار الصّلاه، إذن ففهم معانى الكلمات يعدّ المرحله الاُولى من المراحل الخمس لمراتب حضور القلب التفصيلى للصّلاه.

وبعد هذه المرحله من فهم الإنسان لمعانى الألفاظ والكلمات هناك مراحل أخرى سنشير إليها لاحقاً إن شاء اللّه.

ص:٩٠

۲۶- المرتبه الثّانیه من الحضور التفصیلی: الفهم العقلی والبرهانی للکلمات

قال الإمام الصادق علیه السلام: «إِذا قَامَ العَبْدُ فِی الصَّلاهِ فَخفَّفَ صَلاتَهُ قَالَ اللّهُ تَبارَکَ وَتَعالی لِمَلائِکَتِهِ أَمَا تَرَونَ إِلی عَبدِی کَأَنَّهُ یَری أَنَّ قَضَاءَ حَوائِجِهِ بِیدِ غَیری أَمَا یَعلَمُ أَنَّ قَضاءَ حَوائِجِهِ بِیدِی»(۱)

کان البحث حول حضور القلب فی الصّلاه ومراتب الحضور، وتقدّم فی البحث السابق استعراض المرتبه الإجمالیّه من حضور القلب فی الصّلاه وهی أنّ الإنسان یعلم أنّه مشغول بحمد اللّه وثنائه ولو لم یعلم معانی الکلمات وحقائق الأفعال والحرکات، أمّا المرتبه الثّانیه وهی الحضور التفصیلی للقلب قلنا إنّ هذا المورد له خمس مراحل: المرحله الأُولی فهم معانی ومفاهیم الألفاظ والأذکار، وقبل أن نستعرض المراتب الأخری نتبرک بذکر هذه الروایه التی یرویها هشام بن صالح عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «إِذا قَامَ العَبْدُ فِی الصَّلاهِ فَخفَّفَ صَلاتَهُ.. قَالَ

ص:۹۱

۱- (۱) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۲۶۹.

اللّهُ تَبارَکَ وَتَعالی لِمَلائِکَتِهِ أَما تَرَونَ إِلی عَبـدِی کَأَنَّهُ یَری أَنَّ قَضَاءَ حَوائِجِهِ بِیـدِ غَیرِی أَمَا یَعلَمُ أَنَّ قَضاءَ حَوائِجِهِ بِیـدِی»، وهذا یعنی أنّ هذا الشخص یؤدّی صلاته بهذه الصوره وکأنّه یشرک باللّه تبارک وتعالی ویری أنّ غیر اللّه مؤثر فی قضاء حوائجه «أَمَا یَعلَمُ أَنَّ قَضاءَ حَوائِجِهِ بِیدِی»، فلا یستطیع أی کائن آخر أن یحلّ مشاکله.

وهذه الروایه تشیر إلی أنّ المصلّی إذا أراد أن تکون صلاته مؤثره بشکل کامل فعلیه مراعاه التوحید الحقیقی، فالصّلاه وضعت من أجل تقویه التوحید فی الإنسان، وفی مقابل ذلک فالإنسان إذا أراد تقویه توحیده وإیمانه یوماً بعد آخر ویعمّقه فی واقعه النفسانی یجب علیه أن یهتمّ بصلاته ویهتمّ بحضور القلب فی الصّلاه.

المرتبه الثّانیه من حضور القلب التفصیلی فی الصّلاه هی أن یتحرّک المصلّی، بعد فهم مفاهیم الکلمات وفهم معنی «إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ»۱ ، لإدراک هذا المعنی العمیق بالعقل البرهانی والاستدلالی ومن خلال العقل الباحث عن الحقیقه، یجب أن یفهم بحقیقه العقل أنّ الصراط المستقیم لا یستطیع الإنسان سلوکه وتعبیده إلّابالاستعانه باللّه تبارک وتعالی وأنّ الطرق الأخری غیر صحیحه وتقوده إلی هاویه الضلاله والانحراف، وعندما یدرک الإنسان مفهوماً ومعنی معیناً ویستدل علی صحه هذا المعنی بالبرهان العقلی، فإنّ هذا المفهوم سیتعمّق فی قلبه وأعماق نفسه ویعیش دوماً مع هذا المفهوم والمعنی، فعندما یقوله:

«اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ»۲ ، فیدرک جیداً بأنّ کلّ شخص وفی کلّ مکان یثنی علی أی شیء من الأشیاء فإنّ هذا الثناء والحمد یعود إلی اللّه ولا یوجد أی شیء یستحق الثناء والحمد غیره.

وعندما يقول له العقل أنّه لا شىء آخر فى عالم الوجود سوى اللّه يستحق الحمد والثناء، وأنّ الموجود الذى يتمتع باللياقه للحمد والثناء فقط هو البارى تعالى والذات المقدّسه، فمثل هذا الإنسان لو مدحه بعض الأشخاص فى مناسبه معينه يقول: إنّى لا أستحق أى حمد وثناء، بل إنّ هذا الحمد والثناء يعود إلى اللّه، وهكذا نرى فى المرتبه الثّانيه من حضور القلب مع البرهان العقلى أنّ هذه المفاهيم ستتجلى لنا بشكل أوضح وأعمق وندرك حقيقه الصراط المستقيم بالبرهان العقلى، ونفهم معنى سوره التوحيد التى هى المنبع والمصدر لأصول معالم التوحيد، بشكل مبرهن ومستدل، نسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا لإدراك وتحقّق مراتب حضور القلب فى حال الصّلاه.

ص:٩٣

۲۷- المرتبه الثّالثه من الحضور التفصیلی: التصدیق القلبی

«یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ * إِلّا مَنْ أَتَی اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ» (۱)

بعد بیان المعنی الإجمالی لحضور القلب وصلنا إلی المعنی التفصیلی له، وتطرقنا إلی ذکر مرتبتین من المراتب التفصیلیّه من حضور القلب، المرتبه الاُولی من حضور القلب التفصیلی أن یفهم الإنسان المصلّی المفاهیم اللغویّه والعرفیّه لکلمات والأذکار التی یقولها فی الصّلاه، المرتبه الثّانیه أن یفهم هذه الکلمات والألفاظ بإدراک العقل والبرهان العقلی، فینغرس هذا المعنی فی أعماق فکره وعقله، وقبل بیان المرتبه الثّالثه من مراتب حضور القلب التفصیلی نشیر إلی هذه الروایه الوارده عن الإمام الباقر علیه السلام:

«عَنْ عُمَرَ بنِ أُذَینَهَ عَنْ زُرارهَ عَنْ أَبِی جَعفَر علیه السلام قَالَ: بَینَا رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله جَالِسٌ فِی المَسجِدِ إِذ دَخَلَ رَجُلٌ فَقَامَ یُصَلِّی فَلَم یُتِمَّ رُکُوعَهُ وَلا سُجُودَهُ؛ أی أنّه لم یأتی

۱- (۱) سوره الشعراء، الآیه ۸۸ و ۸۹.

بركوعه وسجوده بشكل صحيح وكامل.

فَقَالَ صلى الله عليه و آله: نَقَرَ كَنَقرِ الغُرابِ؛ وهذا مثل يرد فى لغه العرب ويعنى أنّ حاله حال الغراب عندما ينقر الحبّه بشكل سريع، فمقدار الوقت الذى يستغرقه الغراب فى تناول الحبّه سريع جدّاً، والنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله هنا يقول: «نَقَر كَنَقرِ الغُرابِ»؛ وهذه كنايه على سرعه ركوعه وسجوده دون أن يمكث قليلاً ـ فى الركوع أو يتوقف قليلاً ـ فى السجود بل هذا حاله كحال الغراب فى تناوله للحبه، ثمّ قال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله كلمه عجيبه جدّاً ويجب علينا أن نتذكر دوماً هذه الكلمه فى ركوعنا وسجودنا قال: «... لَئِنْ مَاتَ هَـذا وَهكَذا صَـلَاتَهُ لَيَمُوتَنَّ عَلَى غَيرِ دِينِى»(۱)، وهكذا ترون أنّ هذه المسأله إلى أى درجه من الأهميّه أنّ الأشخاص الذين يصلّون صلاتهم بسرعه وقبل أن يركع تماماً تراه يبادر إلى السجود وقبل أن يتمّ سجوده يتشهد ويسلّم وقبل أن يتشهد ويسلّم ينتهى من صلاته، فحسب هذه الروايه التى ينقلها عمر بن اذينه عن الإمام الباقر عليه السلام وهذا الإمام ينقلها عن النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال: إنّ مثل هذا الشخص إذا مات وكانت صلاته بهذه الصوره فإنّه يموت على غير مله الإسلام، ومن هذه الجهه فإذا أردنا أن لا تكون صلاتنا مثل صلاه هذا الشخص يجب علينا تحقيق ومراعاه حضور القلب فى الصّلاه، فيجب أن نعلم ما هى مراتب حضور القلب؟

المرتبه الثّالثه من حضور القلب وبعد أن يدرك الإنسان المفاهيم والمعانى للكلمات بالبرهان العقلى يقوم بحك وكتابه هذه المعانى على لوح قلبه، وهى مرحله التصديق القلبى وهذه المرحله تعنى أنّ قلب الإنسان يتمتع بمرتبه فوق مرتبه العقل ويتقبّل هذه المفاهيم والمعانى فيصدّق ويؤمن بها.

الإنسان فى بعض الموارد قد يدرك الكثير من الأمور بعقله ولكنه يعيش

۱- (۱) . الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ۳، ص ۲۶۸.

التزلزل والاـهتزاز فی قلبه، فقلبه لم یصل إلی مرتبه الاستقرار والاطمئنان رغم قبول العقل، والمثال الواضح لذلک ما یؤمن به الإنسان بعقله بالشخص المیّت وأنّ هذا المیّت غادر الدنیا ولا یستطیع أن یبعد ذبابه عن نفسه، ولکن لماذا یشعر الإنسان بالخوف عندما یبقی مع بدن المیّت فی غرفه واحده ویقضی لیلته معه فلا تجده مستعداً للبقاء لوحده مع هذا الجسد رغم أنّه یعلم بعقله أنّ هذا المیّت لا یضرّه أبداً، السرّ فی ذلک أنّ قلبه لحدّ الآن لم یقتنع بما آمن به عقله، وعلی هذا الأساس فإنّ مرتبه التصدیق القلبی تعتبر مرحله أعلی من تصدیق العقل.

المرتبه الثّالثه من حضور القلب هی أنّنا نسعی لکتابه هذه المفاهیم فی لوح القلب وغرسها فی أعماق النفس، فلو أنّ هذه المعانی رسخت فی لوح القلب فإنّ هذا الشخص سیجد الإیمان والتصدیق بهذه المفاهیم فی جمیع الحالات بل لا یحتاج بعدها إلی الاستدلال والبرهان، والمرحله الثّانیه یقوم الاستدلال العقلی بمساعدته فی عملیّه التصدیق، ولکن عندما ینفتح قلبه علی هذه المفاهیم ویؤمن بها فلا تبقی حاجه للاستدلال العقلی، والنقطه التی أشار إلیها الإمام الراحل رضوان اللّه علیه مهمّه جدّاً، وأساساً فالإنسان صاحب القلب هو الشخص الذی وصل إلی هذه المرتبه، فالإنسان صاحب القلب یدرک الحقائق والمعارف الدینیّه بالریاضات العملیّه الکثیره مع الریاضات العلمیّه المتعدده ویعیش التقوی القلبی ویقبّل هذه المعارف فی قلبه، فعندما یقول: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ»١ ، فبعد أن یفهم معنی هذه الکلمات وبعد أن یصدّق عقله بأنّ المقصود من التوحید لیس هو التوحید العددی، بل المقصود من التوحید فی الذات وهو أنّ اللّه تعالی وجود وذات لیست قابل للتعدد ویمتنع أن یکون اثنین، وأساساً عندما یفهم العقل بوسیله البرهان معنی التوحید سینتقل هذا المعنی إلی قلبه ویستوعبه

القلب بجميع وجوده ويدرك التوحيد فى مقام الذات ويتقبّله ويؤمن به «يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ * إِلّا مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» ، فالشخص صاحب القلب السليم هو الذى تترسخ هذه المعتقدات فى قلبه من التوحيد والمعاد وكذلك المعارف الدينيّه الأخرى حيث تترسخ وتتعمّق فى قلبه، المرحله الثّالثه من حضور القلب التفصيلى هو أن نفهم وندرك هذه المفاهيم بقلوبنا ونوصل هذه المعانى إلى القلب، فلو أنّ الإنسان لم يوصل هذه المفاهيم إلى قلبه فإنّه على حدّ تعبير الإمام الراحل قدس سره: «لم يتلبس بخلعه الإيمان»، ولو لم يصل الإنسان إلى هذه المرتبه فإنّ صلاته لا تكون معراجاً له فى طريق الحقّ تعالى، فإذا أردنا أن تكون صلاتنا معراجاً للمؤمن فيجب أن يصدّق قلبنا أنّ الوجود المستحق للعباده هو اللّه فقط، وهذا هو الموجود الذى ينبغى طلب المعونه منه، لا ـ غيره، وهو الموجود الذى ينبغى تسبيحه وتقديسه، هذه الأمور يجب أن يتقبّلها الإنسان بقلبه ويصدّق بها فى أعماق روحه.

وعندما يصل المصلّى هذه المرحله من حضور القلب فإنّ هذه الصّلاه من شأنها أن تبعد الإنسان من الدنيا وما فيها وتحلّق به فى عالم الملكوت بحيث لا يرغب فى إنهاء صلاته، ولو انتهت صلاته فإنّه يشعر بالحزن والتأسف بأنّه فَقَد هذه الحاله الملكوتيّه، وبذلك يعود ليتهيأ للصّلاه الثّانيه بكلّ رغبه وشوق.

إذا أراد الإنسان أن يبدأ بالسير إلى اللّه وتخليص نفسه من قفص الأنانيّه، فالطريق إلى ذلك أن يؤمن ويصدّق قلبه بهذه المعارف.

نسأل اللّه تبارك وتعالى أن يجعل قلوبنا جميعاً وعاءً ومخزناً لهذه الحقائق والمعارف العاليه الموجوده فى الصّلاه إن شاء اللّه.

ص:٩٧

۲۸– المرتبه الرابعه من الحضور التفصیلی: شهود حقائق الألفاظ

لقد ورد فی بعض الروایات أنّ أحد الطرق لوصول الإنسان إلی مقام العلیین، وهو مقام سامٍ جدّاً فی الدنیا، هو مرعاه حضور القلب فی الصّلاه، ونقرأ فی الصّلاه علی المیّت هذا الدعاء: «اللّهُمَّ اجعَلهُ فَی أعلی عِلِیین»، أی اجعل هذا الشخص فی مرتبه عالیه جدّاً فی جنّه الرضوان، وحسب الروایه الوارده عن الإمام الصادق علیه السلام ینقل فیها عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«مَنْ حَبَسَ نَفسَهُ عَلَی صَلاهٌ فَرِیضَهٍ یَنتَظِرُ وَقتَها فَصلّاها فِی أَوَّلِ وَقتِها...»، بأن یضبط نفسه ولا یسمح لها بالانشغال بأمور الدنیا غیر اللّه تعالی، بل یکون مستعداً ومنتظراً لوصول وقت الصّلاه فیصلّیها لوقتها «وَأَتَمَّ رُکُوعَها وَسُجُودَها وَخُشُوعَها، ثُمَّ مَجَّدَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَظَّمَهُ، حَتّی یَدخُلَ وَقتُ صَلاهٍ أَخری لَمْ یَلغُ بَینهما...» أی لم یرتکب بین هاتین صلاتین عملًا باطلًا وکلاماً لغواً «کَتَبَ اللّهُ لَهُ کَأَجرِ الحَاجِ وَالمُعتَمر وَکَانَ مِنْ أَهلِ علّیّین»، وهذه هی النقطه محل بحثنا،

ص:۹۸

فالشخص الذی یراعی فی صلاته حضور القلب فإنّه ینال هذا المقام وهو مقام العلّیین فی الجنّه.

ونتابع هنا ذکر مراحل الحضور القلبی التفصیلی فی الصّلاه وتقدّم بیان ثلاث مراحل منه، یعنی أولاً ـ فهم معنی الألفاظ والکلمات، والثانی إدراک العقل وتصدیقه، والثالث التصدیق القلبی، أمّا المرتبه الرابعه فهی أن یصل الإنسان إلی مرحله الشهود القلبی ویشاهد الحقائق الغیبیّه لمعانی هذه کلمات، ومرتبه الکشف وشهود الحقائق تعنی أنّ الإنسان یری بعین قلبه وبصیرته وبالعین الملکوتیّه التی یحصل علیها بسبب هذه الصّلاه، وتنکشف له الحقائق التی آمن بها بقلبه، فیقول: «مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ»۱ ، کأنّه یری یوم القیامه ویشعر بقدره اللّه المطلقه فی واقعه ووجوده ویری تلک المشاهد فی یوم القیامه تتجسم أمام عینه، وعندما یذکر الآیات والأذکار والعبارات الأخری فهو یری حقائقها فی مرتبه الکشف والشهود، أی یری بالعیان جمیع هذه الحقائق الغیبیّه، وعندما یکبّر التکبیرات الافتتاحیّه للصّلاه فإنّه مع کلّ تکبیره تزول الحجب فیما بینه وبین اللّه ویشاهد جمال اللّه وجلاله.

ص:۹۹

۲۹- المرتبه الخامسه من الحضور التفصیلی: الفناء فی الحقّ تعالی

«هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْ ءٍ عَلِیمٌ» (۱)

تقدّمت فی البحوث السابقه الإشاره إلی مراتب حضور القلب فی الصّلاه، وقلنا بأنّ المصلّی یجب أن یحقّق فی نفسه التوجّه إلی هذه المراتب ویسعی لتحقیقها فی واقع ووجوده أثناء الصّلاه، وحینئذٍ تتحوّل صلاته إلی صلاه أخری ویشعر باللذّه والبهجه من هذه العباده، وهذه اللذّه من هذه الصّلاه التی یعیشها فیها حضور القلب والمراتب العالیه من هذا الحضور لا تقبل مقارنه مع أیّه لذّه أخری، الإنسان الذی یعیش الأمل بفضل اللّه والخشیه من غضبه وإهماله، ویدخل إلی هذا المیدان ینال رضا اللّه تعالی عنه، وقد وردت الإشاره فی الروایات الشریفه إلی هذه النقطه المهمّه وهی أنّ الإنسان المؤمن عندما یقف أمام اللّه تبارک وتعالی ویعیش هذا الإیمان به، فیجب أن یمتلک نورین، نور الرجاء ونور الخوف،

ص:۱۰۰

۱- (۱) سوره الحدید، الآیه ۳.

وعندما نريد الشروع فى الصّلاه ونستحضر هذه المراتب من حضور القلب فى هذه الصّلاه فالطريق لذلك يبدأ من الشعور بالأمل بفضل اللّه تعالى والخوف من عذابه والغفله من سخطه

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تَجْتَمِعُ الرَّغبَهُ وَالرَّهبَهُ فِى قَلبٍ إلّا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّهُ»(۱)، وأساساً فالشخص الذى يعيش الأمل برحمه اللّه ويقول: إلهى أقف بين يديك وأُريد التحدّث إليك فإننى أريد أن تأخذ بيدى وتفتح قلبى وتغرس كلماتك فيه، وأسألك أن تخلص فكرى لك فقط ولا تجعل للشياطين طريقاً إلى عقلى وقلبى، وأسألك أن تنقذنى منها، فلو عاش الإنسان فى حالات الأمل بفضل اللّه والخوف من إعراضه عنه بأن تكون صلاته صلاه استخفاف واستهانه ويعلم ما مقدار الخساره والضرر الذى يتحمّلها عندما يستخفّ بصلاته، فى هذه الحاله يشرع فى صلاته مع وجود حالتين الخوف والرجاء فى نفسه، فسوف يكون إنساناً ملكوتيّاً ومن أهل الجنّه.

وحتّى ورد فى بعض الروايات أنّ الإنسان يجب أن يخشى من صلاته فيما لو كان مستخفّاً باللّه فيها ويشعر بالخوف والوحشه أن يتحوّل وجهه إلى وجه حيوان، تقول الروايه: «لا تَجْتَمِعُ الرَّغبَهُ وَالرَّهبَهُ فِى قَلبٍ إلّا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّهُ، فإذا صَلَّيتَ فَأَقبِل بِقَلْبِكَ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، وبهذه الحاله تعلم ماذا يجرى فى قلبك عندما تقبل على اللّه ومدى توجّه وجودك إلى اللّه تبارك وتعالى، فماذا يعنى إقبال القلب؟ وماذا يعنى أن نفهم الكلمات والأذكار التى نقولها فى الصّلاه؟ لا ينبغى مجرّد لقلقه لسان، بل أن نفهم مفاهيم هذه الكلمات بالعقل الاستدلالى والبرهانى ثمّ نوصلها إلى قلوبنا، والمرتبه الرابعه أن نصل فى التوحيد الإلهى إلى مرتبه الشهود.

۱- (۱) . وسائل الشيعه، ج ۴، ص ۶۸۷.

المرتبه الخامسه عباره عن حضور القلب فى المعبود أو الفناء فى اللّه، وهـذه المرتبه تتكّون من ثلاث مراتب، ولكن بما أنّ هـذه المرتبه خاصّه بالنوادر من الأشخاص وأولياء اللّه المقرّبين، لـذلك نكتفى هنا بالإشاره إليها، فهـذه المرتبه هى أن يرى الإنسان اللّه تعالى حاضراً وناظراً فى كلّ مكان، ويرى كلّ شىء مظهراً لتجلى أسماء اللّه وصفاته، يرى فى كلّ شىء تجليات ذلك الوجود القادر المطلق الحكيم، لا أن يلتفت إلى هـذا المعنى فقط بأنّه يقف فى محضر اللّه، بل يراه حاضراً فى كلّ مكان ويرى أنّ كلّ فعل من أفعاله إنّما هو فعله تعالى، وكلّ شىء يراه مظهراً لصفات الجمال والجلال، ويعتقد أنّ كلّ موجود هو فى حقيقته الذات المقدّسه وكلّ شىء فانياً فيه ولا يوجد شيئاً آخر فى العالم سواه، ويصل إلى حقيقه والشهود الأوّل والآخر والظاهر والباطن، وهذا هو إقبال القلب فى مقام الثناء، هذه إشاره إجماليّه إلى مراتب حضور القلب فى الصّلاه، رزقنا اللّه وإيّاكم إن شاء اللّه.

ص:۱۰۲

۳۰- أسباب حضور القلب

إنّ أحد البحوث المهمّه جدّاً فی موضوع حضور القلب فی الصّلاه وبشكل عام فی مجموع العبادات، هو: ما هو العامل والعلّه لحضور القلب، وما هی الأمور المانعه من حضور القلب فی الصّلاه؟ بمعنی أننا یجب أن نعلم ما هی عوامل حضور القلب فی الصّلاه، والأمور التی تستدعی وتساهم فی حضور القلب وأن یجد الإنسان نفسه فی محضر الباری تعالی، ویقف فی ساحه قدسه، والأمور التی تمهّد القلب فی الدخول فی ضیافه اللّه والحدیث مع الذات المقدّسه، وإلی جانب ذلک ینبغی البحث عن موانع هذا الحضور القلبی فی الصّلاه؟

وتجری العاده أنّ علماءنا فی كتبهم المقرّره فی موضوع أسرار الصّلاه یهتمّون أكثر بهذا القسم من موانع حضور القلب فی الصّلاه، ولكن ینبغی أن نشیر إلی كلا هاتین المسألتین، وقد أورد الإمام الراحل رضوان اللّه علیه فی كتابه «أسرار الصّلاه» مسائل مهمّه جدّاً وحیویه فی هذا الموضوع كما سنشیر إلی ذلک إن شاء اللّه.

ص:۱۰۳

وبالنسبه لأسباب وعوامل حضور القلب فی الصّلاه فإنّ أوّل نقطه ذکرها المرحوم الشهید الثانی فی کتابه «أسرار الصّلاه» هی أنّ المؤمن یجب دوماً أن یلتفت إلی عظمه اللّه تبارک وتعالی وجلالته، فلو أنّ الإنسان أدرک من جهه عظمه اللّه تعالی وقدرته المطلقه ولا محدودیته، ومن جهه أخری أدرک ضعف غیر اللّه تعالی وعلم من موقع العمق أنّ کلّ سوی اللّه تعالی ضعیف وهزیل، والإنسان من بین جمیع الموجودات یعتبر أضعفها قدره وقوّه.

لو أنّ الإنسان أدرک واقعاً ضعفه والتفت إلی أنّ قدرته إلی درجه من الضعف بحیث إنّ بعوضه أحیاناً تستطیع أن تنهی حیاته، وفی مقابل ذلک یفکّر فی عظمه الباری تعالی، فهذا الأمر من شأنه أن یمهّد القلب لتشرق علیه الأنوار الإلهیّه ویکتسب الصفاء والنورانیّه فی باطنه، وحینئذٍ النقطه المهمّه أنّ الإنسان إذا التفت دائماً فی غیر الصّلاه لهذه الحقیقه وعاشها فی جمیع حالات حیاته، فی عمله وکسبه، فی حال التعلیم والتعلّم، وفی حال التدریس والتألیف، وعندما ینال مقاماً ومنصباً، فلو أنّه استغرق دوماً فی التوجّه لعظمه الباری تعالی وعظمته غیر المتناهیّه، فهذا من شأنه أن ییسر له التوجّه القلبی إلی هذه الحقیقه فی الصّلاه، وإلّا فإنّ الإنسان إذا لم یلتفت إلی هذه الحقیقه فی غیر الصّلاه فإنّ من الصعب جدّاً أن یلتفت إلیها ویعیشها بکلّ جهده فی حال الصّلاه.

وعلی هذا الأساس فإنّ أحد العوامل المهمّه جدّاً فی هذه المسأله أن یلتفت الإنسان إلی عظمه الباری تعالی وجلال قدره ومن ثَمَّ یلتفت إلی حاله الخوف من عذاب اللّه وبسبب هذا التوجّه تحصل له حاله الخوف من عذاب اللّه والأمل برحمته تعالی، فالإنسان عندما یصدّق ویؤمن یقیناً بعظمه اللّه وجلاله فسوف تحدث فی قلبه هاتین الحالتین من الخوف والرجاء، فیتصوّر أنّه إذا سخط اللّه علیه فماذا سیکون حاله؟

ص:۱۰۴

وإذا ترک اللّه تعالى هـذا العالم لحظه واحده فإنّ هذا العالم وما فيه سيتحوّل إلى رماد بل أقل من ذلک، ويلتفت إلى أنّ عذاب اللّه لا يقبل المقارنه مع عذاب الدنيا، ويلتفت أنّ هذا الإنسان الذى لا يستطيع تحمّل أدنى مرتبه من العذاب الدنيوى كيف يستطيع أن يتحمّل العذاب الأُخروى، ويلتفت أنّ اللّه تعالى لم يرتبط مع أحد من خلقه برابطه الإخوه والقرابه بل جميع المخلوقات هم عباده وأنّه تعالى يتعامل معهم بفضله وكرمه ولطفه ماداموا يستحقون مقام العبوديّه له، ولكن عندما يفقد العبد مقام العبوديّه ولا يكون جديراً بأن يكون عبداً للّه فإنّه يسقط فى وادى العذاب والسخط الإلهى، ولو أنّ الإنسان فى حال الصّلاه علم أنّه يقف أمام ذلک الموجود العظيم ويشعر بالخضوع والخشوع والخشيه فى قراره نفسه فإنّ مثل هذا التوجّه القلبى يتسبّب فى حضور قلبه فى الصّلاه.

إذن فمن جمله عومل حضور القلب فى الصّلاه: ۱. عظمه اللّه؛ ۲. الخوف من اللّه؛ ۳. الرجاء برحمه اللّه، والعامل الرابع: أن يعلم الإنسان أنّه مقصّر دائماً ويشعر بالندم بسبب تقصيراته فى مقابل الحقّ تعالى، ولو أنّ الإنسان عاش هذه الحاله فإنّه عندما يريد أن يقف للصّلاه بين يدى اللّه تعالى فإنّه يخاطب نفسه: كيف تأتى إلى اللّه وتريد الحديث معه وأنت فى هذه الحاله من التقصير، وأى شىء تريد تقديمه إلى اللّه تعالى وبأى قلب؟ هل تقف بين يدى اللّه بقلب ملىء بالذنوب والملوّث بالخطايا، القلب الملىء بوساوس الشيطان، القلب المفعم بآمال الدنيا وزخارفها؟ ولو أنّ الإنسان تقبّل تقصيراته واعترف بذنوبه وآثامه فإنّ هذه الحاله تعدّ من أفضل حالات الإنسان التى تمهّد له حضور القلب فى الصّلاه، ولذلک ذکر الشهيد الثانى قدس سره أنّ الإنسان لا ينبغى بعد الإيمان باللّه أن ينفصل من جميع هذه الحالات.

نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا جميعاً هذه الحالات المعنويّه ويوفّقنا أن نحقق فى أنفسنا وفى وجودنا هذه الحالات والصفات المعنويّه إن شاء اللّه.

ص:۱۰۵

۳۱- طریق التوجّه إلى عظمه البارى تعالى

ذكرنا أنّ أحد الأسباب المهمّه لحضور القلب أنّ الإنسان يلتفت فى حال الصّلاه إلى موقعه ووقوفه أمام الموجود العظيم الذى لا يقبل المقارنه بأى موجود آخر، وهذا التوجّه إلى قدره اللّه المطلقه إذا شعر به الإنسان المصلّى وعاش بكلّ وجوده مدركاً لهذه العظمه فإنّ حاله أثناء الصّلاه سيتحوّل إلى حال آخر، ولكنّ غالبيه الأشخاص الذين يصلّون بسرعه ولا يلتفتون إلى أفعالهم وأذكارهم وهيئه الصّلاه فإنّ السبب فى ذلك أنّهم لا يتوجّه إلى هذه الحقيقه ولا يدركون فى مقابل أى وجود عظيم يقفون، وقد ورد فى الروايات أنّ مثل هؤلاء الأشخاص ألا يخافون أن يقلب اللّه تعالى وجوههم إلى وجه حمار، وهذا بسبب أنّ الصوره الواقعيّه والملكوتيّه لهؤلاء الأشخاص هى أقرب لصوره الحيوانات التى لا تفهم هذه الحقائق، وعندما لا يلتفت الإنسان إلى عظمه اللّه ويعيش الغفله عن هذه العظمه فإنّ وجهه الحقيقى سيكون مثل وجه هذا الحيوان، فحتّى لو كان هذا الشخص بحسب الظاهر إنساناً فى حال الصّلاه ولكن وجهه وصورته الحقيقه

ص:۱۰۶

هی صوره هذا الحیوان، ومن هذا المنطلق یجب الالتفات إلی عظمه الباری تعالی.

ومن أجل أن نتوجّه إلی عظمه اللّه تعالی یجب مراعاه أمرین: أحدهما: أن نعلم بأنّ الأفکار المتفرقه والذهن المشتت فی الإنسان یبعد قلبه عن إدراک هذه الحقیقه، والثانی: ومن أجل أن تحصل للقلب حاله المناجاه مع اللّه، فالأشخاص الذین لا یلتفتون للّه تعالی ویعیشون حاله التشتت الفکری والذهنی فی صلاتهم، مثلاً لو کان هذا الشخص عالماً ولکن فکره مشغول بالمسائل العلمیّه أو طبیباً مشغول الذهن بأنواع الأدویه التی یوصی بها للمرضی، أو تحیط به أفکاره متناثره ولا یستقر ذهنه وفکره علی حال وبخاصّه فی أثناء الصّلاه، فإنّ الشیطان، کما ورد فی الروایه، یأتی إلی هذا المصلّی ویجعله یفکر خارج إطار الصّلاه والعباده من قبیل معاملاته الدنیویّه أو طریقه تعامله مع الآخرین، وأحیاناً یتذکّر الشخص فی صلاته بأنّ الشخص الفلانی لم یحترمه فی مجلس معین، ویفکّر فی کیفیّه الانتقام منه ویتحدّث فی ذهنه عن کیفیّه الردّ علیه، فجمیع هذه الأمور شیطانیّه، وفی الوقت الذی یقف الإنسان فیه للصّلاه، وعندما تتبادر إلی ذهنه مثل هذه الأمور، سواءً المسائل العلمیّه أو المسائل الدنیویّه فینبغی أن یتذکّر مباشره هذه الروایه فیقول إنّ هذا من عمل الشیطان فلا ینبغی أن أسمح له أن یدخل إلی ذهنی وتترسخ وساوسه فی نفسی ولا یسمع لهذه الأفکار المختلفه أن تحیط بنفسه ویشغله عن صلاته.

الأمر الثانی، أن یوجد المصلّی فی قلبه حاله من المناجاه والارتباط القلبی العمیق مع اللّه تعالی من موقع التضرّع والخشوع أمام عظمه الباری تعالی، لو أنّ الإنسان فی کلّ صلاه اعتقد بأنّ هذه الصّلاه هی آخر صلاه یقیمها وآخر عباده تصدر منه للّه تعالی، ویکون حاله حال الشخص المحکوم بالاعدام یطلب من

قاتله فرصه لأداء ركعتين من الصّلاه فكيف يكون حال هذه الصّلاه؟ إنّ هذا الشخص لا يفكّر إطلاقاً بأمور الدنيا والمال والأولاد والمقام وأمثال ذلك، بل يسعى أن يحصر فكره وذهنه فى التوجّه إلى البارى تعالى، ويعيش حضور القلب فى صلاته وعبادته، وهكذا ينبغى أن يكون الإنسان دوماً بأن يتصوّر أنّ هذه الصّلاه هى آخر صلاه يصلّيها للّه، وليس فقط آخر صلاه بل فى الركعه الأُولى يقول: ليس من المعلوم أن أوفق للاتيان بالركعه الثّانيه، فليس من المعلوم أن أوفّق للسجود فى هذه الركعه، فإذا كان حال الإنسان المصلّى كذلك فسوف يكون التفاته وتوجّهه إلى اللّه بشكل كامل ويستغرق فى عظمه اللّه ويعيش الحاله المعنويّه العاليه فى مناجاه اللّه والارتباط القلبى به والحديث معه ويقول: إلهى! إننى لم اصلّ لحدّ الآن عدّه ركعات من صلاتى مع حضور القلب، ولكننى الآن اريد أن اصلّى ركعتين على الأقلّ مع التوجّه التام إلى ساحه عظمته وقدسه، يتحدّث الغزالى فى كتابه «احياء علوم الدين» عن هذه المسأله وأنّ كبار العلماء كانوا يسعون دوماً إلى إقامه ركعتين من الصّلاه بحيث لا ينشغلون فى هاتين الركعتين بأمور الدنيا ولكنّهم عجزوا عن ذلك، وكذلك يقول الإمام الخمينى رضوان اللّه عليه فى إحدى محاضراته: أنا لا أستطيع القول إننى لحدّ الآن صلّيت ركعتين للّه تعالى، وهذا بسبب أنّ أداء ركعتين من الصّلاه بدون أى انشغال بفكر آخر غير اللّه تعالى من أوّل الصّلاه إلى آخرها صعب ومشكل، والغزالى قد صرّح بهذا المعنى وقال إنّ الأكابر والعرفاء كلّما سعوا إلى تحقيق مثل هذه الصّلاه عجزوا عنها.

إذا اعتقد الإنسان أنّ هذه الصّلاه التى يصلّيها هى آخر صلاه فى حياته وعلم أنّ هذه الصّلاه ستكتب فى صحيفه أعماله وأنّ هذه الصّلاه تعتبر مصيريّه بالنسبه إليه وإلى مستقبله فماذا سيكون حاله فى هذه الصلوات وربّما لا يرغب فى

اتمامها؟ وسوف يأتی بهذه الصّلاه من موقع العشق والعلاقه مع اللّه والرغبه فی الحديث معه بكلّ وجوده ولا يرغب فی أن ينهيها فيسلّم التسليم الأخرين لئلا ينتهی حال المناجاه مع اللّه، فلو أنّ الإنسان أدّی مثل هذه الصّلاه وحصلت له مثل هذه المناجاه بعيداً عن الأفكار المتفرقه والذهن المشتت، فمثل هذه الصّلاه من شأنها أن تخلق فی نفسه حاله جديده، وهذه الصّلاه التی يباهی بها اللّه تعالی الملائكه، ومن الممكن التعبير عن هذه الصّلاه بأنّ اللّه يلتذّ بها، نسأل اللّه تعالی أو يرزقنا وإيّاكم مثل هذه الصّلاه.

ص:١٠٩

۳۲- رفع الموانع الخارجيّه لحضور القلب

بعد الكلام عن أسباب وعوامل حضور القلب فإنّ أحد المسائل المهمّه الأخرى فى هذه المسأله، بحث موانع حضور القلب، ويستفاد من كلمات الإمام الراحل رضوان اللّه تعالى فى كتابه «أسرار الصّلاه»: إنّ الإنسان إذا استطاع رفع موانع حضور القلب فى صلاته فإنّ قلبه سيستعد تلقائياً إلى الحضور بين يدى اللّه تعالى، رغم أننا ذكرنا أنّ هذا الكلام يستبطن مسألتين منفصلتين، وثمّه أسباب وعوامل لحضور القلب وكذلك ثمّه موانع لحضور القلب وهى مسأله أخرى.

وعندما نطالع كلمات الأكابر كالمرحوم الشهيد الثانى قدس سره فى كتابه «التنبيهات العليّه»، الذى يتحدث فيها عن الأسرار والوظائف القلبيّه للمصلّى، يتحدّث فيها عن موانع حضور القلب ويقسمها إلى موانع خارجيّه وموانع داخليه ويقول ما معناه: أحياناً يكون بعض الأمور الخارجه عن ذات الإنسان مانعه من حضور القلب، وأحياناً أخرى أنّ الأفكار الداخليّه والقلبيّه - وحسب تعبيره - أنّ الخواطر القلبيّه الوارده مانعه من حضور القلب، وهذه الموانع الداخليّه والخواطر

القلبيّه تكون أشدّ من الأمور الخارجيّه عن ذات الإنسان»(۱).

والنسبه إلى إلى الأمور الخارجيه فالأمر واضح جدّاً، فالمصلّى يجب أن يقف فى مكان لا توجد مثل هذه الأمور التى تشغل ذهنه وتمنعه من التوجّه فى صلاته، مثلاً إذا كان فى مكان يجلس فيه بعض الأشخاص ويتحدّثون فإنّه إذا قام للصّلاه فى هذا المجلس فسوف يستمع إلى كلامهم وبالتالى ينشغل فكره بهذه الكلمات والمناقشات، والقليل جدّاً من الأشخاص الذين يصلّون فى مثل هذا المكان ويملكون السيطره على نفوسهم وآذانهم بأن لا يسمعوا شيئاً من كلمات الآخرين أثناء الصّلاه، ولكن نوع البشر ليس كذلك، فعندما يصلّى أحدهم فى مكان ملىء بالأصوات أو لا سمح اللّه تسمع فيه أصوات الموسيقى، فإنّه لا يمكنه السيطره على ذهنه ونفسه من التشتت والانشغال بها.

ومن الجدير بالذكر أنّ الناس فى هذا الزمان، وخاصّه المصلّين منهم يجب عليهم مراقبه أنفسهم وأن لا يصلّوا فى غرفه تسمع فيها صوت الموسيقى، فهذا من شأنه أن يكون مانعاً من حضور القلب فى الصّلاه ولا ينبغى أن يقال إنّ صوت الموسيقى موجود ولكننى لا استمع له ولا ارتكب حراماً بسبب ذلك، إنّ الاستماع إلى الموسيقى حرام ولكن سماعها ليس بحرام، ولذلك فأنا اصلّى وأنشغل بصلاتى عن سماع الموسيقى، نعم، من الممكن تصحيح مثل هذه الصّلاه ببعض التبريرات، ولكن مثل هذه الصّلاه سوف لا تكون مقترنه بحضور القلب.

وهذا ما يقوله الشهيد الثانى قدس سره فى هذا الكتاب، وفى المكان المزدحم والذى يوجد فيه بعض الأشخاص الذين يتحدّثون فيما بينهم لا ـ ينبغى للإنسان أن يصلّى فى مثل هذا المكان، ولا فى المكان الذى يحتوى على مناظر متعدده ولوحات فنيّه من الرسوم والمناظر، ولا الأشياء التى تشغل فكر الإنسان وتجعله يتنقل من

۱- (۱) انظر: التنبيهات العليّه، ص ۸۶.

هذا إلی ذلک، وبالتالی فإنّ هذه المناظر والأصوات والأشیاء المتنوعه تسرق فکر الإنسان وتشوش ذهنه فلا ینبغی الصّلاه فی مثل هذه الأماکن.

فلو أنّه کان جالساً فی مکان وتوجد أمامه مناظر تلفت نظره إلیها وتقلل من انتباهه إلی العباده فی حال الصّلاه فیقول الشهید الثانی: یجب علی المصلّی أن یغمض عینه حتی لا یری هذه الأمور، وأحیاناً یتسبّب کتاب فی انشغال ذهن الإنسان به، فیوصی الشهید الثانی أن یصلّی هذا الشخص فی مکان مظلم، ویبعد کلّما من شأنه أن یشغل فکره وحواسه من أمامه، بل إنّه یقول: ینبغی للمصلّی أن یقف إلی جانب الجدار لکی تکون رؤیته محدوده ومجال الرؤیه ضیق فتقلّ اشتغالاته الفکریّه والذهنیّه ولا یصلّی علی فرش مزینه ومنقوشه.

لماذا تکره الصّلاه علی مثل هذا السجاد المنقوش؟

أحد الحِکم فی ذلک هی أنّها تمنع ذهن الإنسان من التوجّه الخالص للباری تعالی، فعندما یقع نظر الإنسان علی هذه النقوش والزخارف فسوف ینشغل ذهنه بها وبجمالها وبالصانع لها وتاریخ صناعتها، وقیمتها، وهذه هی الأمور التی تهدم صلاته وتزیل حضور قلبه فی الصّلاه، ویقول الشهید الثانی قدس سره أیضاً: «کان المتعبّدون یتعبّدون فی بیت صغیر مظلم، سعته بقدر ما یمکن الصّلاه فیه لیکون ذلک أجمع للهمّ»(1)، وهکذا ینحصر ذهنهم وفکرهم فی صلاتهم نحو الباری تعالی وبعیداً عن هذه المثیرات والمؤثرات.

وینقل الإمام الراحل رضوان اللّه علیه هذا الکلام للشهید الثانی قدس سره ثمّ یقول:

عندما یتحدّث الشهید الثانی بهذا الکلام، وأنّ من الأفضل أن یصلّی الشخص فی بیت مظلم وفی مکان بمقدار ما یمکن للصّلاه، فهذا یتعلّق بغیر الصلوات الیومیّه الواجبه، لأنّ ورد فی روایات عدیده أنّ إقامه الصّلاه الیومیّه فی جماعه

۱- (۱) . التنبیهات العلیّه، ص ۸۵.

المسلمين من السنن المؤكّده، وقال: إذا أدّى الإنسان هذه الوظيفه وعرف أسرار صلاه الجماعه فإنّه يمرغ أنف الشيطان بالتراب بحيث لا تستطيع أى عباده أخرى أن تفعل هذا الفعل.

وقد ورد فى بعض الروايات أنّ الشيطان يشعر باليأس من الأشخاص الذين يقيمون الصّلاه مع الجماعه، وقال أيضاً: إنّ اجتماع المؤمنين رحمه ويد اللّه مع القلوب المجتمعه، وتتوفر فى اجتماع المؤمنين فوائد روحيّه ومعنويّه قلّما تتوفّر فى عمل آخر.

وعلى هذا الأساس فإنّ أحد الأمور التى يجب على المصلّى مراعاتها هو أن يقف للصّلاه فى مكان لا توجد فيه مناظر وأمور تشغل ذهنه عن التوجّه فى صلاته إلى اللّه، ومن هذه الجهه يكره وضع صوره فى المسجد حتّى لو كانت خلف المصلّى لأنّ ذلك من شأنه أن يلفت نظر الإنسان بهذا المقدار إلى ما هو موجود فى تلك الصوره فيشغل ذهنه بها، فالتواجد فى ذلك المكان يؤثر مثل هذا الأثر، ولذا يجب على الإنسان أن يهيىء مكان صلاته والسجاده التى يصلّى عليها بحيث لا ينشغل ذهنه بغير الصّلاه وهذه نقطه مهمّه جدّاً ذكرها المرحوم الشهيد الثانى قدس سره بعنوان الخواطر والأمور الخارجيه.

ص:١١٣

۳۳- رفع الموانع الخارجيّه لحضور القلب

بالنسبه للموانع الخارجيّه المؤثره على حضور القلب فى الصّلاه وصلنا إلى هذه النتيجه، وهى أنّ المصلّى يجب أن يصلّى فى مكان بعيد عمّا يشغل ذهنه وفكره ويبتعد تماماً عن الأمور المرئيه والمسموعه، وأحد المندوبات فى الصّلاه التى ذكرها فقهاؤنا، هو أنّ المصلّى ينبغى أن يكون نظره متوجّهاً إلى محل سجوده وإلى التربه التى يسجد عليها، ويلتفت إلى أنّ اللّه تعالى أمر أن يضع أفضل قسم من وجهه - وهو الجبهه - على شىء لا قيمه له فى العالم وهو التراب، وهذا يتسبّب بأنّ الإنسان يدرك أكثر عدم قيمته فى مقابل عظمه البارى تعالى، وبالتالى فإنّ حاله العبوديّه تتوكّد وتترسخ فى قلبه ونفسه.

والنقطه الجديره بالذكر هنا، أنّه مع وجود هذا الاستحباب نرى أنّ المرحوم الشهيد الثانى يقول فى كتابه «التبيهات العليّه» ص ۸۵: إذا انشغل المصلّى مع هذا النظر إلى التراب بأمور أخرى ولم يتوجّه قلبه فى الصّلاه، فلا ينبغى له النظر إلى ذلك التراب أيضاً، ولو رأى أنّه مع بقاء عينه مفتوحه فسوف يبطل حضور القلب

ص:۱۱۴

فینبغی إغماض عینه، وهذه النقطه مهمّه جدّاً، وأنّ أمراً مستحباً مثل النظر إلی محلّ السجود إذا أدّی إلی فقدان المصلّی لحضور القلب فی صلاته وانتقل ذهنه إلی أمور أخری فمن الأفضل له اغماض عینه «لأن الفائت من وظیفه الصّلاه وصفتها بتقسیم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظیفه النظر»، فالمهم فی الصّلاه حضور القلب، ولو أنّ المصلّی فقد هذا الحضور القلبی بنظره إلی محلّ السجود فینبغی إغماض عینه لأنّ حفظ حضور القلب أولی، وطبعاً فالمرحوم الفیض الکاشانی یذکر هامش لطیف فی کتابه «المحجه البیضاء» علی هذا الکلام للمرحوم الشهید الثانی، وفی بعض الموارد نراه یقبل هذا الکلام للشهید الثانی وفی موارد أخری لا یقبله[1] ، وعلی هذا الأساس فالجدیر بالإمکان التحقیق بالمکان أو المنزل أو المسجد الذی یصلّی فیه بماء یحفظ له حضور قلبه، کما أنّه إذا علم أنّه لو صلّیت فی المسجد وإلی جانبه أحد الأصدقاء الذی تربطه رابطه حمیمه وقد یتسبّب فی تشویش ذهنه وتذکر بعض الذکریات السابقه، فعلیه أن یسعی للابتعاد عنه أثناء الصّلاه ویصلّی فی مکان آخر، وعلی أیه حال یجب علینا أن نسعی لمعرفه الموانع الخارجیّه لحضور القلب ولا نسمح لها بأن نخسر بسببها حضور القلب فی الصّلاه.

ص:115

1- (1) . یمکن أن یقال: «إنّ الغض وهو من خشوع الجوارح المأمور به، یعنی عن الغمض فلا حاجه إلی ترک السند من وظیفه النظر». (محجّه البیضاء، ج 1، ص 373).

۳۴- حبّ الدنیا، أساس الخواطر القلبیّه والأفکار المتناثره

المهم فی مسأله موانع حضور القلب عباره عن الخواطر والمشاغل القلبیّه، یعنی الافکار المتناثره التی تشغل فکر الإنسان وذهنه مع غضّ النظر عن الأمور الخارجیّه، فحتّی عندما یغمض الإنسان عینه ولا یسمع شیئاً یثیر التشویش فی ذهنه أو لا یوجد أحد أو شیء فی مکان صلاته، فإنّ هذا المصلّی ربّما یتحدّث مع نفسه وتحیط بقلبه الأمور والأفکار ما یشغله عن صلاته ویمنع من حضور قلبه فی الصّلاه، یقول الإمام الخمینی رضوان اللّه علیه وکذلک المرحوم الشهید الثانی وبعض الأکابر أنّ السبب الحصری أو العلّه الرئیسیّه فی هذه الخواطر القلبیّه، هو العلاقه بالدنیا وشدّه الحبّ لها والاهتمام بها وکلمه واحده: الأشخاص الذین یفتقدون لحضور القلب فی صلاتهم، فالسبب الأصلی لذلک هو حبّ الدنیا وتعلّق القلب بها، فأنتم ترون الذین یتحرّکون فی حیاتهم طلباً للمال والثروه، فهؤلاء یفکّرون فی صلاتهم بهذه المسائل وفی العثور علی الطرق والوسائل لتحقیق مزید من الربح فی معاملاتهم، والشخص الذی یتمتع بمنصب وبمکانه فی

السلطه فإنّ فكره مشغول دائماً التعرّف على مخالفيه والتفكير فى كيفيّه ازاحتهم من طريقه، فحبّ الدنيا والتعلّق بها يتسبّب فى أن ينصرف قلب الإنسان عن اللّه ويتوجّه إلى أمور أخرى.

وهناك نقطه أشار إليها الإمام رضوان اللّه عليه(۱) فى كلماته وهى: إذا كانت همّه الإنسان محصوره لتحصيل الدنيا فإنّ قلبه يميل نحو الدنيا وينشغل بها فقط إلى درجه أنّه لو انصرف عن فرع من الأمور الدنيويّه فإنّه سيتوجّه إلى فرع آخر وينشغل بالتفكير ببعض آخر منها، فلو أنّه انصرف عن التفكير فى المال فسوف يفكّر بالأولاد، وإذا انصرف بالتفكير بالأولاد فسوف يفكّر فى السلطه، ولو انصرف عن التفكير بالسلطه فسوف يتوجّه بالتفكير فى الشهوه، وهكذا ينتقل من الشهوه إلى شىء آخر، ففكره ينتقل دوماً من غصن إلى غصن آخر، ويقول رحمه اللّه: إذا ترسخت شجره الآمال الدنيويّه وحبّ الدنيا فى قلب الإنسان فسوف يكون قلبه كالعصفور الذى ينتقل من غصن إلى غصن آخر.

ثمّ ذكر الإمام الراحل قدس سره أربع نقاط بوصفها طريق للحلّ وقال: إنّه مع رعايه هذه النقاط يستطيع الإنسان أن يقلع شجره حبّ الدنيا من قلبه ويلقيها بعيداً، وإذا أراد الإنسان أن يعيش بقلب مطمئن ليحظى بنيل الكمالات النفسانيّه يجب عليه أن يحقق فى نفسه هذه النقاط الأربع: فأولها مرحله الرياضات والمشاهدات، فيتمرّن على عدم الاعتناء والاهتمام بالدنيا ويسعى لقطع علاقته القلبيّه بها، فلو أراد شخص اختبار نفسه ومقدار علاقته بالدنيا فيجب أن ينظر أنّه لو قيل له أنّك الآن يجب أن تغادر الدنيا الآن، فهل سوف يتحسر فى هذا الوقت على ما بيده من أمور الدنيا من مال ومقام وأولاد أم لا؟ وهل يستطيع أن يقطع قلبه عنها أم لا؟ وهل أنّه مستعد فى كلّ لحظه أن يسمع هذا الخبر أم لا؟ وهذه المرحله من

۱- (۱) . سرّ الصّلاه (معراج السالكين، ص ۳۰.

الرياضه مرحله مهمّه جدّاً فيجب على الإنسان أن يمارس هذه الرياضه ويجاهد نفسه ليقلع حب الدنيا من قلبه.

المرحله الثّانيه، التفكّر بعواقب ومعايب حبّ الدنيا، ويفكّر فى عاقبه الأشخاص الغارقون فى حبّ الدنيا ويدرس حالاتهم وحياتهم وإلى أين وصلوا وما هى عاقبه كلّ هؤلاء الملوك وسلاطين الجور والحكّام الظلمه، والأشخاص الذين يتجاوزوا على حقوق الآخرين إلى أين وصلوا؟ إنّهم لم يتركوا فى التاريخ سوى الخزى والعار لهم ولم تبق لهم فى أذهان المؤمنين سوى اللعنه عليهم، وهكذا يفكّر الإنسان فى عاقبه هؤلاء الأشخاص العاشقين للدنيا ولزخارفها.

الثّالثه، التدبّر بالآيات والروايات الشريفه الوارده فيما يتّصل بذمّ الدنيا وحبّ الدنيا، كما سنشير إليها لاحقاً.

الرابعه، التدبّر فى حالات أولياء اللّه، ولو أنّ الإنسان فكّر والتفت إلى هذه النقاط الأربع فإنّ شجره حبّ الدنيا ستنقلع من قلبه ووجوده، ولكن مادامت هذه الشجره مترسخه فى باطنه فحاله حال الشخص الذى يجلس أسفل شجره مليئه بالعصافير ومشغول بقراءه كتاب، وبين فتره أخرى يضرب عصاه على غصن من أغصانها لتطير منه العصافير ثمّ يعود للقراءه، ولكن العصافير ستعود مرّه ثانيه إلى الشجره، ويقال لهذا الشخص: «إِذا أَردْتَ الخَلاصَ فَاقلَع الشّجَرَه»، وإلّا فإنّك مهما حركه أغصان الشجره وأبعدت العصافير عنها فإنّها سرعان ما تعود إليها، ولو أنّ الإنسان أراد أن يتخلص من التشويش الذهنى والانشغال القلبى فيجب عليه قلع شجره حبّ الدنيا من قلبه، نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا جميعاً هذا التوفيق لازاحه حبّ الدنيا من قلوبنا إن شاء اللّه.

۳۵– حبّ الدنیا أکبر مانع لحضور القلب

حسب تصریح العلماء الکبار أمثال الشهید الثانی والإمام الخمینی رضوان اللّه علیهما، فما یوجب عدم حضور القلب فی صلاه الشخص بل فی جمیع العبادات هو حبّ الدنیا، وهذه المسأله یجب علی المصلّی الاهتمام بها کثیراً، وعلی حدّ تعبیر الإمام الراحل رضوان اللّه علیه فإنّه کلما کان مقدار حبّ الدنیا فی قلب الإنسان أکثر فإنّ حضور قلبه فی الصّلاه سیکون أقلّ، وکلّما کان مقدار حبّ الدنیا أقلّ فإنّ حضور قلبه فی الصّلاه سیکون أکثر.

وروی الدیلمی فی «إرشاد القلوب» روایه عن أمیرالمؤمنین علیه السلام یقول: «إنَّ رسول اللّه قال: «قَالَ اللّهُ تَبارَکَ وَتَعالَی یا أَحمَدُ لَو صَلّی العَبْدُ صَلاهَ أَهِلِ السَّماءِ وَالأَرضِ وَیَصُومُ صِیامَ أَهلِ السَّماءِ وَالأَرضِ ویَطوی عَنِ الطَّعامِ مِثْلَ المَلائِکَهِ وَلَبِسَ لِباسَ العَابِدِینَ»، (أی یصوم ویصلّی مثل أهل السماء والأرض معلوم أنّ سکان السماوات أکثر بکثیر من سکان الأرض، وهذه مسأله فرضیّه یعنی أنّ مقدار الثواب إلی درجه من الکثره بحیث إنّها بقدر صلاه أهل السماء والأرض)

ص:۱۱۹

«ثُمَّ أَرى فِی قَلْبِهِ مَنْ حُبِّ الـدُّنیا ذَرَهً أَو سُـمعَتِهَا أَو رِئاسَـتَها أَو صِـیتِهَا أَو زِینَتِهـا لا ـ یُجـاورُنی فِی دَارِی وَلأَـنزِعَنَّ مِنْ قَلْبِهِ مَحَبَّتِی وَلأَظلِمَنَّ قَلْبَهُ حَتّی یَنسَانِی ولا أُذِیقُهُ حَلاوَهَ مَحَبَّتِی»(۱).

وهکذا ترون مقدار الآثار الوخیمه والعواقب السیّئه لحبّ الدنیا بحیث إنّ اللّه تعالی رتّب علیها هذا المقدار من العقوبه الشدیده، وأساساً ورد فی کتبنا الروائیه، کما ذکر بعض العلماء والمحدّثین مثل المرحوم الشیخ الحرّ العاملی فی کتابه «وسائل الشیعه»، باباً تحت عنوان: بـاب وجوب اجتنـاب الـدنیا وحرمه محبّتها، وذکر فی هـذا الباب روایات کثیره، فحبّ الـدنیا إذا دخل قلب الإنسان فـإنّه لا ـ یزوق حلاـوه عباده اللّه، ولا یـذوق طعم الارتباط القریب مع اللّه ولا یسـمح له بحضور قلبه فی الصّـلاه، الشـخص الـذی یستطیع أن یعیش حضور القلب فی الصّلاه هو مَن انغرس حبّ اللّه فی قلبه فکان یشعر بالعشق للّه فی أعماق وجوده وحیاته.

ویـذکر الإمام الخمینی رضوان اللّه علیه فی هـذا الموضوع نقاط أخری مهمّه جدّاً فیما یتّصل بالتوجّه وحضور القلب، ویقول: إنّ حبّ الـدنیا بمثـابه أشواک طریق الوصول إلی الکمالاـت الإلـهیّه ومراتب المعنویّه، ومن شـأنه أن یترک قلب الإنسان عن التوجّه إلی محضر الباری تعالی وبذلک یحرم من لذّه مناجاته.

إذا أردنا أن نعیش حضور القلب فی صلاتنا یجب علینا تطهیر قلوبنا من حبّ الدنیا والابتعاد عنها، وعندما یتحسر الإنسان لماذا لا یملک داراً واسعه ولماذا لا یملک ثروه کبیره، ولماذا لیس له مقام وسلطه وأمثال ذلک؟ فإنّه کلّ ذلک یشیر إلی حبّ الدنیا فی قلبه وبیده وهو یمانع من حضور القلب فی الصّـلاه، وإذا أردنا أن تکون صلاتنا زاخره بالعشق ومفعمه بلذه المناجاه مع اللّه یجب علینا التقلیل من حبّ الدنیا فی قلوبنا، ونسأل اللّه تعالی أن یوفّقنا لهذا الأمر المهمّ، إن شاء اللّه.

۱- (۱) مستدرک الوسائل، ج ۱۲، ص ۳۶.

۳۶- الدُّنیا المذمومه

«الدُّنیا دُنیاءَانِ: دُنیَا بَلاغٍ وَدُنیَا مَلعُونَهٍ»[(۱)]

تحدّثنا فیما سبق أن حبّ الدنیا بحیث یکون همّ الإنسان وغمه الوصول إلی الدنیا وزخارفها وتحصیل الرغبات والمیول الدنیویّه فی هذه الحیاه یشکل أهم مانع لحضور القلب فی الصّلاه، ومن هذه الجهه إذا کنّا نرید حضور القلب فی الصّلاه لابدّ من اجتناب حبّ الدنیا والابتعاد عنها، ومن اللازم الالتفات إلی هذه النقطه، وهی أنّ المقصود من حبّ الدنیا لیس هو الکسب والعمل وتحصیل المعاش والرزق الحلال وتهیئه الأمور المعیشیه فی حدود حاجه الإنسان وشأنیته، والمقصود من حبّ الدنیا لا یعنی الأشخاص الذین یملکون الثروه الکبیره، فهذا لا یدلّ علی وجود حبّ الدنیا فی قلوبهم، وبالعکس الأشخاص الفقراء لا یدلّ ذلک علی أنّهم بعیدین عن حبّ الدنیا، بل یعنی إنّ التعلّق والارتباط الوثیق فی شؤون الدنیا والاهتمام بها علی حساب الأمور المعنویّه والاُخرویّه،

ص:۱۲۱

۱- (۱) الکافی، ج ۲، ص ۱۳۱.

ومن هنا يُعلم حال الإنسان ومدى ارتباطه بالدنيا، فلو أنّ الإنسان فَقَد شيئاً من أمور الدنيا وجلس يتحسر عليه، أو فَقَد مقاماً ومنصباً أو خسر مالاً وجلس يتحسّر عليه ويحسب أنّه فقد كلّ شيء فإنّ مثل هذا الشخص خاضع للمقام والمال، ولكن إذا قال إنّ اللّه تعالى وهب لى ذلك المال أو المقام سابقاً والآن أخذه منّى وأشكر اللّه على ذلك، ولو أنّ اللّه أراد أن يعيده علىَّ أو يهب لى ما هو أفضل منه فهو قادر على ذلك، فهذا الشخص الذى يملك مثل هذه الروحيّه، التى تحكى عن عدم تعلّقه وارتباطه بأمور الدنيا، لا يكون من مصاديق المحبّ للدنيا.

يقول سماحه الإمام الراحل رضوان اللّه عليه فى كتابه: «أسرار الصّلاه»: إنّ الدنيا الذميمه هى العلاقه والحبّ والتوجّه لها، وإلّا فإنّ أصل عالم الملك من جهه «نرجو الدقّه فى هذا التعبير» هو مظهر من مظاهر الحقّ تعالى، فالإنسان فى عالم الدنيا يرى تجليّات البارى تبارك وتعالى، فكلّ شىء تراه فى عالم الطبيعه يعكس قدره جماله وتجليّاته، يعنى أنّ الدنيا زاخره بآثار عظمه اللّه تعالى وتجلياته وكلّ شىء يشير إلى وجوده ويشهد على وحدانيّته، وكلّ شىء فى عالم الوجود يعكس شهاده الوحدانيّه والتوحيد.

ومن جهه أخرى فإنّ عالم الدنيا، مهد تربيه أولياء والعرفاء والعالمين باللّه، لأنّ الشخص عندما يكون عارفاً باللّه فإنّه فى هذه الدنيا يكون عارفاً، والشخص الذى أدّب نفسه وسلك الطريق إلى اللّه تعالى فإنّه تحرّك فى هذا الطريق المعنوى فى هذه الدنيا ولا مكان آخر يمكن تصوّره لهذا السلوك المعنوى، ولذلك نقول إنّ الدنيا مزرعه الآخره ويقول الإمام قدس سره: إنّ عالم الملك من أعزّ المشاهد والمنازل عند أولياء وأهل المعرفه، ثمّ يقول كلاماً: وربّما لا يكون لدى الشخص شيئاً من مال الدنيا، فلا يملك سياره ولا داراً، ولا ثروه، ولا قدره ومنصب ولكن قلبّه مملوء من حبّ الدنيا والتعلّق بها، وهذا هو السبب فى أنّه يعيش الغفله عن اللّه ويكون كافراً باللّه.

ص:۱۲۲

ولكن من جهه أخرى فربّما يملك الشخص ثروه وسلطه وجاه ومال كثير، ولكنّ قلبه غير متعلّق بهذه الأمور كما فى النّبى سليمان بن داود عليهما السلام، فقد كان رجلاً إلهيّاً ونبيّاً من أنبياء اللّه، فالنتيجه أنّ ذلك الشخص الذى يملك ثروه كبيره فهذا لا يعنى أنّه يعيش حبّ الدنيا وأنّ ذلك الفقير زاهد فيها ولا يعيش حبّ الدنيا، كلا فحبّ الدنيا لا يرتبط بما يملكه الإنسان وما لا يملك، بل يرتبط بذلك التعلّق القلبى للإنسان، بأى شىء دنيوى وبأى مقدار يشعر بالحزن والحسره على فراقه، فالشخص الذى يشعر بالطمأنينه فى قلبه لا يختلف حاله إذا ملك ثروه كبيره أو لم يملك، فكلّ شىء يراه من اللّه تعالى، فمثل هذا الشخص لا يعيش حبّ الدنيا والتعلّق بها فى قلبه.

وجاء فى كلام آخر للإمام الراحل قدس سره فيما يتّصل بهذا الموضوع أنّ بعض الأشخاص ربّما يعملون على تقسيم رغباتهم وميولهم فيجعلون قسماً منها للعباده ويملكون حضور القلب فى الصّلاه، وفى ذات الوقت يبذلون مساعى كثيره لجمع الأموال والثروه ولكنّهم لا يرتبطون بها فى قلوبهم، ولعلّ هؤلاء ينالون سعاده الدنيا والآخره، وعلى هذا الأساس ينبغى الالتفات إلى أنّ المراد من حبّ الدنيا المذمومه كما ورده فى الروايات من الدنيا الملعونه هو التعلّق بالدنيا والارتباط بالأمور الماديه والدنيويّه التى وهبنا اللّه إيّاها فى هذه الحياه، فلو أننا سعينا لاجتناب حبّ الدنيا وتطهير قلوبنا منه فعندما نستطيع تحقيق حضور القلب فى الصّلاه.

۳۷- أصل جميع الفتن وعدم التوجّه إلى اللّه فى الصّلاه حبّ الدنيا

«يا مُوسى لاتَرکَنَّ إِلى الدُّنیا رُکُونَ الظّالِمِینَ وَرُکُونَ مَنْ اتَّخَذَها أَبَاً وَأُمّاً»(۱)

يتحدّث الشهيد الثانى رضوان اللّه تعالى عليه فى كتابه «التنبيهات العليّه»(۲) ، عن هذه المسأله وأنّ الشخص الذى يهتمّ لتحصيل الدنيا ويعيش حبّ الدنيا فى قلبه ليس من أجل أن تكون الدنيا مقدّمه لآخرته، فمثل هذا الشخص لا ينبغى أن يتوقّع الحصول على لذّه المناجاه مع اللّه تعالى «مَنْ فَرَحَ بِالدُّنیا فَلا یَفرَحُ بِاللّهِ وَبِمُناجَاتِه»، فمثل هذا الشخص إذا حصل على مال ومقام ومنصب أو سلطه فيشعر بالفرح الكبير لهذه الأمور ولذلك فإنّه لا يشعر بالفرح والبهجه من ذكر اللّه ومناجاته وعباداته، ولو أنّ الإنسان المصلّى أحس بعد صلاته بالنشاط والفرح يغمر وجوده فليعلم أنّ صلاته كانت مع حضور القلب، ومن لم يشعر بمثل هذا

۱- (۱) الكافى، ج ۲، ص ۱۳۵.

۲- (۲) . التنبيهات العليّه، ص ۸۸.

الإحساس بل كان يشعر بأنّ صلاته أمر مفروض عليه وتكليف يؤدّيه بصعوبه، فمثل هذا الشخص قد ملأ حبّ الدنيا قلبه وأحاطت بالدنيا بقلبه وإن كان لا يعلم بذلك، الشخص الذى تكون الدنيا قرّه عينه ومصدر فرحه وهمّه وغمّه لا يمكن أن تكون الصّلاه قرّه عينه ولا أن تكون المناجاه مع اللّه باعثاً لفرحه وبهجته.

وعلى هذا الأساس وبحسب ما ورد فى ثقافتنا الديتيّه نعتقد بأنّ الشخص الذى يتحرّك نحو تحصيل المال والثروه يستطيع أن يجعل هذا المال مقدّمه لنيل التقوى والزاد للآخره، ونقرأ فى روايه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «نِعَمَ العَونُ عَلَى تَقوى اللّه الغِنى»(۱)، فقد يساعد المال والثروه صاحبه لنيل تقوى اللّه تعالى، وتحصيل المزيد من المثوبات كالإنفاق فى سبيل اللّه والاهتمام بمدّ يد العون للمستضعفين والمساكين ولكن إذا كان هدف الإنسان من تحصيل المال ليس طلب الآخره ولا يجعله مادّه لنيل الثواب، فلا يتوقع على أن يحصل على حضور القلب فى الصّلاه.

ومن أجل توضيح مسأله حبّ الدنيا أكثر والاهتمام بهذه المسأله المهمّه جدّاً ينقل المرحوم الكلينى فى المجلد الثانى من أصول الكافى باب ذم الدنيا والزهد فيها روايات كثيره، يقول فى إحداها: كلّم اللّه تعالى نبيّه موسى وقال: «يا مُوسى لا تَركَنَّ إلى الدُّنيا رُكُونَ الظَّالِمِينَ وَرُكُونَ مَنْ اتَّخَذَها أَبَاً وَأُمّاً»، أى لا ينبغى للإنسان أن يرتبط بالدنيا بشكل وثيق بحيث يغفل عن وجود الجنّه والنار والآخره وكأنّ كلّ شىء هذا العالم محصور فى هذه الحياه الدنيا، فالحاكم الظالم الذى يقتل ويسفك دماء الأبرياء، لأنّه يتصوّر أنّ الحياه كلّها منحصره بهذه الدنيا وكلّ شىء يتعلّق بهذه الحياه، ومن هذه الجهه يسعى ليكون أكثر قدره ومقاماً من الآخرين، فيقول البارى تعالى لنبيّه موسى «لا تَركَنَّ إلى الدُّنيا»، فلا تكون مثل

۱- (۱) . الكافى، ج ۵، ص ۷۱.

هؤلاء الظالمين الذين التصقوا بالدنيا كأنّها أباهم وأُمّهم، وجعلوها مورداً لمحبّتهم وتعلّقهم، ثمّ يقول فى آخر الروايه إنّ اللّه تعالى: «واعلَم أَنَّ كُلَّ فِتنَهٍ يَبدؤها حُبُّ الدُّنيا»، وكلّ شرّ وبلاء ومصيبه يمتد بجذوره إلى حبّ الدنيا، فأنواع الحروب والنزاعات العائليّه والاختلافات القوميّه وحتّى الخلافات السياسيّه تمتد بجذورها إلى حبّ الدنيا وحبّ السلطه والمقام.

وقال: «وَلا تَغبِط أَحَداً بِكثَرهِ المَالِ»، أو لا تتحسر على كثره المال لدى الآخرين «فَإِنَّ مَعَ كَثرَهِ المَالِ تَكثُرُ الذُّنُوبُ»، فكلّما ازدادت ثروه الإنسان ولم يؤدّ ما عليه من الحقوق والواجبات فإنّه ستزداد ذنوبه وآثامه.

وعلى هذا الأساس ينبغى الالتفات إلى أنّ الروايه عندما تقول إنّ أصل كلّ فتنه حبّ الدنيا وأنّ أصل عدم التوجّه إلى اللّه هو حبّ الدنيا والتعلّق بها، وعليه فمن أجل تحصيل حضور القلب فى الصّلاه يجب تطهير قلوبنا وتنقيه أنفسنا من حبّ الدنيا، وليعلم الإنسان أنّ الشيطان عدوّه ويستطيع التغلب عليه بواسطه حبّ الدنيا وبذلك يتمكّن من جرّه إلى مهاوى الرذيله ومستنقع الخطيئه، وينبغى أن يعلم أنّ حبّ الدنيا لا يجتمع مع الدين والتدين وأنّ حبّ الدنيا يعدّ أهم جندى من جنود ابليس، قد يستولى على الإنسان ويحيط بقلبه ولا يسمح بتذوق لذّه المناجاه مع اللّه.

نأمل إن شاء اللّه أن نكون ملتفتين إلى هذا العدوّ اللدود ونستطيع الخلاص منه والابتعاد عن طريقه ويوماً بعد آخر نبتعد عن كلّ شىء يتعلّق بحبّ الدنيا ونبعده عنّا، حتّى بحسب تعبير الإمام الخمينى قدس سره: لا يستطيع الإنسان القول بأننى أخرجت جميع حبّ الدنيا من قلبى، ولكن بالمقدار الممكن نستطيع ذلك، ونحن بعون اللّه نستطيع ذلك إن شاء.

ص:۱۲۶

۳۸- بغض الدنيا أفضل الأعمال

قـال الإمـام زين العابـدين عليه السـلام: «مَا مِنْ عَمَلٍ بِعْـدَ مَعرِفَهِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعرِفَهِ رَسُولِهِ صـلى الله عليه و آله أَفضَلَ مِنْ بُغضِ الدُّنيا»(۱)

ذكرنا فی البحوث السابقه بأنّ حبّ الدنيا والتعلّق بمظاهر الدنيا يشـكّل مانعاً من حضور القلب فی الصّلاه، فالشـخص الذی تعلّق قلبه بشـجره حبّ الدنيا والانشداد لزخارفها لا يسـتطيع أن يملك حضور القلب فی الصّلاه، وأشـرنا أيضاً إلی بعض الروايات فی هـذا المجال وإن شاء اللّه يجب علينا الاهتمام بهذه الروايات الشـريفه، ففی روايه أخری وردت فی أصول الكافی (كتاب الإيمان والكفر باب ذمّ الـدنيا والزهـد فيها) عن الإمام زين العابـدين عليه السـلام عنـدما سـئل: ما هی أفضل الأعمال عنـد اللّه فقال عليه السلام:

«مَا مِنْ عَمَلٍ بِعْدَ مَعرِفَهِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعرِفَهِ رَسُولِهِ صـلى الله عليه و آله أَفضَلَ مِنْ بُغضِ الدُّنيا»، وهذا يعنی أنّ الإنسان يصل إلی مرتبه ليس فقط يشعر بحبّ الدنيا بل بالعكس

۱- (۱) الكافی، ج ۲، ص ۱۳۰.

يشعر بالبغض للدنيا.

ثمّ قال: «وإنّ لِذَلِکَ لَشُعُباً کَثِیرَهٌ وَلِلمَعاصِی شُعُباً، فَأوَّلُ مَا عُصِیَ اللّه بِهِ الکِبرُ وَهِی مَعصِیهُ إبلِیسَ حِینَ أَبی وَاستَکبَرَ وَکَانَ مِنَ الکَافِرِین»، ثمّ یتحدّث الإمام علیه السلام عن المعصیه الثّانیه وهی معصیه الحرص والطمع تورط آدم علی نبیّنا وآله وعلیه السلام، والمعصیه الثّالثه: الحسد، الذی تورط فیه قابل ابن آدم وتسبّب فیه قتل أخیه هابیل.

ثمّ قال: «فَتَشَعَّبَ مِنْ ذَلِکَ حُبُّ النِّساءِ وَحُبِّ الدُّنیا وَحُبُّ الرِّئاسَه وَحُبُّ الرَّاحهِ وَحُبُّ الکَلامِ وحُبُّ العُلُوِّ والثَّروَهِ»، فنتج من هذه الصفات الذمیمه الثلاث:

(التکبر، الحرص، والحسد)، وهی أعظم الرذائل النفسانیّه، سبع خصال ذمیمه، حبّ النساء (إتّباع الشهوه)، وحبّ الرئاسه، وحبّ الراحه، وحبّ الکلام (اللغو والثرثره) وحب العلوّ والثروه، «فَصِرنَّ سَبْعَ خِصالٍ فَاجتَمَعنَ کُلُّهُنَّ فِی حُبِّ الدُّنیا»، وکانت نتیجه ذلک أنّ الأنبیاء والأولیاء اعتبروا أنّ حبّ الدنیا أساس وأصل کلّ ذنب وخطیئه: «وَقَالَ الأنبیاءُ والعُلمَاءُ بَعدَ مَعرِفَه ذَلِکَ حُبُّ الدُّنیا رأَسُ کُلُّ خَطیئَهٍ»، ومعنی هذه العباره الوارده فی النصوص «حُبُّ الدُّنیا رأَسُ کُلُّ خَطیئَهٍ»، هی أنّ حبّ الدنیا لو انغرس فی قلب إنسان فإنّه یجرّه إلی أی عمل من الأعمال المخالفه فضلاً عن کونه یمنع حضور القلب فی الصّلاه، وعندما یکون حبّ الدنیا منشأ جمیع الخطایا والذنوب إعلم أنّ حبّ الدنیا هذا هو المانع من حضور قلبک فی الصّلاه: «الدُّنیا دُنیَاءَانِ: دُنیَا بَلاغٍ وَدُنیَا مَلعُونَهٍ»(1)، فدنیا البلاغ یعنی أنّ الإنسان ینتفع من هذه الحیاه بمقدار الضروره والکفایه وبمقدار من یشبع حاجاته الدنیویّه، هذه هی الدنیا المحموده أی دنیا البلاغ، ولکن إذا تحرّک الإنسان وراء المزید منها وکان یهدف من ذلک الحصول علی الدنیا فقط فلیس

ص:۱۲۸

۱- (۱) . الکافی، ج ۲، ص ۱۳۱.

من أجل الآخره فهذه الدنيا هى الملعونه.

وعلى هذا الأساس ينبغى أن نعلم أنّ حبّ الدنيا مانع من حضور القلب، فإذا أردنا حضور القلب فى الصّلاه ونعيش حاله المناجاه مع اللّه فيجب قبل الصّلاه أن نجلس ونفكّر ما مقدار تعلّقنا بهذه الدنيا، وكيف نستطيع علاج نفوسنا وقلوبنا ونزيل هذا الحبّ من قلوبنا، فلا ينبغى أن ييأس الإنسان من تطهير قلبه وتنقيه نفسه من حبّ الدنيا، وعليه أن يسعى كلّ يوم للتقليل من هذا التعلّق والارتباط الوثيق بالدنيا، فكلّما كانت هذه التعلقات أقل فإنّ لذّه المناجاه مع اللّه تعالى فى الصّلاه ستكون أكثر، وهنيئاً لحال الأشخاص الذين وصلوا إلى مراتب عاليه من بغض الدنيا عندما يشعرون فى أنفسهم من حلاوه المناجاه مع اللّه فى أعمال قلوبهم.

نسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا جميعاً لأداء الصّلاه مع حضور القلب.

ص:١٢٩

۳۹- لزوم الاستمداد من اللّه لحضور القلب

إنّ إحدى النقاط التى يجب على المصلّى التوجّه والالتفات إليها والإيمان العميق بها أنّ التوفيق لحضور القلب إنّما يتيسر بالاستمداد والطلب من اللّه تبارك وتعالى وأن يعلم المصلّى أنّ مقلّب القلوب هو اللّه عزّ وجلّ، فلو أراد حضور القلب فى صلاته وجب عليه أن يتوكّل على اللّه تعالى ويستمد منه المعونه ليتمكّن من إعداد قلبه ليتهيأ للحضور فى محضر البارى تعالى، ويكون قلباً صالحاً ولائقاً لمناجاه اللّه وجديراً بأن تنعكس عليه تجليات الذات المقدّسه، ولو أنّ العنايه الإلهيّه تعلّقت بقلب الإنسان فإنّه سيبتعد عن الدنيا وتنقطع العلاقه بينه وبين الدنيا ونوازعها، وطبعاً البدايه تكون بيد الإنسان نفسه، يعنى أنّ الإنسان لو لم يرغب فى التوجّه إلى اللّه ولم يتقدّم بالخطوه الأُولى فلا يتوقّع أن تشمله عنايات البارى تعالى، فما لم يلتفت الإنسان إلى كدورات قلبه ولم يشعر أنّ هذا القلب لا يليق بمناجاه اللّه وغير جدير باشراق تجليات الذات المقدّسه عليه فلا ينفعه شىء، ولذلك يجب عليه أن يتفكّر ماذا يصنع حتّى يصل إلى هذه الغايه ويحصل على هذا المطلوب؟

ص:۱۳۰

بـدايه يكون اختيـار الطريق بيـد الإنسـان، فلو أنّ الإنسـان نجـح فی بعض الامتحانات والاختبارات الـدنيويّه التی يثيرها أمامه اللّه تعالی فی حياته وتمكن من إبعاد نفسه وقلبه عن الـدنيا، ففی الخطوه اللاحقه تمتـد إليه يد المعونه الإلهيّه وتساعده فی السـلوك إلی اللّه.

ونقرأ فی روايه وردت فی كتاب «الكافی» عن الامام الباقر عليه السـلام عن رسول اللّه صـلی الله عليه و آله فی حديث قدسی قال صلی الله عليه و آله: «يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعزَّتِی وَجَلالِی وعَظَمَتِی وَكِبرِيائِی وَنُورِی وعُلُوِّی وَارتَفاعِ مَكَانِی لايُؤثِرُ عَبدٌ هَواهُ عَلَی هَوایَ...»، وهناك ينبغی الالتفات أنّ هـذه المسأله تحدث للإنسان فی كلّ يوم، فيری نفسه علی مفترق طريقين: أحدهما يتّجه به إلی اللّه، والآخر إلی الشـيطان، أحـدهما طريق الحقّ والآخر طريق الباطـل، فـإذا اختـار الإنسان ما يوافق هوی نفسه وميله ورجّح رغبته الشخصيّه علی ما يريده اللّه تعالی منه، هنا يقول اللّه:

«إِلّا شَتَّتُ عَليهِ أَمرَهُ وَلَبَستُ عَلَيهِ دُنيَاهُ وَشَغَلتُ قَلبَهُ بِها»، وهذا شاهد علی أنّ اللّه تبارك وتعالی يشتت ذهن هؤلاء الأشخاص بأن يجعل قلوبهم مشـغوله ومشـغوفه بالـدنيا، أی سـيكون كلّ همّهم وغمّهم ما يعيشون من أمورهم الدنيويّه، وهذه النتيجه هی وليده الأعمـال اللاأخلاقيّه والسـلوكيات الغير صـحيحه لهؤلاء، «وَلَمْ أُوتِهِ مِنها إِلّا مَا قَدَّرْتُ لَهُ»(۱)، فكلما سـعی هذا الشـخص لكسب المزيد من زخارف الدنيا وملذاتها ومظاهرها فإنّه لا ينال منها إلّاما هو مقدّر له عند اللّه تعالی.

وعلی هـذا الأساس يتبيّن أنّ الإنسان إذا وقف بين طريقين: أحـدهما طريق اللّه والآخر طريق الشـيطان والـدنيا، وسـلك فی طريق الشيطان والدنيا ورجّحه علی طريق اللّه، فإنّ قلبه سينشغل تدريجياً بالأمور الدنيويّه إلی درجه أنّه عندما يقوم

۱- (۱) . الكافی، ج ۲، ص ۳۳۵.

للصّلاه فإنّه لا يستطيع أن يلفت قلبه لحظه واحده ليتوجّه بقلبه إلى اللّه ويدرك الحضور الربوبى للحقّ تعالى، إذن فمثل هذا التوفيق يجب أن نطلبه من اللّه تعالى، ونلتفت إلى هذه النقطه وهى أنّ الخطوه الأُولى من حضور القلب تكون بيد الإنسان نفسه، ولكن الخطوات الكبيره والأخيره تتحقّق بعنايه البارى تعالى ونفسه ورحمته.

ص:۱۳۲

۴۰- سرّ توجّه القلب للاُمور الدنيويّه

ذكرنا آنفاً إلى أنّ الإنسان المصلّى يجب أن يعلم أنّ حضور القلب واشتغاله بذكر اللّه تعالى يجب أن يقترن مع الاستمداد من اللّه ورحمته الواسعه.

إنّ اللّه تبارك وتعالى هو الذى يعمل على تصفيه وتنقيه قلب الإنسان، وهنا حقيقه جليّه وهى أنّ الإنسان بما أنّه مشغول بالأمور الدنيويّه فى ليله ونهاره فإنّ قلبه عاده منشغل ومتوجّه إلى هذه الأمور، إن قلب الإنسان ينشغل عاده بالأمور التى تنشغل بها أعضائه الظاهريه، وهنا يتبيّن معنى مجاهده النفس.

يجب على الإنسان أن يتحرّك فى طريق جهاد النفس كيما يتوجّه قلبه لأوقات الصّلاه إلى اللّه ويترك الانشغال بالدنيا، والسرّ فى أهميّه حضور القلب فى الصّلاه يكمن فى هذه النقطه، وسبق أن ذكرنا أنّ الكثير من أولياء اللّه كانوا يطمحون أن يعيشوا من أوّل الصّلاه إلى آخرها فقط وفقط فى محضر البارى تعالى ولكنّهم كانوا يظهرون العجز عن ذلك، وأنّه عمل صعب جدّاً ويحتاج إلى إمداد ومساعده من اللّه تعالى.

ص:۱۳۳

وكما ورد فى هـذه الآيه الكريمه: «زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الـذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا...»١ ، فمظاهر الدنيا وزخارفها تتجلّى لعامّه الناس بثوب جميل وشكل جذّاب وتتزيّن قلوبهم بهذه الأمور الشهوانيّه من الأموال والأولاد والنساء والزراعه والأمور الأخرى الوارده فى هذه الآيه الشريفه، فعندما تقول الآيه: «زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ...» ، حيث تتجلّى لعامّه الناس بشكل جميل وبرّاق وتنفذ إلى قلوبهم، ومن هذه الجهه فلو أراد الإنسان أن يبعد حبّ الدنيا ومظاهرها من قلبه فإنّه لا يستطيع ذلك بإرادته واختياره نفسه، فهو لا يستطيع القول إنّنى قادر بإرادتى واختيارى أن أعمل هذا العمل، بل إنّ هذا العمل يحتاج بالدرجه الاُولى إلى معونه من البارى تعالى، إنّ الدخول فى هذا الوادى يحتاج إلى إراده الإنسان ولكن استقراره وثباته فى هذا الطريق بحيث يكون قلبه مستعداً للحضور بين يدى اللّه والابتعاد عن زخارف الدنيا، يحتاج إلى عنايه الحقّ تعالى.

وسبق أن ذكرنا الحديث القدسى أنّ اللّه تبارك وتعالى أقسم بعزّته وجلاله وبنوره وعلوّه وعظمته وكبريائه أنّ شخصاً عندما يرجّح ميوله ورغبته على رغبه اللّه تعالى فإنّ قلبه سينشغل بالدنيا، وهنا أطلب من جميع الإخوه الأعزاء أن يدققوا فى هذه التعابير المهمّه جدّاً، وهذا يعنى أننا عندما نقف على مفترق طريقين فلا يعنى أننا نستطيع بميلنا وإرادتنا أن نرجّح ما يريده اللّه منّا على رغبات أنفسنا، فهذه ليست مسأله سهله وبسيطه، فهى بمثابه انتخاب واختيار تستغرق وجود الإنسان كلّه ومن شأنه أن يخلق تحوّلاً كبيراً فى حياته وسيرته وشخصيّته، ولو أنّ الإنسان رجّح ميوله وأهواءه على ما يريد اللّه منه فسوف

تکون النتیجه کما أسلفنا، فاللّه تعالی یقول: فأجعل قلبه مشغولاً فی الدنیا وتکون جمیع أموره مشتته وحیاته مضطربه، ومن هذه الجهه نری أنّ الأشخاص الذین یطلبون الدنیا لا یعیشون استقراراً نفسیّاً فی حیاتهم، بخلاف الأشخاص الذین یتحرّکون فی خط الإیمان والتقوی والتوحید، ویسلکون طریق العباده والعبودیّه، فهم یعیشون الباطن المستقر والقلب المطمئن.

ونتابع فی الحدیث الشریف قوله: «لا یُؤثِرُ عَبدٌ هَواهُ عَلَی هَوایَ...»، فلو وجد نفسه أنّه یستطیع أن یهتک شخصاً مؤمناً ویسیء إلی سمعته، أو یفشی سرّاً من أسراره ولکنّه مع ذلک لا یرتکب هذا العمل من أجل اللّه، وفی الموقع الذی تکون سمعته وحیثیّته فی خطر ولکنّه من أجل حفظ الدین واطاعه أمر اللّه تعالی یرفع صوته بالحقّ، ولو أنّه وقف بین طریقین، ویحدث ذلک کثیراً فی حیاه الإنسان، فیرجّح ما یریده اللّه منه علی هوی نفسه یقول الحدیث: «إلّا استَحفَظَتُهُ مَلائِکَتِی»، ما أعظم هذا الأمر، أن یعلم الإنسان المؤمن أنّ ملائکه اللّه تقوم بحفظه ورعایته وتمدّ له ید العون والمساعده وتدعو له وتستغفر له.

«وَکَفَّلْتُ السَّماواتِ والأرضِینَ رِزقَهُ وَکُنتُ لَهُ مِنْ وَراءِ تِجاره کِلِّ تاجِرٍ وَأَتَتْهُ الدُّنیا وَهِی رَاغِمُهٌ»(1)، فمثل هذا الإنسان الذی یفرّ من الدنیا ویترکها طلباً ورغبه باللّه تعالی فإنّ الدنیا ستأتی إلیه خاضعه وراغمه، هذه أمور مهمّه، فالإنسان لو شعر فی صلاته بحضور القلب وأحسّ بحاله مریحه وجمیله فی أعماقه فلیعلم أنّه من جمله الأشخاص الذین وقعوا مورد عنایه الباری تعالی، ولکن إذا لم یشعر بحضور القلب من أوّل صلاته إلی آخرها فلیعلم أنّه یواجه مشکله، فعلیه أن یجلس ویتفکّر ما هی مشاکلته، وما هو الباعث علی تورطه فی أمور الدنیا وغفلته عن اللّه تعالی؟ والشخص الذی یعیش ذکر اللّه تعالی فی غیر الصّلاه فلا

۱- (۱) . الکافی، ج ۲، ص ۳۳۵.

يمكن أن يغفل عنه فى الصّلاه، والشخص الذى يراقب نفسه فى سائر الحالات فيتحرّك فى خط الطاعه والعبوديّه للّه تعالى ويؤدّى ما عليه من أوامر اللّه تعالى فإنّه بطريق أولى سيكون متوجّهاً إلى اللّه فى صلاته.

رزقنا اللّه تعالى وإيّاكم حضور القلب فى الصّلاه إن شاء اللّه.

ص:۱۳۶

الفصل الثالث: أسرار مقدّمات وشروط الصّلاه

الباب الأوّل: أسرار الطّهاره

اشاره

ص:۱۳۷

۴۱- مراتب الطّهاره

إنّ أحد البحوث التی یجب التوجّه إلیها فی أسرار الصّلاه، الأسرار الموجوده فی مقدّمات الصّلاه، یقول الإمام الراحل رضوان اللّه علیه فی کتابه «سرّ الصّلاه»(۱): إنّ الصّلاه نفسها لها مراتب، فمقدّمات الصّلاه وشروطها لها مراتب أیضاً، یعنی بما أنّ حقیقه الصّلاه لها مراتب کثیره، ولعلّه یمکن القول بصدور صلاتین مختلفتین من المصلّین من حیث المرتبه والحقیقه، فإنّ مقدّمات الصّلاه من قبیل الطهاره وسائر الأمور الأخری لها مراتب أیضاً ویجب علی المصلّی الالتفات إلیها والاهتمام بها.

ویقول رحمه اللّه: الطّهاره الظاهریّه مقدّمه للصّلاه الصوریّه والظاهریّه، یعنی بحسب الظاهر الشخص الذی یرید أن یصلّی یجب علیه تحصیل الطهاره الصوریّه، ولذلک فإنّ الوضوء یعتبر مقدّمه لهذه الصّلاه الظاهریّه التی یصلّیها المکلّف، ولکن الطهاره لها مراتب أخری أیضاً، فهناک طهاره أهل الإیمان،

ص:۱۳۹

۱- (۱) . سرّ الصّلاه (معراج السالکین)، ص ۳۴.

وطهاره أهل الباطن، وطهاره أصحاب الحقيقه، وطهاره أصحاب القلوب السليمه وطهاره أصحاب السرّ، وطهاره أصحاب المحبّه والمجذوبين، وطهاره أصحاب الهدايه، هذه هى مراتب الطهاره، وبعد تحصيل الطهاره الظاهريّه، تصل النوبه إلى المرتبه الثّانيه وهى طهاره أهل الإيمان، يعنى أن يطهّر نفسه من المعاصى ويبتعد عن الذنوب وعن الأخلاق الرذيله والشهوات والميول غير المشروعه، فالإنسان المؤمن هو الشخص الذى لا ـ يسمح للحرام أن يسلك طريقاً إلى وجوده ونفسه ويتحرز من تلويث قلبه بالحرام، فهذا هو معنى طهاره أهل الإيمان.

المرتبه الثّالثه، طهاره أهل الباطن، يعنى أن يطهّر باطنه من القذرات المعنويّه والأخلاق الذميمه والأوساخ الأخلاقيّه.

المرتبه الرابعه، طهاره أصحاب الحقيقه، يعنى يوصل نفسه إلى مرحله بحيث لا يسمح لوساوس الشيطان أن تدخل إلى حريم قلبه، ولا يسمح للأفكار الباطله والشكوك والشبهات أن تخطر على ذهنه.

المرتبه الخامسه، طهاره أصحاب القلوب السليمه، وهى الطهاره من التقلبات وابعاد ذهن الإنسان أن يكون مشغولاً بالمفاهيم التى تمثّل حجاباً بينه وبين اللّه.

المرتبه السادسه، طهاره أصحاب السرّ، وهذا يصل الإنسان إلى مراحل أعلى من الطهاره المعنويّه، وكما ورد فى الآيه الشريفه: «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»۱ ، فهذا يعنى أنّه كما أنّ ظاهر القرآن بحاجه إلى طهاره ظاهريّه فيجب على المكلّف الوضوء والطهاره ليتمكن من مسّ ظاهر القرآن، فإن الوصول إلى باطن القرآن يحتاج إلى طهاره باطنيّه أيضاً، ومن أجل الوصول إلى سرّ القرآن يلزم طهاره أصحاب السرّ، وعليه فإنّ الصّلاه أيضاً تكون بهذا المستوى.

ولو أنّ الإنسـان أراد الاكتفـاء بالصّلاه الظـاهريّه فيكفى الوضوء الظـاهرى والطهـاره الظـاهريّه، ولكن يجب أن نعلم أنّ الصّلاه، مضافاً إلى الطهاره الظاهريّه تحتاج إلى طهاره باطنيّه، فلو أردنا أن نكون من أهل الباطن وتكون صـلاتنا صـلاه أهل الباطن فهـذا الأمر يتوقّف على الطهاره الباطنيّه.

ومن هـذا المنطلق فإنّ الطهاره الظاهريّه هى أقل مراتب الطهاره وأضـعف مرتبه يؤدّيها الإنسان المكلّف وتكون مقـدّمه للوصول إلى الطهاره الباطنيّه.

نسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا أن نكون جديرين بجميع أنواع الطهاره إن شاء اللّه.

ص:۱۴۱

۴۲– طهاره الظّاهر وطهاره الباطن

ذكرنا أنّ المصلّى يجب أن يتطهّر للصّلاه، وثمّه أسرار ونقاط كثيره فى هذا العمل العبادى، فالطهاره لها مراتب عديده والمصلّى يجب أن يعلم بأنّ الطهاره الظاهريّه تعتبر أقل وأدنى مرتبه من مراتب الطهاره وهى مقدّمه الصّلاه الظاهريّه، ويجب على الإنسان فى حركه الحياه أن يتحرّك لتحصيل تلك المراتب الأهم والأعلى من الطهاره، ومنها طهاره أهل الإيمان، طهاره أهل الباطن، طهاره أصحاب الحقيقه، وأصحاب السرّ.

إذا اقترنت صلاه الإنسان بالطهاره الباطنيّه فإن صلاته ستكون صلاه أهل الباطن، وأداء الطهاره الظاهريّه إنّما لغرض أن يلتفت الإنسان إلى الطهاره الباطنيّه ويسعى لتحقيقها فى وجوده، وكما أنّ الآيه الشريفه تقول: «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»۱ ، أى أنّ الشخص إذا أراد أن يمسّ ألفاظ وكلمات القرآن يجب أن يكون متطهّراً بالطهاره الظاهريّه، فإنّ علماءنا ذكروا بأنّ هذه الآيه الشريفه تشير

ص:۱۴۲

أیضاً إلی أنّ الإنسان إذا أراد أن یصل إلی باطن القرآن فیجب علیه أن یملک الطهاره الباطنیّه.

ویبیّن الإمام الراحل فی کتابه «سرّ الصّلاه»، نقاط مهمّه فی هذا المجال ویقول: «یجب أن یعلم أنّ الإسلام یهتمّ بالطهاره الظاهریّه، وأنّ اللّه تبارک وتعالی أمر بطهاره اللباس والبدن فی حال الصّلاه وأنّ المصلّی یجب أن یکون لباسه وبدنه طاهرین، وقد ورد فی المأثور أنّ النظافه أحد شروط وعلائم الإیمان أو أنّها جزء من الإیمان، وعلی هذا الأساس لا یمکن أن یهتمّ الباری تعالی بالطهاره الظاهریّه بهذا المقدار ولا یهتمّ بالطهاره الباطنیّه وطهاره قلب الإنسان ویهمل هذا الأمر المهم، ولا یمکن أن لا یهتمّ بتطهیر القلب من الأوساخ المعنویّه والتلوث بالرذائل الأخلاقیّه.

إذا تلوّثت ید الإنسان بالنجاسه فإنّ اللّه تعالی أمر بتطهیر هذه النجاسه بالماء، وعلیه کیف یمکن القول إنّ اللّه تعالی لم یهتمّ بإزاله النجاسه الباطنیّه التی تؤدّی إلی هلاک الإنسان الأبدی وتورثه الظلمه والکدوره الدائمه، وفی مسأله الطهاره اکتفی فقط بهذه الطهاره الظاهریّه؟ کلّا، إنّ جمیع أشکال الطهاره الظاهریّه یشکل مقدّمه للالتفات والتوجّه إلی الطهاره الواقعیّه ولیصل الإنسان إلی الحاله الباطنیّه.

یقول تبارک وتعالی فی سوره الأحزاب الآیه ۳۳: «إِنَّما یُرِیدُ اللّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً» ، ونری أنّ عباره «وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً» ، تدلّ علی أنّ الطهاره لها مراتب کثیره جدّاً ولا ینبغی أن نحصر فکرنا بهذه الطهاره الظاهریّه.

طهاره أصحاب الولایه، تعتبر آخر مرتبه للطهاره، وقد اجتمع جمیع مراتب الطهاره وأکملها عند الأئمّه الطاهرین علیهم السلام، بل یستفاد من عباره «وَ یُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً» ، توفّر جمیع مراتب العصمه لأهل البیت علیهم السلام، أو الطهاره من کلّ ذنب

وكلّ فعل قبيح، الطهاره من أى فكر باطل، وطهاره نفوسهم من أى وسوسه والشرك باللّه حتّى بلحظه واحده.

وعلى هذا الأساس يجب الالتفات إلى أنّ طهاره البدن واللباس وكذلك الوضوء، والطهاره من الحدث والخبث التى هى مقدّمات للصّلاه، تعتبر مقدّمه لتحصيل طهاره أعلى، وبهذه الطهاره لا نريد أن نصلّى فقط الصّلاه الظاهريّه بل تكون طريقاً للوصول إلى الطهاره الباطنيّه، وهذه الطهاره الباطنيّه ستكون منشأ ومصدراً لحركات وسلوكيات معنويّه أعلى.

نسأل اللّه تبارك وتعالى أن يوفّقنا جميعاً لتحصيل المراتب العليا من الطهاره.

ص:۱۴۴

۴۳- أسرار الوضوء

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وَطَهِّر قَلْبَكَ بِالتَّقوى وَاليَقِينِ عِنْدَ طَهارَهِ جَوارِحِكَ بِالمَاءِ».(۱)

تقدّم أنّ الطهاره لها مراتب متعدده، وأنّ الطهاره الظاهريّه هى أوّل خطوه للوصول إلى مراتب عاليه من الطهاره الباطنيّه.

يقول الشهيد الثانى فى كتابه «التنبيهات العليّه»(۲) ، فى باب الوضوء: إنّ علّه تكليفنا فى الوضوء والطهاره الظاهريّه بغسل الوجه واليدين، هى أنّ الوجه واليدين فى الإنسان من أكثر الأعضاء والجوارح التى يتواصل بها الإنسان مع الآخرين وسائر الأشياء.

ومن هنا فعندما يغسل الشخص هذه الأعضاء فإنّه بالحقيقه يريد الإعلان عن هذا الأمر، وهو أنّه يريد أن يطهّر هذه الأعضاء من جميع التوجّهات لغير اللّه، وعلى حدّ تعبير الإمام الراحل رضوان اللّه عليه: إنّ الوضوء وغسل الوجه

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۷۷، ص ۳۳۹.

۲- (۲) . التنبيهات العليّه، ص ۹۳.

واليدين وتطهيرها ممّا سوى اللّه، يعنى أنّ الإنسان يغسل يده ووجهه من غير اللّه وينفصل عمّا سوى اللّه.

والنقطه الأُولى، أنّ هذه الأعضاء والجوارح التى يرتبط بها الإنسان مع الآخرين غالباً، فإنّه يريد من خلال غسلها أن يقطع ارتباطه بهم وتوجّهه إليهم

والنقطه الثانيه، أنّ الإنسان يهتمّ بهذا الوجه بالأمور الدنيويّه ويتحرّك للتواصل معها بيديه وقدميه، وبذلك تظهر تلوّثات الدنيا على هذا الوجه واليدين، فعندما يغسلها المصلّى فإنّه يريد من ذلك تطهيرها من هذا التلوّث.

النقطه الثّالثه، أنّه بغسله لهذه الظواهر فإنّه يتطهر قلبه أيضاً، لأنّ القلب هو رئيس جميع هذه الأعضاء والجوارح وهو الذى يأمر الإنسان بالنظر، والكلام، والاستماع، ويأمر بفعل الأفعال الأخرى باليدين، ومن خلال غسل هذه الأعضاء والجوارح يروم الإنسان تطهير قلبه أيضاً: «إِنَّ اللّهَ لايَنظُرُ إِلى صُوَرِكُم وَأَعمَالِكُم وَإِنَّما يَنظُر إِلى قُلُوبِكُم».

النقطه الرابعه، إنّ الدنيا والآخره ضرّتان: «وكلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى، فلذلك أمر بالتطهير من الدنيا عند الاشتغال والإقبال على الأخرى»، ومن هذه الجهه أمر اللّه تعالى بغسل الوجه واليدين ليتوجّه المصلّى إلى الآخره.

النقطه الخامسه، بما أنّ جميع توجّه الإنسان واهتمامه بأمور الدنيا يتمّ من خلال الوجه فعندما يغسل وجهه فكأنّه يريد أن يغسل وجه قلبه لتيوجّه إلى اللّه تعالى، فالإنسان عندما يغسل وجهه فهذا يعنى أنّه يريد أن يكتسب الاستعداد واللياقه ليكون وجه قلبه متوجّهاً إلى اللّه تعالى، وأكثر الحواس الظاهريّه والبدنيّه فى الإنسان موجوده فى وجهه من قبيل العين والأُذن والفم وسائر الحواس الأخرى، وأعظم أسباب الوصول إلى الدنيا والانشغال منها يتمّ من خلال هذه الحواس الموجوده فى وجه الإنسان، ومع غسلها فالإنسان يريد أن يطهّرها

جمیعاً، کما أنّ الأمر بغسل الیدین فی الوضوء هو من أجل أنّ الید من الأعضاء المهمّه لوصول الإنسان إلی غایاته ومشتهیاته النفسانیّه والطبیعیّه.

أمّا السرّ فی مسح الرأس بما أنّ قوّه الفکر والتعقل موجوده فی الرأس ومع مسح الإنسان رأسه فکأنّه یرید مسح قوّه الفکر والتعقل لدیه فی طریق الوصول إلی اللّه، وکذلک مسح القدمین إنّما هو بسبب أنّ الإنسان یتحرّک بواسطه القدمین نحو غایاته ومقصوده.

والخلاصه أنّ الإنسان فی عملیّه الوضوء یطهّر جمیع الأعضاء المتعلّقه بظاهره وبدنه، ویکون بذلک مستعداً من جمیع الجهات للوقوف بین یدی الباری تعالی ومناجاته ولقائه.

إذن یجب علینا الاهتمام بالوضوء، ولعلّه یمکن القول إنّ بعض أشکال الصّلاه التی لا قیمه لها ولا تؤثر فی إیجاد تحوّل فی الإنسان إنّما یعود فی نحو من الأنحاء إلی أنّنا نعیش الغفله عن مقاصد الوضوء والطهاره وکیفیّتها، ولو أنّ الإنسان فی حال الوضوء کان ملتفتاً إلی أنّه یسعی لتطهیر نفسه وقلبه لتکون له اللیاقه لیحظی بالجداره لملاقاه اللّه تعالی فإنّ مثل هذا الشخص سیجد فی نفسه تدریجیاً حاله حضور القلب فی الصّلاه.

إن شاء اللّه نوفّق جمیعاً لفهم أسرار الصّلاه.

۴۴- سرّ الطّهاره بالماء

«وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ...» (۱)

ينقل الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه فى كتابه «سرّ الصّلاه»، كلاماً لبعض أهل المعرفه وكبار العرفاء يقول: إنّ الطهور إمّا أن يكون بالماء أو بالتراب، الماء هو منشأ ومصدر الحياه، والحياه هى منشأ وأصل العلم ولمشاهده العالم ومشاهده الحى القيوم تبارك وتعالى، والتراب أيضاً يعتبر أصل نشأه الإنسان(۲) ، وهذه العباره عميقه المغزى، فعندما يسبغ الوضوء يجب أن يعلم أنّ الماء منشأ الحياه وأصل وحقيقه كلّ حياه هو الماء، وأنّ الماء هو سرّ الحياه، وأصل العلم يعود إلى هذا الماء لأنّ الماء منشأ الحياه والحياه بدورها منشأ العلم، والعلم بدوره منشأ مشاهده الحى المطلق، وهكذا تلاحظون العلاقه الوثيقه بين الماء والحياه والعلم ومشاهده الحياه المطلقه والحى المطلق، وهو اللّه تبارك وتعالى.

ص:۱۴۸

۱- (۱) سوره الأنفال، الآيه ۱۱.

۲- (۲) . سرّ الصّلاه (معراج السالكين)، ص ۴۱.

فلا ينبغی أن نتصوّر فقط أنّ الوضوء مجرّد غسل الأعضاء بواسطه الماء وأنّ الماء هو الماده السائله لا أكثر، بل إنّ هذا الماء منشأ الحياه، والحياه هی منشأ العلم، وبواسطه العلم يتوجّه الإنسان إلی الحی القيّوم.

يقول الباری تبارک وتعالی فی القرآن الكريم: «وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً...»١ ، والمعنی الظاهری لهذه الآيه الشريفه هو، أنّ الباری تعالی وبواسطه الماء أوجد الحياه الظاهريّه للأحياء، ولكن يجب أن نعلم أنّ هذا الماء منشأ للحياه الباطنيّه والعلم أيضاً، والعلم بدوره وسيله وطريق لحصول الإنسان علی الحقيقه وأنّ أصل الحياه مستمده من ذلک الموجود الحی المطلق، أو قوله تعالی فی آيه أخری: «وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ...» ، فبواسطه هذا الماء يريد اللّه تعالی أن يطهّركم من وساوس الشيطان ويبعده عنكم.

هذه الآيه الشريفه ذكرت أمرين وغايتين مهمّتين لإنزال الماء من السماء، إحدهما: «لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ...» ، والثّانيه: «وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ...» ، فالماء فی حقيقته وباطنه يطهّر الإنسان من أشكال الرجس والتلوّث، والطهاره إمّا أن تكون بالماء أو بالتراب، والتراب بدوره أصل وجود الإنسان «مِنْها خَلَقْناكُمْ...»٢ ، فوجود جميع أفراد البشر يعود إلی التراب والإنسان خلق من التراب، والنتيجه أن تحصل الطهاره إمّا يكون بوسيله الوضوء أو التيمم فينبغی علی الإنسان أن يفكّر فيمن خلقه، ولأجل أی شیء خلقه، ومن أی شیء خلق؟ والتيمم بالتراب هو من أجل أن يشعر الإنسان بالخضوع أكثر ويبعد عن نفسه حالات التكبر والغرور، فالتراب هو الأصل فی حاله الذله والمسكنه، وعلی هذا الأساس عندما

نريـد اسـباغ الوضوء أو التيمم يجب أن نلتفت إلى هـذه النقاط، وعندما يقع نظرنا على الماء نتذكر الآيه الشـريفه: «وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكَمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ...» ، فنعلم بأنّ اسـتعمال هذا الماء فى الطهاره الظاهريّه مقدّمه لتحصـيل الطهاره الباطنيّه والنقاء من تلوّث الباطن، نسأل اللّه تعالى أن يجعلنا من أهل الطهاره.

۴۵- الماء الرحمه المطلقه للوجود

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا أَرَدْتَ الطَّهارَهَ وَالوضُوءَ فَتَقَدَّم إِلى المَاءِ تَقَدُّمَكَ إِلى رَحمَهِ اللّهِ».(۱)

إنّ إحدى النقاط التى يجب أن يلتفت إليها المصلّى فى الوضوء، الخصوصيّات والأسرار الموجوده فى الماء، فنقرأ فى سوره الأنبياء الآيه ۳۰ قوله تعالى:

«وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَىْ ءٍ حَيٍّ...» ، يعنى أنّ منشأ حياه كلّ موجود حىّ هو الماء، وكما أنّ الحياه الظاهريّه والبدنيّه تحتاج إلى الماء فإنّ الحياه الباطنيّه تحتاج إلى الماء أيضاً، لأنّ قلب الإنسان يتطهّر بهذا الماء من التلوّثات والرذائل والكدورات بواسطه هذه الطهاره، ومن هنا وجبت مثل هذه الطهاره.

وعلى حدّ تعبير القرآن الكريم: «وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ...»۲ ، فإنّ إزاله رجس الشيطان يتمّ بواسطه الماء الذى أنزله اللّه تبارك وتعالى من السماء، وهكذا فى مسأله التيمّم، فإذا التفت الإنسان أنّه خلق من هذا التراب وسوف يعود يوماً

۱- (۱) مصباح الشريعه، ص ۴۳.

إلى هذا التراب ويتبدّل إلى تراب أيضاً، فمثل هذا التوجّه يمهّد قلبه للحضور فى الصّلاه، وقد وردت فى كتاب مصباح الشريعه روايه مفصّله عن الإمام الصادق عليه السلام فيما يتّصل بالوضوء وأسراره، وأنّه يجب على الإنسان أن يلتفت إلى الجهات المختلفه للماء ويعلم أنّ كلّ واحده منها تعتبر وسيله سلوكه ورقيه إلى مقام من المقامات المعنويّه.

يقول الإمام عليه السلام: «إِذَا أَرَدْتَ الطَّهارَهَ وَالوضُوءَ فَتَقَدَّم إِلى المَاءِ تَقَدُّمَكَ إِلى رَحمَهِ اللّهِ»، يعنى عندما تقترب من الماء لاسباغ الوضوء والطهاره فعليك أن تحسّ بأنّك تقترب من رحمه اللّه الواسعه، ويستوحى الإمام الخمينى رضوان اللّه عليه من هذه الآيه الشريفه: «وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَىْ ءٍ حَىٍّ...» ، ويقول: «إنّ الماء هو الرحمه الاطلاقيه للوضوء»، فالماء منشأ حياه جميع الكائنات والرحمه الاطلاقيه والمطلقه، بحيث يستوعب جميع الموجودات، فمن هذه الجهه عندما يريد الإنسان اسباغ الوضوء فعليه أن يلتفت أنّه قريب من هذه الرحمه الإلهيّه:

«فإِنَّ اللّهَ تَعالى قَدْ جَعَلَ الماءَ مِفتَاحِ قُربِهِ وَمُناجَاتِهِ وَدَلِيلًا إِلى بِساطِ خِدمَتِهِ»، وفى اللغه العربيه «بَساط» بفتح الباء تعنى الأرض الواسعه، أما «بِساط» فتعنى الفرش الذى يبسط على الأرض، يعنى أنّ الإنسان إذا أراد الوصول إلى مرتبه رفيعه من القرب إلى اللّه تبارك وتعالى، فعليه أن يأخذ مفتاح هذا المكان الرفيع، والماء هو مظهر رحمه اللّه تبارك وتعالى.

«وَكَما أَنَّ رَحمَهَ اللّهِ تُطَهِّرُ ذُنُوبَ العِبادِ كَذَلِكَ النَّجاسَاتُ الظَّاهِرِيَّهُ يُطَهِّرُها المَاءُ لا غَير»، فهنا يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه الآيات الشريفه ويقول: «وَ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً»۱ ، والآيه: «وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَىْ ءٍ حَىٍّ...» ،فَكَمَا أَحيا بِهِ كُلَّ شىءٍ مُنْ نَعِيمِ الدُّنيا كَذَلِكَ

بِرَحمَتِهِ وَفَضلِهِ جَعَلَ حَياةَ القُلُوبِ بِالطّاعَاتِ»، فكما أنّ اللّه تبارك وتعالى خلق جميع النعم الدنيويّه بواسطه الماء ومنحها الحياه فإنّه تعالى منح قلوب البشر بفضله ورحمته بواسطه الحركه فى خطّ الطاعه والعبوديّه والعباده ومنح هذه القلوب الحياه، وبعباره أخرى، إنّ حياه القلوب تتمحور فقط حول طاعه اللّه تعالى، وهذه الطاعه والعبوديّه تتسبّب فى حياه القلوب: «وَتَفَكَّرَ فِى صَفاءِ المَاءِ وَرِقَّتِهِ وَطُهرِهِ وَبَرَكَتِهِ وَلَطيفِ امتِزاجِهِ بِكُلِّ شَىءٍ»، فعندما تريد استعمال الماء فى الوضوء فعليك أن تفكّر فى جوانبه المختلفه من صفائه ورقّته وطهر وبركته وامتزاجه بجميع الأشياء فى هذا العالم «امتِزاجِهِ بِكُلِّ شَىءٍ وَفِى كُلِّ شىء».

«وَاستَعْمِلْهُ فِى تَطهِيرِ الأَعضاءِ الَّتِى أَمَرَكَ اللّهُ بِتَطهِيرها، وَآتِ بِأَدَائِها فِى فَرائِضِهِ وَسُنَنِهِ»، يعنى عليك بالاتيان بجميع الآداب الواجبه والمستحبه فى غسل الوجه واليدين حال الوضوء بالمقدار المقرر والكيفيّه المذكوره فى الشرع «فإِنَّ تَحْتَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنها فَوائِدَ كَثِيرَةً»، أى بكلّ واحده من هذه الآداب فوائد كثيره لتطهير الأعضاء والجوارح: «فَإِذَا استَعمَلها بِالحُرمَةِ انفَجَرَتْ لَكَ عُيُونُ فَوائِدِهِ عَنْ قَريب».

ص:١٥٣

۴۶- الاستلهام من الماء فی الحیاه

یقول الإمام الصادق علیه السلام: «عَاشِر خَلقَ اللّهِ کَإِمتِزاجِ المَاءِ بِالأشیاءِ».(۱)

یقول الإمام الصادق علیه السلام: «ثُمَّ عَاشِر خَلقَ اللّهِ کَإِمتِزاجِ المَاءِ بِالأشیاءِ»، فبالرغم من أنّ الوضوء مقدّمه للصّلاه والصّلاه عباره عن مناجاه وارتباط مع اللّه تبارک وتعالی، ولکن عبادات الإنسان لیست فردیّه فقط ولا ترتبط مع سائر الناس، فالعبادات الإسلامیّه فی ذات الوقت التی تقرب الإنسان من اللّه تعالی وتقطع عنه تعلّقه بالدنیا وبما سوی اللّه، فإنّها أیضاً نافعه للمجتمع أیضاً، فالعباده التی تشغل الإنسان بنفسه فقط ولا تجعله مستعداً لتقدیم خدمه للآخرین والحضور فی أوساط عباد اللّه الذین هم مظاهر تجلّی الحقّ، فما هو أثر هذه العباده؟ العباده یجب أن تخلق توسعه وجودیّه فی واقع الإنسان إلی درجه أنّه فی ذات الوقت الذی یعیش فیه المصلّی مع اللّه تبارک وتعالی ویأنس بقربه ومناجاته، فإنّه لابدّ من حضوره بین عباد اللّه لیحفظ لهم هذا المقام من القرب المعنوی من اللّه تعالی

۱- (۱) مصباح الشریعه، ص ۶۴.

ویتحرّک فی طریق اسداء الخدمه لهم.

ویستفاد من عباره الإمام الصادق علیه السلام: «ثُمَّ عَاشِرِ خَلقَ اللّهِ کَإمتِزاجِ المَاءِ بِالأشیاءِ»، أنّ الشخص المصلّی یجب أن یعاشر جمیع عباد اللّه ویخالطهم بشکل نقی کما یمتزج الماء بالأشیاء من قبیل الحجر الصغیر والکبیر، ویحتفظ لنفسه بالصفاء والنقاء فی هذا الارتباط مع الآخرین.

فی طریق الحقّ یجب علی الإنسان اجتناب إعمال الإراده الشخصیّه ورؤیه المنافع الذاتیّه فی تواصله مع الناس وعباد اللّه، یقول الإمام الراحل رضوان اللّه علیه(۱): وتفکّر فی نفس امتزاج الماء بالأشیاء فإنّ هذا الامتزاج من أجل اصلاح حالها وإیصالها إلی کمالها اللائق بها وإحیائها، یعنی کما أنّ ارتباط الماء بالأشیاء سبب لحیاتها وحفظها ورشدها، فإنّ کیفیّه معاشره المصلّی للآخرین ومعاملته لعباد اللّه یجب أن تکون أیضاً مثل هذه الحاله، فیعاشر الناس من موقع الحفظ والاصلاح، ویذکر الإمام رضوان اللّه علیه فی ذیل هذه الروایه عباره جمیله جدّاً، ویقول: کما أنّ الماء یمتزج مع جمیع الأشیاء بلطف، فالإنسان العابد الذی وصل إلی مراحل من العبودیّه فإنّه لا یسمح لنفسه بالتکّبر علی عباد اللّه بل یتواصل معهم من موقع العطف واللطف، ولا یتعامل معهم بحاله من التحقیر لهم، لأنّه یعلم أنّه فی هذه الصوره فإنّ صلاته وعبادته لا تکون کامله.

فعندما یری المؤمن شخصاً مشغولاً بارتکاب المنکر ویتحرّک فی صدد اصلاح ظاهره وهدایته ولکنّ نهیه عن المعاصی والمنکر یجب أن یکون لغرض اصلاح حالته لا من أجل إعمال النفوذ والسیطره علیه، وهذه نقطه مهمّه جدّاً ودقیقه، فالشخص الذی یرید إقامه الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر لا ینبغی أن یقول: بما أننی آمرک وأنهاک فعلیک بأن تطیع وتفعل ما أقول، إنّ الآمر

۱- (۱) . سرّ الصّلاه (معراج السالکین)، ص ۴۵.

بـالمعروف يجب أن يشـعر بالتحرّق لهـدايه الناس فيكون عاشـقاً للاصـلاح، كما أنّ الماء يجرى بين الأشـياء من موقع العشق لها وبدون أى توقّع منها ويطهّرها من التلوّث ويرويها، وكذلك الإنسان يجب أن يتعامل مع أبناء نوعه بهذه الصوره.

«ثُمَّ عَاشِرِ خَلقَ اللّهِ كَإمتِزاجِ المَاءِ بِالأشـياءِ يُؤدِّى كُلُّ شـىءٍ حَقَّهُ وَلا يَتَغَيَّرُ عَنْ مَعنَاهُ مُعتَبِراً لِقَولِ الرَسُولِ صلى الله عليه و آله مَثلُ المُؤمنِ المُخلِصِ كَمَثلِ المَاءِ» يعنى يعاشـر الناس بالصفاء والنقاء، ويسعى أن يكون وجوده سبب طهاره الآخرين لا أن يخلق لهم المشاكل.

وأحـد أسـرار الوضوء التى يجب على الإنسـان الالتفـات إليهـا، أنّه يجـد حاله من الاُنس مع الماء، وبـذلك يجب عليه أن يتخلّق بصفات وخصوصيّات الماء أيضاً.

ص:١٥٦

۴۷- الإخلاص والصفاء فی التوجّه إلی اللّه

ذکرنـا فی الحلقه السابقه أنّ الإمام الصادق علیه السـلام قال: إنّ صـفاء الإنسان وخلوص نفسه فی جمیع أعماله وطاعاته وعباداته للّه تعالی یجب أن یکون مثل صـفاء الماء عند نزوله من السـماء، ومن هذه الجهه یکون الماء طهوراً، یعنی کما أنّ الماء یتّصـف بالصـفاء الـذاتی والنقـاء عنـد نزوله من السـماء فیجب علی الإنسان أن یأتی بعباداته صافیه ونقیّه فی جمیع أجزائها، وأحـد أجزاء هذه العباده هو الطهاره أو الوضوء الذی یعتبر مقدّمه للصّلاه، ولذلک ورد فی بعض الروایات: «الوُضُوء نُورٌ»(۱)، فالشخص الذی یتوضأ للصّلاه فإنّ هذه الطهاره الظاهریّه توجد له النورانیّه والطهاره الباطنیّه.

ویقول الإمام علیه السـلام: إذا أردنـا تحقیق هـذه النورانیّه وحقیقه الطهاره النفسانیّه فی الوضوء یجب أن نبتـدیء بالنیّه الخالصـه والقصد الکامل للّه تعالی کما فی سائر العبادات ولا یکون لنا قصد آخر غیر ذلک، أی أنّنا نهدف من هذه العباده التقرّب

۱- (۱) . من لا یحضره الفقیه، ج ۱، ص ۴۱.

إلى اللّه تعالى واطاعه أمره وتحصيل النورانيّه الباطنيّه بذلك، فلو أنّ أحدهم قال إنّ الوضوء بالماء يتسبّب فی إيجاد النشاط والحيويه فی الإنسان ويقع عنه التعب والملل، إن تأثير غسل الوجه بالماء من شأنه أن يزيل التعب الظاهری للإنسان، ولكن لا ينبغی أن يتوضأ الإنسان بهذه النيّه بل يكون نيّته امتثالاً لأمر اللّه تبارک وتعالی، وهكذا نرى أنّ الإمام الصادق عليه السلام عندما يقول إنّ إخلاصک وصفاء نيّتک فی جميع العبادات يجب أن يكون مثل صفاء الماء ونقائه، لأنّه فی ذلک الزمان عندما كان ماء المطر ينزل من السماء لا يختلط بأی شیء ويبقى على صفائه الذاتی، وهكذا يجب أن يكون عمل الإنسان طالباً للّه تعالى وصافياً ونقياً من أی شوائب الأخرى، وأی اختلاط بغيره.

«وَطَهِّر قَلْبَکَ بِالتَّقوی وَاليَقِينِ عِنْدَ طَهارَهِ جَوارِحِکَ بِالمَاءِ»(۱)، فأنت تقوم بعمليّه تطهير القلب من شوائب المعاصی والنوازع الأنانيّه والرذائل النفسانيّه فی عمليّه تطهير أعضائک وجوارحک بالماء عند الوضوء، وهذا القلب الطاهر والمتطهّر هو القلب الذی لا ـ تمتزج معه ذرّه من الشرک، ولو للحظه واحده، والقلب الطاهر هو القلب الخالی من وساوس الشيطان والخارج عن دائره حكومته وسلطته.

كما نرى فی بعض الروايات وفتاوی الفقهاء، من الاستحباب أن يكون الإنسان فی جميع حالاته متطهّراً ومع الوضوء، لأنّ أحد آثار هذه الطهاره أنّها تؤثر على قلب الإنسان وتمنحه النورانيّه والصفاء وتمنع حضور الشيطان وساوسه فی أعماق النفس، وأساساً فإنّ المصلّی الذی يعيش بطهاره كامله وجامعه ويأتی بها بجميع آدابها وشروطها وخاصّه الأذكار والأدعيه فی أجزاء الوضوء، فإنّه يجد الاستعداد الكامل نفسياً للدخول فی الصّلاه ويحصل على

۱- (۱) . بحار الأنوار، ج ۷۷، ص ۳۳۹.

اللياقه ليكون فى محضر البارى تبارك وتعالى ويعيش اللذّه فى مناجاته والتواصل معه.

وعلى هذا الأساس يجب أن نلتفت إلى أنّ الوضوء ليس فقط طهاره ظاهريّه بل يتسبّب وصولنا إلى الطهاره الباطنيّه، وإذا استطعنا الوصول إلى الطهاره الباطنيّه، فسوف نتمكّن من التوصل إلى حقائق الصّلاه وسائر العبادات وحتّى إلى باطن معانى ومفاهيم القرآن الكريم: «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»۱ ، نسأل اللّه تعالى أن يجعل قلوبنا جميعاً نقيّه وطاهره.

ص:۱۵۹

۴۸- سرّ غسل الوجه واليدين فى الوضوء

يستفاد من الروايات أنّ الوضوء، مضافاً إلى هذا الظاهر، له حقيقه باطنيّه فى عالم الملكوت، فلا ينبغى أن يتصوّر أحد أنّ الوضوء عمل ظاهرى وسطحى وقشرى تماماً، ولا ينبغى أن يتصوّر أنّ غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والقدمين عمل ظاهرى فقط، ويقول ما هى آثار هذا العمل فى صلاه الإنسان؟ إذا تصورنا أنّ الوضوء هو هذه الأعمال الظاهريّه فقط، فهنا يبرز أمامنا مثل هذا السؤال، ولكن إذا تبيّن لنا أنّ للوضوء حقيقةً وملكوتاً وباطناً وهذا العمل والوضوء الظاهرى مقدّمه للوصول إلى تلك الحقيقه، فلا يبقى مجال لمثل هذا السؤال.

وقد وردت روايه مهمّه فى كتاب «جامع أحاديث الشيعه»: جاء نفر من اليهود إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله فسألوه عن مسائل فكان فيما سألوه أخبرنا يا مُحمّد لأى علّه توضىء هذه الجوارح الأربع وهى أنظف المواضع فى الجسد؟ قال النبىّ صلى الله عليه و آله:

«لَمّا وَسوَسَ الشَّيطانُ إلى آدَم عليه السلام دَنا مَنَ الشَّجرهِ فَنَظَرَ إليهَا فَذَهَبَ مَاءُ وَجْهِهِ»؛ وهو كنايه عن أنّ وجه النّبى آدم صار مكدّراً بسبب اقتربه من الشجره الممنوعه.

ص:۱۶۰

«ثُمَّ قَامَ وَمَشَى إِلَيها وَهِيَ أَوَّلُ قَدَمٍ مَشَتْ إِلى الخَطِيئَه»؛ ففی عالم التكوين كانت قدم آدم أوّل قدم تتوجّه نحو الذنب والخطيئه.

«ثُمَّ تَناوَلَ بِيَدِهِ مِنهَا مَا عَلَيها فَأَكَلَ فَطَارَ الحُلِّیُ وَالحُلَلُ مِنْ جَسَدِهِ فَوَضَعَ آدَمُ يَدَهُ عَلَی امِّ رَأسِهِ وَبَكَی، فَلَمَّا تَابَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيهِ فَرَضَ اللّـهُ عَلَيـهِ وَعَلی ذُرِّيَّتِهِ تَطهِيرَ هَـذِهِ الجَوَارِحِ»؛ وهكـذا أوجب اللّه تعـالی علی النـاس فی يـوم القيـامه تطهير هـذه الأعضـاء والجوارح بهذه الكيفيّه التی ارتكب فيها آدم الخطيئه.

«فأَمَرَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِغَسلِ الوَجْهِ لَمَّا نَظَرَ إِلی الشَّجَرَهِ، وَأَمَرَه بِغسلِ اليَدَينِ إِلی المِرفَقَينِ لَما تَناوَلَ بِهِما، وأَمَرَه بِمسحِ الرَّأسِ لَما وَضَعَ يَدَهُ عَلَی امِّ رَأسِهِ، وَأَمَرَه بِمَسحِ القَدَمَينِ لَمَا مَشَی بِهِما إِلی الخَطِيئَهِ»(۱).

وهـذا الحـديث الشـريف الذی يتضـمّن جواب النّبی الأكرم صـلی الله عليه و آله إلی ذلک اليهودی ويبيّن السـرّ فی غسل الوجه واليـدين، وأنّ المسأله تعود إلی ارتكاب آدم للخطيئه، فأمر اللّه تعالی بالوضوء بعنوان تكليف علی آدم وذرّيته، ويمكننا اسـتفاده عـدّه نقـاط من هـذا الحـديث الشـريف، إحـداها، أنّ كـلّ إنسان عادی يرتكب فی حياته الخطأ بهـذه الأعضاء من الوجه والعين والاُذن واللسان والفم و...

ولذلک عندما يغسل وجهه بالماء فإنّه يجب أن يفهم نفسه ويلقنها أنّه لا ينبغی لهذا الوجه أن ينصرف فی غير طاعه اللّه، ويتلوّث المعصيه، فالوجه يجب استعماله فی طاعه اللّه وعبادته فقط.

فقـد ورد فی دعـاء الوضوء: «اللّهُمّ بَيِّض وَجْهِی يَومَ تَسوَدُّ فِيهِ الوِجُوهُ وَلاـ تُسَوِّد وَجهِی يَومَ تَبيضِ فِيهِ الوجُوه»(۲)، وهذه الأدعيه يستحبّ قراءتها عند الوضوء.

فلو أنّ الإنسان المؤمن فی حال الوضوء كان ملتفتاً إلی هذه المفاهيم والآداب

۱- (۱) جامع أحاديث الشيعه، ج ۲، ص ۲۸۲.
۲- (۲) الكافی، ج ۳، ص ۷.

فسوف يعلم أنّ هـذا العمـل العبادى ليس مجرّد عمل ظاهرى وسـطحى بحيث إنّ اللّه تعالى يقول لك: بما أننى ربّك وخالقك إنّى آمر بأن تفعل كـذا وكـذا ويجب عليك الامتثال والطاعه، كلّا، هذه الأعمال لها أسـرار وإذا التفت الإنسان إلى هذه الأسـرار ويتـذكّر عنـدما يمسـح على رأسه آدم عنـدما وضع يـده على رأسه وينتبه لئلاـ يتحرّك عقله وفكره فى مسـار غير مسار العبوديّه والطاعه للّه تبارك وتعالى.

نسأل اللّه تعالى أن يعرفنا جميعاً على أسرار العبادات ولاسيما الصّلاه.

ص:۱۶۲

۴۹– أقسام الوضوء فی نظر العرفاء

جاء فی روایه شامله عن النّبی الأکرم صلوات اللّه وسلامه علیه، أنّه أشار إلی أنّ سرّ الوضوء یعود إلی تاریخ النّبی آدم علیه السلام وحادثه اقترابه من الشجره الملعونه، وعندما نقرأ کلمات بعض العرفاء فسوف نری أنّهم یذکرون ما ورد هذه الروایه ولکن فی قالب وببیان آخر، ویقسّم السیّد حیدر الآملی أعلی اللّه مقامه الشریف فی کتابه الجامع والنفیس باسم «أنوار الحقیقه وأطوار الطریقه وأسرار الشریعه»، الوضوء إلی ثلاثه أقسام:

۱. وضوء أهل الشریعه. ۲. وضوء أهل الطریقه.

۳. وضوء أهل الحقیقه.

ثمّ یقول السیّد حیدر الآملی قدس سره: إنّ هذا التقسیم للوضوء ورد فی روایه عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله ولکن بتعبیر آخر، فهو یری أنّ وضوء أهل الشریعه هو هذه الأفعال الظاهریّه وطهاره أعضاء البدن وغسل الوجه والیدین ومسح الرأس والقدمین، وهکذا یأتی المکلّف بکلّ وضوء بتلک النیّه الظاهریّه.

ص:۱۶۳

ولكن عنـدما يصـل إلى بيان وضوء أهل الطريقه، يقول: إنّ أهل الطريقه على أربع شـعب، وهـذه الشُـعب الأربعه لا معنى لها فى الطهاره الظاهريّه، وهذه الشُعب عباره عن:

۱. طهاره النفس؛ ۲. طهاره العقل؛ ۳. طهاره الباطن؛ ۴. طهاره الأعضاء، وممّا يجـدر ذكره فى هذا المقام أننا لا نقول بالتفكيك بين الشريعه والطريقه والحقيقه، وما ورد طبقاً للقرآن الكريم والعقل القطعى والأحاديث المسلّمه عدم التفكيك بين هذه الأمور، ولـذلک بحسب الأدله القطعيّه فإنّ أهل الحقيقه لابـدّ أن تتوفّر لـديهم جميع خصوصـيّات أهل الطريقه والشـريعه، وكـذلک فإنّ أهل الطريقه يجب أن تتوفّر لهم جميع خصوصيّات أهل الشريعه.

أمّـا طهـاره النفس فتعنى أن يطهّر الإنسـان نفسه من الرذائـل الأخلاقيّه والصـفات النفسـانيّه الـذميمه ولا يسـمح لنفسه أن تتخلّق بالصـفات السـيّئه، وتتلوّث بالأفعـال القبيحه، وفى مجـال طهـاره العقـل لا يسـمح الإنسان للأفكار الباطله والعقائـد الظالّه أن تجد الطريق إلى عقله، وفى مجال طهاره الباطن يسـعى الإنسان لإبعاد باطنه وسـرّه من النظر إلى الأغيار ولا ينظر أبـداً بنظر الباطن إلى غير اللّه بل يحصر توجّهه وميله باللّه تعالى، وفى طهاره الأعضاء لا يرتكب الإنسان الأعمال المنافيه لشرع اللّه ولا يسمح لجوارحه باليد والقدم، والعين، والأُذن واللسان و... بأنّ تتلوّث فى مستنقع المعاصى ووحل الذنوب.

وبالإمكـان ادراج هـذا الكلام فى الروايه التى نقلها المرحوم الصـدوق فى كتابه «من لا يحضـره الفقيه» ويقول عليه السـلام: «إنَّ الوُضُـوءَ عَلَى الوُضُـوِ نُورٌ عَلى نُورٍ»(۱)، فعنـدما يتوضـأ الإنسان يحصل على الطهاره الباطنيّه، ولـذلک فإنّ هـذا الوضوء نور، فإذا توضأ مرّه ثانيه دون أن يحدث حدثاً نقضاً للوضوء فسوف يكون هذا

۱- (۱) . من لا يحضره الفقيه، ج ۱، ص ۴۱.

الوضوء الثانى نور على نور، يعنى سينال هذا الإنسان مرتبه أعلى من الطهاره.

«وَمَنْ جَدَّدَ وُضُوئَهُ مِنْ غيرِ حَدثٍ آخرَ جَدَّدَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَوبَتَهُ مِنْ غَيرِ استِغفَارٍ»، هـذا يعنى أنّ الوضوء الثالث بمثابه التوبه والعوده والإنابه إلى اللّه تبارك وتعالى بدون أن يصدر من استغفار.

وإذا كان الوضوء الثانى نور على نور، فالوضوء الثانى يخلّف أثراً مضافاً إلى الوضوء الأوّل، وهـذا كـذا لو جدّد وضوءه المرّه الثّالثه فسوف يحصل على نور آخر ويترتّب عليه أثر جديد، وبإمكاننا تـذكير هـذه الآثار والمعطيات على طهاره النفس وطهاره العقل وطهاره السرّ والباطن.

يقول الإمام الصادق عليه السلام فيما يخصّ النيّه وحقيقتها: إذا أراد الإنسان أن ينوى تحصيل الطهاره قربه إلى اللّه يجب عليه أن يعزم فى قلبه وباطنه: «أن لا يفعل فعلاً يخالف رضا اللّه»، وهكذا تكون جميع عباداته خالصه للّه عزّ وجلّ، والنقطه المهمّه هنا أنّ هـذا الشخص لا ينبغى أن يتصوّر أنّ النيّه الحقيقه تكون فقط بالنسبه إلى ذلك العمل، بل فى هذا الوضوء أيضاً النيّه الصحيحه والحقيقيّه هى أنّ الإنسان يعزم ويقرر بشكل حاسم أن لا ـ يصدر منه أى فعل وعمل يخالف رضا اللّه تعالى، وينبغى أن يجعل حياته ومماته للّه عزّ وجلّ، وهذه هى حقيقه النيّه الخالصه كما ورد فى سوره الأنعام، الآيه ۱۶۲ و ۱۶۳:

«قُلْ إِنَّ صَلاتِى وَ نُسُكِى وَ مَحْياىَ وَ مَماتِى لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَ بِذلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» ، فينبغى على الإنسان المؤمن أن تكون جميع أموره وحركاته وسكناته ومنها القيام والعقود والنوم واليقظه والحياه والممات كلّها للّه تبارك وتعالى، فعندما يريد أن يغسل وجهه بالوضوء يجب أن ينتبه إلى أنّ هذا الوجه الظاهرى يحكى عن الوجه الباطنى ووجه القلب، إذن فكما أنّه يطهّر وجهه من التلوّث الظاهرى يجب عليه أن يطهّر وجهه الباطنى أيضاً من التعلّق

بالـدنيا وحبّ الـدنيا: «فإنَّ الـدُّنيا جِيفَهٍ وَطُالِبُها كِلابٌ فَالطّالبُ والمَطلُوبُ نَجِسانٍ»(۱)، أو نقرأ فی قراءه أخری قـوله علیه السـلام: «حُبُّ الدُّنیا رَأسُ کُلُّ خَطِیئَهٍ وَتَرکِ الدُّنیا رَأسُ کُلِّ عِبَادَهٍ».

أمّـا بالنسبه إلی غسـل الیـدین فی الوضوء یقول علیه السـلام: «غَسـلُهُما وَطَهارَتُهمـا عَمّا فِی قَبضَـتِهما مِنَ النَّقـدِ وَالجنسِ وَالـدُّنیا والآخره»، وهذا فی الحقیقه انقطاع عن المتاع الدنیوی وکذلک الاُخروی.

«أَمَّا مَسـحُ الرَّأسِ أَنْ یَمسَـحَ رَأسَهُ الحَقِیقِی وَهُو العِقلُ أَو النَّفسِ»، وعنـدما یمسح الإنسان رأسه فی الوضوء فهو یرید فی الحقیقه أن یمسـح رأسه الحقیقی وهو عقله ونفسه من التلوّثات الفکریّه والشـکوک الشیطان والخیالات الباطله، أمّا مسـح القـدمین: «أَنْ یَمنَعها عَنِ المَشِی لِغیرِ رِضا اللّهِ»، ویقول حینها: لا أتحرّک بقدمی هاتین فی مسیر یخالف رضا اللّه تعالی.

وهکـذا نـدرک ما فی هذه الطهاره من النکات والحقائق الدقیقه المؤثره فی روحیه الإنسان وسـلوکه فی حرکه الحیاه، فمثل هذا الشخص یشعر بالنورانیّه تحیط فی نفسه وتحیط به من کلّ جانب، لأنّ الأشخاص الغارقون فی المشاکل الدنیویّه ویعیشون الکآبه الروحیّه یتحرّکون لحـلّ مشـکلاتهم وفق الأفکـار الخـاطئه والحلول البـاطله، وأفضـل طریق للحـلّ هو مـا ذکر فی الفکر الـدینی، فالشـخص الـذی یشـعر بعدم الراحه والکآبه والقلق والاضـطراب، عندما یتوجّه للوضوء، فإنّ هذا الوضوء والطهاره تخلق له حفظاً وحصـناً من النور وتمنحه السکینه واستقرار النفس مضافاً إلی أنّه بعد الوضوء یصلّی رکعتین بحضور القلب، فالباری تعالی یقول: «أَلا بِذِکْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»۲.

ص:۱۶۶

۱- (۱) مصباح الشریعه، ص ۱۳۸.

۵۰- تأثیر الدعاء والذکر عند الوضوء

نتابع ذکر الروایات والأحادیث الشریفه المتعلّقه بأسرار الطهاره فی الصّلاه، فقد وردت روایه عن أمیرالمؤمنین علیه السلام فی کتاب «جامع أحادیث الشیعه» أنّ الإمام علیه السلام قال: «مَا مِنْ مُسلِم یَتوضأ فَیقُولُ عِندَ وُضُوئِه: «سُبحَانَکَ اللَّهُمَّ وَبِحَمدِکَ أَشْهَدُ أَنْ لاإِلهَ إِلّا أَنْتَ أَستَغْفِرُکَ وَأَتُوبُ إِلَیکَ، اللّهُمَّ اجعَلنِی مِنَ التَّوابِینَ وَاجعَلنِی مِنَ المُتَطَهِّرِینَ إِلّا کُتِبَ فِی رِقٍّ وَخُتِمَ عَلَیها ثُمَّ وُضِعَتْ تَحتَ العَرشِ حَتّی تُدْفَعَ إِلَیهِ بِخاتَمِها یَومَ القِیامَهِ»(۱)، هذه الکلمات والعبارات الوارده فی کلام أمیرالمؤمنین علیه السلام ترتبط ارتباطاً وثیقاً بفلسفه تشریع الوضوء، فعندما یتوضأ الإنسان فلماذا یقول هذه العبارات، ولماذا یجب أن یتشهد بشهاده التوحید، ولماذا یستغفر؟ لأنّ الطهاره عباره عن استغفار واقعی للإنسان، فهذا الشخص عندما یتوضأ یعود إلی اللّه تبارک وتعالی کما ذکرنا فی قصّه النّبی آدم علیه السلام.

یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام: إنّ الإنسان إذا تکلّم بهذه الکلمات فی حال وضوئه

ص:۱۶۷

۱- (۱) . مستدرک الوسائل، ج ۱، ص ۳۲۱؛ جامع أحادیث الشیعه، ج ۲، ص ۲۶۰.

وطلب من اللّه تعالى أن يجعله فى زمره التوابين والمتطهرين، فإنّ اللّه تبارک وتعالى يكتب هذه الكلمات فى ورقه، وهذه كنايه على أنّ هذه الكلمات لا تذهب هدراً بل تكون مثبته عند اللّه، وهناک ملائكه مأمورون بكتابه هذه الكلمات وحفظها ثمّ الختم عليها ووضعها وحفظها تحت العرش إلى يوم القيامه فتعاد لصاحبها، وعندما نقرأ أنّ الإنسان المؤمن عندما يأتى يوم القيامه سيكون لها نور يهديه إلى الجنّه وهذا النور هو تلک الأعمال والعبادات والطاعات التى عملها الإنسان فى هذا العالم وأرسلها إلى آخرته، وطبقاً لهذا الحديث الشريف أنّ كلّ وضوء يتحوّل إلى نور يضىء الطريق لهذا الإنسان ليتحرّک بسرعه وبراحه إلى الجنّه، وينبغى الالتفات إلى هذه الحقيقه وهى حقيقه الوضوء ما هى؟ وخاصّه الآداب والأذكار فى حال الوضوء حيث ينبغى علينا تعلّمها بمقدار الإمكان ونقرأها فى حال الوضوء ونقرأ هذه الأدعيه والأذكار حال الوضوء حتماً، ولا يكون حالنا أن نتوضأ عشرات السنين ولكن لا نفهم ما هى الغايه من هذا الوضوء؟ وبالتالى لا نحصل على ذلک الإحساس والنورانيّه الناشئه من طهاره الباطن.

۵۱- أسرار الوضوء فی حدیث المعراج

وإحدی الروایات الوارده فی مسأله أسرار الطهاره، الروایه الوارده فی کتاب «علل الشرائع» ضمن حدیث المعراج عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله: «قَالَ رَبِّی عَزَّ وَجَلَّ یا مُحَمَّدُ صلی الله علیه و آله مُدَّ یَدَکَ فَیَتَلقَّاکَ مَا یَسیلُ مِنْ سَاقِ عَرشِی الأَیمَنِ، فَنَزَلَ المَاءُ فَتَلَقَّیتُهُ بِالیَمِینِ فَمَنْ أَجلِ ذَلِکَ أَوَّلُ الوُضُوءِ بِالیَمِنی، ثُمَّ قَالَ یا مُحَمَّدُ خُذ ذَلِکَ فاغسِل بِهِ وَجهَکَ وَعَلَّمَهُ غَسلَ الوجَه، فإنَّکَ تُرِیدُ أَنْ تَنظُرَ إِلی عَظَمَتِی وإِنَّکَ طَاهِرٌ».

عندما یسمع الإنسان هذه العباره أو یقرأها فماذا سیکون حاله؟ نحن نغسل وجهنا فی الوضوء لأننا نرید بذلک ملاقاه الباری تعالی والحدیث معه ومناجاته، فینبغی أن یکون هذا الوجه طاهراً فی ظاهره وباطنه أیضاً، والنّبی الأکرم صلی الله علیه و آله الذی یملک مقام النبوّه عندما أراد فی معراجه النظر إلی عظمه اللّه وجب أن یکون طاهراً، والصّلاه بدورها عندما تکون معراج المؤمنین فیما لو کانت مقترنه بالطهاره الصحیحه، ونحن فی صلاتنا نتحرّک فی الحقیقه بنحو من أنحاء المعراج إلی اللّه: «الصَّلاهُ مِعرَاجُ المُؤمِنِ» فالإنسان بهذه الصّلاه یعلّق فی عوالم الملکوت

ص:۱۶۹

ثمّ يعود إلى هذا العالم.

«ثُمَّ اغسِلِ ذِراعَيكَ اليَمينَ وَاليَسارَ وَعَلَّمَهُ ذَلِكَ فإنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَتَلقَّى بِيدِيكَ كَلامِى»، لماذا وجب غسل على النّبى صلى الله عليه و آله غسل اليدين؟ تقول الروايه: بأنّك تريد أن تتلقّى بيدك كلامى، يعنى أنّ الغرض من غسل اليدين هو من أجل أن نحضر فى مقام القرب الإلهى ونقف فى محضر اللّه بيد طاهره ونطلب منه ما يسعنا من رحمته ولطفه، فلا يمكن أن يصلّى المؤمن ولا يتحدّث مع اللّه ولا يطلب منه شيئاً، ولو طلب منه شيئاً فلا يمكن أن لا يعطى له شيء، والنّبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومن أجل تسلّم كتاب الوحى يجب أن يكون ظاهر يديه طاهرتين أيضاً.

«وَامسَحِ بِفَضلِ مَا فِى يَدَيكَ مِنَ المَاءِ رَأسَكَ وَرِجلَيكَ إلى كَعبَيكَ، وَعَلَّمَهُ المَسحَ بِرَأسِهِ وَرِجلَيهِ وَقَالَ إنِّى أُرِيدُ أَنْ أَمسَحَ رَأسَكَ وَأُبارِكَ عَلَيهِ»، وهذه العباره عميقه المغزى وزاخره بالمعنى، يقول اللّه تبارك وتعالى: يا محمّد! امسح يديك على رأسك لماذا؟ لأنّى اريد أن أمسح رأسك بالبركه وأجعلك مباركاً، فماذا يعنى هذا؟ يعنى أنّ اللّه تبارك وتعالى أراد أن يهب للنبى بركات وفيوضات على فكر وعقله ولكن الشرط الأولى الظاهرى، هو أن يمسح الإنسان رأسه بماء الوضوء، وهذا الأمر يشير إلى أننا يجب أن نجعل فكرنا وعقلنا حصراً للّه فقط، لأنّ الفهم أو الذهن هو محل نزول الفيوضات الربانيّه على الإنسان.

ثمّ يقول: «فَأمَّا المَسحُ عَلَى رِجلَيكَ فَإنّى أُرِيدُ أَنْ أُوطِئكَ مَوطِئاً لَمْ يَطَأهُ أَحَدٌ قَبلَكَ وَلا يطؤُهُ أَحدٌ غَيرَكَ فَهذا عِلَّةُ الوُضُوء»، وهكذا نرى أنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله وصل إلى مقام «ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى * فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى»١ ،، فقال اللّه، اريد أن أجعل قدميك فى مكان ومحلّ لم يضع أحد قدمه عليه حتّى جبرئيل.

والآن بعد أن نال النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله تلك المرتبه العاليه وذلك المقام السامى فى

سلوكه الإلهى والمعنوى، فنحن كبشر عاديين يجب علينا أن نمسح أقدامنا لأننا نريد أن نتقدّم خطوه فى صلاتنا نحو مقام القرب الإلهى، فلو أننا واقعاً نعيش هـذا التوجّه والالتفات إلى هـذه الحقيقه فإنّ اللّه تعالى سـيبارك على هذه الأقدام، إذن تلاحظون أنّ الوضوء يتضـمّن أسـرار وحقـائق عميقه ولاـ ينبغى لنا أن نعيش الغفله عنها، ومن المناسب أنّ الإنسان فى حال اسـباغ الوضوء أن يتـذكر هـذه العبارات وطبعاً لابـدّ من الاسـتمداد من نظر اللّه ولطفه ويتـذكر الإنسان هـذه العبارات أثناء الوضوء ويسـتطيع إيجاد تحوّل فى بـاطنه والحصول على تلك النورانيّه فى الوضوء بحيث يشـعر بها فى وجوده وباطنه ويعيش بهـذه النورانيّه حياه سـعيده فى الدنيا والآخره.

نسأل اللّه تبارك وتعالى أن يجعلنا جميعاً من أهل الحضور فى ساحه قدسه إن شاء اللّه.

۵۲– وضوء أهل الحقيقه (طهاره السرّ)

ذكرنا لحدّ الآن أنّ الإنسان لا يستطيع بدون أداء الطهاره الصحيحه أن يصل إلى باطن الصّلاه وحقيقتها، وفى الطهاره نفسها يجب أن يلتفت المصلّى إلى ملكوت الطهاره وحقيقتها وباطنها، ويعلم أنّ وراء هذه الأفعال الظاهريّه، أى غسل الوجه واليدين، تطهيراً فى باطنه أيضاً، ويجب علينا تحصيل الطهاره الباطنيّه من طهاره القلب والعقل والنفس، فلو أنّ المصلّى أسبغ وضوءه بمثل هذا العمق والدقّه وبهذا الالتفات إلى حقيقه الطهاره فستكون صلاته بشكل آخر وسينال مرتبه أقرب إلى اللّه.

وفى هذا المجال ورد فى روايه وحديث قدسى متفق عليه بين الشيعه وأهل السنّه، أنّ اللّه تبارك وتعالى يقول: «لا يَزالُ العَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتّى أَحِبَّهُ»(۱)، وهذا التعبير، رغم أنّه ورد فى خصوص النوافل، لكن إذا أدّى الإنسان ما عليه من الواجبات والعبادات بشكل دقيق وعميق فسوف تؤثر هذه الخصوصيّه فى

ص:۱۷۲

۱- (۱) . روضه المتقين، ج ۱۲، ص ۲۰۹.

وجوده أیضاً، ولو أنّ المصلّی أسبغ الوضوء مع رعایه شروطه وخصوصیّاته بشکل کامل فسوف یصل إلی طهاره النفس والباطن وسیکون محبوباً للباری تبارک وتعالی.

«فإِذَا أَحببتُهُ کُنتُ سَمعَهُ وَبَصرَهُ وَلِسانَهُ وَیَدَهُ وَرِجلَهُ، فَبِی یَسمعُ وَبِی یَبصُرُ وَبِی یَنطِقُ وَبَی یَبطِشُ وبِی یَمشی»، هذا یعنی أنّ هذا الشخص کلّ ما ما یسمعه أو یراه أو ما ینطقه بلسانه فسوف یکون ذلک بمشیئه اللّه وإرادته، فالشخص الذی یقع محبوباً للذات المقدّسه فإنّ اللّه تعالی فی الحقیقه هو الحاکم علی وجوده وهو مالک لتصرفاته وسلوکیاته، وعندما نتحدّث عن سرّ وحقیقه الطهاره فنری أنّ هذا الأثر یترتّب أیضاً علیهما.

یقول المرحوم السیّد حیدر الآملی فی کتابه «أنوار الحقیقه وأطوار الطریقه وأسرار الشریعه» فی بحث وضوء أهل الحقیقه وهی المرتبه الثّالثه والعالیه من مراتب الوضوء: «طَهارهُ السِّرِّ عَنْ مُشاهَدَهِ الغَیر»، أی أنّ طهاره أهل الحقیقه، وهم الذین وصلوا إلی أعلی مرحله فی الکمال الإلهی والمعنوی بحیث إنّ سرّهم وضمیرهم لا یشاهد سوی اللّه تعالی، فکلّ ما یراه هذا العارف فهو یری اللّه، وعندما یغسل وجهه فهو فی الحقیقه یغسل الوجه الحقیقی له، أی سرّه وباطنه من التلوّث والتوجّه إلی ما سوی اللّه ویتعهّد فی نفسه ویلزم نفسه أن لا یری سوی اللّه تعالی ویطهّر وجهه من رؤیه اللّه تعالی: «فَأَیْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ...»[1] ، «إِنَّهُ بِکُلِّ شَیْ ءٍ مُحِیطٌ»[2] ، ویعلم أنّه کلما التفت إلی أی شیء فإنه یری وجه اللّه فیه، وکلّ ما هو موجود فی العالم من الکائنات واقع فی دائره الاحاطه الربوبیّه له، یقول السیّد حیدر الآملی قدس سره: وهذا التوجّه هو ما ورد عن توجّه إبراهیم علیه السلام للّه تعالی حیث قال:

«إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ»١ .

ثمّ یشیر السیّد حیدر الإملی قدس سره إلی غسل الیدین: «عبارهُ عَن عَدمِ الالتفاتِ إِلی مَا فِی یَدیهِ مِن متاعِ الدُّنیا والآخرهِ»، فعندما یغسل الإنسان یدیه یقول: إننی لا التفت بعد الآن إلی ما فی یدی من متاع الدنیا والآخره، أمّا متاع الدنیا فهو من قبیل المال والمقام الأهل والأولاد، ومقام الآخره الطاعات والعبادات، یعنی أنّ هذا الإنسان یصل إلی مرتبه یری نفسه فارغاً ممّا فی الدنیا والآخره ویدیه صفر من متاع الدنیا والآخره، حتّی لو أنّه قضی عمره فی العباده فهذه الأعمال لا تساوی شیئاً عند أهل المعرفه، لأنّ رؤیه الطاعه والعباده عند أهل المعرفه هو معصیه بذاته، فعندما تقول: أنا الذی فعلت کذا وکذا من العبادات، أی أننی عبدت اللّه عشر سنوات أو سبعین سنه، فمثل هذا الالتفات إلی النفس یعدّ معصیه بذاته، فلا ینبغی لنا أن نلتفت إلی هذه الأعمال العبادیّه، لأنّه أوّلاً أنّ التوفیق لأداء هذه الأعمال کان بعنایه اللّه ولطفه وإلّا نحن لا نستطیع علی القیام بذلک بدون العنایه الإلهیّه، وثانیاً، ینبغی أن نأمل أن یتقبّل اللّه تعالی بفضله وکرمه ولطفه.

وقد ورد فی الروایه التی ینقلها ابن أبی الجمهور الاحسائی فی «عوالی اللئالی» وقال: «الدّنیا حَرامٌ عَلَی أَهلِ الآخِرَهِ»، فالأشخاص الذین یریدون الوصول إلی مراتب عالیه فی الآخره فإنّ الدنیا تعتبر سمّاً مهلکاً لهم فیجب علیهم الإعراض عنها.

«وَالآخِرَهُ حَرامٌ عَلَی أَهلِ الدُّنیا»، لأنّهم سلکوا فی خطّ الشیطان وتحرّکوا فی طلب الدنیا والمال والمقام، ولهذا فالحیاه الطیّبه فی الآخره حرام علیهم.

ص:١٧۴

«وَهُمَـا مَعَاً حَرامَان عَلَى أَهلُ اللّهِ»(۱)، وهـذا يعنى أنّ أهـل اللّه يتوجّهون فقـط وفقـط إلى اللّه تعالى، ولا ينظرون أبـداً إلى متاع الدنيا ولا متاع الآخره.

ويتـابع المرحـوم السيّد حيـدر الآـملى كلاـمه فى مسـح الرأس ويقـول: «عِبـارهُ عَنْ تَنزيه سِرِّهِ وتَقـديس بـاطِنِهِ الّـذى هُو الرَّأسُ الحَقِيقِى»، والمسـح على الرأس يقصـد به تنزيه الرأس الحقيقى وهـو بـاطنه من تلوّث الأنـانيّه وكلّمـا يقصـد به غير اللّه فى فكره ونفسه، فالشـخص الـذى يشاهـد غير اللّه ويتوجّه إلى غيره هو مشـرك عنـد أهل المعرفه «كُلُّ مَنْ شاهَـدَ الغيرَ فَهُوَ مُشـرِكٌ وَكُلُّ مُشـرِك نَجِسٌ وَالنَّجِسُ لَيسَ لَهُ طَرِيقٌ إلى عـالَم القُـدس»، وهـذه الموارد والمفاهيم كلّها مقتبسه من الآيات القرآنيّه أو الروايات الشـريفه، وتوجـد فى الوضوء أسـرار ونكـات وخفايا كثيره إذا التفت إليها الإنسان من موقع الفهم والعمق فسوف يرد عالماً آخر وتنكشف له حقـائق خفيّه وتزول عن بصـيرته سـتائر وحجب، ومثل هـذا الوضوء من شأنه أن يخلق حاله حضور القلب للمصـلّى، نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا جميعاً هذه النعمه العظيمه إن شاء اللّه.

۱- (۱) . عوالى اللئالى، ج ۴، ص ۱۱۹.

۵۳- أذكار أميرالمؤمنين عليه السلام عند الوضوء

ورد التأكيد الكثير فى كتبنا الروائيه على استذكار الأدعيّه الخاصّه والأسرار الوارد عن الوضوء، فالوضوء إذا اقترن بهذه الأدعيه والأذكار فسوف تكون له حقيقه أخرى ويكون هذا الشخص مستعداً للصعود فى عبادته وصلاته إلى مراتب عليا، وقد ورد فى روايه صحيحه عن أميرالمؤمنين عليه السلام فى كتاب «الكافى»(۱) ، تبيّن آداب الوضوء، يروى عبداللّه بن الكثير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان جالساً وطلب من ولده محمّد بن الحنفيه أن يأتى له بماء ليتوضأ، فعندما أتى له بالماء أخذ بيده اليمنى كفّاً من الماء وصبّه على يده يسرى وذكر هذا والذكر: «بِسمِ اللّهِ الحَمْدُ الَّذى جَعَلَ المَاءَ طَهُوراً وَلَمْ يَجعَلْهُ نَجِساً»، ثمّ دعاء بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ حَصِّنْ فَرْجِى وَاعِفَّهُ وَاستُر عَورَتِى وَحَرِّمها عَلَى النَّارِ».

ثمّ إنّه تناول مقداراً من الماء واستنشق منه بأنفه ودعا بهذا الدعاء:

«اللّهُمَّ لاتُحَرِّمْ عَلَىَّ رِيحَ الجَنَّه، وَاجعَلنِى مِمَّنْ يَشُمُّ رِيحَها وَطِيبَها وَرَيحَانَها».

ص:۱۷۶

۱- (۱) الكافى، ج ۳، ص ۷۰.

ثمّ إنّه علیه السـلام وضع مقداراً من الماء فی فمه المبارک وتمضمض به وقال: «اللَّهُمَّ انْطِقْ لِسانِی بِذِكْرِكَ وَاجعَلنِی مِمَّنْ تَرضی عِنهُ»، وجاء فی بعض النسخ بدلاً من كلمه «انطق»، «اطلق»، أی أطلق لسانی بذكرک بحیث یكون مشغولاً بذكرک دائماً.

إذا كان وضوء الإنسان مقترناً مع هذه الأذكار وبخاصّه هذا الذكر «اللَّهُمَّ انْطِقْ لِسانِی بِذِكْرِكَ...»، فیتبیّن أنّ الإنسان حتّی لو أراد الـدعاء والمناجاه مع اللّه فإنّ اختیار لسانه بید الباری تعالی ولا یتحرّک ولا ینطق إلّابمشـیئه اللّه، أی لابدّ أن تشـمله العنایه الإلهیّه لیكون لسـانه قابلاًـ ولائقـاً لمناجـاه اللّه، وفی الكثیر من الأوقـات یجـد الإنسان نفسه یـدعو اللّه تعالی بكلّ راحه ویقرأ القرآن أو یصلّی ولا یحسّ بالملل، ولكن أحیانا لا یوفّق لقراءه آیه واحده أو دعاء مختصـر ولا یجد فی نفسه المیل والشوق لذلک، فیتبیّن أنّ الدعاء والمناجاه لابدّ لها من توفیق ربانی وعنایه الإلهیّه.

وعند غسل الوجه دعا أمیرالمؤمنین علیه السلام بهذا الدعاء: «اللّهُمَّ بَیِّضْ وَجْهِی یَومَ تَسوَدُّ فِیهُ الوُجُوه وَلا تُسَوِّدْ وَجهِی یَومَ تَبیَضُ فِیهِ الوُجُوهُ».

وعند غسل یدیه الیمنی قال علیه السلام: «اللّهُمَّ لاتعطِنِی كِتَابِی بِیَمِینِی وَالخُلدَ فِی الجِنانِ بِیسَارِی».

وعنـدما غسل یده الیسـری قال علیه السـلام: «اللّهُمَّ اعطِنِی كِتَابِی بِشِـمالِی ولا تَجعَلهَا مَغْلُولَهً إلی عُنُقِی»، ثمّ مسح رأسه المبارک وقال: «اللّهُمَّ غَشنِی بِرَحمَتِکَ وَبَركَاتِکَ وَعَفوُکَ».

وعند مسح قدمیه قال علیه السـلام: «اللّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِی عَلَی الصِّراطِ یَومَ تَزِلُ فِیهِ الأقدامُ وَاجعَل سَعیی فِیما یُرضِیکَ عَنْهُ»، هذه هی الأدعیه والأذكار التی كان الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام یدعو بها عند الوضوء.

ص:۱۷۷

۵۴– باطن الوضوءتبدیل قطرات ماء الوضوء إلی ملائکه

استعرضنا روایه للإمام الصادق علیه السلام ینقل فیها دعاء الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام فی حال الوضوء وتعرّفنا علی مضامین هذه الأدعیه والأذکار، ونری من اللازم أن یقرأ کلّ إنسان هذه الأدعیه والأذکار عندما یتوضأ، یذکر اللّه وکذلک یتذکّر المعاد ویتذکّر الأمور الأخلاقیه الملازمه لإنسانیّته، وبعد أن أنهی أمیرالمؤمنین وضوءه التفت إلی ولده وقال: «یا مُحَمّدُ! مَنْ تَوَضّأ مِثلَ مَا تَوُضُأتُ وَقَالَ مَثلَ مَا قَلتُ خَلَقَ اللّهُ مِنْ کُلِّ قَطرَهٍ مَلَکَاً یُقَدِّسُهُ وَیُسَبِّحُهُ وَیُکَبِّرُهُ وَیَکتُبُ لَهُ ثَوابَ ذَلِکَ إلی یَوم القِیامَهِ»، والنقطه المهمّه جدّاً التی ینبغی علی الجمیع الالتفات إلیها فی ختام الروایه أنّ الإمام علیه السلام قال: إنّ کلّ شخص یتوضأ مثل هذا الوضوء، وهو وضوء أتباع أهل البیت علیهم السلام والذی تعلموه من مدرسه أهل البیت علیهم السلام، وهو الوضوء نفسه الذی توضأه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فمن توضأ بمثل هذا الوضوء ودعا بهذه الأدعیه والأذکار فإنّ اللّه تعالی یخلق من کلّ قطره ملکاً یسبّح اللّه ویقدّسه ویکتب هذا

الذكر والتسبيح من الملك لصاحب هذا الوضوء فى صحيفه عمله.

وفى هذه الروايه عدّه نقاط مهمّه ينبغى الالتفات إليها:

الأُولى، أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام لم يكن بصدد بيان ثواب الوضوء فقط بل فى مقام بيان حقيقه الوضوء، فهو لا يريد أن يقول إنّ الشخص الذى يتوضأ فإنّ اللّه تعالى سيكتب له الثواب، بل يريد أن يبيّن حقيقه هذا العمل وباطنه وأجزاءه، يعنى أنّ ذلك الماء الذى يجرى على بدن الإنسان المؤمن مقترناً بالذكر اللّه وبتلك الكيفيّه الشرعيّه فإنّ حقيقه قطرات هذا الماء تتمثّل بشكل ملك من الملائكه، يعنى هناك ملك بإزاء كلّ قطره من قطرات ماء الوضوء، وعمل هؤلاء الملائكه الكثيرين الذين خلقوا من قطرات هذا الماء أنّهم يحمدون اللّه ويقدّسونه إلى يوم القيامه، ولا يتصوّر أحد أنّ هذه الروايه تذكر فقط ثواب الوضوء، كلّا، إنّ هذه الروايه تبيّن حقيقه قطرات ماء الوضوء والتى تتمثّل فى هيئه الملائكه.

النقطه الثّانيه، أنّ خصوصيّات هذه الروايه وتمثّل قطرات ماء الوضوء بالملائكه لا يختصّ بأميرالمؤمنين عليه السلام، فالإمام هنا يقول إنّ كلّ شخص إذا توضأ مثل وضوئى وذكر هذه الأذكار والأدعيه فسوف يخلق اللّه ملكاً من كلّ قطره من ماء وضوئه، ورغم أنّ نوع البشر عاجزون عن الاتيان بمثل هذا الوضوء وبهذه الكيفيّه والخصوصيّات ولذلك ذكر بعض الأعاظم والأكابر أنّ هذا المعنى يعدّ من خصوصيّات أميرالمؤمنين عليه السلام أو الأشخاص الذين بمثل مقامه وتالى تلوه وعلى مقربه منهم فى مراتب الكمال المعنوى والإلهى.

إنّ بعض الشخصيات من الأولياء يعيشون النور الإلهى فى جميع وجودهم وبعيداً عن كلّ رجس وذنب ورذيله، فمثل هذا الشخص الطاهر المطهّر من كلّ رجس وذنب إذا توضأ فإنّ وضوءه يحمل مثل هذه الخصوصيّه والثمره، ولكن يمكن القول إنّ المستفاد من هذه الروايه الشريفه أنّ اللّه تبارك وتعالى قد يرتّب

مثل هـذه الآثار والثمرات بفضـله وكرمه ولطفه على جميع العباد الـذين يتوضأون مثل هذا الوضوء، أى بمثل وضوء أميرالمؤمنين عليه السلام وبالترتيب المذكور ومع رعايه آدابه والأدعيه والأذكار الوارده مع الالتفات والاعتقاد بمضامينها ومعانيها، يعنى عندما يقول: «اللّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمِي عَلَى الصِّراطِ يَومَ تَزِلُ فِيهِ الأقـدامُ...»، فـإنّه يرى واقعاً يوم القيامه وجسر الصـراط ويجـد فى نفسه القلق والاضـطراب من حـالته فى ذلـك اليوم الرهيب، فرعـايه آداب الوضوء والتوجّه إلى معانى هـذه الأذكار والمعتقـدات الوارده فى هذه الأدعيه قد يتفق لبعض الناس أيضاً.

وأساساً إذا قلنا إنّ مثل هذه الخصوصيّات يعنى خلق الملائكه من قطرات ماء الوضوء يختصّ بأمر المؤمنين عليه السلام وفعل هذا الإمام، إذن فلماذا يقول الإمام عليه السلام:

«مَنْ قَالَ مِثـلَ قَولِى وَتَوضّـأ مِثلَ وُضُوئِى»، فلو كان الآخرون عاجزين واقعاً عن الوصول إلى هـذه الحقيقه فما هى الثمره والنتيجه المـترتبه على هـذه الحقيقه؟ فمـا يقوله البعض أنّ هـذا الأـمر يختصّ بالإمـام أميرالمؤمنين عليه السـلام خلاـف لظـاهر الحـديث، وعنـدما نسـتعرض الروايات الوارده فى باب الوضوء ونتمعّن فيها فسوف نرى كثره الآثار والبركات الإلهيّه المترتبه على مثل هـذا الوضوء.

إذن، يبـدو أنّ هذا الأمر لا يختصّ بأميرالمؤمنين عليه السـلام بل إنّ هذه الروايه تعكس مراتب الطهاره ووجود فرق بينها، فذلك الملـك الـذى يخلق من قطرات مـاء وضوء أميرالمؤمنين عليه السـلام يختلف قطعاً عن ذلك الملك الـذى يخلق من قطرات ماء وضوء الشـخص العـادى، فـدرجات الملاـئكه تختلف بحسب اختلاف مراتب طهاره الأفراد، وهـذا هو ما ثبت فى محلّه، إذن فلا معنى للقول إنّ الآخرين محرومون من الوصول إلى هذه المرتبه.

النقطه الثّالثه، يستفاد من هذه الروايه أيضاً أنّ الوضوء حتّى لو لم يكن بنيّه

ص:١٨٠

الصّلاه بل يتوضأ المؤمن لمجرّد الطهاره مع توفّر شروط الوضوء فإنّ هذه الآثار والبركات ستترتّب عليه أيضاً.

وأمّا هذه الروايه فلا تدلّ على أنّ هذا الشخص المتوضىء يقصد من ذلك الصّلاه بعده، فلم يُذكر فى هذه الروايه قيد وشرط بعنوان الصّلاه، ولذلك ينبغى على المؤمنين الالتفات إلى هذه الحقائق واستثمارها والسعى يكونوا دوماً على وضوء وطهاره وليعلموا كثره البركات والثمرات المترتبه على الوضوء، عليهم رعايه الأذكار والأدعيه الوارده فى حال الوضوء لئلا يفقدوا هذه العنايات الإلهيّه الكبيره ويحرمون أنفسهم من لطف اللّه تعالى، ورعايته.

ص:١٨١

۵۵- آثار وفوائد الوضوء

إنّ أحد آثار الوضوء إيجاد النورانيّه فی باطن الإنسان، وحقيقه هذا الوضوء خلق الملائكه من قطرات هذا الماء ليسبحوا اللّه تبارك وتعالی ويكبّروه إلی يوم القيامه، ولعل البعض يخطر فی ذهنه أنّ الوضوء بما أنّه مقدّمه وشرط من شروط الصّلاه فلا يحظی بأهميّه كبيره، فی حين يجب علينا الالتفات إلی أنّ الوضوء فی ذات كونه شرطاً للصّلاه فإنّه فی نفسه عمل عبادی مهمّ جدّاً وتترتّب عليه آثار مهمّه أيضاً، وقد وردت الروايه الشريفه فی كتاب «الكافی»(۱) عن محمّد بن قيس يقول:

«سِمِعْتُ أَبَاجَعفَر عليه السلام يَقولُ وَهُوَ يُحَدِّثُ النّاسِ بِمَكّه: صَلّی رَسُولُ اللّهِ صلی الله عليه و آله الفَجرَ»

مع أصحابه إلی أن طلعت الشّمس وقام الأصحاب واحداً بعد الآخر وذهبوا:

«حَتَّی لَمْ يَبقَ مَعَهُ إِلّا رَجُلانِ»، أحدهما من الأنصار والآخر من قبيله ثقيف، فالتفت إليهما رسول اللّه صلی الله عليه و آله وقال:

۱- (۱) . الكافی، كتاب الطهاره، باب النوارد، ح ۷.

«قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَكَما حاجَهُ وَتُريدانِ أَنْ تَسألا عَنها فإِنْ شِئتُما أَخبَرتُكَما بِحاجَتِكَما قَبلَ أَنْ تَسألانِی»، قالا: «فَإِنْ ذَلِکَ أَجلَی للعَمی وَأَبعَدُ مِنَ الإِرتِیابِ وَأَثبَتُ للإِیمَانِ» قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله:

«أَمَّا أَنتَ یاأَخا ثَقِیف فإِنَّکَ جِئتَ تَسأَلَنِی عَنْ وُضُوئِکَ وَصَلاتِکَ ما فِی ذَلِکَ مِنْ الخَیرِ»، ثمّ إنّ النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله التفت إلی الأنصاری وقال له: إنّک تسأل عن الحجّ والعمره، وما نحن بصدد الإشاره إلیه هو جواب النّبی صلی الله علیه و آله عن سؤال الثقفی فیما یتّصل بالوضوء.

هنا یقول النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله فی جوابه: «أَمَّا وُضُوؤکَ فَإِنَّکَ إِذا وَضَعتَ یَدَکَ فِی إِنائِکَ ثُمَّ قُلتَ بِسم اللّهِ تِنَاثَرتْ مِنها مَا اکْتَسَبتَ مِنَ الذُّنُوبِ، فإِذَا غَسَلْتَ وَجهَکَ تَناثَرتْ الذُّنُوبُ الَّتِی اکتَسَبتَها عَینَاکَ بِنظَرِهِما وفُوکَ، فَإِذا غَسَلتَ ذِراعَیکَ تَناثَرتْ الذُّنُوبُ عَنْ یَمِینِکَ وَشِمالِکَ، فإِذا مَسَحْتَ رَأسَکَ وَقَدَمَیکَ تَناثَرتْ الذُّنُوبُ الَّتِی مَشیتَ إِلَیها عَلَی قَدَمَیکَ».

أیّها الإنسان، تأمّل ما فی الوضوء من آثار وبرکات عظیمه، فیستطیع الإنسان بوضوء واحد أن یتطهّر تماماً من الذنوب والآثام التی تلوّثت بها أعضاؤه وجوارحه، وقد ورد فی أحادیث أخری أنّ النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله قال: «إِنّ قَالَ فِی آخرِ وُضُوئِهِ وغُسلِهِ أَشْهَدُ أَنْ لاإِلهَ إِلّا أَنتَ وَأَتُوبُ إِلَیکَ وأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبْدُ هُوَرَسُولُهُ وأَشْهَدُ أَنَّ عَلِیّاً وَلِیّکَ وَخَلِفَتِکَ بَعدَ نِبیِّکَ عَلَی خَلقِکَ وَأَنَّ أَولِیاءهُ خُلفَاؤکَ وَأَوصِیاءهُ أوصِیاؤکَ تَحاطَتْ عَنْهُ ذُنُوبَهُ کِلُّها کَمَا تَحاطُ وَرَقُ الشَّجر»(۱).

وهکذا تلاحظون الأهمیّه البالغه لهذا الوضوء عند اللّه تبارک وتعالی والتحوّل الکبیر الذی ینتج بسبب هذا الوضوء وکم من الأسرار والحقائق الکامنه فیه، ولکن للأسف نحن لا نعلم بها ونعیش بعیداً عن هذه الحقائق المعنویّه.

۱- (۱) بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۷۷، ص ۳۱۶.

وقد يتساءل أحياناً بعض الأشخاص بسبب جهلهم وعدم اطلاعهم: لماذا نغسل وجوهنا وأيدينا من أجل الصّلاه، هؤلاء الأشخاص لا يعلمون أنّ اللّه تعالى حكيم على الإطلاق وقد أوجب الوضوء مقدّمه للصّلاه، وهو عالم تماماً بأسرار هذا الوضوء ولذلك يجب علينا السعى أن نكون على طهاره دائمه، ورغم أنّ الوضوء شرط للصّلاه ولكن لا ينبغى لنا الغفله عن هذه الحقيقه ولا نتوضأ للصّلاه فقط بل نكون على وضوء فى جميع الحالات لتشملنا أنوار هذا الوضوء ونستغرق فى بركات هذه الطهاره إن شاء اللّه.

ص:۱۸۴

الباب الثانی: أسرار ستر العوره

اشاره

ص:۱۸۵

۵۶- أسرار ستر العوره فی الصّلاه

إنّ أحد الشروط التی یجب علی المصلّی رعایتها، ستر العوره، وقد یثار هذا السؤال، لماذا یجب علی المصلّی أن یستر عورته فی حال الصّلاه؟ فإنّ اللّه تعالی هو العالم بظاهر الإنسان وباطنه ولا فرق لدیه أن یکون المصلّی عریاناً أو مستوراً؟ وما هی الخصوصیّه والأسرار فی ستر العوره بحیث صار شرط هذا العمل شرطاً واجباً من شروط الصّلاه ویجب علی المصلّی رعایته.

لقد ذکر علماؤنا فی مدوّناتهم وکتبهم فی بحث أسرار الصّلاه نقاط وملاحظات قیمه فی هذا المورد، وبخاصّه الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه، حیث ذکر نقاط مهمّه جدّاً وبعضها خارج عن دائره فهم أمثالنا وتختصّ بحقیقه هذا الإمام النورانیّه وأمثاله، وبالنسبه لستر العوره فی الصّلاه لابدّ من القول إنّ ستر العوره وأعضاء البدن القبیحه أی المواضع التی یقبح النظر إلیها والعقلاء یجتنبون النظر إلیها والمرتبه الأدنی من ذلک ستر العوره، وعلی حدّ تعبیر الإمام رضوان اللّه علیه أنّ ستر العوره هو المفهوم عند عامّه الناس، ولکنّه یذکر

ص:۱۸۷

أیضاً خمس مراتب أخری لستر العوره: ۱. ستر العوره لدی الخاصّه؛ ۲. ستر العوره لدی الخواص؛ ۳. ستر العوره لدی أهل الإیمان؛ ۴. ستر العوره لدی أهل المعرفه؛ ۵. ستر العوره لدی أهل الولایه(۱).

ومن الواضح أنّ کلّ ستر یستلزم لباساً وساتراً خاصّاً، فستر المواضع القبیحه من ظاهر البدن یتمّ بهذه الملابس الظاهریّه بل حتّی فی موارد لا یوجد لباس یستطیع الإنسان ستر عورته بورق الشجر وأمثال ذلک، وهکذا یستطیع الإنسان أن یستر هذه المواضع بسهوله، ولکن هناک مراتب أعلی من الستر وتستلزم لباساً آخر، من قبیل لباس التقوی، فعندما یقترف الإنسان الرذائل ویرتکب الأعمال القبیحه یجب علیه تغطیتها وسترها بلباس التقوی، أی أنّه یقوم بأعمال لجبران تلک الأعمال القبیحه ویستر نفسه بها، وفی المرتبه الثّالثه فیما لو أراد الإنسان ستر نفسه من القبائح والصفات الذمیمه یجب علیه أن یرتدی لباس العفاف والطهاره، وفی المرتبه الرابعه فیما لو أراد ستر عیوبه القلبیّه وتغطیه القبائح فی نفسه وروحه یجب علیه استخدام لباس الطمأنینه، وفی المرتبه الخامسه یرتدی لباس الشهود ولباس التمکین وهی من جمله المفاهیم التی یصعب علینا جدّاً درکها وفهمها.

ومقصودنا من الإشاره إلی هذه المراتب أنّ المصلّی یجب أن یعلم أنّه إذا وجب علیه ستر القبائح الظاهریّه وتغطیه عورته فی الصّلاه فإنّه یحتاج لستر أعماله وسلوکیاته المذمومه إلی ساتر أیضاً، وکذلک قلبه وفکره وباطنه تحتاج أیضاً إلی ساتر، وتحتاج ملاکاته الأخلاقیّه وصفاته الذمیمه إلی ساتر أیضاً، فیجب علینا أن نتجاوز القبائح الظاهریّه ونرکز تفکیرنا فی القبائح الباطنیّه وکیفیّه سترها واصلاحها، یقول المرحوم الشهید الثانی رضوان اللّه علیه: یجب علی

۱- (۱) سرّ الصّلاه (معراج السالکین)، ص ۴۹.

الإنسـان أن يجمع جميع قبـائحه البـاطنيّه فى قلبه ويعلم أنّ الساتر الوحيـد لها عباره عن الخوف من اللّه والأمل برحمته تعالى، أن يعيش حـاله الخوف والرجـاء وصـفها سـاتراً للملكات الباطنيّه القبيحه والصـفات الأخلاقيّه الـذميمه، وتبيّن من ذلك لماذا وجب على المصـلّى ستر العوره فى حـال الصّلاه وهو يقف أمام البارى تعالى العامّ بالظاهر والباطن، بل يجب عليه ستر العوره حتّى فى الأماكن التى لا يوجد فيها أحد من الناس ولا يراه أحد، ومن هنا ورد التأكيد فى اختيار المصـلّى للباسه بأن لا يجعله منشغلاً بهذا اللباس عن الصّلاه والتوجّه إلى اللّه، وأن لا يكون لباساً خاصّاً يخلق فيه حاله العجب والغرور.

وبعبـاره أخرى إنّ الغـايه الأساسيّه من البـدن والعوره، هى الستر الظـاهرى لهـذه الأعضـاء والجوارح، وهـذا العمل بمثابه مقـدّمه للتوجّه إلى ستر سائر العيوب والقبائـح، وبهـذا العمل يـدرك الإنسان عيوب ونواقص وتلوّثات كثيره فى نفسه وروحه يجب عليه سترها بطرق خاصّه.

ينبغى على الإنسان أن يعلم من خلال شـرط الستر هـذا أنّه يحتاج إلى ساتر واقعى، ويحتاج إلى توفير الساتر على أعماله الـذميمه وأخلاقه القبيحه، يقول القرآن الكريم: «وَ لِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ...»١.

نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا جميعاً لباس التقوى الجميل.

ص:١٨٩

۵۷- الصوره الإنسانيّه، ستر لحقيقه الأعمال الحيوانيّه للبشر

تحدّثنا عن أسرار ستر العوره فى الصّلاه، هذا الستر الظاهرى الذى يجب على الإنسان أن يغطى قسماً من بدنه فى حاله الصّلاه، يتحرّك الإنسان لافهام نفسه بأنّها تحتاج إلى ستر وغطاء، فلا ينبغى للإنسان أن يتصوّر بأنّ جسمه فقط يحتاج إلى ساتر، بل يجب عليه ستر القبائح الباطنيّه ويفكر فى إيجاد مثل هذا الساتر على أخلاقه وسلوكياته أيضاً.

يقول الإمام الخمينى رضوان اللّه عليه: إنّ اللّه تبارك وتعالى ستار جميع عورات وقبائح الخلق، بمعنى أنّ أحد الأمور التى يجب من أجله أن نشكر اللّه، وهو أن اللّه جعل للبشر لباساً (وهو اللباس الظاهرى) يستطيع الإنسان بواسطته أن يستر بدنه، وقد منح البارى تعالى هذا الامتياز للبشر وليس لسائر الحيوانات والموجودات الأخرى مثل هذا الامتياز فهو كرامه من اللّه تعالى للبشر حيث يستطيع الإنسان ستر بدنه وعوراته بالملابس المتنوعه فى الثقافات المختلفه، ولكن ثمّه أمر آخر ينبغى الالتفات إليه وهو أنّ اللّه تعالى جعل من هذه الصوره

ص:۱۹۰

الإنسانيّه ساتراً لحقيقه أعمال البشر القبيحه، وبواسطه هذه الصوره الظاهريّه يتمّ ستر تلك الحقيقه الباطنيّه، وهذه نقطه مهمّه جدّاً.

فلو أنّ اللّه تعالى كشف الغطاء وأزاح هذه الصوره الإنسانيّه، ولو أنّ إراده الحقّ تبارك وتعالى قررت أنّ كلّ شخص يعمل عملاً معيناً فإنّ حقيقته وصورته الواقعيّه تنكشف وبدون أى ساتر لها، فإنّ الجميع سيواجهون الفضيحه ويتورطون فى المذله «إلّا قليل»، ونعتقد أيضاً وبحسب ما ورد فى الآيات والروايات، أنّ الناس يوم القيامه يحشرون بتلك الصوره الواقعيّه لأعمالهم، فقد ورد فى بعض الروايات أنّ بعض الناس يحشرون يوم القيامه بصور قبيحه وكريهه إلى درجه أنّ صوره القرده والخنازير تكون جميله بالنسبه لهؤلاء، فهذا دليل على أنّنا نعيش فى هذا العالم الدنيوى تحت مظلّه ستاريه البارى تعالى، فاللّه تبارك وتعالى لا يسمح بأن تنكشف الصوره الحقيقيه لأعمال للآخرين، وإلّا فلو انكشف باطن الأعمال فسوف تنكشف الصوره القبيحه والمتعفنه لكل عمل ذميم، ومن هذه الجهه فإنّ هذه الصوره الظاهريّه للإنسان تعتبر ساتر وغطاءً على تلك الصوره القبيحه لأعماله وصفاته الذميمه.

وقد ورد فى الروايات أنّ الشخص الذى يعيش فى هذا العالم فى حاله التكبّر يأتى يوم القيامه صغيراً وحقيراً ويحشر كنمله صغيره تسحقه الخلائق إلى أن يفرغ اللّه من حساب جميع الناس، وهكذا نرى أنّ ظهور حقيقه المتكبّر فى ذلك العالم بهذه الصوره، يقول الإمام الراحل رضوان اللّه عليه(۱): إنّ السالك سبيل الآخره والمجاهد فى سبيل اللّه يجب أن يستر عوراته الباطنيّه بالتمسّك بمقام الغفاريّه والستاريّه للحق تعالى، لأنّه هو الذى ستر الصوره الحقيقه لأعمالنا فى هذه الدنيا، فيجب على الإنسان أن يستأنس بذكر «ياغفّار وياستّار»، فإنّ اللّه

۱- (۱) . سرّ الصّلاه (معراج السالكين)، ص ۵۰.

تعـالی یسـتعمل سـتاریّته دوماً فی تعامله مع عباده، وینبغی الالتفات إلی أنّ الساتر والسـتّار الحقیقی هو اللّه تعالی، ومن هنا یجب الالتفـات إلی هـذه الحقیقه، وهی أننـا عنـدما نحتـاج إلی ستر عیوبنـا الظـاهریّه والبـاطنیّه فبطریق أولی لا- ینبغی لنـا افشـاء عیوب الآخرین، لأنّ هذه المسأله فی غایه الخطوره بأن نلفت نظر الناس إلی عیوب شـخص آخر بدون اسـتخدام صفه السّتاریّه علیه، بل نکشـف عیوبه ونقوم بفضـحه أمـام الملأ، وسوف نـبیّن الآثـار والافرازات الوخیمه جـدّاً علی هـذا العمـل الشـائن کمـا ورد فی الروایات الشریفه.

ص:۱۹۲

۵۸- ستر العيوب والعورات الباطنيّه

بالنسبه لأسباب ستر العوره هناك روايه مفصّله ورد فى كتاب «مصباح الشريعه» عن الإمام الصادق عليه السلام، ويذكرها الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه ويقول بعد نقله لهذه الروايه: إنّ التفكّر والتدبّر فى هذا الكلام الجامع يفتح لأهل المعرفه وأصحاب القلوب أبواباً من الحِكم والمعارف.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أَزيَنُ اللّباسِ للمُؤمِن لِباسُ التّقوى وأَنعَمُه الإِيمَان»، ولا يوجد لباس أفضل وأحسن من هذا اللباس، واللباس هو شىء الذى يحفظ الإنسان ويمنحه الوقار والعظمه ويدفع عنه بعض الأضرار والأذى، وأفضل لباس هو لباس التقوى الذى يورث الإنسان سعاده الدنيا والآخره، والإمام الصادق عليه السلام يشير فى كلامه هذا إلى الآيه القرآنيّه: «وَ لِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ...»۱.

ويتابع الإمام عليه السلام قوله: «وَأَمّا اللّباسُ الظَّاهِرُ فَنِعمَهٌ مِنَ اللّهِ تَعالى تَستُرُ بِها عَوراتُ بَنِى آدمَ وَهِى كَرامِهٌ كَرمَ اللّهُ بِها ذُرِّيه آدمَ لَمْ يُكرِم بِها غيرَهُم، وَهِى

لِلمُؤمِنِينَ آلَهٌ لأداءِ مَا افتَرضَ اللّهُ عَلَيهِم، وَخَيرُ لِباسِکَ مَا لايَشغُلکَ عَنِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ بلْ يُقرّبُکَ مِنْ ذِکرِهِ وشُکرِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلا يَحمِلُکَ عَلَى العُجبِ وَالرِّياءِ وَالتَّزيِّنِ وَالتَّفَاخُرِ وَالخُيلاء».

ثمّ قال عليه السلام: «فَإنّها مِن آفَاتِ الدِّينِ وَمُورِثَهٌ القَسوهَ فِی القُلُبِ، فَإذَا لَبِستَ ثَوبَکَ فَاذکُر سَترَ اللّهِ عَلَيکَ ذُنُوبَکَ بِرَحمَتِهِ، وَألبِس بَاطِنَکَ کَمَا ألبَستَ ظَاهِرَکَ بِثَوبِکَ»، وعلى هذا الأساس، کما تغطى وتستر ظاهر بدنک بقطعه من القماش فعليک بستر نفسک بالصدق والأمان: «وَلِيَکُنْ بَاطِنُکَ فِی سِترِ الرَّهبه وَظَاهِرُکَ فِی سِترِ الطَّاعَهِ»، أی يجب عليک ستر باطنک بلباس الخوف من عذاب اللّه، وتستر ظاهرک بلباس الطاعه للّه تبارک وتعالى، وهذا يعنى أنّ الطاعه للّه تعالى من شأنها أن تستر ظاهرک وشخصيّتک أمام الناس، وأمّا ستر باطنک وحالاتک النفسانيّه فينبغى سترها بلباس الخوف والرهبه.

«وَاعتَبِر بِفَضلِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَيثُ خَلقَ أَسبَابَ اللّباسِ لِيَستُرَ العَوراتِ الظَّاهِرَه، وَفَتَحَ أَبوابَ التَّوبَهِ والإنابهِ لِيَستُرَ بِهَا العَورات البَاطِنَه»، ولکن ما المراد من العورات الباطنه؟

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مِنَ الذُّنُوبِ وَأَخلاقِ السُّوءِ، وَلا تَفضَح أَحَدَاً حِيثُ سَتَرَ اللّهُ عَلَيکَ مَا هُو أَعظَمُ مِنْهُ»، أيّها الإخوه والأخوات الأعزاء الذين يقرأون هذه السطور بدقّه أنتم تلاحظون أنّ الإنسان کيف يهتمّ بستر عورته أمام الناس وحفظ حيثيّته وسمعته أمام المخلوقين، وسبق أن قلنا بأن حقيقه العباده هی أن يکون الإنسان غافلًا عن مخلوقين ولا يهتمّ إلّابما أمر اللّه به، ومعلوم أنّ اللّه تبارک وتعالى لا يريد أن أن تنکشف عيوب عباده، ولو أنّ شخصاً اطّلع على عيوب شخص آخر، يقول الإمام عليه السلام: «وَلا تَفضَح أَحَدَاً حِيثُ سَتَرَ اللّهُ عَلَيکَ مَا هُو أَعظَمُ مِنْهُ».

«وَاشتَغِل بِعَيبِ نَفسِکَ»، بأن تهتمّ باصلاح هذا العيب وجبران هذا الخلال.

«وَاصفَح عَمّا یَعِینَکَ حَالَهُ وَأَمرُهُ»، أی لا تلتفت إلی نقاط ضعف الآخرین وما لا یرتبط بک حاله، فوجود عیوب لدی الآخرین لا یرتبط بشأنک وبحیاتک.

«وَاحذْرِ أَنْ یَفنَی عُمْرُکَ بِعَمَلِ غیرِکَ»، فما أشقی الإنسان وما أقبحه عندما یصرف عمره السلیم فی تجسّس عیوب الآخرین، وهذا العمل المذموم وردت فی نصوص کثیره فی ذمّه وتقبیحه، وللأسف فإنّ مجتمعنا الراهن متورط فی مثل هذه السلوکیات اللاخلاقّیه، وعندما نتساءل: لماذا لا تؤثر صلاتنا فی تعدیل أخلاقنا؟ بسبب أنّ الواجب فی الصّلاه ستر العوره الظاهریّه وما یترتّب علی من ذلک ستر عیوب الآخرین أیضاً، ولا نسمح بافشاء عیوبهم وفضحهم، ولکن للأسف نری الکثیر من الأشخاص لا یلتفتون إلی هذه الحقیقه فهنا یقول الإمام علیه السلام: لا ینبغی أن تتلف عمرک وإمکاناتک من أجل عمل غیرک، فلو کان لدی الآخر عیب وخطأ وسلوک مذموم فلماذا تنشغل أنت باحصاء عیوبه وتستعمل لسانک وفکرک ووقتک فی مثل هذه الأمور؟

یجب علینا أن نعلم أنّ الشخص إذا کان فی صدد فضح عیوب الآخرین فإنّه یتلف عمره من جهه، ومن جهه أخری فإنّ کشف عیوب الآخرین علی الملأ یتسبّب فی أنّ اللّه تعالی سیکتب أعمالک الصالحه فی سجل عمله وبالتالی فإنّ ذلک الشخص سیتاجر بأعمالک الصالحه ویربح منک ما تعبت فی کسبه وتحصیله وفی ذات الوقت تکون قد خسرت عملک وأهلکت نفسک.

ثمّ یقول علیه السلام: «فَإنَّ نِسیَانَ الذُّنُوبِ مِنْ أَعظَمِ عُقُوبَهِ اللّهِ فِی العَاجِلِ وَأَوفَرِ أَسبَابِ الْعُقُوبَهِ فِی الآجُلِ»، لأنّ الإنسان إذا نسی ذنوبه فی هذه الحیاه فسوف لا یتوفّق للتوبه منها واصلاح الخلل فی عمله ونفسه.

«وَمَادَامَ العبْدُ مُشتَغُلًا بِطاعَهِ اللّهِ تَعالی وَمَعرِفَهِ عُیُوبِ نَفسهِ وَتَرَکَ مَا یَشِینُ فِی دِینِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ بِمَعزِلٍ عَنِ الآفَاتِ»، یعنی إذا أراد الإنسان الابتعاد عن الآفات واجتناب الرذائل والعیوب فالطریق إلی ذلک أن یشغل نفسه بطاعه اللّه عزّ

وجلّ ويهتمّ بمعرفه عيوب نفسه وإصلاحها وترک كلّما يوجب الانحراف عن خطّ الإيمان والصلاح والدين.

«غَائِصٌ فِی بَحرِ رَحمَهِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَفُوزُ بِجَواهِرِ الفَوائِدِ مَنَ الحِكمَهِ وَالبَيـانِ»، فمثل هؤلاء الأشـخاص، مضافاً إلى بعـدهم عن الآفـات وقربهم من بحر رحمه اللّه وبركاته، فإنّه يوماً بعـد آخر يحصـلون على جواهر الحكمه والبيان، وهـذا يعنی أنّ الإنسان إذا اشتغل بعيوب نفسه فلا يلتفت بعدها إلى عيوب الآخرين، وإذا سلک فی خطّ الطاعه والعبوديّه للّه تعالی، فإنّ اللّه سيمنحه جواهر الحكمه ونفائس المعرفه ودرر البيان.

«وَمَادَامَ نَاسِيّاً لِذُنُوبِهِ جَاهِلًا لِعُيوبِهِ راجِعاً إلی حَولِهِ وَقُوَّتِهِ لايُفلِحُ إذاً أَبَداً»(۱)، وهكذ يبقى هذا الشـخص الناسی لذنوبه غارقاً فی عيوبه ومتوكّلًا فی إصلاح حاله ومعيشته على نفسه وحوله وقوّته بعيداً عن حول اللّه وقوّته، فتقوده هذه الحاله إلى وادی الضلاله والهلكه.

وهكـذا ترون أنّ معرفه أسـرار سـتر العوره سـيفتح أبوابـاً للمعرفه على الإنسـان، يعنی أنّ سـتر العوره الظـاهری يقود الإنسـان إلى أبواب جواهر الحكمه والبيان، فلو أنّ الإنسان اهتمّ برعايه هذه الأمور فی واقع حياته سـيحصل على نتائج كثيره وثمرات مهمّه فی واقع وحياته.

ونستنتج من مجموع ما تقدّم من مسائل وبحوث نقطتين مهمّتين فيما يتّصل بلزوم ستر العوره فی الصّلاه.

۱. إن ستر العوره الظاهری يتسبّب فی التفات الإنسان إلى لزوم ستر عيوبه الباطنيّه.

۲. إنّ ستر عوره الإنسان فی الصّلاه يؤدّی إلى أن يعلم الإنسان وجوب ستر عيوب الآخرين.

نسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا جميعاً إلى تحصيل حقيقه هذه الأعمال.

۱- (۱) . مصباح الشريعه، ص ۳۲-۳۳.

الباب الثالث: أسرار وقت الصّلاه

اشاره

ص:۱۹۷

۵۹- سرّ تعيين الوقت للصّلاه

أحد الأمور الأخرى فى بحث أسرار الصّلاه التى يجب الالتفات إليها، مسأله وقت الصّلاه، ونعلم جميعاً وجوب أوقات معيّنه للصلوات الواجبه مذكوره فى فقهنا وكتب الفتاوى للمراجع الكبار، فصلاه الصّبح لها وقت، وكذلك صلاه الظّهر والعصر والمغرب والعشاء، ومضافاً إلى الصلوات الواجبه فثمّه أوقات معينه ومقرره للنوافل اليوميّه أيضاً، والنتيجه أنّ الصّلاه إنّما تقع صحيحه ومؤثّره فيما روعيت هذه الأوقات بشكل كامل ويكون المصلّى حافظاً لمواقيتها، وهنا قد يثار هذا السؤال: ألا يمكن أن يجعل اللّه تبارك وتعالى تعليم وقت الصّلاه بعهده الناس ولا يعيّن هو وقتاً خاصّاً لكلّ صلاه؟ يعنى فى أى وقت رغب الإنسان فى العباده والصّلاه ووجد فى نفسه الاستعداد والشوق لها فيصلّى ولا حاجه لتعيين الوقت؟ وأساساً ما هى الحكمه فى هذا الأمر بأن يعيّن اللّه تبارك وتعالى وقتاً لكلّ صلاه، بحيث إنّ الإنسان إذا صلّى صلاته قبل ذلك الوقت فلا تقبل منه ولا يكون قد أدّى تكليفه الشرعى؟ أى أنّ هذه الصّلاه قبل الوقت ليست مسقطه

للتكليف، وبالتالى فإنّ هذه الصّلاه لا يترتّب عليها أثر من آثار الصّلاه.

الجواب عن هذا السؤال واضح، لأنّ مسأله الوقت فى باب الصّلاه تشير إلى وجود عنايه خاصّه من أجلها عيّن اللّه تعالى هذه الأوقات على المصلّين رغم أنّ الإنسان يستطيع فى جميع الأوقات أن يعبد اللّه تعالى، ولكن هذه الأوقات الخاصّه هى ظرف زمانى جعله اللّه تبارك وتعالى للصّلاه والعباده بسبب وجود عنايات خاصّه واهتمام أكثر من المصلّين بهذه الصّلاه، ومن هذه الجهه فهى عباره عن دعوه خاصّه، ومن جهه أخرى فالإنسان إذا علم أنّ اللّه تعالى عيّن له وقتاً خاصّاً للصّلاه والمناجاه معه فإنّه قبل حلول ذلك الوقت يتحرّك على صعيد تهيئه نفسه لهذا اللقاء وينبعث فيه الشوق للمناجاه والحديث مع اللّه تبارك وتعالى، ومثل هذا الشوق وفى غير هذه الفرضيه لا معنى له ولا يمكن تصوّره.

وقد ذكر أكابرنا هذه المسأله فى قالب مثال فى كتبهم ومدوّناتهم، وذلك أنّه إذا قام رئيس بلد معين أو سلطان أو شخصيّه كبيره بدعوه شخص من الأشخاص وفى وقت معين للقائه ومجالسته، وأراد أن يهتمّ ذلك الشخص بهذا اللقاء اهتماماً خاصّاً ويقول له إننى فى هذا الوقت أسمع كلامك واستجيب لطلباتك، ففى هذه الصوره من الطبيعى أن يجد الإنسان فى نفسه استعداداً وشوقاً لهذا اللقاء ويحسب اللحظات إلى أن يحين موعد الحضور واللقاء.

وهكذا نرى أنّ اللّه تبارك وتعالى تعامل مع الإنسان بهذه الصوره وقال له: إذا قمت من فراشك فى أوّل طلوع الفجر وأقمت صلاه الصّبح فإننى فى هذا الوقت سأتوجّه إليك بعنايه خاصّه وأستجيب لك دعاءك وأُحقق تطلباتك أكثر، وهذا الوعد لا سبيل إلى نقضه أو التخلّف عنه، وعلى هذا الأساس فإنّ أوقات الصّلاه تملك مثل هذه الخصوصيّه وأنّها عباره عن ضيافه إلهيّه خاصّه لهذا الإنسان المصلّى.

ص:٢٠٠

يقول المرحوم الشهيد الثانى رضوان اللّه عليه فى كتابه حول أسرار الصّلاه:

«وأمّا الوقت فاستحضر عند دخوله أنّه ميقاتٌ جعله اللّه تعالى لک لتقوم به بخدمته وتتأهل للمثول فى حضرته والفوز بطاعته»(۱).

وسبق أن ذكرنا أننا نعيش دوماً وفى جميع الحالات فى محضر البارى تبارک وتعالى سواءً فى حاله اليقظه أو المنام، أو المحادثه و...، ولكن عندما يحين وقت الصّلاه فكأنّ اللّه ينتظر من عبده المؤمن أن يسمع صوته ويحدّثه، وينتظر مناجاته والانفتاح عليه فيما يختلج فى قلبه ومكنونه، فلو أنّ الإنسان التفت إلى هذه المفاهيم فسوف يتجلّى هذا المعنى أكثر فى ذهنه، وسيقف للصّلاه بين يدى اللّه بحضور قلبه أكثر.

عندما يحين وقت الصّلاه يجب على المصلّى أن يستشعر الوجد والسرور والشوق يملأ جميع وجوده، فهل إننا نشعر بمثل هذه الحاله فى صلاتنا؟ وعندما نسمع صوت المؤذن للصّلاه هل نشعر فى قلوبنا بالانبساط والسرور والبهجه أم لا؟ فمن علائم الإنسان المؤمن أنّه عندما يحين وقت الصّلاه فإنّ حاله السرور والبهجه تملأ كيانه وقلبه، ويشعر أنّه قد آن وقت ملاقاته ومناجاته مع خالقه وربّه، ومن هذه الجهه ورد فى سيره أشرف المخلوقات النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله:

«كانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و آله يَنتَظِر وَقتَ الصَّلاهِ وَيَشتَدُّ شَوقُهُ وَيَتَرَقَّبُ دِخُولَهُ وَيَقُولُ لِبلال مُؤذنَهُ أَرِحنَا يا بِلالُ»(۲)، أى أنّه صلى الله عليه و آله ينتظر وقت الصّلاه بشغفٍ ليتواصل مع اللّه ويناجى ربّه، وهذه الحاله يجب أن تتوفّر فى امّه النّبى أيضاً، فيجب علينا أن ننتظر وقت الصّلاه بشوق ولهفه، إنّ وقت الصّلاه يجب أن يكون بالنسبه لنا مثل الضالّه للشخص، فنسأل دائماً من هذا وذاک: متى يحين وقت الصّلاه؟ ومعلوم أنّ انتظار وقت الصّلاه يترتّب عليه آثار عظيمه جدّاً فى حياه المؤمن.

ص:۲۰۱

۱- (۱) التنبيهات العليّه، ص ۱۰۲.

۲- (۲) . نفس المصدر السابق.

۶۰- حاله المصلّی عند حلول وقت الصّلاه

ذکرنا لحدّ الآن مسأله التوجّه إلی وقت الصّلاه وأن المصلّی یجب أن یکون مستعداً للدخول إلی الصّلاه وتجسید حقیقه الصّلاه فی نفسه.

وتقدّم فی عباره الشهید الثانی رضوان اللّه علیه فی کتابه «التنبیهات العلیّه»(۱) ، أنّه قال: «وأمّا الوقت فاستحضر عند دخوله أنّه میقاتٌ جعله اللّه تعالی لک لتقوم به بخدمته...»، ویتابع الشهید الثانی کلامه ویقول:

«ثمّ استشعر بعد هذه البهجه خشیه اللّه تعالی فی الوقوف بین یدیه»؛ أی أنّک بعد شعورک بالبهجه والسرور من دخول وقت الصّلاه والمناجاه مع اللّه فیجب أن تلتفت إلی هذا الأمر، وهو أنّک مثل هذا الموجود الحقیر ومع کلّ ما تحمله من ظلمات نفسانیّه ستقف أمام أعظم موجود وأعظم قوّه فی عالم الوجود، ویقول:

«فإنّ استشعار الخوف شعار الکاملین»؛ فإحدی علائم الإنسان الکامل والذی وصل إلی مراتب عالیه فی سُلّم الکامل المعنوی وجود حاله الخوف والخشیه

ص:۲۰۲

۱- (۱) . التنبهات العلیّه، ص ۱۰۴.

من اللّه فی قلبه، کما أنّ من علائم المطرودین من رحمه اللّه هی الغفله، وبذلک لا یشعرون فی وجودهم وأذهانهم بأی حاله من الخشیه والخوف من اللّه، لو أنّ الإنسان لم یجد فی نفسه أثراً من الخشیه والخوف من اللّه فلیعلم أنّه من المطرودین من رحمه اللّه، ولکن إذا أحسّ عند حلول وقت الصّلاه بالخشیه من اللّه فی قلبه فی ذات الوقت الذی یشعر فیه بالسرور والبهجه فلیعلم أنّه أصبح من زمره الأشخاص الکاملین، ویقول رحمه اللّه: یجب أن تحکّم عظمه اللّه فی نفسک وتلتفت إلی نقصک وضعفک فی مقابل عظمه اللّه وقدرته.

ونقرأ فی سیره النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله عن بعض زوجاته أنّه کان إذا حان وقت الصّلاه تقول: «کَانَ رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله یُحدِّثُنا وَنُحَدِّثُهُ فَإذا حَضَرَتْ الصَّلاهُ فَکَأَنَّهُ لَمْ یَعرِفْنا وَلَمْ نَعرِفهُ شُغلاً بِاللّهِ عَنْ کُلِّ شَیٍّ»(1). بمعنی أنّ ملامح النّبی وحاله تتبدّل عندما یحلّ وقت الصّلاه، فهذا النّبی الذی کنّا نعرفه قبل الصّلاه أصبح شخص آخر لشدّه شغفه بالحضور بین یدی ربّه، فلماذا لا نملک نحن اهتماماً کافیاً لوقت الصّلاه وعندما نسمع صود المؤذن یرتفع عالیاً نستمر بعملنا وشغلنا؟

ألا یدلّ هذا علی عدم اهتمامنا بالحضور بین یدی اللّه تعالی وعدم اهتمامنا بأوامره؟ فکیف نتوقع مع ذلک أن یستجیب اللّه دعانا؟

نحن لا نراعی حقّه ونعیش دائماً حاله عدم الاهتمام بأوامره، ألم یکن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله یهتمّ بدقّه لجمیع أموره، وعندما یتحدّث مع أقرب المقرّبین إلیه ویحلّ وقت الصّلاه فإنّه یقطع هذه المکالمه ویتوجّه للصّلاه، فلماذا لا نتّبعه علی ذلک؟ لماذا عندما یحلّ وقت الصّلاه لا نترک علمنا وکسبنا ودرسنا وبحثنا وجلساتنا؟ هل هناک أهمّ من المناجاه مع اللّه والحدیث معه؟

لا ینبغی القول إنّ الوقت الصّلاه واسع وأنّ اللّه تعالی أباح لنا الصّلاه فی أی فتره من هذا الوقت المعدّ للصّلاه، ولکن أساس الصّلاه هو أوّل الوقت، فالصوره

۱- (۱) . عوالی اللئالی، ج ۱، ص ۳۲۴.

الحقیقیه والکامله للصّلاه تتحقّق فی الصّلاه فی أوّل الوقت، وحتّی لو کنت فی ذلک الوقت فی السیاره وفی حال السفر فعندما یحین وقت الصّلاه یجب علینا التوقّف للصلاه فی وقتها ولا ندع فضیله الصّلاه فی أوّل الوقت تفلت من أیدینا.

ینقل صاحب کتاب «عوالی اللئالی» روایتین فی هذا المجال: «إِنَّ عَلیّاً علیه السلام إِذا حَضَرَ وَقتُ الصَّلاهِ یَتَمَلمَلُ وَیَتَزلْزَلُ وَیَتَلَونَ»، أی لا یهدأ له حال ویتلوّن لون وجهه ویعیش حاله الانتظار فی جمیع وجوده.

«فَیُقالُ لَهُ ما لَکَ یا أَمِیرَالمُؤمِنِینَ! فَیقُولُ جاءَ وَقتُ الصَّلاهِ وَقتُ أَمَانَهٍ عَرَضها اللّهُ عَلَی السَّماوَاتِ وَالأَرضِ وَالجِبالِ فَأَبَینَ أَنْ یَحمِلنَها وَأَشفَقنَ مِنها»(۱)، وهذه نعمه وموهبه منحها اللّه تعالی لعباده، والسعید من یتقبل هذه النعمه وهذه الموهبه بأفضل ما یمکن وینتفع بها غایه النفع، یجب علینا الاهتمام الجاد بوقت الصّلاه وأن نصلّی الصّلاه فی أوّل وقتها ولا ندع فضیله أوّل الوقت تذهب من أیدینا.

وجاء فی روایه عن حالات الإمام زین العابدین علیه السلام: «کَانَ عَلَیُّ بنُ الحُسَینِ علیهما السلام إِذا حَضَرَ لِلوُضُوءِ اصفَرَّ لَونُهُ فَیُقالُ لَهُ مَا هَذا الَّذِی یَعتَورُکَ عِندَ الوُضُوءِ؟ فَیَقُولُ: مَا تَدرُون بَینَ یَدَی مَنْ أَقُومُ»(۲)، ینبغی بنا أن نهتمّ أکثر فی حیاتنا بوقت الصّلاه، ونخلق فی أنفسنا وفی اسرتنا وفی مجتمعنا بحیث ینتظر الجمیع وقت الصّلاه وقبل أن یحین وقت الصّلاه یسأل أحدهم من الآخر: متی یحین وقت الصّلاه، ومتی یحین وصال الحقّ؟ ونفس هذا السؤال وهذا العمل له ثواب کثیر کما ورد فی الروایات، فقد ورد فی بعض الروایات، أنّ أحد العبادات أن یجلس المرء فی المسجد وینتظر وقت الصّلاه، قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «الجُلُوسُ فِی المَسجِدِ انتِظاراً للصّلاهِ عِبادَه»(۳).

نسأل اللّه تعالی أن یجعلنا جمیعاً من الحافظین لأوقات الصّلاه إن شاء اللّه.

۱- (۱) . علوالی اللئالی، ج ۱، ص ۳۲۴.

۲- (۲) . بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۷۷، ص ۳۴۷.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۸۰، ص ۳۸۰.

۶۱- الأیّام لها حقیقه مستقلّه

الأمر المهمّ الذی یجب الالتفات إلیه وبخاصّه فی الصّلاه أنّ الزمان له دور مهمّ وأساسی فی أعمال الإنسان، بحیث إذا وقع العمل فی غیر وقته وزمانه فربّما لا یؤثّر الأثر المتوقّع منه، وأعلی من ذلک أنّ الزمان نفسه، أعمّ من الیوم واللیله، ومع غضّ النظر عن الأعمال التی یقوم بها الإنسان فی وقت معیّن، له حقیقه وللأسف نحن غافلون عنها، إنّ عقولنا الضعیفه والناقصه لا تلتفت إلی هذه الحقیقه، وهی أنّ لکلّ زمان حقیقه معیّنه، فالنهار له حقیقه، واللّیل له حقیقه أخری، ویوم الجمعه له حقیقه والأیّام الأخری لکلّ منها حقیقه أخری، ومع مطالعه روایات الأئمّه المعصومین صلوات اللّه علیهم أجمعین یتبیّن هذا الأمر بوضوح کامل.

فقد ورد فی کتاب «بحار الأنوار»(۱) روایه عن الإمام الصادق علیه السلام أنّ قال: «إِذا کَانَ یَومَ القِیامَهِ بَعَثَ اللّهُ الأَیّامَ فِی صُورٍ یَعرِفُها الخَلقُ أَنّها الأَیّام»، فهناک صوره

ص:۲۰۵

۱- (۱) . بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۸۶ ص ۳۵۳.

ليوم السبت وأخرى ليوم الأحد.. وهكذا...

«ثَمَّ يَبعَثُ اللّهُ الُجمعَهَ أَمَامَها يقْدَمُها كَالعَرُوسِ ذَاتَ جَمالٍ وَكَمالٍ تُهدى إِلى ذِى دِينٍ وَمَالٍ، قَالَ: فَتَقِفُ عَلَى بَابِ الجِنَّهِ وَالأَيّامُ خَلفَها يَشهَدُ»، أى تبدأ الأيام بالشهاده والشفاعه وتقول للّه تعالى أنّ هذا الإنسان فى الدنيا كان مهتمّاً بى وكان يقيم الصّلاه والذكر والمناجاه فى يوم الجمعه.

«وَيَشفَعُ لِكُلِّ مَنْ أَكثَرَ الصَّلاهَ فِيهِ عَلَى مِحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ».

يقول الراوى فسألت الإمام عليه السلام: «وَكَمْ الكَثِيرُ مِنْ هَذا وَفِى أَىِّ أَوقَاتٍ أَفضَلُ».

والسؤال عن الإكثار من الصّلاه على محمّد وآل محمّد وفى أى وقت أفضل من يوم الجمعه

قال الإمام عليه السلام: «مَائَهِ وَلَيكُنْ ذَلِكَ بَعْدِ صَلاهِ العَصرِ: اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مَحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَعَجِلْ فَرَجَهُم».

ولدينا روايات أخرى تبيّن هذه النقطه المهمّه، وهى أنّ الأيّام والليالى تشهد لصاحبها، وهكذا الأمكنه وجميع أجزاء عالم الوجود يشهد للإنسان وسوف نبيّن ذلك إن شاء اللّه فى بحث المكان، وهو المكان الذى يصلّى فيه المؤمن، حيث يشهد يوم القيامه لهذا المصلّى، وكذلك الزمان يشهد أيضاً لصاحبه، وجاء فى روايه الأمالى للصدوق رحمه الله فى المجلس الثالث والثلاثون فى روايه عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَا مِنْ يَوم يَمْرُّ عَلَى ابنِ آدَمَ إلّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ اليَومُ يا ابنَ آدَمَ أَنَا يَومٌ جَدِيدٌ وَأَنا عَلَيكَ شَهِيدٌ فَقُلْ فِىَّ خَيراً واعمَلْ فِىَّ خَيراً»، فلا ينبغى إهمال الوقت وتركه يمرّ دون أن نقوم بعمل صالح أو نتكلّم بكلام طيب حتّى يأتى يوم القيامه ويشهد لنا، وبحسب هذه الروايه أنّ الأيّام لها حقيقه وتأتى يوم القيامه وتشهد على أعمال الإنسان، فالشخص الذى ينتظر وقت الصّلاه ليقيمها فى أوّله، فإنّ أولّ الوقت يأتى يوم القيامه ويشهد لصاحبه بأنّه صلّى فى أوّل الوقت وما

يترتّب عليه من آثار كثيره وبركات جليله، وعلى هذا الأساس يجب علينا الالتفات إلى أنّ للزمان أثراً خاصّاً فى حقيقه الصّلاه والعباده، ومن هذه الجهه إذا أراد المصلّى أن يحصل على جميع الآثار وبركات الصّلاه وخصوصاً نيل الحقيقه الكامله للصّلاه فينبغى عليه أداء الصّلاه فى أوّل وقتها كيما تترتّب عليها جميع البركات والثمرات.

«أَوَّلُ الوَقتِ رِضوانُ اللّهِ وَآخِرَهِ غُفْرَانُهُ»، بمعنى أنّ الشخص الذى يؤخّر صلاته إلى آخر الوقت فإنّ صلاته هذه ستفقد صورتها الحقيقه والنورانيّه التى تستوجب رضا اللّه تعالى ولا ترتفع به فى مراتب أعلى فى سلّم الكمال المعنوى، بل إنّ هذه الصّلاه المتأخّره قد تكون سبباً فى عفو اللّه وغفرانه عن هذا المصلّى، ولكن ما يوجب رضوان اللّه هى تلك الحقائق والأسرار الكامنه فى الصّلاه والتى لا تدرك إلّاالصّلاه فى أوّل وقتها.

هيا بنا أن نتعاهد مع اللّه تعالى أن نصلّى صلاتنا فى أوّل وقتها، وعندما نصل إلى نهايه عمرنا ننظر إلى ما تقدّم من هذا العمر ونرى أننا قد صلّينا جميع صلواتنا فى أوّل الوقت ولم نضيّع الصّلاه، والويل لذلك الإنسان الغافل الذى يقول: لقد بقيت نائماً حتّى طلعت الشّمس وفاتتنى الصّلاه، فمثل هذا الشخص حتّى لو أتى بصلاته قضاءً ولكنّه لا يعلم البلاء الذى حلّ به بسبب فوت الصّلاه والنعمه العظيمه والمرتبه العاليه التى فقدها، هو لا يعلم أنّه قد أصبح محروماً من الأنوار الإلهيّه والفيوضات الربانيّه فى ذلك الوقت، فلو استيقظنا يوماً ورأينا – لا سمح اللّه – أنّ الشّمس تكاد تشرق وقد فاتتنا صلاه الفجر فى أوّل وقتها، فيجب علينا أن نبكى على حالنا ونسكب الدموع ونقول لأنفسنا: ما أعظم البلاء الذى حلّ بنا، وما هذا العمل الذميم الذى صدر منها فحرمنا من التوفيق الإلهى الجليل، علينا جميعاً أن نتواصل فيما بيننا بأن نصلّى صلاتنا فى أوّل وقتها ولا ندع فضيله أوّل الوقت تفلت من أيدينا إن شاء اللّه تعالى.

۶۲- نداء الأذان تذكير بالقيامه

إنّ إحدى علامات المؤمن أنّه يفرح ويشعر بالسرور عندما يحين وقت الصّلاه، ويتحدّث الشهيد الثانى رضوان اللّه عليه فى عباره جميله للتعبير عن هذه الحاله الجديره بالالتفات، يقول: «إذا سَمِعتَ نِداء المُؤذن فَأحضِر فِى قَلبِكَ هَولَ النِّداء يَوم القِيامَه، وَتَشَمَّر بِظَاهِرِكَ وَباطِنِكَ للمُسارَعهِ وَالإجابَهِ، فَإنَّ المُسارِعِينَ إلى هَذا النِّداءَ هُمْ الَّذينَ يُنادَونَ بِاللُّطفِ يَومَ العَرضِ الأكبرِ، فَأَعرِض قَلبَكَ عَلَى هَذا النِّداءِ فَإن وَجَدتَهُ مَملُوّاً بِالفَرحِ وَالأستِبشَارِ وَمُستَعِدّاً بِالرَّغبَهِ إلى الإبتِدارِ فَأعلَم أَنَّهُ يَأتِيكَ النِّداءُ، بِالبُشرى والفَوزِ يَومَ القَضاءِ»(۱).

وطبقاً لهذا الكلام فإنّ انتظار ومراقبه أوقات الصّلاه واستقبال هذا الوقت برحابه صدر وبفرح وشوق يتسبّب فى نجاه الإنسان من أهوال يوم المحشر وحالات الاضطراب والوحشه يوم القيامه.

وطبعاً، ثمّه نقاط أخرى لكلّ واحد من أوقات الصّلاه مذكوره فى الروايات

ص:۲۰۸

۱- (۱) التنبيهات العليّه، ص ۱۰۴.

الشریفه، مثلًا بالنسبه لصلاه الظّهر، تقول الروایه: عندما عرج بالنبی الاکرم صلی الله علیه و آله إلی السماء وصلاه التی صلاها هناک کانت الصّلاه الظّهر.. وهنا یوجد بحث مهمّ فی أنّ معراج النّبی وقع باللیل کیف یصلّی النّبی صلی الله علیه و آله صلاه الظّهر فی معراجه؟ وهل یوجد فی ذلک العالم صباح ومساء، ونهار ولیل؟ وهنا نقاط أخری یبحثها أهل الفن فی محلّها، فصلاه الظّهر هذه هی الصّلاه التی صلّاها النّبی فی معراجه، ووقت صلاه العصر عندما ارتکب آدم أبو البشر الخطأ وترک الأولی واقترب من شجره الطبیعه، ووقت صلاه المغرب هو الوقت الذی تاب فیه آدم وصلّی فیها ثلاث رکعات، الرکعه الأُولی لرفع خطئه، والرکعه الثّانیه من جهه خطأ حواء، والرکعه الثّالثه بعنوان التوبه، ووقت صلاه العشاء هو تذکیر بضمه القبر ویوم القیامه، فصلاه العشاء هی النور الذی یزیح ظلمات القبر وظلمه المحشر فی یوم القیامه. علی أساس هذه النقاط الوارده فی بعض کتبنا الروائیّه، نفهم أنّ أوقات الصّلاه لیست مجرّد أمر اعتباری محض، بل لکلّ وقت من صلاه الصّبح، الظّهر، العصر، المغرب والعشاء مناسبات واقعیّه وحقیقیّه تماماً، فلو أنّ الإنسان صلّی صلاته بهذه الأوقات فحینئذٍ سینال مرتبه الفوز العظیم، وبخاصّه فی أوّل الوقت والذی ورد التأکید علیه کثیراً فی الروایات الشریفه.

فعن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «إِنَّ فَضْلَ الوَقتِ الأوّلِ عَلَی الآخِرِ کَفَضلِ الآخِرهِ عَلَی الدُّنیا»(۱)، فهل الآخره تقبل المقارنه مع الدنیا؟ ولو أنّ شخصاً سمع هذه الروایه والتفت إلی أهمیّه أوّل الوقت بالنسبه إلی آخره مثل نسبه الآخره إلی الدنیا فهل یسمح لنفسه بعد ذلک أن یفقد ویتساهل بهذا الرأس مال العظیم فی فضیله الصّلاه فی أوّل الوقت ولا یبالی بهذا الوقت ولا یهتمّ به؟

وقد ورد فی الحدیث الشریف عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ

۱- (۱) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۲۷۴.

يُحِبُ مِنْ الخَيرِ مَا يُعجِّلُ»(۱) ، «استَبِقُوا الخَيراتِ» و «وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكَمْ...»۲.

ومن هـذا المنطلق فالأصل فی الصّلاه والصّلاه الكامله هو الصّلاه فی أوّل وقتها، وفی ذات الوقت فإنّ اللّه تعالی قـد وسع وقت أداء الصّلاه للشـخص الـذین لم یوفّق لإدراک فضیله أوّل الوقت لبعض المشاغل الضـروریّه، فمثل هـذا الشـخص یمكنه تأخیر صلاته عن أوّل وقتها، ولكن فی الحالات العادیه إذا فاتت الصّلاه فی أوّل الوقت فذلک یعنی أنّ هذا الشـخص قد خسر خساره عظیمه جدّاً.

نسأل اللّه تعالی أن یوفّقنا جمیعاً لنكون من الحافظین لوقت الصّلاه إن شاء اللّه.

ص:۲۱۰

۱- (۱) . الكافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۲۷۴.

خلاصه من أسرار وقت الصّلاه

أ) إيجاد البهجه والسرور لملاقاه اللّه ومناجاته.

ب) إيجاد الخشيه من اللّه تعالى فى حال الوقوف بين يديه فى الصّلاه، يعنى أنّ المصلّى فى ذات الوقت الذى يشعر فيه السرور والبهجه يجب أن يستشعر الخشيه والرهبه، وهى شعار الكاملين.

ج) أن يشعر المصلّى بقيمه الزمان والوقت وأنّ الزمان سيشهد يوم القيامه كما فى الأمكنه أيضاً، فللأيّام والليالى حقيقه خاصّه لكلّ واحده منها، ومن هذه الجهه فإنّ الصّلاه فى أوّل الوقت لها حقيقه فى عالم الملكوت لا يمكن للصّلاه فى غير أوّل الوقت أن يكون لها غير هذه الحقيقه.

د) الأشخاص الذين يستجيبون فى هذه الحياه الدنيا لنداء المؤذمن أسرع من الآخرين، فإنّهم يوم القيامه ينالون لطف اللّه ورحمته أسرع من الآخرين، والأشخاص الذين يشعرون باللذه عند سماعهم صوت الأذان وحلول وقت الصّلاه فإنّهم يوم القيامه ستأتيهم البشرى بالصلاح والنجاح.

ه) إنّ أوقات الصّلاه ليست مجرّد أموراً اعتباريّه محضه، بل إنّ كلّ وقت من

أوقات الصّلاه يحكى عن حقيقه واقعيّه، فصلاه الظّهر هى الصّلاه التى أقامها النّبى الأكرم صلى الله عليه و آله فى معراجه، حينما كان يصلّى اللّه تعالى على نبيّه الكريم صلى الله عليه و آله، وكذلك حينا كانت تسبّح جميع الموجودات والكائنات للّه تعالى ووقت صلاه العصر عندما ارتكب النّبى آدم عليه السلام ترك الأولى فى تناوله من الشجره الممنوعه، وزمان صلاه المغرب هو وقت توبه آدم، وزمان صلاه العشاء التذكير بظلمه القبر وأهوال المحشر يوم القيامه.

ص:۲۱۲

۶۳- تعیین أوقات الصّلاه فی القرآن

إنّ اللّه تبارک وتعالی اهتمّ بشکل خاصّ فی القرآن الکریم فیما یتّصل بأوقات الصّلاه، فالقرآن فی ذات الوقت الذی ذکر فیه أصل وجوب الصّلاه وأحکامها والتأکید الشدید علی أصل إقامه الصّلاه، فإنّه أکّد بشکل خاصّ علی أوقات الصّلاه، فنقرأ فی الآیه ۲۳۸ من سوره البقره الأمر بالمحافظه علی الصلوات ولاسیما الصّلاه الوسطی: «حافِظُوا عَلَی الصَّلَواتِ وَ الصَّلاهِ الْوُسْطی...» . وقد ذهب المفسّرون إلی أنّ الصّلاه الوسطی هی صلاه الظّهر.

وقد أشار الباری تعالی فی آیات أخری إلی ثلاث أوقات للصّلاه وجعل وقت الصّلاه فی هذه الأوقات، من قبیل الآیه ۱۱۴ من سوره هود: «وَ أَقِمِ الصَّلاهَ طَرَفَیِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّیْلِ...» ، حیث ذهب المشهور من المفسّرین، أنّ «طرفی النّهار» یعنی الصبح والمغرب، فهنا نری أنّ اللّه تعالی یأمر بإقامه الصّلاه فی هذین الوقتین وهما طرفی النّهار، وأحدهما الصّبح والآخر المغرب، أمّا «زلفاً من اللّیل» فقهو إشاره إلی صلاه العشاء، وفی بعض الآیات القرآنیّه نجد أنّ القرآن

ذكر جميع أوقات الصّلاه كما ورد فى الآيه ۷۹ من سوره الأسراء: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً» ، والمراد من دلوك الشّمس هو الوقت الذى تصل فيه الشّمس إلى دائره نصف النّهار، يعنى موقع زوال الشّمس وأذان الظّهر، وطبعاً ذكروا للدلوك معانٍ مختلفه، مثل «دلک» مأخوذه من الدلک وهو الحک، وهو بالحک باليد، أمّا لماذا ورد التعبير عن زمان وصول الشّمس إلى دائره نصف النّهار بدلولک الشّمس؟ فثمّه تفاسير مختلفه، فذهب البعض إلى أنّ الشّمس فى هذا الوقت وهو وقت الظّهر تشرق بشدّه بحيث إنّ الإنسان يدلک عينه من شدّه وضوء الشّمس، وذهب البعض الآخر، أنّ الشّمس فى هذا الوقت تعبر من دائره نصف النّهار متّجهه نحو المغرب، وهنا تفاسير أخرى أيضاً.

وقد تبيّن أنّ المراد من دلوک الشّمس وقت صلاه الظّهر، ويقول الإمام الباقر عليه السلام فى روايه: «دلوک الشّمس هو وقت زوال الشّمس».

أمّا المراد من غسق اللّيل فهو نصف اللّيل، وهو الوقت الذى يبلغ فيه اللّيل منتهى الظلمه وتكون فيه ظلمه اللّيل على أشدّها، فى حين أنّ اللّه تبارک تعالى جعل إقامه الصّلاه منذ زوال الشّمس إلى منتصف اللّيل، وفى هذا الوقت تكون فيه غايه الصّلاه، وفى هذا المقطع من الآيه الشريفه إشاره إلى أربع صلوات:

صلاه الظّهر والعصر، صلاه المغرب والعشاء، ثمّ أشارت الآيه إلى وقت صلاه الصّبح بقولها: «وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ...» ، أى ما يقرأ فى الصّلاه عند طلوع الفجر، وقد وردت الروايات فى تطبيق صلاه الصّبح على المقصود من قرآن الفجر.

وهكذا نرى أنّ اللّه تبارک وتعالى، بيّن اهتمامه الفائق بالصّلاه بحيث إنّه عيّن وقتاً خاصّاً لها وأمر بأن يأتى المكلّف بصلاته فى هذه الأوقات، ولا ينبغى أن يتوّهم أحد أنّ الإنسان إذا أراد عباده البارى تعالى فلا يلزم تعيين وقت محدد

للعباده والصّلاه، لأنّ كلّ واحد من هذه الأوقات التى عينها البارى تعالى فى القرآن الكريم له حقيقه وسرّ منحصر بذلك الوقت بحيث إنّ المكلّف إذا أتى بصلاته فى غير هذا الوقت فإنّه لا يدرك حقيقه هذه الصّلاه ولا ينال من بركاتها المعنويّه، نأمل أن يكون اهتمامنا بهذه النعمه الإلهيّه بأوقات الصّلاه يؤدّى إلى أن ندرك الأهميّه الخاصّه لهذه الأوقات ونحظى بالتوفيق للالتزام بها.

ص:۲۱۵

۶۴- أهميّه صلاه الصّبح

«إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً»

تبيّن لحدّ الآن أنّ المصلّى إذا أراد أن يدرك حقيقه وباطن الصّلاه ويحقق فى ذاته تلك الأسرار التى جعلها اللّه تبارك وتعالى للصّلاه، فيجب عليه الاهتمام الشديد بوقت الصّلاه وأن يعلم أنّ إقامه كلّ صلاه فى وقتها الخاصّ له أثره الخاصّ، وبديهى أنّ الصّلاه إذا فاتت ولم يصلّها الإنسان فى وقتها، فإنّه حتّى لو كان قضاؤها واجباً من الناحيه الفقهيّه، ولكن صلاه القضاء هذه توجب له اسقاط التكليف فقط، ولا نعلم أنّ الأسرار والحقائق الموجوده فى صلاه الأداء، هل هى نفسها تترتب على صلاه القضاء أيضاً؟ ومعلوم أنّ هذا الشخص لا ينال جميع تلك الحقائق فى صلاه القضاء، ولذلك يجب علينا الاهتمام بالصّلاه وإقامتها فى أوقاتها المحدده.

وكذلك تبيّن أنّ الإنسان عندما يراجع القرآن الكريم فسوف يرى اهتماماً خاصّاً من قِبل البارى تعالى بالنسبه لأوقات الصّلاه فنقرأ فى الآيه ۷۹ من سوره

ص:۲۱۶

الأسـراء: «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كـانَ مَشْـهُوداً» ، وهنا نرى تصـريح القرآن الكريم بنقطه مهمّه جدّاً بحيث إنّ الشـخص إذا التفت إلى هذه النقطه فسوف لا يدع صـلاه الصّبح تفوته فى أى يوم ولا يخسـر تلـك المعطيـات والبركـات الكثيره فى حال فوتها ولا يمكن جبران هـذه الخساره بعـدها، يقول البارى تعالى فى هـذه الآيه: «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْـهُوداً» ، أى أنّ صـلاه الصّبح وما يقرأ فى هذه الصّلاه من آيات القرآن فى وقت الفجر سيكون مشهوداً، أى يكون مورد النظر والتوجّه والشـهاده، ولكن ماذا يعنى هـذا الكلام؟ ومن قِبل أى أشـخاص يكون مشـهوداً؟ ومن هم الأشـخاص الذين يشاهدون هذا المصلّى الذى يستيقظ فى أوّل طلوع الفجر ويؤدّى هذه الصّلاه؟

عندما نتصـفح الروايات الشـريفه الوارده فى هذا الصدد فسوف يتبيّن أنّ صلاه الصّبح مشهوده لملائكه اللّيل والنّهار، فإنّ ملائكه اللّيل سيشهدونها وكذلك الملائكه المختصّون بوقت النّهار، يعنى أنّ صلاه الصّبح هى الصّلاه الوحيده التى يشهدها طائفتان من الجنود الإلهيين ويسـجلونها فى صـحفهم ويشهدون عليها ويكتبونها فى صحيفه عمل الإنسان، فالمجموع من الملائكه المأمورين بالإشـراف وكتابه أعمال الإنسان فى اللّيل سـيشاهدون هذه الصّلاه، وكذلك تلك المجموعه من الملائكه المأمورين بالإشراف على أعمال هـذا الشـخص فى وقت النّهار، فإنّهم سيشـهدون هـذه الصّلاه أيضاً، ومعلوم أنّ هـذا المفهوم من تغيير النوبه وتبديل الملائكه وكيف يحصل هذا التبديل، وهل أنّ ملائكه اللّيل سـتعرج إلى السـماء وملائكه النّهار ستنزل وأمثال ذلك، ينبغى بحثها فى محلّها.

ونقرأ فى كتـاب «علـل الشّرائع» عن سـعيد بن المسيّب عن الإمـام زين العابـدين عليه السـلام يسـأله: «مَتى فُرِضتْ الصَّلاةُ عَلَى المُسلِمِينَ عَلَى مَا هِى اليَوم» أو

«عَلى ما هُم اليَوم عَلَيه»، فالسؤال هنا عن أوقات الصّلاه اليوميّه المعينه من الصّبح والظّهر والعصر والمغرب والعشاء ومتى وجبت هذه الصلوات؟

فقال عليه السلام: «بِالمَدِينَهِ حِينَ ظَهَرَتْ الدَّعوَهُ وَقَوى الإِسلامُ»(١).

ص:٢١٨

١- (١) علل الشرائع، ج ٢، ص ٣٢٤.

۶۵- صلاه الصّبح مشهوده ملائكه اللّيل والنّهار

«إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً»

من المسلّم فی علم الفقه، وكذلک من الناحيه التاريخيّه، أنّ الصّلوات اليوميّه الخمس كانت وفی بدايه تشريعها من قِبل اللّه تبارک وتعالی عشر ركعات، والنّبی الأكرم صلی الله عليه و آله بما لديه من صلاحيه فی التشريع من قِبل اللّه تعالی أضاف إليها سبع ركعات، فكانت النتيجه سبعه عشر ركعه فی اليوم، فقد اضيف إلی صلاه الظّهر ركعتان وكذلک ركعتان لصلاه العصر وركعتان لصلاه العشاء وركعه واحده لصلاه المغرب.

والنقطه الملفته للنظر كما ورد فی بعض الروايات فی ذيل هذه الآيه الشريفه، وهی ما ورد فی تفسير نور الثقلين(۱): «فَلَمَّا صَلَّی المَغرِبَ بَلَغَهُ مَولِدُ فَاطِمَهَ عليها السلام فَأَضَافَ إِلَيها رَكعَهً شُكراً للّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، ومنذ ذلک الوقت صارت صلاه المغرب ثلاث ركعات بشكل دائم، فالأصل فيها ركعتان وقام النّبی الأكرم صلی الله عليه و آله بإضافه

۱- (۱) تفسير نور الثقلين، ج ۳، ص ۲۰۱.

رکعه واحده إلیها شکراً للّه تعالی علی ولاده فاطمه الزهراء علیها السلام.

«فَلَمّا أَنْ وُلِدَ الحَسنُ علیه السلام أَضَافَ إِلَیها رَکعَتَینِ شُکراً للّه عَزَّ وَجلَّ، فَلَمّا أَنْ وُلِدَ الحَسینُ علیه السلام أَضَافَ إِلَیها رَکعَتَینِ شُکراً للّه عَزَّ وَجلَّ»، وهکذا یتبیّن لماذا أضاف النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله سبع رکعات للصّلاه الیومیّه.

وجاء فی روایه سعید بن المسیّب عن الإمام زین العابدین علیه السلام: عندما ظَهَرَتْ الدَّعوَهُ وَقَوی الإِسلامُ ووجَبَ الجهاد علی المسلمین: «زَادَ رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله فِی الصّلاهِ سَبْعَ رَکَعاتٍ فِی الظُّهرِ رَکعتینَ وَفِی العَصر رَکعتینَ وَفِی المَغربِ رَکعهً وَفِی العِشاءِ الآخِرهِ رَکعتینَ وَأَقَرَّ الفَجرَ عَلَی مَا فُرِضتْ بِمَکَهَ لِتَعجِیلِ عُرُوجِ مَلائِکهِ اللَّیلِ إلی السَّماءِ وَلِتَعجِیلِ نُزُولِ مَلائِکهِ النَّهارِ إلی الأَرضِ، فَکانَ مَلائِکَهُ النَّهارِ وَمَلائِکَهُ اللّیلِ یَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله صَلاهَ الفَجرِ، فَلِذَلِکَ قَالَ اللّهُ تَعالی إِنَّ قُرآنَ الفَجرِ کَانَ مَشهُوداً لِیَشهدهُ المُسلِمُونَ وَلِیَشهَدهُ مَلائِکَهُ النَّهارِ وَمَلائِکهُ اللّیلِ»(۱).

وجاء فی روایه أخری: «فَإِذا صَلّی العَبْدُ الصُّبحَ مَعَ طُلُوعِ الفَجرِ أُثبِتَتْ لَهُ مَرَّتَینِ أَثبَتَها مَلائِکهُ اللّیلِ وَمَلائِکهُ النّهارِ»(۲). وعلی هذا الأساس إذا التفت الإنسان إلی أهمیّه صلاه الصّبح وما فیها من الخصوصیّه وقدر عظیم فإنّه سوف لا یسمح لنفسه بأن تفوته هذه الصّلاه أبداً.

۱- (۱) علل الشرائع، ج ۲، ص ۳۲۴.

۲- (۲) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۲۸۳.

۶۶- لزوم الاهتمام بأداء صلاه الصّبح فی وقتها

«إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کانَ مَشْهُوداً»

یستفاد من آیات القرآن الکریم أنّ صلاه الصّبح مشهوده ملائکه اللّیل وملائکه النّهار، ویجب علی الإنسان الالتفات إلی هذه الحقیقه وهی أنّ صلاه الصّبح إذا مضی من وقتها ساعه واحده أو نصف ساعه، وأتی بها المصلّی بعد طلوع الفجر بساعه فسوف لا یترتّب علیها ذلک الأثر وتلک الثمره الخاصّه، فإذا أراد المؤمن أن تکون صلاته مشهوده لملائکه اللّیل والنّهار فیجب أن یصلّیها فی أوّل طلوع الفجر وعند عروج ملائکه اللّیل إلی السماء فی هذا الوقت ونزول ملائکه النّهار إلی الأرض فی الوقت نفسه أیضاً، وبذلک تشهد له هاتان المجموعتان من الملائکه أنّه صلّی الصّبح لوقتها، وظاهر الروایه أنّ کلّ ما یکتبه الملائکه فی صحیفه أعمال هذا المؤمن له قیمه خاصّه وأثر معین، ولذلک ارجو من الأخوات والإخوه المؤمنین أن یتقیدوا حتماً بصلاه الصّبح ولا یتساهلوا فی الإتیان بها لوقتها، ولیعلموا وجود آثار کبیره وبرکات کثیره علی صلاه الصّبح فی أوّل وقتها.

ص:۲۲۱

وأذكر لكم حكـايه فى زمان حياه آيه اللّه العظمى فاضل اللنكرانى رضوان اللّه عليه، فقـد جاء إليه شـيخ كبير من بلـد آذربيجان وقال له عباره تعجبت منها واقعاً وشـعرت بالغبطه له، قال ذلك الشـيخ المسن: إنّنى طيله حكم الاتحاد السوفياتى الماركسى على بلـد آذربيجـان لم تفتنى صـلاه الصبـح ولاـ مرّه واحـده، فمـا أعظم ما يعيشه المؤمن من اللـذّه والبهجه بحيث إنّه يرى سـبعين أو ثمانين سـنه من عمره قد مضـى وهو الآن يريد أن يقيم أعماله فى تلك المدّه ويرى أنّه صـلّى طيله هذه المدّه صـلاته على وقتها ويشكر اللّه تعالى أنّه رزقه هذه النعمه بحيث أتى بواجباته وعباداته كامله، فلو أنّه غادر الدنيا فى هذه اللحظه فلا توجد صلاه فى ذمّته، ولكن بعض آخر ممن لهم عمر أقـلّ عنـدما ينظرون إلى ماضـيهم فسوف يرون أنّ بعض صـلاتهم قـد فاتت ويجب عليهم الآن أن يبادروا بسـرعه إلى قضائها ويؤدّون تكليفهم الشـرعى تجاه هـذه الصّـِلاه، ولا يوكِلون أمرها إلى غـد وبعد غدٍ إلى يحين أجلهم وينتهى عمرهم وربّما لا يوفّقون لقضاء تلك الصلوات ولا يعلم بعد الموت أنّ ورثتهم سيبادرون للقضاء عنهم.

ومن هـذا المنطلق ينبغى علينـا أن نتأمـل ونفكّر فى ماضـينا، فلو كنّا نحتمل أنّ صـلاه قـد فاتتنا فيما مضـى من عمرنا فيجب علينا المبـادره إلى قضائها، وينبغى أن نتـذكر هـذه الآيه الشـريفه: «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْـهُوداً» ، فعنـدما نريـد أن نلجأ فى اللّيل إلى الفراش نسأل اللّه تبارك وتعالى وندعوه: إلهى أنت الذى فرضت علىَّ صلاه الصّبح فأسألك أن توقظنى فى هذا الوقت وتوفّقنى للمشاركه فى محفل الاُنس والنور مع عشّاقك ومحبّيك، وعليكم باختبار ذلك، فعلماؤنا الأكابر قالوا مرّات عديده بأنّه لا يمكن أن يطلب الإنسان من اللّه تعالى فى اللّيل بأن يستيقظ لصـلاه الصّـِبح وحتّى لصـلاه اللّيل ولا يوفّق لذلك، فبدلاً من التوصيّه بهذا وذلك أن يوقظنا لصلاه الصّبح، فلنطلب من اللّه والملائكه الإلهيين ذلك، فهؤلاء مستيقظون دائماً ومهتّمون بنا.

ص:۲۲۲

والآن إذا کنّا نعیش هذا الهاجس وقعاً، فإذا استیقظنا یوماً من النوم فی الصباح الباکر ورأینا أنّه قد مضی علی آذان الفجر نصف ساعه فعلینا أن نقول عجیب لقد ذهبت ملائکه اللّیل ولم تشاهد صلاتنا فی هذا الصباح، فما أعظم هذه الخساره، ولو أننا أوجدنا فی أنفسنا مثل هذه الحاله فسوف نستیقظ دوماً عند أذان الصّبح للصّلاه والمناجاه مع اللّه تبارک وتعالی، وهکذا یتبیّن لنا معنی هذه الآیه الشریفه وینبغی علینا جمیعاً فهم هذا المعنی وحفظه فی أذهاننا وتکرار هذه الآیه فی حال سیرنا: «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کانَ مَشْهُوداً» ، فعندما نستیقظ لصلاه الصّبح ننظر إلی السماء لنری الملائکه الإلهیین، فملائکه اللّیل یعرجون إلی السماء فوجاً فوجاً، وملائکه النّهار ینزلون إلی الأرض مجموعه بعد مجموعه، فیسّلم هذا المصلّی علیهم ویقیم هذا التواصل والارتباط معهم حتّی نعیش هذه الحاله من اللذّه والبهجه فی صلاتنا إن شاء اللّه.

ص:۲۲۳

۶۷- سرّ أوقات الصّلاه فی جواب النّبی صلی الله علیه و آله للعالم الیهودی

یروی المرحوم الشیخ الصدوق رحمه الله عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنّه قال: «جَاءَ نَفَرٌ مِنَ الیَهودِ إلی النَّبِیّ صلی الله علیه و آله فَسَأَلَهُ أعلَمُهُمْ عَنْ مَسائِلَ: أخبِرنِی عَنِ اللّهِ لأَیِّ شَیءٍ فَرَضَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الخَمسَ الصَّلواتِ فِی خَمسِ مَواقِیتَ عَلَی أُمَّتِکَ فِی سَاعَاتِ اللَّیلِ والنّهارِ».

«فَقَالَ النَّبیُّ صلی الله علیه و آله: إنَّ الشَّمسَ عِندَ الزَّوالِ لَها حَلَقَهٌ تَدخُلُ فِیها»، ولعل ذلک إشاره إلی دائره نصف النّهار عندما تصل الشّمس إلی هذه الدائره یحین وقت صلاه الظّهر.

«فَإذا دَخَلَتْ فِیها زَالَتِ الشَمسُ فَیُسبِّحُ کُلُّ شَیءٍ دُونَ العَرشِ بِحَمدِ رِبِّی جَلَّ جَلالُهُ، وَهِی السّاعهُ الّتی یُصلِّی عَلَیَّ فِیها رَبِّی، فَفَرَضَ اللّهُ عَلَیَّ وَعَلَی أُمَّتِی فِیها الصَّلاهُ وَقَالَ : «أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إلی غَسَقِ اللَّیْلِ...»۱» ، وهذه هی خصوصیّه صلاه الظّهر ووقت صلاه الظّهر.

ص:۲۲۴

وعلى هذا الأساس لا ينبغى أن يتصوّر أحد أنّ وقت صلاه الظّهر عباره عن قسم من الوقت فى مدّه أربع وعشرون ساعه من اللّيل والنّهار قد قسمها اللّه بهذه الصوره، كلّا، ففى جميع هذه الأوقات توجد حِكم وحقائق خفيّه، ولو أنّ الإنسان علم أنّ وقت صلاه الظّهر وهو وقت الذى صلّى البارى تبارك وتعالى على نبيّه الكريم صلى الله عليه و آله وأنّ جميع موجودات العالم تسبّح اللّه تعالى وتقدّسه سيكون هذا الشخص سائراً مع هذا القافله العظيمه ويجعل نفسه فى بحر هؤلاء المسبّحين للّه ويتحرّك مع قافله العشّاق والذّاكرين للّه تعالى.

يقول عليه السلام: «وَهِى السَّاعَهُ الَّتِى يُؤتى فِيها بِجَهنّمَ يومَ القِيامَهِ فَما منْ مؤمنٍ يُوافِقُ تِلكَ السَّاعَهَ أَنْ يَكُونَ ساجِداً أَو رَاكِعاً أَوْ قَائِماً إِلّا حرَّمَ اللّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ».

ص:۲۲۵

۶۸– سرّ تعیین وقت صلاه العصر

ویتابع أمیرالمؤمنین علیه السلام فی نقله تلک الروایه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله حیث یتحدّث فیها عن أسرار أوقات الصّلاه، فیقول: «وأَمّا صَلاهُ العَصرِ فَهِی السَّاعَهُ الّتی أَکَلَ آدمُ علیه السلام فِیها مِنَ الشَّجرَهِ فَأَخرَجَهُ اللّهُ عَزَّ وَجلَّ مِنَ الجَنَّهِ».

«فأَمَرَ اللّهُ عَزَّ وَجلَّ ذُرِّیَّتَهُ بِهذِهِ الصَّلاهِ إِلی یَومِ القِیامَهِ وَاختَارَهَا لأُمَّتِی فَهِی مِنْ أَحبِّ الصَّلَواتِ إِلی اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوصَانِی أَنْ أَحفَظَها مِنْ بَینِ الصَّلَواتِ».

ویتبیّن من هذا الحدیث الشریف الحکمه فی تعیین وقت صلاه العصر، یعنی أنّ الإنسان فی وقت العصر یجب أن یتذکّر کیف أنّ أبا البشر ارتکب ذلک الترک الأولی وطرد من الجنّه فیجب علی ذریّته وأولاده فی هذا الوقت بإقامتهم لصلاه العصر جبران تلک النقیصه والخطیئه وإبعاد أنفسهم عن آثارها السلبیّه، ومن هذه الجهه کانت صلاه العصر أحبّ الصّلوات عند اللّه تبارک وتعالی، یعنی أننا نرید فی وقت صلاه العصر أن نقول للّه تعالی، إذا ارتکب آدم تلک المعصیه وترک الأولی فنحن بصلاتنا فی هذا الوقت نعلن اطاعتنا وعبودیّتنا وانقیادنا لک ونمتثل

ص:۲۲۶

أوامرك، ولو أنّ آدم صدر منه ذلك الخطأ فنحن نعلن بعبادتنا وصلاتنا هذه أننا لا نريد أن نخالف أوامرك ونعصيك، يعنى أنّ صلاه العصر هذه تتلوّن بلون خاصّ وتعتبر امتثالاً مضاعفاً، فنفس الصّلاه تعتبر امتثالاً لأمر اللّه وطاعه له، ومع الالتفات إلى الواقعه التاريخيّه فيما يتّصل بآدم ومخالفته للأمر الإلهى، فنحن ذريّه آدم نريد من إقامتنا صلاه العصر، مضافاً إلى امتثال الأمر الإلهى، نقول للّه تبارك وتعالى: إلهنا نحن لا نريد أن نرتكب ذلك الخطأ ولا نريد الخروج عن دائره الانقياد والطاعه والعبوديّه لك.

ص:۲۲۷

۶۹- سرّ تعیین وقت صلاه المغرب والعشاء

علمنا من الروایه الوارده عن أمیرالمؤمنین علیه السلام فیما یتّصل بصلاه المغرب أنّ اللّه تبارک وتعالی قبل فی هذا الوقت توبه آدم، وأساساً فإنّ نفس تذکّر هذه الواقعه فی هذا الوقت وأنّ توبه جدّنا آدم أبوالبشر ذلک النبیّ الکبیر، یوحی لنا بأن نتحرّک نحو التوبه والإنابه إلی اللّه، ومن هذه الجهه تکون لصلاتنا حقیقه أخری بوصفها توبه عملیّه إلی اللّه بالرغم من أنّ کلّ صلاه فی حقیقتها توبه وإنابه إلی اللّه، ولکن بخصوص وقت صلاه المغرب عندما یتذکّر الإنسان هذه الخصوصیّه فی هذا الواقعه فإنّه یتحرّک عملاً نحو التوبه، إنّ توبه آدم کانت بهذا الشکل أیضاً فقد صلّی آدم ثلاثه رکعات، رکعه واحده بسبب الخطیئه التی ارتکبها، والرکعه الثانیه بسبب خطیئه حواء، والرکعه الثالثه بوصفها توبه إلی اللّه من هذه الخطیئه.

«فَفَرَضُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَـذِهِ الثَّلاتَ رَکَعاتٍ عَلَی أُمَّتِی»، وقد ورد فی بعض الروایات الأخری أنّ الرکعه الثالثه أضافها النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله عندما بشّروه بولاده فاطمه الزهراء علیها السلام، ولا تنافی بین هذه الأخبار، فربّما صلّی آدم علیه السلام هذه الرکعات

ص:۲۲۸

الثلاث، ثمّ إن اللّه تعالى جعلها ركعتين على امّه النبىّ صلى الله عليه و آله تخفيفاً لهم، لأنّ اللّه تعالى علم أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله سيضيف إليها ركعه ثالثه، كفرض على المسلمين، ولذلک تنطبق هذه الركعه الثالثه بوصفها توبه آدم وكذلك بوصفها شكراً للّه على ولاده فاطمه الزهراء عليها السلام ولا إشكال من هذه الجهه.

والنقطه المهمّه جدّاً فى هذا المورد أنّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله قال: «وَهِى السَّاعَهُ الَّتِى يُستَجابُ فِيها الدُّعاءُ فَوَعَدَنِى رَبِّى عَزّ وَجَلَّ أَنْ يَستَجيبَ لِمَنْ دِعاهُ فِيها»،، وليس فقط يستجاب دعاء النبىّ صلى الله عليه و آله، بل يستجاب لكلّ شخص إذا دعا اللّه تعالى فى وقت المغرب، فصلاه المغرب هى الصّلاه التى قال اللّه تعالى عنها فى الآيه الشريفه: «فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ»١ ، وتقول الروايه: «وَهِى الصَّلاهُ الَّتِى أَمَرَنى رَبِّى بِها فِى قَولِهِ تَبارَکَ وَتَعالَى «فَسُبحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ».

ونتابع قوله عليه السلام: «وَأَمَّا صَلاهُ العِشاءِ الآخِرِ فَإِنَّ للقَبرَ ظُلمَهٌ وَلِيَوم القِيامَهِ ظُلمَهٌ»، ومن هذه الجهه أمر اللّه تعالى بصلاه العشاء لتنير قبرنا وتزيل الظلمه عنّا فى هذا الموقف العصيب، هذه بعض النقاط التى ينبغى أن يستحضرها الإنسان فى صلاته، وإن كانت نيّته فى الصّلاه هى الطاعه للّه تبارک وتعالى وامتثالاً لأمره، ولكننا نعلم أنّ مصداق هذه الإطاعه والامتثال من شأنه إزاحه ظلمه القبر وظلمه المحشر فى يوم القيامه.

«أَمَرَنِى رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الصَّلاهِ لِتُنوِّرَ القَبرَ وَلِيُعطِينِى وَأُمَّتِى النُّورَ عَلَى الصِّراطِ»، والآن مع الالتفات إلى هذه الخصوصيّات الوارده فى هذه الصّلاه، هل نسمح لأنفسنا بأن نضيّع صلاه عشاءنا أو نصلّيها دون حضور القلب ونخسر بذلک كلّ هذه البركات المثوبات؟!

ص:٢٢٩

«مَـا مِنْ قَـدَمٍ مَشَتْ إِلى صَـلاهِ العَتمَهِ إِلّـا حَرَمَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَسَـدَهُ عَلَى النَّارِ وَ هِـى الصَّلاهُ الّتى اختَارها اللّهُ تَعالى وَتَقَـدَّسَ ذِكرُهُ لِلمُرسَلِينَ قَبلِى».

ومن هـذا يتبيّن أنّ تعيين أوقات الصّـلاه له جهه خاصّه فى كلّ صـلاه، فصـلاه الصّـبح مشـهوده للملائكه ووقتها من طلوع الفجر حيث يجتمع فى هذا الوقت ملائكه الليل وملائكه النهار ويشهدون لهذا المصلّى بصلاه الفجر، وصلاه الظّهر عند ما يصلّى البارى تعالى على النبىّ وتسبّح بحمده جميع الموجودات والكائنات، وصـلاه العصـر عندما ارتكب النبىّ آدم عليه السلام تلك الخطيئه وترك الأولى وتاب منها، وصـلاه المغرب هو الوقت الـذى قبلت فيه توبه آدم، ووقت صـلاه العشاء يـذكرنا بظلمه القبر والقيامه، وصلاه العشاء من شأنها أن تدفع هذه الظلمه عنّا فى تلك المواقف العصيبه.

نسأل اللّه تعالى أن يوفّقنا جميعاً أن نكون من المصلّين الحقيقيين إن شاء اللّه.

ص:٢٣٠

۷۰- عقوبه عدم الاهتمام بوقت الصّلاه

إنّ الـدقّه والتمعّن فى الآيـات الشـريفه من سوره الماعون يبيّن لنا ضـروره وأهميّه التوجّه والاهتمام أكثر لوقت الصّلاه، فنقرأ فى آيات هذه السوره الشريفه: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ»۱ ، وهكذا نرى أنّ اللّه تبارك وتعالى فى هذه الآيه الشـريفه فى مقـام التهديـد العظيم والشديـد لمصـلّى الـذى يصـلّى وهو يعيش الغفله عن ذكر اللّه وعن الصّلاه، فالويل إمّا يعنى العذاب الشديد، أو المكان الذى فيه عذاب شديد، وقبل هذه الآيه الشريفه يقول تبارك وتعالى: «أَ رَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَ لا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ»۲ ، حيث ذكر الكثير من المفسّرين فى هذا المقام أنّ هذه الآيه: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ» ، ترتبط بما قبلها من الآيات فى حين أنّ اللّه تبارك وتعالى بعد أن يقرّر فى أوّل السوره تكذيب المكذبين بيوم القيامه والأشخاص الذين يهينون اليتيم ويحرمون

ص:۲۳۱

المساكين من الطعام ويهددهم بأنواع العذاب الشديد، ثمّ يبيّن مسأله جديده ومستقله، وهذا بذاته يحكى عن أهميّه هذه المسأله، ويرى المحقّقون فى علوم القرآن أنّ الآيات الاُولى من سوره الماعون مكيّه، ومن قول: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ»

إلى آخر السوره مدنيّه، وفيها يقول: «اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ» ، يعنى الأشخاص الذين يتساهلون بصلاتهم ولا يهتمّون بأدائها على وجهها ولا يحفظون أوقاتها يؤخّرونها عن وقتها المقرّر، وعندما يسمعون صوت الأذات فى أوّل الوقت يقولون فى أنفسهم: نحن مشغولون فعلاً بعمل أهمّ وسوف نصلّى بعد ذلك ولا يلتفتون إلى وقت الصّلاه، وهؤلاء إمّا أن يؤخّروا صلاتهم عن أوّل وقتها، أو لا سمح اللّه يتركون الصّلاه ويقولون سوف نقضى هذه الصّلاه فيما بعد وفى خارج الوقت، فى حين يجب أن نلتفت إلى هذه الحقيقه وهى أنّ الشخص إذا أخّر صلاته عمداً وصلّاها خارج الوقت ولو على شكل قضاء الصّلاه، ولكنّه فى هذا العمل قد ارتكب معصيه كبيره، والآيه الشريفه تقول: «اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ» ، ولم تقل الذين هم يتساهلون أثناء الصّلاه، بل قالت: الذين يسهون فى صلاتهم، والسهو عن الصّلاه يعنى ترك الصّلاه فى أوّل الوقت أو ترك الصّلاه فى أصل الوقت، أو أساساً لا سمح اللّه ترك الصّلاه كليّاً فى بعض الأيّام وفى بعض المناسبات ويقول: الآن توجد حفله أو يوجد عرس ولا مجال لأداء الصّلاه فى هذا الوقت، وسوف أقضى هذه الصّلاه بعد ذلك.

وهكذا ترون أنّ اللّه تبارك وتعالى يقول فى هذه الآيه الشريفه: «اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ» ، الذين يتعاملون مع صلاتهم بهذه الصوره، وللأسف أنّ بعض الأشخاص من المسلمين والمؤمنين يؤخّرون صلاتهم أحياناً عن أوّل الوقت وفى الغالب يعيشون حاله اللامبالاه فى أوقات الصّلاه ولا يهتمّون بوقت الصّلاه، فهذه الآيه الشريفه من سوره الماعون يجب توضع أمام أعيننا، لئلا نكون نحن

مشـمولين هذه الآيه الشـريفه ونحن فى حال الصّلاه ويقال لنا: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ» ، وطبعاً هناك نقاط تفسيريّه دقيقه أخرى فى هذه الآيه الشريفه ليس هنا مجال لبيانها.

وعلى هـذا الأسـاس يجب على المسـلمين، وبخـاصّه الشـيعه وأتبـاع أهـل البيت عليهم السـلام، الالتفات إلى أنّ أحـد الامتيازات وخصوصيّات الشيعه أن يكونوا محافظين على أوقات الصّلاه ويجب عليهم الاهتمام بها وبأوقاتها.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ فَضْلَ الوَقتِ الأَوّلِ عَلَى الآخِرِ كَفَضلِ الآخِرهِ عَلَى الدُّنيا»(١).

١- (١) الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ٣، ص ٢٧۴.

الباب الرابع: سرّ استقبال القبله التوجّه إليها فی الصّلاه

اشاره

ص:۲۳۵

۷۱- لزوم التوجّه إلی الکعبه

من البحوث التی یجب التوجّه إلیها فی بحث أسرار الصّلاه، مسأله القبله ووجوب استقبال المصلّی للکعبه فی صلاته، فأحد شروط صحّه الصّلاه أنّ المصلّی یجب أن یتوجّه فی صلاته إلی الکعبه بحیث إنّه إذا انحرف متعمداً ولو بمقدار قلیل عن جهه الکعبه فإنّ ذلک من شأنه إحداث خلل فی صحّه صلاته، والنقطه المهمّه هنا: ما هو السرّ فی استقبال المصلّی للکعبه؟ لأننا من جهه نقرأ فی الآیات القرآنیّه الشریفه: «لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَیْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ...»۱ ، فإذا کان الحال کذلک وأنّ اللّه تعالی موجود فی کلّ مکان ولا توجد أی جهه من جهات العالم یمکن القول إنّ اللّه تبارک وتعالی لیس بحاضر فیها، فلا یمکن القول إنّ اللّه تعالی موجود فی السماء لا فی الأرض، ولا یمکن القول إنّ اللّه تعالی موجود فی الکعبه لا فی مکان آخر، والعقل یؤید هذا المعنی أیضاً ویحکم بأنّ ذلک الموجود الذی خلق جمیع ما فی هذا العالم وجمیع الکائنات لابدّ أن تکون

له الإحـاطه القيوميّه بجميع هـذه الكائنات والمخلوقات، ويجب أن يكون حاضـراً فى كلّ مكان ولا يمكن عقلاً أن نتصوّر مكان يخلو من وجود اللّه تبارك وتعالى.

ومع الالتفات إلى هذه الحقيقه فلماذا يجب علينا التوجّه إلى الكعبه فى الصّلاه؟ ما هو السرّ فى المسأله، بحيث إنّ المصلّى لو لم يتوجّه فى صلاته إلى الكعبه فإنّ هـذه الصّلاه لا تقع مقبوله من اللّه تعالى حتّى لو صلّى جميع سنوات عمره إلى الجهات الأخرى؟

ولتوضيح المسأله يجب بدايه ذكر مقدّمه، فأساساً أنّ التوجّه للكعبه لا يختصّ بالصّلاه، فلو تصفحنا الكتب الفقهيّه والمتون الروائيّه فسوف نرى الكثير من الأمور التى يجب فيها التوجّه إلى الكعبه، فذبح القربان لا يكون حلالاً ومذكى لو لم يتمّ استقبال القبله فى ذبحه، وكذلك يستحب أن يمدّد المحتضر نحو القبله، وعندما يدفن الميّت يجب أن يكون وجهه نحو القبله، فحتّى فى الجلوس العادى فالأفضل أن يجلس الإنسان مستقبلاً القبله، وقد ورد فى خصوصيّات النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و آله أَكثَرُ مَا يَجلِسُ تَجَاهَ القِبلَهِ»(١).

وكذلك روى حمّاد بن عثمان: «رَأَيتُ أَبَا عَبدِللّهِ عليه السلام يَجلِسُ فِى بَيتِهِ عِنْدَ بَابِ بَيتِهِ قُبالَهَ الكَعبَهِ»(٢).

وقد ورد فى روايات أيضاً فى باب الزراعه: «إِذَا أَرَدتَ أَنْ تَزرَعَ زَرْعاً فَخُذْ قَبضَهً مِنْ البَذرِ وَاستَقبِلْ القِبلَهَ، وَقُلْ : «أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ * أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ»٣»۴ ، ثمّ قلْ ثلاث مرّات: «اللّه الزّارع»، إذن فمسأله استقبال القبله لا

ص:٢٣٨

١- (١) الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ٢، ص ۶۶١.

٢- (٢) المصدر السابق، ص ۶۶٢.

تختصّ بالصّلاه بل تشمل حالات وأمور أخرى أيضاً، وهذا يبيّن وجود سرّ وحقيقه كامنه فى الكعبه المشرّفه بحيث إنّ الناس ينبغى عليهم استقبال القبله فى الكثير من أمورهم والتوجّه إليها.

۷۲- سرّ أهميّه الكعبه وجعلها القبله للمسلمين

تقدّم أنّ التوجّه نحو القبله لا يختصّ بحال الصّلاه بل موجود في أمور كثيره كذبح القربان، والزراعه وحتّى الجلوس العادى، فإنّ مسأله استقبال القبله مذكور فى هذه الموارد، بل قد ورد فى الروايات الشريفه أنّ أحد شروط استجابه الدعاء أنّ الإنسان يتوجّه نحو القبله ويدعو اللّه تبارك وتعالى، يقول صفوان الجمّال:

«شَهِدتُ أَبَاعَبدِاللّهِ عليه السلام وَاستَقبَلَ القِبلَهَ فِى التَّكبِير، وَقَالَ: اللّهُمَّ لاتُؤْيِسنى مِنْ رَوحِكَ وَلا تُقنِّطنِى مِنْ رَحمَتِكَ وَلا تُؤمِنِّى مَكْرَكَ»(۱)، وحتّى فى مورد النسوه اللاتى لهنّ عذر شرعى فى عدم الصّلاه فإنّه يستحب لهنّ الوضوء والجلوس فى مجالس الصّلاه وهو المحلّ الذى يقمن فيه الصّلاه ويجلسن باتجاه القبله ويذكرن اللّه تعالى بمقدار ما تستغرقه الصّلاه، إذن فقد تبيّن أنّ استقبال القبله لا يختصّ بحال الصّلاه ومن هذه الجهه يجب علينا الفات النظر والذهن إلى هذه النقطه، وهى: ما هى خصوصيّه الكعبه، وماذا تمثّل من رمز، وما هى الحقيقه الكامنه فيها؟ وبحسب تعبير الإمام الخمينى رضوان اللّه عليه فى كتابه «سرّ

ص:۲۴۰

۱- (۱) . الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ۲، ص ۵۴۴.

الصّلاه»: إنّ الکعبه امّ القُری ومرکز بسط الأرض(۱).

وقد ورد فی روایه عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «سُمِّیَتِ الکَعبهُ کَعبَهً لأَنّها وَسَطُ الدُّنیا»(۲)، أی أنّ الکعبه مرکز ثقل العالم، وأوّل نقطه ظهرت من الماء بعد حادثه الطوفان وسفینه النبیّ نوح علیه السلام هی الکعبه، والقرآن الکریم یقرّر هذه الحقیقه فی سوره النازعات ویقول: «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها»۳ ، ممّا یفید مرکزیّه الکعبه للعالم، وبالإمکان القول إنّ الکعبه وجه اللّه تبارک وتعالی فی هذا العالم الأرضی.

یقول المرحوم المیرزا جواد الملکی التبریزی رضوان اللّه علیه: إنّ اللّه تعالی له فی کلّ العالم وجه بالنسبه لأهل ذلک العالم، وفی عالم الدنیا فإنّ وجه اللّه بالنسبه لأهل الأرض هو الکعبه المعظمه، یعنی أنّ اللّه تعالی قرر بأنّ الأشخاص الذین یریدون التوجّه إلی اللّه تبارک وتعالی من سکان الأرض فعلیهم التوجّه نحو الکعبه، فنحن عندما نتوجّه نحو الکعبه فهذا یعنی أنّ توجّهنا منحصر فقط نحو اللّه تبارک وتعالی لا إلی غیره من الأشیاء، فوجه اللّه لا یعنی القول إنّ اللّه تعالی لو وجه ظاهری، بل الوجه هنا یعنی المظهر الذی بواسطته یتوجّه الإنسان نحو الحقّ رغم أنّ اللّه تعالی محیط بالإنسان فی جمیع الحالات وأنّ الإنسان یستطیع التواصل معه ومناجاته فی کلّ حال، ولکن فی حال الصّلاه وبما أنّ وجه اللّه فی الأرض یتمثّل فی الکعبه المعظمه، فالمصلّی یجب علیه فی هذا المورد التوجّه نحو القبله.

علی هذا الأساس یجب علی المصلّی فی جمیع الحالات، سواءً فی حال الوقوف أو الجلوس أو حتی لو اضطر إلی الصّلاه بحال الاضطجاع أن یستقبل الکعبه المعظمه ویتوجّه نحوها.

۱- (۱) سرّ الصّلاه (معراج السالکین)، ص ۶۵.

۲- (۲) . من لا یحضره الفقیه، ج ۲، ص ۱۹۰.

۷۳– القبله والأمن المعنوی

یقول الإمام الصادق علیه السلام: «کَانَ أَمِیرُ الْمُؤمِنِینَ صَلواتُ اللّهِ عَلَیهِ ذَا أَهَلَّ هِلالُ شَهْرُ رَمَضانَ أَقبَلَ إِلَی القِبلَه».(۱)

نستنتج ممّا تقدّم من لزوم رعایه استقبال القبله فی الاتیان بالأمور المهمّه، أنّ للکعبه المشرفه رمزاً وسرّاً خاصّاً، فما هو هذا السرّ؟ وقد ورد فی بعض الروایات أنّ القبله عنوان الأمن للناس، یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام: «لا یَجُوزُ للرَّجُلِ أَنْ یُصَلِّی وَبَینَ یَدَیهِ سَیفٌ لأَنَّ القِبلَهَ أَمْنٌ»(۲)، أی أنّ الکعبه هی محلّ الأمن الإلهی، ومن خلال التدقیق فی هذه العباره نستوحی أنّ الوقوف فی مقابل القبله واستقبال الکعبه المشرفه یمنح المؤمن حال من الأمن الروحی والمعنوی، یعنی کما أنّ اللّه تبارک وتعالی جعل من محیط الکعبه ومکّه المکرمه حرماً للأمن الإلهی، وهذا الأمن لا یختصّ بالشخص الذی یدخل إلی ذلک المکان المشرّف

ص:۲۴۲

۱- (۱) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۴، ص ۷۴.

۲- (۲) . من لا یحضره الفقیه، ج ۱، ص ۲۵۰.

بل یوجد أمن فوق هذا الأمن الظاهری، فالإنسان عندما یتوجّه إلی القبله فإنّ اللّه تبارک وتعالی یجعل له حاله من الأمن لا تتوفّر لو توجّه نحو الجهات الأخری، رغم أنّ اللّه تعالی موجود فی جمیع الجهات الأخری، ولکن هذه الحاله من الأمن الخاصّه لم تتعلّق مشیئه الباری تعالی فی الجهات الأخری، وبحسب هذه الروایه فإنّ المصلّی یجب أن یعتقد بأنّه واقف فی حرم الأمن الإلهی بحیث لا یصحّ منه وضع سیف أمامه للدفاع عن نفسه، وهذا الحدیث الشریف یفید قطعاً وجود حاله من الأمن المعنوی والباطنی، یعنی أنّ الإنسان الذی یستقبل القبله فإنّ فکره وقلبه وعقله ونفسه تکون بعیده عن أجواء الضلاله ووساوس الشیطان والأفکار الباطله، یعنی أنّ اللّه تعالی یتدخل فی هذه الحاله ویقید الشیطان فی سلطته علی هذا المؤمن.

إنّ اللّه تبارک وتعالی، کما یقید أیدی وأرجل الشیطان فی شهر رمضان، فعندما یقف المصلّی ویستقبل القبله فإنّ حاله من الأمن ستشمله ویبتعد عنه الشیطان، فمن هذه الجهه ورد فی بعض الروایات عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله: «إِذا قَامَ العَبدُ إِلی الصَّلاهِ فَکَانَ هَوَاهُ وَقَلبَهُ إِلی اللّهِ تَعالی انصَرفَ کَیوم وَلَدَتْهُ أُمّهُ»(1)، وهذا یعنی أنّ استقبال المصلّی بظاهر بدنه نحو القبله یعتبر مقدّمه لاستقبال وجه باطنه یعنی قلبه وروحه نحو اللّه تبارک وتعالی، کما ورد من قوله علیه السلام أنّ الکعبه أمن، یعنی أنّ اللّه تبارک وتعالی یحفظ المصلّی فی هذه الحال ویبعد عنه لوث الشیطان والأفکار الباطله، ولا یسمح أن یتورط هذا المصلّی بوحل الوساوس الشیطانیّه والنوازع النفسانیّه، وهکذا نری أنّ اللّه تعالی یوفّر جمیع الشروط والظروف المناسبه لکی یتوجّه هذا العبد نحوه ویتواصل مع ربّه بالمناجاه والعباده، فهذه إحدی النقاط المهمّه التی ینبغی الالتفات إلیها فی باب استقبال القبله.

۱- (۱) . بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۸۱، ص ۲۶۱.

۷۴- تناسب الظاهر والباطن فی التوجّه إلی اللّه

فی مقام الجواب عن هذا السؤال لماذا یتوجّه المصلّی فی صلاته نحو الکعبه المشرّفه؟ وما هی الحکمه والسرّ فی شرطیّه استقبال القبله للمصلّی؟ یقول الشهید الثانی أعلی اللّه مقامه الشریف(۱): «أمّا الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهک عن سائر الجهات إلی جهه بیت اللّه تعالی»، وهذا یعنی أنّ هذا المصلّی یرید أن یخاطب اللّه تبارک وتعالی ویقول: إلهی لقد أعرضت عن الدنیا وما فیها وأعرضت عن کلّ ما لیس له صبغتک ولونک، وأُرید أن أتوجّه بکلّ وجودی فی الظاهر والباطن نحوک، فلو أنّ المصلّی التفت إلی هذا المعنی فسوف یؤثر ذلک قطعاً فی نیّه صلاته، وستکون هذه الصّلاه أکثر خلوصاً ومعنویه وحیویه، ولذلک ورد فی الروایات أنّه یجب أن تکونوا فی الصّلاه بحیث إنّکم ترون اللّه، فإنّ لم تکونوا ترونه فإنّه یراکم.

ثمّ یقول الشهید الثانی قدس سره: «أفتری أن صرف القلب عن سائر الأمور إلی أمر اللّه

۱- (۱) . التنبیهات العلیّه، ص ۱۰۵.

تعـالی لیس مطلوبـاً منـک»، وکمـا أنّ القلب یعـدّ حرم اللّه ولا ـ یجوز أن یسـکن فیه غیر اللّه تعـالی ولا یتوجّه إلی غیره فبـدنک الظاهری أیضاً یجب أن یتوجّه نحو اللّه تعالی، وهکذا نسـتنتج أنّ الأمر الإلهی باسـتقبال والتوجّه نحو الکعبه فی الصّلاه یجب أن تکون هنـاک رابطه وعلاقه بین هـذا الظاهر وبین الباطن، بحیث إنّ الإنسان عنـدما یتوجّه بظاهره نحو اللّه تعالی فإنّ قلبه لا محاله سیتوجّه نحو اللّه أیضـاً، فعنـدما یتوجّه قلبه، فـإنّ ظـاهره لا ـ محـاله سـیبتعد عن غیر اللّه ویتوجّه نحو الباری تعالی رغم أنّ علماءنا الکبار غالباً ذکروا فی کتبهم الأخلاقیّه والعرفانیّه أنّ الظاهر هو طریق إلی الباطن، کما هو الحال فی مسأله اسـتقبال القبله والتوجّه نحـو الکعبه المشـرّفه، وبحسب مـا ورد فی بعض الروایـات أنّ مـا یقابـل الکعبه فی السـماء الرابعه هو الـبیت المعمور، وهو محل طواف الملائکه، والبیت المعمور بـدوره یقع بـإزاد عرش اللّه تبارک وتعالی، وهـذا الارتباط العمیق من الأرض إلی السـماوات یعکس وجود هذا الارتباط بین هذا الظاهر وذلک الباطن.

لا ینبغی أن نتصوّر أنّ الکعبه مجرّد بناء متشـکل من أحجار وضـعها النبیّ إبراهیم علیه السـلام فی ذلک المکان وبالإمکان أیضاً أن یضعها فی مکان آخر، ولکنّه اتّفق أن وضعها فی مکّه، أی بمعنی أنّ مکان الکعبه هو أمر اعتباری، کلّا، فثمّه أسرار کثیره فی الکعبه ومکانها، فقد ورد فی الروایات أنّه یسـتحب النظر إلی الکعبه، فعندما یجلس الإنسان فی المسجد الحرام فیستحبّ له النظر إلی الکعبه وکلّما نظر إلی الکعبه أکثر ازداد ثوابه، وهـذا بسـبب أنّ ظاهر الکعبه لیس هو المقصود بل یجب أن یکون معلوماً أنّ البیت المعمور یقع فی السـماء بمحاذاه الکعبه، والبیت المعمور بـدوره یقع بمحاذاه العرش الإلهی، یعنی أنّ سـرّ الکعبه هو البیت المعمور، وسـرّ البیت المعمور هو عرش اللّه تبـارک وتعـالی، إذن فعنـدما نقف اتجـاه القبله ونعرض بوجهنا عن کلّ ما سوی اللّه تعالی ونتوجّه إلی حقیقه واحده یعنی اللّه تبارک وتعالی، فهذا یعنی أنّ ظاهر الإنسان سیتلوّن وبصطبغ بصبغه إلهیّه أیصاً.

۷۵- الصوره الباطنیّه لعدم التوجّه إلی اللّه فی الصّلاه

تبیّن لحدّ الآن، کما یجب أن یکون قلب المصلّی متوجّهاً نحو اللّه تعالی فإنّ ظاهره وجوارحه یجب أن تکون متوجّهه نحو وجه اللّه وهو الکعبه المشرّفه، وأحـد آثار توجّه المصلّی نحو الکعبه أو یفهم نفسه ویوحی لقلبه أنّ هـذا القلب یجب أن یکون فقط وفقط ذاکراً للّه تعالی ویعیش أجواء عظمته وقدرته، فلو أنّ الشـخص توجّه إلی الکعبه واسـتقبل القبله فی صلاته ولکن قلبه کان یمیـل نحو غیر اللّه، فهـذا یعنی أکبر اسـتهزاء باللّه تعالی، فلو أنّک بحسب الظاهر تنظر إلی شـخص معیّن وبـدأت بالحـدیث معه ولکنّ قلبک وحواسک فی مکان آخر، أو بالعکس لو کنت عارفاً بأنّ الشخص الذی یقف فی مقابلک ویتحدّث معک فإنّ قلبه وفکره فی محلّ آخر فمـاذا یکون حالـک؟ لاـ ینبغی أن یکون ظاهرنـا وبـدننا متوجّهاً نحو القبله ولکن قلبنا غیر متوجّه نحو اللّه ونفکر فی أمور أخری.

وقـد ورد فی الحـدیث عن رسول اللّه صـلی الله علیه و آله أنّه قال: «أَمَا یَخَافُ الّذی یُحَوِّلُ وَجهَهُ فِی الصَّلاهِ أَنْ یُحوِّلَ اللّهُ وَجهَهُ وَجهَ حِمارٍ»(۱)، فمثل هذا الشخص الذی یفکّر فی

ص:۲۴۶

۱- (۱) . بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۸۱، ص ۲۱۱.

صلاـته بالأـمور الـدنيويّه وينشـغل قلبه بمتـاع الـدنيا وزخارفهـا عليه أن يخـاف أن يبـدّل اللّه وجهه وجه حمار. يجب علينا التأمّل والدقّه فى هذه الروايه الشريفه ونستخلص منها نقاط مهمّه، فلماذا عبّر النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّ مثل هذا الشخص ربّما قيافته وملامحه على شـكل الحمار، ربّما يكون المعنى أنّ الشـخص الذى يتوجّه نحو اللّه ببدنه ولكن قلبه وفكره يعيش فى مكان آخر، فـإنّ أحـد آثار هـذه الحاله أنّ اللّه تبارك وتعالى سـيقلل من عقله إلى درجه أنّه يكون فى قلّه العقل كالحمار، ومن البعيد جـدّاً أن يكون مقصود النـبىّ صـلى الله عليه و آله أنّ اللّه تعـالى يحوّل وجهه الظـاهرى والبـدنى لهـذا الشـخص إلى وجه حمـار بالمعنى الظاهرى، بل يقول إنّ الصوره الباطنيّه لهـذا الشـخص يكون حالها حال الصوره الباطنيّه للحمار، لأنّ الحمار يعـدّ من بين الحيوانـات أقلّهـا عقلاً وذكاءً، وطبعاً ثمّه احتمال آخر فى مورد هـذه الروايه، وهو أنّ هـذه الحقيقه المـذكوره فى هـذا الحـديث تتعلّق بالشخص الذى يحوّل وجهه فى صلاته من هذه الجهه إلى تلك باستمرار، ولكن الاحتمال الصحيح هو الاحتمال السابق.

إذن لابدّ أن نلتفت إلى أننا عندما نقف للصّلاه، فكما أننا نستقبل القبله بأبداننا فينبغى أن نفكر بعظمه اللّه تبارك وتعالى ونعيش أجواء الخضوع والخشوع القلبى للّه، وذلـك بـأن يكون قلبنـا أيضـاً متوجّهاً للكعبه ويرى البيت المعمور وعرش اللّه تعالى لتكون صلاتنا مفعمه بالروح المعنويّه والملكوتيّه إن شاء اللّه.

ص:۲۴۷

۷۶- خصوصيّات الكعبه

قلنا إنّ التوجّه للكعبه المشرّفه باستقبال القبله لا يختصّ بحال الصّلاه، بل هو وارد فى الكثير من الأمور المعنويّه والدينويّه، سواءً كان بنحو الالزام والوجوب، أم بنحو الاستحباب والندب، وسبق أن استعرضنا روايه تقرّر أنّ استقبال القبله يوجب للإنسان الشعور بالأمن، قد وردت نقطه أخرى فى الروايات أيضاً، وهى أنّ الكعبه: «أَوَّلَ رَحمَهٍ وُضِعَتْ عَلَى وَجهِ الأَرضِ فَجَعَلَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَثابَهً لِلنَّاسِ وَأَمناً»(۱)، ولذلك ورد استحباب الصيام فى يوم دحو الأرض وهو اليوم الخامس والعشرون من ذى القعده، وثواب الصوم فيه بمقدار سبعين سنه من الصيام، ودحو الأرض هو اليوم الذى ظهرت فيه الكعبه فى حادثه الطوفان، يعنى ذلك القسم من الأرض الذى خرج من سطح الماء ثمّ بدأ بالتوسع والامتداد، وهذه الخصوصيّات للكعبه تلفت أنظارنا أكثر إلى عظمه الكعبه، وقد ورد فى روايه عن الإمام الباقر عليه السلام، وذلك عندما ينسب اللّه تعالى الكعبه إلى نفسه ويقول: «بيتى»،

۱- (۱) . الكافى، ج ۴، ص ۱۴۹.

وهذا الانتساب يعكس عظمه هذا المكان الشريف وجلاله قدره.

والإنسان من بين جميع الموجودات يفكر بأنّ اللّه تعالى قال فی حقّه:

«وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي...»۱ ، فجميع ما لدى الإنسان من سمّو وعظمه وكرامه بسبب هذه النسبه الإلهيّه أی بسبب نفخ الروح الإلهی فی هذا الإنسان وبذلك ينتسب إلی الحقّ تبارك وتعالی ويملك من هذه الجهه صلاحيه ولياقه الخلافه الإلهيّه، وهذه النسبه لا نجدها فی غير الإنسان من الجمادات سوى فی الكعبه حيث نسبها اللّه تعالی إلی نفسه وقال: «بيتی».

ونحن عندما نقف مستقبلين هذا البيت الحرام فنجد أنفسنا متوجّهين فی مسار آخر يختلف عن المسارات الدينويّه فی العالم، فنحن نقف حينها أمام عظمه الباری تعالی ونتوجّه إلی بيته الحرام، يجب أن نلتفت إلی أنّ هذه الحاله من شأنها أن تقرب الإنسان أكثر من الباری تعالی وتهييء نفسه لمناجاته ودعائه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام فی روايه(۱): «إِذَا إِستَقبَلتَ القِبلَهَ فَآيس مِنَ الدُّنيا وَمَا فِيها وَالخَلقَ وَمَا هُمْ فِيهِ»، وكلّ هذه العظمه والمعطيات الجليله فی استقبال القبله ليست فقط لأنّ الإنسان يتوجّه بوجهه وبدنه نحو الكعبه، بل بسبب رعايه شروطها ومقدّماتها، وأحد هذه الشروط أنّ الإنسان عندما يتوجّه إلی القبله يعيش حاله اليأس من الدنيا ولا يعتبر للدنيا أيه قيمه ويعرض عن الخلق وما هم فيه من مشاغل الدنيا، «وَاستَفرِغْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ شَاغِلٍ يَشغُلُكَ عَنِ اللّهِ تَعالی»، سواءً كان الشغل الجاه والمقام أو المال والعمل والكسب حتّى ذلك الاشتغال القلبی للعلم والبحوث العلميّه، فيجب على الإنسان عندما يقف مستقبلاً القبله أن يكون

ص:۲۴۹

۱- (۲) . مصباح الشريعه، الباب ۱۳.

قلبه خالياً من جميع هذه الأمور ومتجّهاً نحو البارى تعالى ومستشعراً عظمته وكبرياءه.

«وَعَاينْ بِسِرِّكَ عَظَمَةَ اللّه تَعالى»، فعندما يعيش الإنسان حال اليأس عن الدنيا والخلق ويبعد نفسه عن كلّ ما سوى اللّه تعالى فإنّه سيشاهد بهذا الباطن والسرّ عظمه البارى تعالى ويستشعر الخضوع والخشوع وهو يقف هذا الموقف، وهنيئاً للأشخاص الذين يعيشون هذه الحاله فى وجودهم ويشاهدون عظمه اللّه فى عين بصيرتهم وقلوبهم، فالغايه من استقبال القبله والتوجّه إليها فى الصّلاه، أن يطهّر الإنسان قلبه من التلوّثات والوساوس ويزيح عن قلبه الموانع التى يعيقه فى مسيرته المعنويه نحو اللّه تعالى فيشاهد العظمه والطهر والصفاء فى ساحه القدس الربوبى والذات المقدّسه.

ومعنى استقبال القبله فى التوجّه إلى الكعبه أنّ الإنسان يجمع جميع أموره ويلقيها بعيداً، وبالتالى يشاهد عظمه البارى تعالى فى باطنه وقلبه، والتوجّه نحو القبله يذكّر الإنسان يوم القيامه هو ذلك اليوم الذى يجب أن نقف فيه جميعاً أمام اللّه تعالى للحساب فى محكمه العدل الإلهى، ومثل هذا التوجّه القلبى يورث الإنسان حالات معنويّه رائعه جدّاً، نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا مثل هذه الحالات إن شاء اللّه.

خلاصه أسرار القبله

ألف) يستفاد من الروايات أنّ من اللازم أو المناسب فى الإتيان بالأمور المهمّه أن يستقبل المؤمن القبله، مثل الزراعه وذبح القربان وكذلك لغرض استجابه الدعاء ودفن الميّت، وعلى هذا الأساس فالتوجّه للكعبه واستقبال القبله لا يختصّ بالصّلاه.

ب) إنّ الكعبه هى امّ القُرى ومركز بسط الأرض ودحوها، وبحسب بعض الروايات أنّ الكعبه تقع وسط الأرض وأنّها وجه اللّه فى الارض لأهلها.

ج) بما أنّ الكعبه محلّ الأمن، فالوقوف باتجاه الكعبه منح الإنسان حاله من الأمن الروحى والمعنوى.

د) التوجّه نحو الكعبه يعنى اعراض الإنسان ظاهر بدنه عن جميع الجهات ويتوجّه نحو اللّه وبيته الكريم.

ه) مع التوجّه نحو الكعبه فإنّ ظاهر وباطن الإنسان يتحدان فى هذا الاتجاه، أى فى التوجّه نحو اللّه.

و) وبالتوجّه الظاهرى نحو الكعبه فإنّ قلب الإنسان يجب أن يتوجّه نحو البيت المعمور وعرش اللّه.

ز) الكعبه أوّل رحمه نزلت من اللّه تعالى إلى أهل الأرض، وأوّل تجلى من تجليات الحقّ تعالى على الأرض.

ح) إنّ استقبال القبله والتوجّه نحو الكعبه يـذكر الإنسان بوقوفه أمام اللّه عزّ وجلّ يوم القيامه، وعليه يجب أن يغض الإنسان نظره عن الدنيا وما فيها ويعرض عن الناس وما هم فيه.

ص:٢٥٢

الباب الخامس: أسرار الأذان والإقامه

اشاره

ص:۲۵۳

۷۷- أسرار الأذان والإقامه

وأحد المسائل التى ينبغى الالتفات إليها والاهتمام بها فيما يتّصل بالصّلاه وأسرارها، مسأله الأذان والإقامه قبل الصّلاه، ولعلّ يمكن القول إنّ الأسرار الموجوده فى الأذان والإقامه تعدّ مقدّمه لفهم ودرك أسرار وحقائق الصّلاه، ومن أجل أن يصل الإنسان إلى حقيقه الصّلاه فإنّ الأذان والإقامه بمثابه التمهيد لهذا المصلّى، للوصول إلى تلك الحقيقه، وهذه من خصوصيّات عباده المسلمين ولم تكن فى الأُمم السابقه والأديان الأخرى، طبعاً فإنّ أصل الصّلاه كانت موجوده فى الأديان السابقه، ولكن مسأله الأذان والإقامه تعدّ من اختصاصات ومميزات هذا الدين الحنيف وقد جعلها اللّه تعالى امتيازاً لأُمّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله.

وثمّه عدّه أمور تبحث فى مسأله الأذان والإقامه، أوّلاً ـ ما ورد فى الروايات الشريفه من البركات والمثوبات الكثيره والعديده للأذان والإقامه، بحيث تلفت نظر الإنسان أكثر إلى حقيقه هذا العمل، فسبق أن ذكرنا أنّ فقهاءنا فيما يتّصل بالأذان والإقامه ليس فقط يقولون برجحانهما واستحبابهما، بل ذهبوا إلى أنّه

ص:۲۵۵

الأذان والإقامه من المستحبّات المؤكده، بل إنّ بعض الفقهاء القدماء قالوا بوجوبهما فی جمیع الصّلاه، والبعض ذهب إلی وجوبهما فی خصوص صلاه الصّبح والمغرب، وبعض آخر فی خصوص صلاه الجماعه، وعلی أیّه حال فمن الناحیه الفقهیّه فإنّ الأذان والإقامه وردا مورد اهتمام کبیر جدّاً بحیث إنّ الصّلاه لا ینبغی أن تقام بدون أذان وإقامه، أی أنّ الصّلاه بدون أذان وإقامه لا یمکن أن تکون صلاه کامله، وعلی هذا الأساس ینبغی للمصلّین الأعزاء الاهتمام بهذه المسأله ورعایه الأذان والإقامه قبل الصّلاه.

جاء فی روایه بلال أنّه قال: «سَمِعتُ رَسُولَ اللّهِ صلی الله علیه و آله یَقُولُ: مَنْ أَذَّنَ عَشْرَ سِنینَ أَسکَنَهُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ إبراهِیمَ الخَلیلِ فِی قُبَّتِهِ أَو فِی دَرَجَتِهِ»(۱)،

وقد ذکر علماؤنا أنّ هذه الروایات تتجاوز حدّ الخبر الواحد وفوق حدّ الاستفاضه وتقرب من التواتر، قوله علیه السلام: «مَنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ وَصَلّی صَلّی خَلفَهُ صَفّانِ مِنَ المَلائِکَهِ»(۲).

والنقطه المهمّه هنا، ما ورد فی بعض الروایات تبیّن مقدار هذا الصف: «أَقَلُّهُ مَا بَینَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَأَکثَرُهُ مَا بَینَ السَّماءِ وَالأَرضِ»، فعندما نری أنّ اللّه تبارک وتعالی یهتمّ بالأذان والإقامه بهذه الصوره عندما یقف المصلّی بین یدیه، فهذا الأمر یجب أن یدفعنا إلی التفکیر فی حقیقه الأسرار الخفیّه والکامنه فی الأذان والإقامه، وما هی النقاط العجیبه والحقائق الدقیقه المقترنه بالأذان من بدایته إلی نهایته؟ وأساساً ما هی المرتبه من مراتب التوحید التی یصل إلیها الإنسان بالأذان والإقامه وبأی مرحله من مراحل العبودیّه یصل هذا المصلّی؟ ونجد الجواب عن هذه الأسئله عندما یأتی المصلّی بالأذان والإقامه کمقدّمه للصّلاه ویستشعر فی

۱- (۱) تفسیر العیاشی، ج ۲، ص ۳۳۴؛ بحار الأنوار، مطبعه بیروت، ج ۸۱، ص ۱۲۴.

۲- (۲) الدعائم، ج ۱، ص ۱۴۶.

نفسه بروح العبوديّه للّه تعالى وأنّه يتكامل فى مراتب التوحيد، ثمّ يكون مستعداً ولائقاً للحضور والوقوف فى محضر الحقّ تبارك وتعالى أى الصّلاه، يجد فى نفسه الصلاحيه والقابليّه إلى أن يرتفع فى معراج الملكوت ويبدأ حركته المعنويّه نحو اللّه تبارك وتعالى.

وبعباره أخرى أنّ الأذان والإقامه عاملان مهمّان جدّاً فى حركه الإنسان المعنويّه ومن أجل أن يشرع الإنسان بصلاته بالكيفيّه المطلوبه.

ص:۲۵۷

۷۸- الأذان: دعوه جمیع قوی الملک والملکوت للحضور

ثمّه أسرار مهمّه جدّاً فی الأذان والإقامه والتی تتضمّن التکبیر والتهلیل والشهاده بالرساله والولایه والدعوه للفلاح والخلاص کذلک ینتهی الأذان والإقامه بالتکبیر والتهلیل أیضاً.

یقول بعض الأکابر من علماء العرفان والأخلاق: إنّ نداء المؤذن یذکّر الإنسان بالنداء فی یوم القیامه الکبری لحضور جمیع الخلائق فی عرصات المحشر، ویقول المرحوم الملا محسن الفیض الکاشانی فی کتابه «الحقائق»: «وإذا سمعت نداءالمؤذن فاحضر فی قلبک هول نداء یوم القیامه، وتشمّر بظاهرک وباطنک للمسارعه والإجابه فإنّ المسارعین إلی هذا النداء هم الذین ینادون باللطف یوم العرض الأکبر»، وأساساً فإنّ المرحوم الفیض الکاشانی یلفت النظر إلی مسأله دقیقه فی الأذان، وهی أنّ الإنسان إذا أراد أن یری حاله یوم القیامه وعندما یدعو الباری تبارک وتعالی جمیع الناس لحسابه، فکیف یکون حاله واستعداده فی ذلک الوقت؟ هل یشعر فی ذلک الیوم بالسرور والفرح أو یکون ذلک بالنسبه له

يوم الندم والحسره؟

يقول: إنّک ترى فى هـذا العـالم الـدنيوى هل أنّک تشـعر بالسـرور والانبساط مع سـماعک للأذان أم لا؟ وعنـدما يبـدأ المؤذن بالأذان هل تشـعر بالنشاط فى قلبک وتحسّ بأنّ قلبک ملىء بالغبطه والسـرور أم لا سـمح اللّه لا يوجـد أى تغيير فى قلبک؟ ولو أنّ أحـدهم سـمع صوت المؤذن وانقبض قلبه لذلک لا سـمح اللّه، وتصوّر أنّ هذا الأذان قد نغص عليه لذّته ووقته، فالويل لمثل هذا الشخص.

ويتابع الفيض الكاشانى قدس سره بالقول: إنّ نوعيه ردّه الفعل للشخص فى هذا العالم بالنسبه لصوت المؤذن تعكس ردّه فعلهم لـذلک النـداء الإلهى فى عرصات المحشـر يوم القيامه وهل أنّ اسـتجابته لذلک النداء إيجابيّه أم سـلبيّه، ثمّ يشـير الكاشانى إلى كلام النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله بهذه المناسبه: «أَرحنَا يا بِلالُ»، وأنّ هذه العباره مرتبه بهذا المعنى ويقول:

«أَرِحنا بِها وَبِالنِّداءِ إلَيها»، فالمؤذن يـدعو المؤمنين إلى مجلس الحضور بين يـدى البارى تعالى والحديث معه والمعراج إليه، ولو أخذنا بعين الأعتبار كلامه:

«الإنسان يموت على ما يعيش ويحشـر على ما يموت ويحصد ما زرعه فى أرض قلبه»، فهذا يعنى أنّ جميع الحالات التى يعيشـها المرء فى هذا العالم ويموت عليها فإنّه سوف يحشـر بتلک الحالات والنيّات وبتلک الكيفيّات فى يوم القيامه ويجد ثمره ما زرعه فى قلبه فى حياته الدنيا.

والحال إذا شـعر الشـخص عنـد سـماعه لنـداء المؤذن بحاله من السـرور والفرح وأنّه سوف يقدم على خالقه ويحضـر فى مجلس ملاقـاته، ومـا يترتّب عليه من إفاضـات الحقّ تبارک وتعالى عليه فى ذلک المجلس، فإذا شـعر الإنسان من هـذا النـداء بحاله من الشـوق والرغبه فى التحليق فى عـالم الملكوت وغـادر الـدنيا بهـذه الحـاله فسوف يحشـر يوم القيـامه بهـذه الحالات والملكـات النورانيّه فى نفسه

ص:٢٥٩

وسوف تنقذه هذه الحالات والملكات المعنويه من أزمات المحشر وظلمات يوم القيامه.

وثمّه عباره عميقه للإمام الراحل رضوان اللّه تعالى عليه: إنّ الأذان هو قوى الملك والملكوت فى الإنسان الكبير والصغير للتهيئه والاستعداد للحضور فى محضر الحقّ تبارك وتعالى، فليس الأذان مجرّد دعوه الناس إلى المسجد والوقوف للصّلاه، بل هو دعوه لجميع قوى العالم بواسطه الأذان، سواء الإنسان الصغير أم الإنسان الكبير، القوى الملكيه أو الملكوتيه، فالجميع مدعوون للحضور فى محضر الحقّ تبارك وتعالى، ومن هذه الجهه يجب علينا الاهتمام الجاد بمسأله الأذان والإقامه.

ص:٢٦٠

۷۹- سرّ التکبیرات الأربع والشهاده بوحدانیّه اللّه فی الأذان

یقول المرحوم الکلینی فی کتابه «الکافی» فی روایه عن الإمام الباقر علیه السلام: «لَمَّا أُسرِیَ بِرَسُولِ اللّهِ صلی الله علیه و آله إِلی السَّماءِ فَبَلَغَ البَیتَ المَعمُورَ وَحَضَرَتْ الصِّلاهُ فَأَذَّنَ جِبرئیلُ وَأَقَامَ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله وَصَفَّ المَلائِکَهُ وَالنَّبِیُّونَ خَلَفَ مُحَمُّد صلی الله علیه و آله»(۱).

ویتبیّن من قیام جبرئیل الأذان والإقامه لهذه الصّلاه أنّ حقیقه الصّلاه لا تتیسر بدون الأذان والإقامه، ویجب علینا أن نأسف علی أنّ الکثیر من صلواتنا اقیمت بدون الأذان والإقامه، ومثل هذه الصّلاه لیست بصلاه کامله، وهذه الصّلاه لا تستطیع العروج بالإنسان إلی مراتب عالیه من حضور القلب، وهذه الصّلاه لیست معراج المؤمن، فالصّلاه بدون الأذان والإقامه صلاه ناقصه جدّاً.

وسبق أن ذکرنا عباره الإمام الراحل رضوان اللّه علیه حیث یقول: إنّ الأذان دعوه لجمیع قوی العالم، قوی الملک والملکوت للحضور فی محضر الحقّ تبارک وتعالی فما هو هذا الأذان؟ فی الأذان هناک أربع تکبیرات فی مطلع الأذان، وثمّه

ص:۲۶۱

۱- (۱) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۳۰۲.

أسرار وحقائق كامنه فی هذه التكبيرات الأربع، وهنا يعلن المصلّی بهذه التكبيرات عن عجز جميع الموجودات فی العالم عن القيام بالثناء علی الحقّ تعالی وحمده، فالمصلّی يريد أن يقول بهذه التكبيرات أنّ كلّ موجود فی العالم لا يستطيع أبداً أن يحمد اللّه ويثنی عليه كما هو حقّه، وعندما تبدأ الصّلاه بهذه التكبيرات فی الأذان ويتمّ ذكرها مجدداً فی الإقامه فهو اعتراف منّا بأنّه لا يوجد أی كائن وأی بشر يقدر علی أداء حقّ اللّه فی الحمد والثناء، وعندما تتكرر كلمه «اللّه أكبر» أربع مرّات، فهذا يعنی أنّ اللّه أكبر من قدره الشخص علی حمده وثنائه، وهذا إعلان للقصور عن قابليه الحضور، والإنسان العاجز يعترف هنا بأنّه غير جدير ولا يملك القابليّه واللياقه علی الحضور فی محضر الحقّ تبارك وتعالی، وبعد الاعتراف بالعجز بالقصور يستعد لاظهار الخوف والخشيه والخضوع، ثمّ يأتی بدور الشهاده بوحدانيه الباری تبارك وتعالی ويقول: «أَشهَدُ أَنْ لا إلِهِ إلّا اللّه»، ويكرر هذه الشهاده مرّتين، ولعلّ ذلك بسبب أنّ الشهاده الأُولی هی شهاده التوحيد علی الذات، يعنی أنّ اللّه تبارك وتعالی لا شريك له فی ذاته، والشهاده الثانيه هی شهاده التوحيد فی الفعل، يعنی أنّ كلّ فعل يصدر فی هذا العالم هو فعل اللّه ولا يوجد فاعل غير اللّه فی عالم الوجود، وقد أشار إلی هذه النقطه أيضاً بعض الأكابر كالمرحوم الفيض الكاشانی قدس سره.

والجدير بالذكر أنّ شروع الأذان بالتكبير وختم الأذان بالتكبير أيضاً قد يتضمّن رساله خاصّه، فماذا يمكن أن نستوحی من ذلك؟ ألا نفهم من ذلك أنّ الإنسان يصل فی هذه المرحله إلی هذه الحقيقه: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْ ءٍ عَلِيمٌ»١ ، وكلّ شیء هو للّه تعالی، والإنسان عندما يلتفت إلی هذه النقاط فی الأذان والإقامه سيفهم الخطوات الكبيره التی يجب أن

يخطوها فى خطّ الكمال حتّى يحصل على اللياقه والقابليّه للورود فى محضر القدس الإلهى، فلا ينبغى القيام بسرعه ونكبّر تكبيره الإحرام مباشره وندخل فى الصّلاه، فمثل هذا العمل يشير إلى عدم معرفه قدر هذه العباده المهمّه واضاعتها، وهذه العباده يجب الإتيان بها مع مقدّماتها، وتلك المقدمات الرائعه والبديعه جدّاً تشير إلى أنّ اللّه تعالى يمنّ علينا بأن نتذكره ونتعرّف عليه ونتواصل معه، وينبغى أن نختبر أنفسنا فى هذا المجال عندما نقوم بقراءه الأذان والإقامه ونرى كيف أنّ هذه الصّلاه قد أحدثت تحوّلاً كبيراً فى حياتنا.

ص:۲۶۳

۸۰– ثواب الأذان

يجب على الإخوه والأخوات المصلّين أن يلتزموا بالأذان والإقامه في صلاتهم، فالصلاه المقترنه بالأذان والإقامه تختلف كثيراً عن الصّلاه بدون الأذان والإقامه، أضف إلى ذلك أنّ نفس حقيقه وروح الصّلاه تختلف كثيراً وبينهما بون ساشع، ومن الموارد التي ذكرت الروايات الشريفه الثواب الجزيل على فعل عبادي للإنسان هو هذه المسأله، بحيث إنّ علماءنا الكبار سعوا كثيراً في فهم وتسويغ مثل هذا الثواب وتفسيره، وينقل الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي المجلس ۶۶ عن الإمام الصادق عليه السلام وهذا الإمام ينقل عن آبائه العظام صلوات اللّه عليهم أجمعين عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «أَلا وَمَنْ أَذَّنَ مُحتَسِباً يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجهِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعطَاهُ اللّهُ ثَوابَ أَربَعِينَ أَلفَ شَهِيدٍ وَأَبَعِينَ صِدِّيقٍ وَيَدْخُلُ فِي شَفَعَتِهِ أَرَبعُونَ أَلفَ مُسيء، وَإِنَ المُؤذِّنَ إِذا قَالَ: أَشهَدُ أَنْ لاإِلَهَ إِلَّااللّهُ صَلَّىْ عَلَيهِ تِسعُونَ أَلفَ مَلك وَكَانَ يَوْمَ القِيامَهِ فِي ظِلِّ العَرشِ حَتَّى يَفرَغُ اللّهُ مِنْ حِسابِ الخَلائِق»، وهذا يعني أنّ هذا الشخص يعيش ذلك اليوم سعاده مطلقه وراحه كامله ويعيش المحو في

جمال الحقّ تعالى والاستغراق فى النعيم والرضوان الإلهى، إلى أن يفرغ اللّه تعالى من حساب الخلائق.

وهنا يطرح سؤال مهم، وهو: كيف يمكن لأذان واحد يستغرق بضع دقائق أن يرتب عليه البارى تعالى هذا المقدار من الثواب العظيم؟

وفى مقام الجواب نلفت النظر إلى نقاط عدّه، أوّلها أنّ الثواب المقرر للإنسان فى مقابل عمله لا يقع بإزاء ذلك العمل بل هو فضل من اللّه ولطفه، ولذلك يمكن أن يعطى اللّه تعالى ثواباً واحداً على عمل معين، ويعطى لشخص آخر عدّه أضعاف من ذلك الثواب على هذا العمل، لأنّ الملاک فى باب الثواب هو الفضل الإلهى وليس الثواب يقدّر بمقدار العمل.

وبالنسبه للعقاب فالأمر يختلف، لأنّه سيكون بمقدار ذنب الإنسان، وهذا هو مقتضى العداله، فى حين أنّ مسأله الثواب ترتبط بفضل اللّه ورحمته.

النقطه الثانيه، إنّ هذا الثواب لا يعطى لأى مؤذن كان بل هو مشروط بقيد «وجه اللّه» وهو شرط مهمّ جدّاً ولا يعلم أنّ كلّ مؤذن سيحقق هذا الشرط بسهوله.

النقطه الثالثه، أنّ رقم ألف ومائه ألف ومليون تختلف فى المقدار بالنسبه إلينا، ولكنّها بالنسبه لما عند اللّه تبارک وتعالى لا تختلف ولا فرق بينها أبداً، فخلق شىء واحد بالنسبه إلى اللّه تعالى لا يختلف أبداً مع خلق جميع العالم وجميع الكائنات، ويكفى أن يريد اللّه تعالى إيجاد هذا الشىء أو الأشياء وليس الأمر أنّ خلق هذا العالم أصعب عند اللّه من خلق جزء صغير من أجزائه: «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»۱ ، فإراده الحقّ تعالى بالنسبه لجميع أفعاله متساويه،

خلافاً لحالنا وما عنـدنا حيث يختلف الحال بين الواحـد والمائه، وعنـدما نـدرك أنّ اللّه تعالى كـذلك ويتّصف بالكرم والجود بهذا الشـكل، فهل من الإنصاف وهل يصحّ أن يفقد المصـلّى مثل هذا اللطف العنايه من اللّه ويستغرق عمره ولا يؤذن ويقيم مرّه واحده لصلاته؟!

۸۱– سرّ الشهاده بالرساله والولایه فی الأذان

روی عبـداللّه بن سـنان عن الإمـام الصادق علیه السـلام أنّ رسول اللّه صـلی الله علیه و آله قال لبلال: عنـدما یحین وقت الصّـلاه فاصـعد علی جـدار المسـجد وارفع صوتـک بالأـذن: «فَإِنَّ اللّهَ قَدْ وَکّلَ بَالأَذانِ رِیحاً تَرفَعُهُ إلی السَّماء، وَأَنَّ المَلائِکَهَ إذا سَـمِعُوا الأَذانَ مِنْ أَهلِ الأَرضِ قَالُوا هَذِهِ أَصواتُ أُمَّهِ مُحَمَّدٍ صـلی الله علیه و آله بِتَوحِیدِ اللّهِ عَزَّ وَجلَّ، وَیَستَغفِرُونَ لأُمَّهِ مُحَمَّد صـلی الله علیه و آله حَتَّیْ یَفرَغُوا مِنْ تِلکَ الصَّلاهِ»(۱).

لمـاذا یجب علی المصلّی أن یـأتی قبـل الصّـلاه بالشـهاده علی رسـاله النـبیّ الأـکرم صـلی الله علیه و آله فی أذانه: یقول الإمـام الخمینی رضوان اللّه علیه: «الشـهاده برساله النبیّ الخاتم هی توسل بالمقام المقدّس للشفیع المطلق والشفاعه المطلقه»، لأنّ الوارد فی القرآن الکریم أنّ النبیّ هو الشـفیع المطلق، وبهذه الشـهاده تحصل للإنسان صحبه مع هذا الرسول الإلهی الذی یتمتع بالولایه المطلقه، وهذا یعنی أنّ هذا المصلّی یتحرک فی سلوکه المعنوی فی معراجه والحدیث مع اللّه تعالی، فهو بهذه

ص:۲۶۷

۱– (۱) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۳۰۷.

الشهاده بالرساله یجعل نفسه مصاحباً للنبی الخاتم صلی الله علیه و آله، وشهادته علی ولایه أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب صلوات للّه وسلامه علیه یجعل نفسه مصاحباً لصاحب الولایه المطلقه، فسواءً وفّقنا فی الأذان بولایه علی بن أبی طالب علیه السلام أم لم نوفّق لذلک فإنّ الشهاده برساله النبیّ الخاتم صلی الله علیه و آله تتضمّن الشهاده علی ولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام أیضاً، لأنّ رساله النبیّ لا تکتمل إلّابولایه أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام.

وهنا یستعرض الإمام الخمینی رضوان اللّه علیه فی کتابه «آداب الصّلاه» کلاماً لاستاذه الکبیر المرحوم شاه آبادی رضوان اللّه علیه ویقول: إنّ شیخنا العارف الکامل روحی فداه یقول: «إنّ الشهاده بولایه ولی اللّه تتضمّن الشهاده برساله النبیّ، لأنّ الولایه هی باطن الرساله»(۱)، إذن فالإنسان المصلّی کما یتحرّک فی صحبه المقام النبوی فإنّه یصاحب المقام المقدّس العلوی والولوی.

وجاء فی بعض الأحادیث الشریفه: «بِعَلِیٍّ قَامَتْ الصَّلاهُ»(۲)، أو ورد فی بعض الروایات فی تفسیر: «قَدْ قَامَتْ الصّلاهُ»، أنّه «إنَّ بِعَلِیٍّ قَامَتْ الصَّلاهُ»، فلو أننا علمنا أنّ الإمام علی علیه السلام هو حقیقه القرآن وهو القائل عن نفسه بأنّنی القرآن الناطق، فإنّ حقیقه الصّلاه والصوم هی علیّ علیه السلام.

نسأل اللّه تعالی أن ینیر قلوبنا بنور ولایه علی بن أبی طالب إن شاء اللّه.

۱- (۱) . آداب الصّلاه، ص ۱۴۱.

۲- (۲) . أسرار العبادات وحقیقه الصّلاه، ص ۲۳.

۸۲- الصّلاه أفضل الأعمال وأصل الفلاح

قلنا فيما يتّصل بالأذان والإقامه أنّ المصلّى فى التكبيره الاُولى يعلن عن عجز جميع موجودات العالم عن حمد وثناء الحقّ تبارك وتعالى، فبعد الشهاده بتوحيد الذات والتوحيد بالأفعالى، تصل النوبه فى هذا السفر الروحانى إلى الصّلاه وهى معراج المؤمن من خلال الشهاده برساله النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وولايه أميرالمؤمنين على عليه السلام ويستمد المعونه والمدد من صحبه هذين العظيمين.

فبعد بيان هذه الشهاده يعلن المصلّى استعداده للصّلاه والوقوف بين يدى اللّه بذكر هذه الفقره من الأذان: «حَيِّ عَلَى الصَّلاهِ»، التى تدعو الجميع للاسراع فى التوجّه إلى الصّلاه، وبعد ذلك يقول المؤذن: «حَيِّ عَلَى الفَلاح» وبذلك يتبيّن السرّ الاجمالى للصّلاه وهو طلب الفلاح والنجاح فى الصّلاه والاسراع للحركه فى خطّ الفلاح، أحياناً يخطر على ذهن الإنسان وقبل الالتفات إلى معانى هذه الكلمات أنّ اللّه تعالى لا يحتاج لصلاتى، إذن فلماذا أوجبها علىَّ؟ أمّا قولهم إنّ الصّلاه عباره عن أداء شكر اللّه تعالى على نعمائه فهو تعبير ساذج جدّاً، إذن

ص:۲۶۹

فلماذا التكليف بالصّلاه؟ الحقيقه أنّ هذا الذكر فی الأذان يقرّر: إنّ الصّلاه وضعت من أجل الفلاح، والصّلاه شرعت لغرض تحقيق السعاده للإنسان ونيل مرتبه القرب من اللّه «حَيِّ عَلَى الفَلاحِ»، «حَيِّ عَلَى خَيرِ العَملِ»، وأفضل عمل يقود الإنسان فی سلّم النجاه والكامل المعنوی هو الصّلاه، وينبغی الالتفات إلی هذه النقطه، وهی أنّه يستحبّ الدعاء بين الأذان والإقامه وقد ورد التعبير عنه بدعاء «التوجّه»، وأورد الشيخ الكلينی رحمه الله فی المجلد الثانی من كتابه «الكافی» وهو:

«اللّهُمَّ إِنّی أَتَوَجّهُ إِلَيکَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ»، وهكذا يتحرّک الإنسان فی أذانه بصحبه النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله وأميرالمؤمنين عليه السلام ويقرأ هذا الدعاء: «اللّهُمَّ إِنّی أَتَوَجّهُ إِلَيکَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ»(۱)، ومن هذا الدعاء نفهم أنّ طريق التقرّب والتوجّه إلی اللّه منحصر بواسطه النبیّ وآله الطاهرين عليهم السلام.

الأشخاص الذين لا يريدون فهم حقيقه مذهب الشيعه والمضامين الساميه والمفاهيم العاليه لهذا المذهب ويتحرّكون فی مواجهته من موقع العناد والتعصب هم أشخاص يعيشون حالات الجهل وظلمه القلب، أمّا القلوب الطاهره فبسبب ما فيها من نورانيّه تفهم أنّ طريق الوصول إلی اللّه يجب أن يكون بواسطه النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله وأله بيته الطاهرين عليهم السلام، واليوم نری أنّ القوی الاستعماريّه أوجدت الوهّابيه لغرض محو الدين وهجموا بكلّ قواهم ومكرهم علی الإسلام والمسلمين، فهؤلاء يرون أنّ هذه المفاهيم شرک باللّه، فيجب أن نسألهم: إذا كنتم تقولون لا ينبغی طرح كلّ ما هو غير اللّه فی الدعاء، فلماذا يجب علينا فی الأذان الذی هو مقدّمه لأهم عباده وهی الصّلاه، أن نشهد برساله النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله؟ إذا قالوا: إنّ اللّه تعالی أمرنا بذلک، فنقول فی جوابهم: إنّ اللّه أمر أيضاً بالشهاده بولايه أميرالمؤمنين عليه السلام.

۱- (۱) . الكافی، المطبعه الإسلاميّه، ج ۲، ص ۵۴۴.

إنّ النبيّ الأكرم صلى الله علیه و آله وأوصیائه الکرام علیهم السلام هم حقائق نورانیّه نستطیع بواسطتهم التوجّه إلی اللّه تعالی: «اللَّهُمَّ إنّی أَتَوجّهُ إِلَیکَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمِّدٍ وَأُقَدِّمُهُم بَینَ یَدَی صَلاتِی، وَصَلِّ عَلَیهِم فَاجعَلنِی بِهِمْ وَجِیهاً فِی الدُّنیا وَالآخرَهِ وَمَنَ المُقَرِّبِینَ کَمَا مَنَنْتَ عَلَینا بِمَعرِفَتِهِم».

ومن هنا نری من المناسب أن یهتمّ المؤمنون والمصلّون الأعزاء بقراءه هذا الدعاء فی صلاتهم.

ص:۲۷۱

۸۳- الأذان يبعد الشّيطان

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «أَذِّن فِی بَيتِک فإِنَّهُ يَطرُدِ الشَّيطَانَ».(۱)

يستفاد من الروايات الشريفه وكلمات العلماء أنّ مسأله الأذان والإقامه فی الصّلاه مهمّه جدّاً وكما أشرنا فی بحث القبله أنّ المصلّی عندما يتوجّه نحو الكعبه فإنّه يبتعد ذلک عن الكثير من مصائد الشيطان ويتحرّک فی طريق الأمن المعنوی، والأذان له أيضاً هذه الخصوصيّه.

وقد ورد فی بعض الروايات: «أَذِّن فِی بَيتِک فإِنَّهُ يَطرُدِ الشَّيطَانَ»، ولعلّ إحدى الحكم فی استحباب الأُذان فی اذن الوليد أنّ اللّه تبارک وتعالی بهذه الطريقه يبعد الشيطان عن هذا الطفل، وينقل الإمام الخمينی رضوان اللّه عليه فی كتابه «سرّ الصّلاه» عن كتاب «علل الشرائع» حديثاً مفصّلاً عن الإمام الصادق عليه السلام فيما يخصّ صلاه النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله فی المعراج، وأنّه قال عليه السلام: «أَنزَلَ اللّهُ العَزيز الجَبّار عَلَيهِ مَحمَلاً مِنْ نُورِ فِيهِ أَربَعُونَ نَوعاً مِنْ أَنواعِ النُّورِ، كَانَتْ مُحدِقَةً حَولَ العَرشِ

۱- (۱) الكافی، المطبعه الإسلاميّه، ج ۳، ص ۳۰۸.

عَرشهُ تَبارَکَ وَتَعالی تَغشَی أَبصَارَ النَّاظِرِینَ، أَمَّا وَاحِدٌ مِنْها فَأَصفَرٌ فَمِنْ أَجلِ ذَلِکَ اصفَرتْ الصُّفرهُ، وَوَاحِدٌ مِنها أَحمَرٌ فَمِنْ أَجلِ ذَلِکَ احمَرتْ الحُمرَه»، إلی أنّ جلس النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله علی محمل من نور: «فَجَلسَ عَلَیهِ ثُمَّ عُرِجَ إِلی السَّماءِ الدُّنیا فَنفَرتِ المَلائِکَهُ إِلی أطرَافِ السَّماءِ، ثُمَّ خَرَّتْ سُجَّداً فَقَالَتْ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبِّنا وَرَبِّ المَلائِکَهِ وَالرُّوح مَا أَشبَهَ هَذا النُّورُ بِنُورِ رَبِّنا، فَقَالَ جِبرئِیلُ: اللّهُ أَکبَرُ اللّهُ أَکبَرُ»، هذا التکرار فی الأذان والإقامه تذکرنا بتعدد التکبیر الذی یذکره جبرئیل من جراء عظمه حضور النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله فی السماء الدنیا وما ترتّب علیه من سجود الملائکه، فنور النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله کان إلی درجه من العظمه بحیث إنّ ملائکه السماء سجدوا وللمرّه الثانیه وقال جبرئیل: «اللّهُ أَکبَرُ اللّهُ أَکبَرُ، فَسَکَتِ المَلائِکَهُ وَفُتِحَتْ أَبوابُ السَّماءِ وَاجتَمَعتْ المَلائِکَهُ»، فَقالَ: «یامُحَمَّدُ کَیفَ أَخُوکَ إِنْ أَدرَکتَهُ فَأقرأهُ مِنّا السَّلامَ».

فقال النبیّ صلی الله علیه و آله: «بِخیرٍ، هَل تَعرِفُونَهُ؟»، فقالوا: «فَقَالَ کَیفَ لَمْ نَعرِفْهُ وَقَدْ أَخَذَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِیثاقَک ومِیثَاقَهِ مِنّا»(۱).

وبعد أن ینقل الإمام الراحل رضوان اللّه علیه هذه الروایه یقول: «ثمّه أسرار وحقائق فی هذا الحدیث الشریف تقصر ید آمالنا عن الوصول إلیها»(۲)، وما ندرکه بفهمنا القاصر من هذا الحدیث لو قمنا بذکره وبیانه لکان حدیثاً مطولاً ویخرج عن مجال هذه الأوراق، یعنی أنّه یقول: إنّ المعانی والمفاهیم التی تتبادر إلی الذهن من هذا الحدیث الشریف لا أستطیع بیانها هنا، والمقصود من ذکر البعض منها لاستشهاد لهذه المسأله وهی أنّ ملائکه اللّه اجتمعت بذکر الإقامه، یعنی أنّ المصلّی عندما یؤذن ویقیم فإنّه یقول: إنّ جمیع الملائکه تجتمع لذلک، وهذه

۱- (۱) علل الشرائع، ج ۲، ص ۳۱۲.

۲- (۲) . سرّ الصّلاه (معراج السالکین)، ص ۷۱.

الملاحظه وارده فی الروایات الشریفه.

ومع قول المصلّی للأذان یصطفّ خلفه صفّان من الملائکه، ومع قوله الإقامه یصطفّ صفّ واحد من الملائکه فی هذه الصّلاه ویری المصلّی حضور الملائکه بعین قلبه، فما أحلی هذه الصّلاه التی یوفّق المؤمن للقیام بها!! رزقنا اللّه بها إن شاء اللّه.

۸۴- الأذان حکایه أذکار الملائکه فی المعراج

أحد الأسئله التی تثار عاده فی أذان أغلب المؤمنین هو: ما هی أسرار فصول ومقاطع الأذان؟ فالمؤذن یتبع بالتکبیرات الأربع، فما هی الخصوصیّه الکامنه فی هذا العدد من التکبیرات؟ وبعد التکبیر تأتی الشهاده علی وحدانیّه الباری تبارک وتعالی وأن لا یوجد معبود سواه، ثمّ الشهاده علی الرساله والولایه فی الأذان؟ وقبل استعراض بعض النقاط الوارده فی کتب الأکابر من العلماء والعرفاء ربّما یمکن ذکر هذه النقطه، وهی أنّ النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله عندما ذهب إلی المعراج وحدث ذلک السفر السماوی وتلک الحرکه الإلهیّه العظیمه وعاش رسول اللّه صلی الله علیه و آله أوج الکرامه الإلهیّه فی مساره ومعراجه، فإنّه أوجد فی تلک العوالم فی عالم الملکوت وبین الموجودات السماویّه والملائکه نشاطاً وحیویه وحرکات وأذکار، فحرکه النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله لم تکن خافیه علی ملائکه اللّه فی السموات.

وقد وردت الإشاره فی تلک الروایه المعروفه أنّ الملائکه فی بعض السماوات تصوّروا أنّ هذا النور هو نور اللّه تعالی وسجدوا له، ولکن بعد أن نبّههم

ص:۲۷۵

جبرئيل وقال لهم إنّ هـذا النور هو نور النبيّ الخاتم محمّـد بن عبـداللّه صـلى الله عليه و آله، فهنا انطلقت التكبيرات من الملائكه وقوله: «اللّهُ أَكبَرُ اللّهُ أَكبَرُ أَشـهَدُ أَنْ لاإِلهَ إِلّا اللّهُ وَأشهَدُ أنّ مُحَمّداً رَسُول اللّهُ»، فى تلك العوالم وبعباره أخرى أنّ الأذان يحكى مـا ورد فى أذكـار الملائـكه عنـد معراج رسول اللّه صـلى الله عليه و آله إلى السـماء، فالأذان يحكى عن تلك الأعمال والأذكار التى قـام بهـا الملائـكه فى مقـام عظمه النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله عنـدما رأوا نور النبىّ صـلى الله عليه و آله، فـدهشوا فى المرتبه الاُولى بحيث إنّهم تصـوّروا أنّ هـذا النـور هو نور اللّه تعـالى ونور العظمه الإلهيّه والـذات المقـدّسه، ولعلّهم فى السـماء الاُولى كبّروا التكبيره الاُولى، وفى السـماء الثانيه كبروا التكبيره الثانيه، وفى السماء الثالثه كبّروا التكبيره الثالثه، وفى السماء الرابعه كبّروا التكبيره الرابعه، وطبعاً هذا مجرّد احتمال نطرحه فى المقام وبعض الروايات فى الجمله تؤيد هذا المعنى أيضاً.

وعلى هـذا الأسـاس فالأذان يحكى عن واقعه مهمّه حـديث فى الملأ الأعلى يعكس الأذكـار الـتى قالهـا ملائـكه اللّه فى تلك العوالم، وبمـا أنّ الصّلاه معراج المؤمن، فيجب قبـل الصّلاه أن يـذكر ويكرر مـا قـاله الملائكه الإلهيون فى تلك الواقعه ليكون مستعداً لهذا العروج الإلهى فى عالم الملكوت ويحظى بتقرّب أكثر إلى اللّه تبارك وتعالى.

النقطه الثانيه التى ينبغى ذكرها هنا، أنّ الأذان جامع للتكبير والشـهاده على التوحيد والشـهاده على الرساله، والشهاده على الولايه، وهذه نقطه مهمّه جدّاً جدّاً، وتتضمّن أسراراً كثيره.

۸۵- سرّ التکبیرات الأربعه فی الأذان

ما هی الخصوصیّات الکامنه فی التکبیرات الأربع فی الأذان؟ إنّ المعنی الإجمالی للتکبیر هو أنّ اللّه أکبر من أن یدرکه أو یصفه الإنسان، یقول أمیرالمؤمنین صلوات اللّه وسلامه علیه فی روایه فی معنی التکبیر: إنّ التکبیر هو نفی الکیفیّه عن اللّه تبارک وتعالی أی الکیفیات المادیّه التی تنطلق من أی توصیف یقوم به عقلنا الناقص للّه تعالی ویرید بیان کیفیه للباری تعالی ومع قوله اللّه أکبر یتمّ نفی جمیع هذه التوصیفات، ویقول إنّ المؤذن عندما یقول أکبر:

«کَأَنَّهُ یَقُولُ اللّهُ أَجَلُ مِنْ أَنْ یُدرِکَ الوَاصِفُونَ قَدْرَ صِفَتِهِ الَّذِی هُوَ مَوصُوفٌ بِهِ وَإِنَّما یَصِفُهُ الوَاصِفُونَ عَلَی قَدْرِهِمْ لاعَلَی قَدْرِ عَظَمتِهِ وَجَلالِهِ، تَعالَی اللّهُ عَنْ أَنْ یُدْرِکَ الوَاصِفُونَ صِفَتَهُ عُلُوّاً کَبِیراً»(۱)، فالشخص الذی یکبّر اللّه تعالی ویقول کلمه اللّه أکبر بلسانه فهذا یعنی أننی أقرّ بأنّه لا موجود غیر اللّه تعالی یستحق العظمه والکبریاء، والآن وقد عرفنا المعنی الإجمالی للتکبیر یجب أن نعلم ما هی

۱- (۱) . بحار الأنوار، ج ۸۱، ص ۱۳۱.

الأسرار فی تعدد الکبیرات، ولماذا جعلت أربع تکبیرات؟ هنا توجد احتمالات عدّه:

الاحتمال الأوّل: أنّ هذه التکبیرات الأربع، إشاره فی کلّ واحده منها إلی مقام خاصّ، فالتکبیر الأوّل هو التکبیر عن توصیف الذات الإلهیّه، وأنّ اللّه تعالی أکبر من یعرفه أی شخص ویصفه کما یلیق به، التکبیر الثانی من توصف صفات اللّه، فاللّه تعالی بعد دائره الذات أکبر من أن یوصف بأوصاف نستطیع فهمها وبیانها، والتکبیر الثالث هو التکبیر عن التوصیف فی مقام الأسم، فاللّه أکبر من أن نستطیع أن نذکر له اسم من الأسماء ونعرفه باسمه، والتکبیر الرابع هو التکبیر عن وصف اللّه فی مقام العمل، وهذا الاحتمال هو ما ذکره الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه، وعلی هذا الأساس فإنّ لکلّ واحده من هذه التکبیرات الأربع مقاماً وإشاره إلی بُعد خاصّ، یعنی أننا لا نستطیع معرفه اللّه لا فی مقام الذات ولا الصفات ولا فی الأسماء ولا فی الأفعال.

الاحتمال الثانی: أنّه لا یبعد أن یکون الأذان حکایه وانعکاس عن تلک الواقعه الإلهیّه عند عروج النبی الأکرم صلی الله علیه و آله إلی السماوات، یعنی عندما عرج بالنبی صلی الله علیه و آله إلی السماء رآی الملائکه الإلهیین عظمه هذا النبیّ، کبّروا أربع تکبیرات، ونحن بدورنا نکبّر هذه التکبیرات فی الأذان حکایه وتقلیداً عمّا فعل الملائکه فی واقعه المعراج، فالمصلّی عندما یقول فی أوّل الأذان أنّه لا أحد یستحق الثناء والحمد سوی اللّه، وهو ذلک العظیم الذی لا یوجد أکبر منه وهو اللّه، وذلک الشخص الذی یملک اللیاقه للعظمه والکبریاء هو اللّه تعالی، فإنّ هذا التکبیر هو الذکر سیؤثر فی روحه وعمله تأثیراً کبیراً.

فلا ینبغی أن نتصوّر أنّ الأذان مجرّد شعار ظاهری بین المسلمین، فالإنسان عندما یأتی بالأذان فإنّه یلتفت ویعترف بوجود مجموعه من الحقائق الواقعیّه،

وبعد أن يدخل إلى الصّلاه فإنّ صلاته هذه تتضمّن ثناءً جامعاً وتسبيحاً كبيراً، وأكبر تسبيح وثناء للّه تعالى يوجد فى الصّلاه وذكر هذه المقدّمات فى الأذان يقودنا إلى مثل هذه الصّلاه وأن نقول: إلهنا! لو أننا صلّينا لك مثل هذه الصّلاه طيله عمرنا فإننا لا نستطيع أن نثنى عليك ونحمدك ونسبحك كما تستحق الحمد والتسبيح، وهذا الإقرار والاعتراف فى أوّل الأذان يبدأ بهذه التكبيرات الأربع.

يجب علينا الاهتمام الجاد بالأذان، وقبل الدخول إلى الصّلاه يجب أن نلتفت إلى حقائق الأذان، وهذا التوجّه والالتفات يهيىء الإنسان للدخول فى الصّلاه والوقوف بين يدى البارى تعالى.

۸۶- سرّ التكبيرات الأربعه فى كلام الإمام الخمينى قدس سره

ذكرنـا بعض الاحتمالات فيما يتعلّق بأسـرار التكبيرات الأربع، والاحتمال الثالث هو ما ورد فى كلمات الإمام الخمينى رضوان اللّه تعـالى عليه، وسـبق أنّ قلنـا إنّ المؤذن فى التكبير الأـوّل يلتفت إلى كبريـاء الـذات الإلـهيّه المقـدّسه ويعلن لجميع قواه الظـاهريّه والبـاطنيّه عظمه الـذات المقـدّسه وكبريـاء البارى تعالى، لأنّ الأذان يعنى الإعلان، والمصـلّى فى التكبيره الاُولى يعلن عن كبرياء البارى تعالى لجميع أعضاءه وقواه الظاهريّه والباطنيّه.

التكبيره الثانيه، يعلن فيها المصـلّى لملائكه اللّه تعالى الموكّلين على كلّ واحده من هذه القوى الظاهريّه والباطنيّه، كبرياء وعظمه البارى تعالى.

وفى التكبيره الثالثه، يعلن المصـلّى عظمه وكبرياء البارى تعالى لجميع موجودات العالم الغيبى والشـهود، يعنى أنّ هذا الإنسان لا يلتفت بعـد هـذا إلى نفسه والملاـئكه المحيطين به، بل يتوجّه إلى جميع موجودات العالم المشـهوده أو الغيبيّه، ويعلن لها كبرياء الحقّ تبارك وتعالى فى عالم الغيب والشهود.

ص:۲۸۰

وفی التکبیره الرابعه، یعنی عن عظمه الحقّ تعالی للملائکه الموکّلین بالسماوات والأرض، والنتیجه التی یستوحیها الإمام الراحل قدس سره من هذا الفهم العرفانی اللطیف هو أنّ الشخص المؤذن بهذه التکبیرات الأربع یعلن لجمیع سکان عالم الغیب والشهود وجمیع الموجودات فی عوالم الحضور عظمه وکبریاء الحقّ تبارک وتعالی(۱).

والآن ربّما یطرح هذا السؤال: ما هو الغرض من هذا الإعلان؟ ولماذا یعلن الشخص المؤذن لأعضائه الباطنیّه والظاهریّه من الید والقدم والعین والاُذن عظمه اللّه تعالی وکبریائه؟ لماذا یعلن هذه العظمه الإلهیّه للملائکه الموکّلین به؟ ولماذا یلعن هذه الحقیقه لجمیع موجودات العوالم الأخری؟

فی مقام الجواب ینبغی القول إنّ الغرض من ذلک أمران:

الأمر الأوّل: أنّ الإنسان عندما یعلن عظمه اللّه وکبریائه لجمیع موجودات العالم فإنّ نفس هذا الإعلان یعنی العجز والقصور من جانبه وکذلک من جانب جمیع الموجودات، أی العجز والقصور أن یستطیع أحد من هذه الکائنات عباده للّه وثناءه وحمده کما هو حقّه، الإنسان بهذه التکبیرات، فی ذات الوقت الذی یعلن عن کبریاء الباری تعالی، فهو یقرّ بعجز وقصور جمیع موجودات العالم، وهذا یعنی أیّها الإنسان وأیّها الملائکه وأیّتها الموجودات فی عالم الغیب والشهود إنّ اللّه تعالی إلی درجه من العظمه والکبریاء بحیث لا نستطیع نحن من معرفته ولا نستطیع عبادته کما یستحقه وکما یلیق بشأنه.

الأمر الثانی: إنّ الإنسان ومن خلال الأذان یجب علیه ادخال هذه المعارف والحقائق إلی قلبه، یجب أن یدرک قلب الإنسان عظمه الباری تبارک وتعالی ویصدّق بکبریاء الحقّ تبارک وتعالی، ویجب علی الإنسان أن یحصر هذه العظمه

۱- (۱) آداب الصّلاه، ص ۱۲۵.

والکبریـاء بـاللّه تعالی، وانحصار العظمه والکبریاء باللّه یعنی أنّه لا کبیر ولا عظیم سوی اللّه تعالی ولا یوجـد أی عظیم سواه، فلو أنّ الإنسـان کـان یعتقـد بقلبه بوجود عظیم غیر اللّه «وطبعاً لا تکون هـذه العظمه مقتبسه من اللّه تعالی، لأننا نعتقـد أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله وبمـا أنّه نور من أنوار تبارک وتعالی کبیر وعظیم أیضاً، وهکـذا أمیرالمؤمنین علیه السـلام والأئمّه الطاهرین علیهم السـلام» ولو أنّ الإنسان اعتقـد باسـتقلال والعظمه لشـخص آخر، فهـذا یعنی أنّه عندما یقول اللّه أکبر فإنّه یکذب فی هذا القول، وأنّه لا یقبل کبریاء اللّه تعالی، لأنّ کبریاء اللّه وعظمته تعنی أنّ الإنسان لا یعتقد بوجود موجود له العظمه والکبریاء سوی اللّه، فما أعمق وأعظم هذا المعنی وهذا المقام، فلو أنّ الإنسان آمن واقعاً بأنّ العظمه والکبریاء تتعلّق بالباری تعالی فقط، وأنّ غیر اللّه لا یسـتحق أن یرتـدی لباس الکبریاء والعظمه ولا یلیق هذا الشأن وهذا المقام بما دون اللّه، فالوصول إلی هذا المقام من شأنه أن یثیر فی الإنسان حاله من البهجه والسرور ویوصله إلی مقامات علیا فی خطّ السلوک الإلهی والکمال المعنوی.

ص:۲۸۲

۸۷– التكرار يوجب التصديق القلبى

الاحتمـال الرابع، فى مجال تكرار التكبير فى أوّل الأذان، إنّ الإنسان ومن خلال التكرار يرسـخ هـذا المفهوم والمضـمون فى قلبه ويعمل على تثبيته فى واقعه النفسانى.

إنّ التكرار فى التكبيرات يتسبّب فى أنّ حقيقه هـذا التكبير تتجلّى وتتحقّق فى قلب الإنسـان، فـإذا آمن قلب الإنسان بحقيقه «اللّه أكبر» واعتقـد واقعاً بأنّ الكبرياء والعظمه للّه تعالى فقط وأنّ كلّ ما سوى اللّه من جميع الكائنات ليس لها نور إلّاما ينعكس عليها من نور اللّه ولا ـ يرى أى عظمه لغير اللّه تعـالى، ومن هـذه الجهه فالإنسـان المؤمن لا ـ يشـعر بأى خوف وخشـيه من حكّام الجور وقوى الظلم والضـلاله، وهذا ما نراه فى صـفحات القلب من مواجهه علماء الدين العظام مع أشـقى الملوك وسـلاطين الجور فى التاريخ ولم يكن هؤلاء العلماء المصـلحون يشـعرون بأى خوف من هؤلاء الظلمه، والسـبب فى ذلك أنّ هؤلاء العلماء لم يكونوا يرون فى الحكّام الظالمين أى عظمه وجلاله قدر، بل كانوا يرون أنّ

ص:۲۸۳

الکبریـاء والعظمه منحصـره بـاللّه تعـالی فقط، والإنسان الـذی یعیش مثل هـذا الاعتقاد ویری أنّ الکبریاء والعظمه منحصـره باللّه تعالی فإنّه سـیتحرّک فی حیاته فی طریق الإیمان والطاعه للّه وتحقیق رضا اللّه، ولو أنّ شـخصاً لا سمح اللّه، فی أی أمر من أمور الحیاه رجّح رضا المخلوق علی رضا الخالق، فهذا یعنی أنّه یری أنّ ذلک المخلوق أکبر من اللّه تعالی، وأساساً الأشخاص الذین لا تؤثر فیهم کلمه «اللّه أکبر» ولا تؤثر فی أفکارهم وسلوکیاتهم هم الأشخاص الذین لم تترسخ کلمه «اللّه أکبر» فی قلوبهم، وأنّ قلـوبهم لـم تـؤمن بعظمه اللّه وکبریـائه، فتکرار «اللّه أکـبر» فی الأـذان ینتـج أننـا نعتقـد فی قلوبنـا بعظمه البـاری تبـارک وتعـالی وکبریـائه، وهـذا الأـمر لیس فقط یحتاج إلی تکرار بل یحتاج إلی ریاضات کثره لتعمیق هـذا الشـعور فی واقع الإنسان وقلبه، ولا یسـتطیع أی شـخص أن یـدعی بأنّه فی یوم واحد أو یومین أو شـهر واحد أو سـنه واحده أو عدّه سـنوات أنّ قلبه آمن بعظمه اللّه تماماً وبشکل کامل.

ونقرأ فی روایه عن الإمام الصادق علیه السـلام أنّه قال: «إِذَا کَبَّرْتَ فَاَستَصـغِرْ مَا بَینَ العُلَی والثَّری دُونَ کِبرِیائِهِ»، وعنـدما تـدرک کبریاء اللّه وعظمته فیجب أن تستصغر ما دونه.

«فَإِنَّ اللّهَ إِذَا اطَّلَعَ عَلَی قَلْبِ العَبْـدِ وَهُوَ یُکَبِّرُ وَفَی قَلبِهِ عَارِضٌ عَنْ حَقِیقَهِ تَکْبِیرِهِ قَالَ: یا کَاذِبُ»، وهـذا التعبیر مثیر جـدّاً ویعنی أنّ فی قلب هذا الإنسان أموراً أخری أکبر من الباری تعالی کالمال والمقام والشهره والجاه والاقتراب من أصحاب المقام والمنصب، وهنا یأتی الخطاب الإلهی لهذا الشخص:

«تَخْدَعَنِی وَعِزَّتِی وَجَلالِی لَأحرِمَنَّکَ حَلاوَهَ ذِکرِی وَلَأحجِبَنَّکَ عَنْ قُرْبِی وَالمُسَارَّهَ بِمُناجَاتِی»(۱).

۱- (۱) مستدرک الوسائل، کتاب الصّلاه أبواب أفعال الصّلاه، الباب ۲، ح ۹.

وثمّه بعض الأشخاص يسألون: لماذا لا نجد حلاوه فى صلاتنا؟ لماذا لا نتذوق حلاوه ذكر اللّه؟ والجواب: أنّ السبب فى ذلك أننا نعتقد بعظمه غير اللّه ولا نحصر العظمه والكبرياء باللّه تعالى، ولكنّ الشخص الذى يعلم أنّ الكبرياء والعظمه منحصره باللّه فقط ثمّ يرى أنّ اللّه تعالى قد وفّقه لعبادته وفتح له باب المناجاه معه وأنّه يقف للعباده فى مقابله، فكيف لا تكون مثل هذه العباده ومثل هذا الذكر حلواً وجليلاً وشيّقاً عنده؟

يجب أن نرى الأسرار الكامنه فى كلمه «اللّه أكبر»، وعندما نقول فى الأذان «اللّه أكبر» فعلينا أن نرسخ مضمون هذه الكلمه فى قلوبنا ولا ـ نرى أى كبير وعظيم سوى اللّه تعالى، وجميع قوى العالم وسلطه الحكّام والملوك تعتبر صفراً فى مقابل قدره اللّه تعالى، يجب أن نعتبر جميع الوسائل والأدوات والقوى الموجوده فى عالمنا صفراً فى مقابل تدبير وقدره اللّه تعالى، والعظمه والكبرياء مختصّه بالبارى تعالى ولابدّ من ترسيخ وتثبيت هذه الحقيقه الحاسمه فى قلوبنا وأعماق نفوسنا.

ص:۲۸۵

۸۸- أسرار الشهاده بالتوحيدالمرتبه الأُولى والثانيه: الشهاده اللفظيّه والعمليّه

بعـد أن تـبيّن المقصود من التكبير ووجه تكرار التكبيرات الأربع، يجب أن نفهم المقصود من الشـهاده فی التوحيـد ومـاذا تعنی كلمه لا إله إلّااللّه؟ بـدايه يجب أن نعلم أنّ الشـهاده لها مراتب، وأحد هذه المراتب الشـهاده اللسانيّه القوليّه، بأن يتشـهد الإنسان بلسانه ويقول إنّه لا يوجد معبود آخر سوی اللّه تعالی، وهذه هی المرتبه الضعيفه والدانيه من مراتب الشهاده.

المرتبه الثـانيه، الشـهاده العمليّه، والمقصود من الشـهاده العلميّه أنّ الإنسـان فی مقام العمل ومن خلال عمله وسـلوكه يثبت أنّه لا مؤثّر فی الوجود غير اللّه تبارك وتعالی.

إذا تحرّكنا فی حياتنا من موقع مدح شـخص معيّن والثناء عليه لا بوصـفه يملك صـفات إلهيّه وإنسانيّه، بل بسبب امتلاكه للسلطه أو الثروه أو المقام والمنصب، فإنّ هذا العمل يعنی أننا نعتقد فی مقام العمل بوجود معبود آخر غير اللّه تعالی،

ص:۲۸۶

وکلمه «إله» فی جمله «لا إله إلّااللّه» تتضمّن عدّه احتمالات، وأحد هذه الاحتمالات أنّ هذه الکلمه مقتبسه من «أله فی الشیء» یعنی «تحیّر فی الشیء»، أو ربّما تکون مشتقّه من إله یلوه بمعنی احتجب، أی اختفی خلف الستار، والاحتمال الثالث فی هذه الکلمه بمعنی عبد، ومألوه یعنی معبود، وعلی أیّه حال فمقام الاُلوهیه مختص باللّه تعالی ویجب علی الإنسان أن یعتقد بهذه الالوهیّه فی مقام الذات وکذلک فی مقام الفعل، والالوهیّه فی مقام الفعل والعمل تعنی أنّ الإنسان بعمله یؤکّد هذه الحقیقه وهو أنّه لا مؤثّر فی هذا العالم غیر اللّه تعالی، وکلّ شیء بید اللّه تبارک وتعالی، فشفاء المرضی بیده، والغنی والثروه بیده، والعزّ والکرامه بیده، وإذا أراد شخص من خلال الاعتماد علی شخص آخر مثله ورام تحقیق العزّه لنفسه من خلال ذلک الشخص، فهذا یعنی أنّه لا یری اللّه مؤثّراً فقط فی أمور هذا العالم، بل یری الآخرین أیضاً مؤثّرین فی عالم الوجود.

یجب علی الإنسان أن یمدّ الحاجه فقط إلی اللّه تبارک وتعالی، ویطلب منه کلّ شیء یحتاج إلیه ولا یطمع بغیره ولا یرجو غیره ولا ینبغی أن یضع أمله فی غیر اللّه تعالی، ویظهر فقره وعجزه واحتیاجه فی مقابل اللّه تعالی فقط لا فی مقابل الآخرین، وهذا العمل یعنی أنّ هذا الشخص یشهد بعمله أن «لا إله إلّااللّه»، وهکذا ترون أنّ هذه الشهاده العملیّه أعمق وأوسع بکثیر من تلک الشهاده اللفظیّه.

وعندما نقول بألستنا فی الأذان: «أشهد لا إله إلّااللّه» یجب علینا أن نجسد هذه الشهاده فی عملنا وسلوکنا علی امتداد حیاتنا وطیله سنوات عمرنا، فالأذان لیس فقط مقدّمه للصّلاه، بل یجب أن نری ما هو تأثیر الأذان فی حیاتنا؟

وهکذا ترون أنّ هذه العباده من شأنها أن تکون مرشداً لنا حتّی للحصول علی السلطه والإمکانات المادیّه ونیل عظمه وعزّه الدنیا والآخره، فالأذان یقول لنا إنّ

الطریق لکلّ ذلک هو اللّه فقط، ولو أنّ أحداً رجی غیر اللّه فی تحصیل هذه الأمور فإنّه سلک الطریق الخطأ وسوف لا یحصل علی مبتغاه ولا یحقق أمله أبداً، یجب علینا مضافاً إلی الشهاده باللسان أن نعتقد علی مستوی العمل والطبیق أنّ المؤثّر فقط هو اللّه، وأنّ کلّ شیء فی هذا العالم بید القدره الإلهیّه، ویجب أن نحقّق الشهاده العملیّه علی أنّه «لا إله إلّااللّه»، نسأل اللّه تعالی أن تکون خاتمه حیاتنا وأمرنا جمیعاً تحقیق الشهاده اللفظیّه والعملیّه ب «لا إله إلّااللّه» إن شاء اللّه.

ص:۲۸۸

۸۹- أسرار الشهاده بالتوحیدالمرتبه الثالثه والرابعه: الشهاده القلبیّه والذاتیّه

المرتبه الثـالثه من الشـهاده، الشـهاده القلبیّه، یقول الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه(۱): إنّ الشـهاده القلبیّه هی منبع الشهاده العلمیّه والقولیّه، فالقلب یجب أن یحقّق فی سـرّه الباطنی، التوحید الفعلی وبذلک تحیط الشـهاده بالتوحید بقلب الإنسان ویتجلّی التوحید الفعلی فی القلب، وهذا التعبیر ورد فی الروایات الشریفه: «القَلْبُ حَرَمُ اللّهِ فَلا تُسکِنْ حَرَمَ للّهِ غَیْرَ اللّهِ»(۲)، وهکذا یکون التوحید الفعلی مرکوز ومتحقّق فی قلب الإنسان ومحیط به.

إذن ففی باب الشـهاده لا ینبغی القناعه بالشـهاده اللفظیّه والشهاده العملیّه، فإنّ أصل وجذر الشهاده القولیّه والعملیّه، هو أن یعتقد الإنسان بالتوحید فی أعماق قلبه وینقطع عن غیره من الموجودات، یقول الإمام الراحل رضوان اللّه تعالی

۱- (۱) . آداب الصّلاه، ص ۱۳۲.

۲- (۲) . بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۶۷، ص ۲۵.

علیه: إنّ عمّـده الأخبـار الواصـله إلینـا من أهل بیت العصـمه والطهاره علیهم السـلام والتی تقرر لزوم ترک الطمع ممّا فی أیـدی النـاس والیأس من عباد اللّه والثقه والاطمئنان والاعتماد علی اللّه تبارک وتعالی تتعلّق بهـذه المرتبه من الشـهاده القلبیّه، والآن إذا شعر الشـخص بالحـاجه إلی الآخرین، أو بسـبب حاله الخجل وبعض الملاحظات أظهر اهتمامه بالآخرین ولکنّه لم یکن کـذلک فی قلبه فـإنّه لیس مشـمولاً لهـذه الروایـات، لأنّه یجب النظر إلی القلب والنفس والبـاطن أن لا تکون له أی ارتباط والتفات إلی الآخرین.

وینقـل الشـیخ الکلینی رحمه الله فی کتـابه «أصول الکافی»(۱) ، «بـاب الإیمان والکفر» روایات عـدّه تحت عنوان «الاسـتغناء عن الناس» ونوصـی الجمیع أن یقرأوا هذه الروایات ویعلموا معنی عدم الحاجه إلی الناس وأن یکون الإنسان محتاجاً فقط وفقط إلی اللّه تعالی.

یقول الإمام زین العابـدین علیه السـلام: «رَأَیْتُ الخَیرَ کُلَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِی قَطعِ الطَّمَعِ عَمّا فِی أَیـدِی النَّاسِ»، فما هی خلاصه جمیع أشـکال الخیر، وما هو العامل والباعث علی سوق الإنسان باتجاه هـذه الخیرات؟ یجیب الإمام زین العابدین علیه السـلام: إنّه قطع الطمـع عمّـا فی أیـدی النـاس، وعنـدما یقطـع الإنسـان حـاله الطمع ممّـا فی أیـدی الآخرین فسوف یصـل إلی جمیع أنواع الخیر والصّـلاح، وهـذا تعبیر عجیب جـدّاً «رَأَیْتُ الخَیرَ کُلَّهُ...»، یعنی أنّ الإنسان إذا أراد تحصـیل الخیر کلّه فالطریق لـذلک یتمثّل فی قطع الطمع بما فی أیدی الناس، فلو أنّک رأیت الآخر یملک داراً واسـعه ومقاماً وثروه کبیره، وشهره وجاهاً عریضاً، أو جمالاً أو أی شـیء آخر، فلا ینبغی أن تهتمّ لـذلک ویخطر فی ذهنک التمنی لنفسک مثلها وتقول: لیت لی أن أملک مثل هـذا المقام أو الثروه أو حتی العلم والمعرفه، فلو أردت العلم فیجب أن تطلبه من اللّه تعالی.

۱- (۱) . الکافی، ج ۳، ص ۲۱۸.

«وَمَنْ لَمْ يَرْجُ النَّاسَ فِى شـىءٍ وَردَّ أَمْرَهُ إِلى اللّهِ عَزَّ وَجَـلَّ فِى جَمِيعِ أَمُورِهِ»، ويقول دائمـاً: «وَ أَفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ بَصِـيرٌ بِالْعِبادِ»۱ ، فلو شعرت بأنّک مريض والآخر سالم، فلا تتحسّر على سلامه ذلک الشخص بل اطلب السلامه من اللّه تعالى.

ويتابع الإمام زين العابدين عليه السـلام كلامه ويستعرض الأثر العجيب لهذا الحاله ويقول: «استَجابَ اللّهُ تَعالى لَهُ فِى كُلِّ شَىءٍ»، وهكذا يكون هذا الإنسان مستجاب الدعوه وكلّ ما يطلبه من اللّه تعالى فإنّه يستجيب له، لماذا لا تستجاب لنا الكثير من الأدعيه؟ لأنّ هـذا الإنسـان ينـادى اللّه تعـالى ويقـول إلهى إلهى... ولكنّ قلبه متعلّق بغير اللّه ويرجو أن يتحرّك شـخص آخر لمساعـدته والأخـذ بيـده وانقاذه، أو يمنحه اعتباراً ومالاً، ما أشـقى الإنسان الـذى يريد الاسـتفاده من الاعتبارات الظاهريّه للآخرين من أجل تحصـيل متـاع دنيوى موقت ويجعـل نفسه محتاجاً للآخرين ويرى أنّ المقام والمنصب والثروه أموراً مهمّه فى حركه الحياه وهى التى تحلّ مشاكله.

إذا أراد الإنسـان العزّه المكـانه والاعتبـار فى هـذه الحياه يجب أن يطلبها من اللّه تعالى فقط «فَإِنَّ الْعِزَّهَ لِلّهِ جَمِيعاً»۲ ، ومعنى هذه الآيه ليس أنّ العزّه فقط للّه تعالى، بل كلّ الشىء من قبيل السلامه والصحّه والاعتبار والمقام والعلم والسلطه و...

بيد اللّه، فنحن فى الأذان يجب أن نشـهد بقلبنا «أشهد أن لا إله إلّااللّه»، فلو كنّا نعيش فى حياتنا مع هذه الشهاده فى قلبنا كلّ يوم وتجـذرت هـذه الحقيقه فى أعمـاق قلوبنـا، فسوف يتحرّک لساننـا عنـد الموت بكلّ سـهوله فى التلفظ بهـذه الشـهاده، أمّا ذلک الشخص الذى لم تنفذ شهاده لا إله إلّااللّه فى قلبه ولم تستقر فى

أعمـاق روحه فـإنّه لاـ يسـتطيع عنـد الاحتضـار أن يشـهد بلاـ إله إلّاالله حتّى لو كان يـذكرها كثيراً بلسانه، يجب أن نحقّق هـذه الشهاده فى قلوبنا ونعيش مع مضمونها فى نفوسنا.

المرتبه الرابعه، الشـهاده الـذاتيّه، بـأن تشـهد جميع موجودات العـالم فى ذواتهم بـأن لاـ إله إلّاالله وطبقاً للآيه ١٨ من سـوره آل عمران: (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَ الْمَلائِكَهُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ...» ، هذه هى الشهاده الذاتيّه.

وعلى هذا الأساس فالمصّلى عندما يؤذّن للصّلاه وعندما يصل إلى شهاده لا إله إلّاالله فإنّه ينبغى أن يلتفت إلى هذه الحقيقه ولا يتكلّم بها بلسانه فقط، بل يشهد بالتوحيد فى مقام العمل والقلب أيضاً.

نرجو من الله أن نكون جميعاً من الموحّدين الحقيقيين إن شاء.

ص:٢٩٢

۹۰- سرّ الشهاده برساله النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله فی الأذان والإقامه

أشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ

بعـد أن ذکرنا شـیئاً مختصـراً عن خصوصـیّات التکبیرات الأربعه والشـهاده بالتوحید فی الأذان، یجب أن نری ما هو السـرّ أننا فی الأذان والإقامه وبعد الشـهاده للتوحید مباشـره نشـهد برساله النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله، وأساساً ما هی العلاقه بین الشهاده بالرساله وبین الصّلاه، یعنی العلاقه بین نبوّه النّبی وبین عباده اللّه تبارک وتعالی؟

إنّ العلاـقه بین التکبیر والشـهاده بالتوحیـد وبین العبـاده واضـحه جـدّاً، لأـنّ حقیقه التکبیر هی العبـاده، فمعنی التکبیر هو التعظیم وتنزیه اللّه تعـالی وحمـده وثنائه، وکـذلک الشـهاده بالتوحیـد تقرر نفی الالوهیّه عمّا ما سوی اللّه وإثبات الالوهیّه للّه تعالی، أما بالنسـبه للشـهاده برساله النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله فما هی العلاقه بینها وبین الصّـلاه والعباده بحیث إنّ المصـلّی یجب أن یقول فی کلّ أذان وإقامه

هذه الشهاده مرّتين؟

وقد أشرنا سابقاً إلى روايه المعراج الوارده فى كتاب «علل الشرائع» وتذكر أسرار هذه الأذكار وأنّها تعكس حقيقه ما جرى فى عالم المعراج من أذكار الملائكه وتفسيراتهم، فعندما عرج النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله إلى السماء على مركب من نور أرسل اللّه تعالى إليه مع جبرئيل ووصل إلى السماء الثالثه، دهش الملائكه من شدّه عظمه نور النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله وشبه هذه النور بنور الحقّ تعالى «هذه النورانيّه التى تجلت للملائكه» فتحيّروا من عظمه هذا النور ووقعوا سجدّاً.

وعندما شاهد جبرئيل هذا العمل من الملائكه وشدّه حيرتهم نادى مرّه أخرى بأعلى صوته «أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه» وما أن سمع الملائكه صوت جبرئيل بهذا الشهاده عادوا واجتمعوا حول رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسألوه: كيف حال أخيك على بن أبى طالب؟

وأوّل نقطه يمكن ملاحظتها فى هذا المقطع من هذه الروايه، أنّه بعد شهاده جبرئيل برساله النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله ورسالته، فإنّ الحجب زالت من أمام الملائكه الإلهيين، وهذا يعنى أنّ ذكر هذه الشهاده فى بدايه الصّلاه يؤدّى إلى زوال حجب كثيره عن المصلّى وفتح أبواب معنويّه كثيره أمامه.

وعلى هذا الأساس فإنّ بيان وذكر هذه الشهاده فى الأذان والإقامه يعكس ما فى تلك الواقعه فى معراج النبىّ صلى الله عليه و آله.

والنقطه الأخرى أننا نتذكّر فى صلاتنا هذا المعراج والسفر الروحانى نريد أنّ نسبّح ذلك الموجود العظيم والخالق الكبير ونحن موجودات تافهه وحقيره، ومن أجل تسبيح ذلك الموجود العظيم يجب أن نستخدم وسائط ووسائل فى هذا المسار لنكون مقرّبين عند اللّه تبارك وتعالى، وأساساً فبدون ارتباط ووساطه من هذا الوجود النورانى لا يمكن الاتصال بالحقّ تبارك وتعالى، وبدون الشهاده

بالرساله والنبوّه لا تتحقّق الشهاده بالتوحيد، التوحيد الكامل هو ذلك التوحيد المقترن بالشهاده بالنبوّه والرساله.

وقد طرح الفلاسفه فى بحوثهم هذه المسأله، وهى: أساساً كيف يمكن تصوير ارتباط القديم بالحادث؟ وكيف أنّ اللّه تبارك وتعالى يرتبط مع الموجودات الممكنه والحادثه فى هذا العالم؟ وفى مقام الجواب عن هذه المسأله ينبغى القول بوجود وسائط فى الفيض، ومن هذه الجهه ورد فى بعض الروايات أنّ أوّل شىء خلقه اللّه تبارك وتعالى هو نور النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله فالمصلّى إذا أقام الصّلاه بدون إيجاد ارتباط وبدون الشهاده على رساله النبىّ صلى الله عليه و آله، فلا يستطيع إيجاد الارتباط مع اللّه تبارك وتعالى لا فى مجال الاعتقاد، ولا فى مجال العباده، فالاعتقاد الكامل والعباده الصحيحه تنحصر بهذا الطريق.

ص:۲۹۵

۹۱- سرّ الشهاده بولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام

أشهَدُ أَنَّ عَلِیّاً وَلِّی اللّهِ

تحدّثنا فی مقام الجواب عن هذا السؤال، ما هی العلاقه بین الشهاده بالرساله والشهاده بالتوحید؟ وکذلک بین أداء هذه الشهاده وبین الصّلاه، وقلنا إنّ طریق التوحید الحقیقی وکیف یکون الإنسان موحّداً حقیقه هو أن تکون لدیه الشهاده القلبیّه واللسانیّه بنبوّه النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله، فالمصلّی یجب أن یتحرّک فی هذا المسار وتکون صلاته هذه سفراً معنویاً ومعراجاً روحانیاً، ویعلم أنّه ضعیف وعاجز ولا یستطیع أن یسلک فی هذا الطریق لوحده بل یجب أن یتمسک ویتوسّل بالأنوار التی تساعده فی سلوک هذا الطریق إلی اللّه، فنحن ومن خلال الشهاده بنبوّه النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام نقوم بتقویه هذا الشعور فی واقعنا الداخلی ونحصل علی النورانیّه التی تساعدنا فی إیجاد القابلیّه واللیاقه لنا للحضور فی محضر الباری تبارک وتعالی.

وهذا الأمر المهمّ والذی تشهد له روایات کثیره وارده فی الکتب الروائیّه، وهو

أنّ العباده بـدون ولايه أميرالمؤمنين عليه السـلام وأولاده الطاهرين لا فائـده لها، فهى ليست مجرّد اعتبار وقانون، فلا يتصوّر أحد أنّ هذه العلاقه بينه وبين اللّه مجرّد علاقه اعتباريه وقانونيّه، وهذا يعنى أنّ الشـخص الذى لا يقبل بالولايه فإنّ صلاته لا تقبل منه، وهذا يبيّن لنا حقيقه تكوينيّه واقعيّه، وهى أنّ الإنسان بدون ولايه لا يستطيع أن يعبد اللّه عزّ وجلّ.

فبـدون الإمـامه وولاـيه على بن أبى طـالب وأبنائه المعصومين عليهم السـلام لا يملك الشـخص اللياقه الكافيه والصـلاحيه لعباده البارى تبارك وتعالى، كما أنّه بدون الشـهاده بالنبوّه ورساله النبىّ الأكرم صـلى الله عليه و آله لا يستطيع الإنسان التقرب إلى اللّه تبارك وتعالى.

وجاء فى الروايه المعروفه عن الإمام الباقر عليه السلام يخاطب محمّد بن مسلم:

«يامُحَمَّدُ أَنَّ أَئِمَّهَ الجَورِ وَأَتبَاعَهُم لَمعزُولُونَ عَنْ دِينِ اللّهِ قَدْ ضَـلُّوا وَأَضَـلُّوا فَأَعمَالُهُم الَّتِى يَعَملُونها، كَرَمَادٍ اشـتَدَّتْ بِهِ الرِّيـحُ فِى يَومٍ عَاصِفٍ لايَقدِرُونَ ممَا كَسَبُوا عَلَى شىءٍ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ»(۱).

ثمّ قال الإمام الباقر عليه السـلام: لو أنّ الإنسان عبـد اللّه تعالى فى جميع الليالى وصام أيّامه كلّها وأنفق أمواله كلّها فى سبيل اللّه، وحـجّ البيت الحرام كـلّ عـام، ولكنّه لاـ يعتقـد بولاـيه ولّى اللّه، فإنّ هـذه الأعمال لا قيمه لها، لماذا؟ لأنّ حقيقه العباده لا تتحقّق بـدون الولاـيه، فالإنسـان موجـود ضـعيف وقلبه متلوّث بآلاـف الشـوائب والنقـائص ويقـترن وجوده بـالكثير من نقـاط الضـعف والقصور، فكيف يستطيع التقرب إلى اللّه تعالى بهذه الحال، وأساساً كيف تكون النسبه والعلاقه بين هذا الموجود الضعيف وبين اللّه؟ أين الثرى من الثريا، وأين هذا العبد الناقص وبين اللّه؟

۱- (۱) الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ۱، ص ۱۸۴.

یجب أن یتمسّک هـذا الموجود الضـعیف والـذلیل بتلک الأنوار حتّی یسـتطیع التواصل مع اللّه تبارک وتعالی، فهذه الأنوار هی الوسائط إلی اللّه، ولکنّ الأشـخاص الذین یعیشون العمی فی قلوبهم لم یفهموا ولا ینبغی أن یفهموا حقیقه الولایه ولا یسـتطیعون تذوقها ولا إدراک هذه المعارف العظیمه، وبالتالی فهم یغادرون هذه الحیاه الدنیا وهم منکرون للولایه ویواجهون العقوبه الإلهیّه والعذاب الألیم فی الآخره، وهذه المسأله، وهی أنّ العباده بدون ولایه غیر مقبوله، هی مسأله برهانیّه وقام علیها البرهان الفلسـفی، ومصـادیق هـذه المسـأله وجود الروایـات والأـدله العقلیّه علیهـا، ومن هنا یمکننا الخروج بهـذه النتیجه الجلیّه وهی أنّه کلّما ازداد اعتقاد الإنسان برساله النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله والولایه فإنّ عبادته ستکون مقبوله أکثر ویترتّب علیها ثواب أکثر ویحظی هذا الشـخص بقرب أکثر عند اللّه تبارک وتعالی، والشهاده بولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام إحدی المستحبات فی الأذان وینبغی الاتیان بها بعنوان الـذکر المطلق، وقـد ورد فی الروایات أنّ الشـخص إذا شـهد بالتوحیـد ونبوّه نبی الإسـلام صـلی الله علیه و آله یجب علیه الشهاده بولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام، جعلنا اللّه وإیّاکم من أهل الولایه إن شاء اللّه.

ص:۲۹۸

۹۲- دور الولایه فی قبول الأعمال

إحدی الروایات التی تدلّ علی أنّ التوحید بدون التمسّک بالرساله والولایه لا یعتبر توحیداً کاملاً ولا یتحقّق مضمونه فی حیاه الإنسان، وبدون صحبه أکمل موجود عالم الإمکان لا یستطیع الإنسان التقرّب إلی اللّه تبارک وتعالی، وهذه الروایه هی ما نقله الشیخ الکلینی رحمه الله عن الإمام الباقر علیه السلام، یقول محمّد بن مسلم:

«سَمِعْتِ أَبا جَعفَر علیه السلام یَقُولُ کُلُّ مَنْ دَانَ اللّهَ عَزَّ وَجلَّ بِعِبادَهِ یُجْهِدُ فِیها نَفسَهُ وَلا إِمَامٍ لَهُ مِنَ اللّهِ فَسعَیُهُ غَیْرُ مَقْبُولٍ وَهُوَ ضَالٌّ مُتَحَیِّرٌ»(۱).

إنّ مسأله الإمامه والولایه لیست فقط أمراً سیاسیّاً أو أمراً اجتماعیاً یتعلّق بالحکومه والسیاسه، بل إنّ دائره ولایه الأئمّه المعصومین علیهم السلام واسعه إلی درجه أنّها تستوعب عبادات الإنسان وأموره الشخصیّه، وبحسب هذه الروایه وروایات متعدده أخری أنّ الشخص إذا لم یقبل بولایه أهل البیت علیهم السلام ولم یدخل نور الولایه إلی قلبه، فإنّه لا یملک القدره علی عباده اللّه تبارک وتعالی، بل لا

۱- (۱) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۱، ص ۱۸۳.

يملک قابلیه التقرّب إلی اللّه ولا یعتبر موحّداً حقیقیّاً، ولإثبات هذه المسأله، مضافاً إلی الروایات، ثمّه البرهان العقلی الذی یدلّ علی ذلک، وقد ذکر علماؤنا الکبار هذا البرهان فی محلّه، وعندما نقف للصّلاه بین یدی اللّه یجب أن ننظر إلی أنفسنا لنری ما مقدار اعتقادنا بالولایه، وما مقدار ما نملکه فی قلوبنا من ولایه الأئمّه المعصومین علیهم السلام، وما مقدار نور الولایه الذی أحاط بقلوبنا؟ ویمکن القول بوضوح أنّ کلّ إنسان یجد فی نفسه نور الولایه بمقدار أشدّ فإنّ عباداته ستکون أقوی وأکثر تأثیراً.

وفی عصر الغیبه الکبری فإنّ کلّ إنسان یعیش الولایه ویکون اعتقاده بوجود الإمام صاحب الزمان (عج) أکثر وأشدّ وارتباطه القلبی مع ذلک الإمام أقوی فسوف ینال العنایه الإلهیّه أکثر، ولیس فقط الارتباط اللفظی واللسانی، ولیس فقط الدعاء بتعجیل الفرج، بل إنّ الإنسان یعیش فی أعماقه قلبه وروحه هذه الحقیقه ویعتقد بأنّ هذا الإمام هو واسطه الفیض الإلهی علی الکائنات، فکلّما اشتدت هذه العلاقه کانت عبادتنا أعمق وأکثر تأثیراً وکان تقرّبنا إلی اللّه تعالی أکثر.

ویقول الإمام الباقر علیه السلام فی هذه الروایه، فیما یتّصل بالأشخاص الذین لا یقبلون الإمام والولایه: «وَاللّهُ شَانِیءٌ لأَعمَالِهِ وَمَثَلُهُ کَمَثَلِ شَاهٍ ضَلَّتْ عَنْ رَاعِیها وَقَطِیعِها»(۱).

رزقنا اللّه تعالی نور الولایه فی قلوبنا إن شاء اللّه.

۱- (۱) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ص ۱۸۴.

۹۳- الشهاده بالنبوّه والولایه، هی روح العباده

بِعَلیٍّ قَامَتْ الصَّلاهُ (۱)

بالنسبه للشهاده بولایه أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب صلوات اللّه تعالی علیه، ینبغی القول: بالرغم من أنّ الشهاده بالنبوّه هی شهاده بالولایه أیضاً، وکذلک الشهاده بالولایه هی شهاده بالنبوّه والرساله أیضاً، ولکن بما أنّ حقیقه النبوّه والرساله تکتمل بالوصایه والولایه لأمیرالمؤمنین صلوات اللّه علیه، فیجب علی المصلّی فی هذا السفر المعنوی التوجّه الخاصّ لهذه الحقیقه.

نحن لا نرید الدخول فی بحث فقهی فعلًا، وهل أنّ الشهاده بولایه علی بن أبی طالب علیه السلام هی جزء من الأذان والإقامه، هذه المسأله وردت مورد البحث فی الکتب الفقهیّه، ولکن من البدیهی أنّ الشخص الذی لا یقرّ بلسانه ولا یعتقد بقلبه بأنّ ولایه أمیرالمؤمنین علیه السلام تکمیل للدین واتمام بالرساله، فإنّ صلاته لا تکون صلاه حقیقیه بأی وجه.

۱- (۱) أسرار العباده، وحقیقه الصّلاه، ص ۲۳.

وجاء فی الروایه فی کتاب الاحتجاج(۱) روی القاسم بن معاویه قال: قلت:

لأبی عبداللّه علیه السلام: هؤلاء یرون حدیثاً فی معراجهم أنّه لما اسری برسول اللّه رأی علی العرش مکتوباً لا اإله إلّااللّه ومحمّد رسول اللّه أبوبکر الصدیق، فقال:

«سبحان اللّه غیروا کلّ شیء حتّی هذا» فقلت: نعم، قال: «إنّ اللّه عزّ وجلّ لمّا خلق العرش کتب علیه لاإلهَ إلّا اللّه، مَحَمّد رسول اللّه، عَلیٌّ أَمِیرُ الْمُؤمِنِینَ...»، یعنی أنّ رجلاً قال للإمام الصادق علیه السلام: یابن رسول اللّه إنّ بعض الناس نقلوا هذا الحدیث فی قصّه المعراج بأنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله رأی فی معراجه مکتوب علی العرش ثلاث کلمات: «لا إلهَ إلّا اللّه، مَحَمّد رسول اللّه صلی الله علیه و آله» ثمّ ذکر اسم الخلیفه الأوّل الذی استولی علی الخلافه بعد النبیّ بحسب الظاهر، هنا غضب الإمام الصادق علیه السلام وقال: سُبحَانَ اللّهِ، هؤلاء غَیّروا کُلّ شَیءٍ حَتّی هذه المسأله، ثمّ قال: إنّ اللّه تبارک وتعالی عندما خلق العرش کتب علیه «لا إلهَ إلّا اللّه، مَحَمّد رسول اللّه، عَلیٌّ أَمِیرُ المُؤمِنِینَ»، ثمّ قال: لماذا أنّ بعض جهّال هذا الزمان غیّروا هذه الحقیقه؟ وللأسف فإنّ حکّام الجور والتحریف لم یقبلوا بأی شیء من حقائق الدین حتّی أنّهم غیرّوا وحرّفوا هذه الحقیقه فی حدیث المعارج، وبدلاً من عباره «عَلیٌّ أَمِیرُ المُؤمِنِینَ»، اختاروا اسم شخص آخر وکتبوه فی مسطوراتهم، إنّ الإمام علی علیه السلام، الذی لم یشرک باللّه طرفه عین فی جمیع حیاته کیف یحذف اسم أمیرالمؤمنین ویکتب مکانه اسم شخص آخر الذی قضی مدّه طویله من عمره فی أجواء الشرک؟ ثمّ قال علیه السلام: لیس فقط هذه الکلمات الثلاثه «لا إلهَ إلّا اللّه، مَحَمّد رسول اللّه، عَلیٌّ أَمِیرُ المُؤمِنِینَ»، مکتوبه علی عرش اللّه تبارک وتعالی، بل إنّ اللّه تعالی کتب هذه الکلمات الثلاث علی الماء والکرسی واللوح وعلی جبین إسرافیل وجناحی جبرئیل وأکتاف السماوات والأرض وعلی قمم الجبال وعلی الشمس والقمر،

۱- (۱) . الاحتجاج، ج ۱، ص ۲۳۰.

وبكلمه: كتب هذه الكلمات على جميع أجزاء عالم الوجود تكويناً.

ثمّ قال الإمام الصادق عليه السلام: كلّ من قال لا إله إلّااللّه ومحمّد رسول اللّه، فليذكر عليّاً أميرالمؤمنين، ولا شكّ ولا ريب وبحسب الضوابط الفقهيّه أنّ كلمه «أشهَدُ أَنَّ عَلِيّاً وَلِّيّ اللّه»، لا تعتبر جزءاً من الأذان ولكن يستحب أن يأتى بها المصلّى بعنوان الذكر المطلق، وعندما نلاحظ هذه الروايه ينبغى القول إنّ الإنسان المصلّى لا يتصوّر أنّ الشهاده بالاُلوهيّه والشهاده بالنبوّه وولايه أميرالمؤمنين ينطق بها فى هذا الأذان بل هذه الكلمات مذكوره وموجوده فى باطن عرش اللّه وفى البحار والصحارى والجبال، والكرسى، وجبرئيل، والملائكه، والشمس والقمر، ونحن عندما نذكر هذه الكلمات فى الأذان والإقامه فإنّما نتماهى فى هذا الذكر مع موجودات العالم وما فيه من كائنات ومخلوقات.

وعلى هذا الأساس ينبغى حتماً فى الأذان والإقامه ذكر الشهاده بولايه أميرالمؤمنين عليه السلام ويقول علماؤنا: إنّ هذه الشهاده حتّى لو لم تكن جزءاً من الأذان ولكنّها تمثّل روح الأذان والدين والعباده ولا يمكن أن تتحقّق العباده الصحيحه بدون هذه الشهاده.

ص:۳۰۳

۹۴- احضار قوی الملک والملکوت

ذکرنا أنّ الشهاده بالنبوّه والرساله لا تتحقّق بدون الشهاده بالولایه.

هنا نقطه مهمّه ذکرها الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه «فی آداب الصّلاه» یقول: إنّ الشهاده بالتوحید والالوهیّه تتضمّن الشهاده بالنبوّه والولایه أیضاً، یعنی أنّ الشهاده بالتوحید لا تتحقّق إلّامن خلال الشهاده بالنبوّه والولایه، وکذلک قال: إنّ الشهاده بالنبوّه والرساله تتضمّن أیضاً تلک الشهادتین الاُخریین، والشهاده بالولایه تتضمّن الشهاده بالتوحید وبالنبوّه»(۱) ، لأنّ نور النبیّ صلی الله علیه و آله ونور الإمام علیّ علیه السلام من نور اللّه تبارک وتعالی: وهذان هما أکمل أفراد البشر وهما مظهر توحید الحقّ تبارک وتعالی، وبدون التوسل بهما والشهاده بهذه الذوات المقدّسه لا یستطیع المرء أن یتقرّب إلی اللّه تبارک وتعالی، وقد ورد فی الحدیث النبوی فیما یتّصل بالسفر، أنّه صلی الله علیه و آله قال: «الرَّفِیقُ ثُمَّ الطَّرِیقُ»(۲)، أی أنّ

۱- (۱) . آداب الصّلاه، ص ۱۴۱.

۲- (۲) . المحاسن، ج ۲، ص ۳۵۷.

الإنسان يجب أن يختار فى سفره الرفيق أوّلاً ثمّ يبدأ المسير والسفر، وبالإمكان الاستفاده من هذا الحديث فى باب العباده، العباده هى الحركه نحو الحقّ تعالى، والرفيق فى هذا الطريق يجب أن يكون على أعلى درجه من درجات التوحيد ولا يكون ملوّثاً بلحظه واحده بشوائب الشرك والذنب والخطأ.

ما أشدّ انسجام هذه الكلمات والعبارات الوارده فى الأذان والإقامه، فالإنسان يجب فى البدايه أن يسبّح اللّه ويقدّسه من خلال التكبيرات الأربع التى أشرنا إليها سابقاً، ثمّ يشهد بشهاده التوحيد ووحدانيّه البارى تعالى، ثمّ يأتى بالشهاده على النبوّه والولايه.

وإلى هذا المقطع من الأذان، فإنّ المسأله تنتهى بالمسأله الإيمانيّه والاعتقاديّه، وأنّ المصلّى يحظى بصلاحيه الدخول فى الصّلاه بعد هذه الشهادات الثلاث، ولكن مع ذكر «حىّ على الصّلاه» يبدأ المقطع الثانى من الأذان والإقامه فيجب أن نرى المعانى الكامنه فى هذه الأذكار، وما هو المقصود منها؟

فى هذا المقطع من الأذان نقول: «حىّ على الصّلاه»، ثمّ نقول: «حىّ على الفلاح»، ثمّ نتابع القول: «حىّ على خير العمل»، فالمصّلى يجب أن يذكر هذه العبارات الثلاث كلّ واحده منها مرّتين.

إنّ الإنسان عندما يؤذّن ويتحرّك فى طريق لقاء اللّه ويريد أن يخطو فى هذا الطريق وفى هذا المعراج الروحانى، فلابدّ له بعد أن يقرّ المسائل الإيمانيّه والاعتقاديّه، يعنى أوّلاً: يعلن عظمه الحقّ تعالى، وثانياً: يعلن الشهاده الالوهيّه والتوحيد، وثالثاً: يختار الرفقه والصحبه النبىّ والولى، ثمّ تأتى كلمه «حىّ على الصّلاه»، وهى إعلان من المصلّى للقوى الملكيّه والملكوتيّه ليستعد للصّلاه ولقاء اللّه، والمعنى الظاهرى لجمله «حىّ على الصّلاه»، هو أنّ هذا الإنسان يخاطب الآخرين بأن أسرعوا وتوجّهوا نحو الصّلاه لأنّها سوف تبدأ، ولكن

المعنى العميق لكلمه «حىّ على الصّلاه» إعلان لجميع القوى الملكيّه والملكوتيّه للمسارعه فى هذا الأمر، فالمؤذّن هنا يعمل على تهيئه جميع قوى الملكيّه والملكوتيّه للحضور بين يدى اللّه تعالى ولتستعد هذه القوى للوقوف بين يدى الحقّ تعالى.

وفى المقطع الأوّل من الأذان يتجلّى الجانب الاعتقادى، وأمّا فى المقطع الثانى فيتجلّى الجانب العملى من الأذان، والالتفات إلى القوى والموجودات التى تريد أن تحضر فى محضر الحقّ تبارك وتعالى، فما أعظم الشعور باللذه عندما يقول الإنسان «حىّ على الصّلاه»، ويلتفت إلى أنّه لا يدعو نفسه فقط إلى هذا الحضور المقدّس، بل يشجع ويحث أصدقاءه على الصّلاه أيضاً، بل إنّه بهذا الكلام يدعو قلبه ويده وعينه ونفسه وقواه الملكيّه والملكوتيّه لأن تحضر جميعاً فى هذا المحضر المقدّس والملكوتى.

٩٥- سرّ تكرار حيّ على الصّلاه

ذكرنـا أنّ الإنسان بقوله «حيّ على الصّلاه»، يخاطب جميع وجوده وأعضائه وجوارحه لكى تستعد للصّلاه وتسارع فى الحضور بين يـدى اللّه تعالى، وليس فقط وجوده الشخصى بل جميع قواه فى عالم الملك والملكوت أيضاً، يعنى بعد أن ينتهى المصلّى من تعظيم البارى تعالى فى تكبيراته، وبعـد أن أقرّ بالوحدانيّه للّه تعالى واعترف بالنبوّه والولايه، هنا تأتى النوبه إلى مرحله شكر البارى تعالى وعبادته مباشره دون توقف، فلا يمكن أن يعتقد الإنسان بتلك الشهاده ثمّ لا يسارع فى الصّلاه والعباده، والأصل فى هـذا الأمر أنّ تلك الشهادات بـدون أن يتابعها المرء بالصّلاه والعباده تكون ناقصه، أى أنّ هذه الشهادات ليست واقعيّه ولا تنطلق من أعماق قلب المصلّى، ولكن إذا كانت تلك الشهادات، شهادات كامله فكيف يمكن للإنسان أن يشهد بالتوحيد والنبوّه والولايه ولكنه فى ذات الوقت يتخلّف عن قافله العباده؟ وهـذا يعنى لزوم الشروع بالعباده مباشره بعـد الاقرار والاعتراف بتلك الشهادات.

ص:٣٠٧

وهنا ربّما يسأل البعض؛ لماذا نرى «حيّ على الصّلاه» وكـذلك المقاطع الأخرى من الأذان تكررت مرّتين؟ والجواب الكلى عن سبب هـذا التكرار هو أنّ الإنسان عاده فى المرّه الاُولى لا يتوجّه إلى مضـمون هذا الكلام بشـكل جيد، ولا تستيقظ فطره الإنسان فى المرّه الاُولى، فالتكرار من أجل إيجاد حاله اليقظه الكامله للفطره، والإنسان عندما يقول هذه الكلمه مرّه واحده ربّما لا يلتفت إلى عمقهـا ومغزاهـا، فـالتوجّه العميق واليقظه الكـامله والتـامه لفطره الإنسـان الـتى ينبغى أن تتوجّه للوقوف بين يـدى اللّه تعـالى وعبادته، تستدعى مثل هذا التكرار، والوجه الثانى ورد فى كلمات الإمام الراحل رضوان اللّه تعالى عليه، حيث يقول:

ربّمـا يسـرى هـذا الخطـاب فى المرّه الأولى إلى القوى الـداخليّه أو القوى الحـاكمه فى داخـل مملكه الإنسان كالقلب، والاُذن، واليـد، والعين و...، أمّـا فى المرّه الثـانيه فهو خطـاب للقوى خـارج مملكه الإنسـان، فالإنسان فى هـذه العباده لا يقف لوحـده بل يشـاركه جميـع موجـودات العـالم، ويريـد أن يشـترك هـذه الموجودات معه فى حـال التسبيـح والعبـاده، ثمّ يلتفت إلى الحكمه الكامنه فى هذا النداء، وهذا هو الأثر المهم للصّلاه فى مسيره الإنسان فى خط الصلاح والفلاح.

إنّ فطره كلّ إنسان تـدعوه فى الحياه لتحقيق السـعاده والفلاح، فلو سألنا أى شـخص عن ذلك فيقول: اريـد أن أكون سـعيداً فى هذه الحياه، وطبعاً فى بعض الأوقات قد يشتبه الإنسان فى تشخيص مصاديق السعاده، فأحدهم يرى أنّ مصداق السعاده يكمن فى المـال، والآخر يراه فى المقـام والثـالث فى الشـهوه ورابع فى الطعـام ومـا إلى ذلك، ولكن اللّه تعالى يقول إنّ المصـداق المهم للسـعاده والفلاح فى حياه الإنسان يكمن فى الصّلاه، وكلّ شـخص يريـد الحصول على السـعاده فى حياته يجب أن يتوجّه نحو الصّلاه، والشخص الذى يهتمّ بصلاته فإنّ أبواب السماوات ستفتح أمامه، وسوف يفتح اللّه له أبواب رحمته وكرمه وحكمته.

ص:۳۰۸

وقبل البدأ بالصّلاه يقول المصلّی فی الأذان والإقامه «حیّ علی الفلاح»

مرّتین، والتکرار هنا من أجل ایقاظ فطره الإنسان أیضاً وتجسید وتثبیت هذه الحقیقه فی أعماق نفس البشریّه، وأنّک أیّها الإنسان التفت جیداً واعلم أنّ الفلاح والنجاح یکمن فی هذه الصّلاه فقط.

ثمّ یقول المصلّی «حیّ علی خیر العمل» فلو أردت القیام بأفضل الأعمال، ولو أردت القیام بأحسن عمل یصدر من الإنسان بحیث لا یتصوّر أحسن منه، هذا العمل هو الصّلاه، «حیّ علی خیر العمل» ویتابع المصلّی فی أذانه وإقامته بذکر التکبیر اللّه أکبر، اللّه أکبر، لا إله إلّااللّه، لا إله إلّااللّه، والنقطه المهمّه هنا أنّ المصلّی فی الأذان وکذلک فی الإقامه یبدأ وینتهی بکلمه اللّه، وهذه الکلمه علی حدّ تعبیر أهل الفن اسم وعنوان یستوعب جمیع الشؤون الإلهیّه والصفات الربانیّه.

إلی هنا انتهینا من بیان أسرار الأذان والحِکم الخفیه فیه ونتابع البحث فی بیان الحِکم والأسرار الموجوده فی الصّلاه إن شاء اللّه.

ص:۳۰۹

الفصل الرابع: سرّ القيام فی الصّلاه

اشاره

ص:۳۱۱

۹۶- القيام مظهر التوحيد وقيّوميّه الحقّ

بعد بيان نقاط مختصره حول الأذان والإقامه، نبحث الآن عن خصوصيّات الصّلاه، وفى المجموع فالمصلّى من حيث الشكل والهيئه فى هذه العباده له ثلاث حالات؛ أحدها حاله القيام، فالشخص إذا لم يكن مريضاً وكان قادراً على القيام يجب عليه أن يصلّى من قيام، فلو أنّه صلّى من جلوس وحتّى لو استغرقت صلاته مائه ساعه فلا قيمه لها، بل يجب عليه الصّلاه من قيام، والحاله الثانيه الركوع، والحاله الثالثه السجود.

ولا نرى فى أى عباده أنّ هذه الحالات الثلاث تجتمع فيها، وقد استوحى أكابر أهل المعرفه من هذه الحالات الثلاث، ثلاث مراتب للتوحيد وقالوا: عندما يقف المصلّى للصّلاه ويبدأ بها فإنّ حاله قيامه إشاره للتوحيد الأفعالى، وحاله الركوع إشاره للتوحيد الصفاتى، وحاله السجود، وهى أهم وأعمق حاله فى العباده والصّلاه، إشاره إلى أهم مرتبه من التوحيد، وهو توحيد الذات، والآن يجب أن نرى ما هى النقاط والملاحظات فى قيام الصّلاه، وما هى الآداب التى

يجب مراعاتها فى حال القيام؟

يقول الإمام الخمينى رضوان اللّه عليه بالنسبه للقيام: إنّ هذه الحاله من القيام فى الصّلاه والألفاظ التى يقرأها المصلّى حال القيام، إشاره إلى مقام التوحيد الأفعالى، والمقصود من التوحيد الأفعالى أننا نعتقد بفاعليّه اللّه تبارك وتعالى فى جميع الأفعال، حتّى أصغر وأقل فعل يصدر من الإنسان مثل الجلوس والقيام، وجميع أفعاله الأخرى تتعلّق بإراده الحقّ تبارك وتعالى ومشيئته، فما لم يرد اللّه تعالى فلا تسقط ورقه من شجره ولا تهب أيّه نسمه هواء ولا يصدر أى فعل فى العالم، لا من الإنسان ولا من غير الإنسان، وطبعاً بالنسبه لأفعال الإنسان سبق وقلنا من محلّه أنّ التوحيد الأفعالى لا يتنافى مع اختيار الإنسان، ولكن هذا الإنسان المختار يجب أن يعلم بأنّ كلّ فعل يصدر منه بأنّه مسبوق بإراده الحقّ تبارك وتعالى ولو أنّه يفعل هذا الفعل من موقع الاختيار والحريه.

إذن فالمقصود من التوحيد الأفعالى هو أنّ الإنسان لا يرى أى شىء غير اللّه مؤثراً وفاعلاً فى عالم الوجود، وهذه الحاله من القيام فى الصّلاه إشاره إلى قيوميّه الحقّ تبارك وتعالى، وإذا نطق الإنسان أو فعل فعلاً ـ معيناً فإنّ ذلك يحدث تحت قيّوميّه الحقّ تبارك وتعالى.

ومن هنا يجب على الإنسان أن يذكّر نفسه ويلقن قلبه ويزيح عنه التعيّنات النفسانيّه ويعلم أنّه لا يملك استقلالاً فى أفعاله، فلو أنّه وقف للصّلاه بين يدى اللّه، فإنّ اللّه تعالى هو الذى أراد له هذا القيام، رغم أنّه مختار فى هذا القيام، ولو لم تكن إراده اللّه ومشيئته فإنّ هذا الأمر لا يتحقّق، فيجب عليه أن يفهم قلبه وباطنه بهذه الحقيقه، فأدب القيام هو أن يعتقد المصلّى بأنّه وجميع العالم حاضرون فى محضر البارى تعالى.

فعندما يريد الإنسان أن يقدّم فروض الاحترام لشخص آخر أو يواجه شخصاً

آخر فإنّ الأدب الظاهری والفطری یقتضی علیه أن یقف أمامه احتراماً له، وهذا الوقوف یعنی أننی بجمیع وجودی حاضر أمامک، ومثل هذا الإنسان یجب أن یعتقد شاء أم أبی بعظمه الحقّ تبارک وتعالی، فالشخص الذی یصلّی من جلوس أو اضطجاع بدون أی عذر لا ـ یمکن القول بأنّه یعتقد بعظمه معبوده، ولکن عندما یقف فی حاله من الوقار والخشوع وبالخصوصیّات التی سوف نذکرها لاحقاً، فإنّه یؤدّی أدب العباده نحو الحق تعالی، وهذه الحاله هی التی یجب علی الفرد العابد والسالک أن یتحلّی بها.

ص:۳۱۵

۹۷- آداب القیام

یقول الإمام الرضا علیه السلام: إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَقُومَ إِلی الصَّلاهِ فَلا تَقُومْ إِلَیها مُتَکَاسِلًا...؛

تقدّم أنّ أوّل حاله للمصلّی فی صلاته هی حاله القیام، والحاله الثانیه الرکوع والحاله الثالثه السجود، وطبق بیان أهل المعرفه أنّ هذه الحالات الثلاث والهیئات الثلاث إشاره إلی ثلاث مراتب من مراتب التوحید، ففی حاله القیام یشاهد الإنسان بجمیع وجوده الطرف المقابل ومعبوده، وهی الحاله التی لا تحصل أبداً للإنسان فی حال الجلوس أو الاضطجاع.

وجاء فی روایه فی کتاب «فقه الرضا»(۱) أنّه: «إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَقُومَ إِلی الصَّلاهِ فَلا تَقُومْ إِلَیها مُتَکَاسِلًا وَلا مُتَناعِساً، وَلا مُستَعجِلًا، وَلا مُتلاهِیاً...»؛ أی تتلهی بالعبث بالید والرأس والأُذن و...، لأنّ ذلک مخالف لأدب القیام.

وعندما یرید الإنسان أن یقف بید یدی اللّه تعالی فإنّه یشعر فی نفسه واقعاً أنّه یری اللّه، وأنّ جمیع فکره ووجوده منجذب إلی اللّه تعالی، فلا ینبغی أن یظهر حاله

۱- (۱) . فقه الرضا، ص ۱۰۱.

الکسل، ولا ینبغی أن یستعجل بصلاته بحیث یقف وقبل أن یسکن بدنه بشکل کامل یقول: اللّه أکبر، فهذا عمل غیر صحیح.

ویقول الإمام علیه السلام: «وَلَکنْ تَأتِیها عَلَی السُّکُونِ وَالوِقارِ والتَّؤدَهِ وَعَلَیکَ الخُشُوعُ وَالخُضُوعُ مُتَواضِعاً للّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُتخَاشِعَاً، وعَلَیکَ خَشیَهٌ وَسِیماءُ الخَوفِ رَاجِیاً خَائِفَاً بِالطَّمَأنِیَّهِ عَلَی الوَجَلِ والحَذَرُ».

ونلاحظ أنّ الإمام علیه السلام فی العباره السابقه قال بوجوب الخضوع والخشوع والتواضع فی الصّلاه وهنا یقول: یجب علیک أن تشعر بالخوف والخشیه ظاهره علی ملامحک، فالمصلّی یجب أن یعیش الأمل والرجاء من جهه، ویعیش الخوف والخشیه من جهه أخری، فهو یشعر بالقلق هل أنّ اللّه تعالی قبل عبادته أم لا؟ هل أنّ اللّه تعالی ملتفت إلیه ویهتمّ به أم لا؟

«فَقِفْ بَینَ یَدَیهِ کَالعَبْدِ الآبِقِ المُذنِبِ بَیْنَ یَدَی مَولاهُ»، وهکذا یعیش هذا الإنسان حاله الخوف والقلق أمام الخالق عزّ وجلّ.

یجب أن نفهم واقعاً عندما نقف للصّلاه أننا کنّا لحدّ الآن بعیدون وآبقون عن المولی، والآن سمح لنا الباری تعالی بالعوده إلیه ولذلک یجب أن نقف بین یدیه بحاله الندم والخوف والخجل، وفی ذات الوقت یجب أن نشعر بالأمل والرجاء فی رحمه اللّه ومغفرته.

«فصفَّ قَدَمَیْکَ وَانْصبِ نَفْسِکَ وَلا تَلتَفِتْ یَمِیناً وَشِمَالاً»، وعندما یقال لا ینبغی الالتفات إلی هذا الجانب وذاک فالسبب یعود إلی هذه النقطه، وهی أنّ الإنسان یقف فی مقابل الباری تعالی ویجب أن یرکز جمیع حواسه وفکره بهذه العباده.

«وَتَحْسَبُ کَأَنَّکَ تَراهُ فَإنْ لَمْ تَکُنْ تَراهُ فَإنَّهُ یَراکَ»(۱)، وهکذا ینبغی رعایه آداب الوقوف فی الصّلاه بحیث یشعر الإنسان أنّه یری اللّه فیها، فإن لم یکن یری اللّه فإنّ اللّه یراه.

۱- (۱) . فقه الرضا، ص ۱۰۱.

۹۸- حقوق الصّلاه فی کلام الإمام زین العابدین علیه السلام

یقول الإمام زین العابدین علیه السلام: وَأَمَا حُقُوقُ الصَّلاهِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّها وِفَادَهٌ إِلی اللّهِ؛

إذا التفت المصلّی لأسرار القیام فی الصّلاه والتزم بآدابه، فسوف یشعر بلذّه کبیره فی صلاته ویحسّ أنّه تطهر واقعاً من شوائب الدنیا ولا یشعر بالتعب والملل من الصّلاه بل یرید أن یتابع صلاته ویستمر بها.

فقد ورد فی بعض الروایات عن الإمام الثامن الرضا علیه السلام أنّ هذا الإمام کان یصلّی فی الیوم واللیله ألف رکعه، ولعلّه فی ذلک أنّه علیه السلام کان یلتذ من الوقوف للصّلاه بین یدی الباری تعالی، وعندما نری أنّ الإمام علیه السلام فی اللحظات الاُولی من الصباح الباکر وقبل طلوع الشمس أو قبل غروبها یعطل صلاه النافله ویجلس فی مصلّاه ویناجی ربّه، فذلک بسبب أنّه علیه السلام کان عارفاً بأسرار الصّلاه وقیمتها وبرکاتها، وقد ورد فی الروایه أنّ الإمام زین العابدین علیه السلام ذکر بعض الموارد بوصفها حقوق الصّلاه، یعنی أنّ المصلّی لو لم یراع هذه الموارد فإنّه یضیّع حقّ الصّلاه ولا یؤدّی حقّها.

ص:۳۱۸

يقول علیه السلام: «وَأَمّا حُقُوقُ الصَّلاهِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّها وِفَادَهٌ إِلى اللّهِ»(۱)، وهنا یبیّن الإمام علیه السلام موردین من موارد حقّ الصّلاه، المورد الأوّل، هو أنّ نعلم أنّ الصّلاه عباره عن ورود إلی محضر اللّه تبارک وتعالی، فالشخص الذی یروم الصّلاه فلیعلم أنّه یقدم علی الورود بمحضر الباری تبارک وتعالی، وبعباره أخری، أنّ الصّلاه هی ورود، ولکنّها ورود إلی محضر الحقّ تبارک وتعالی والمصلّی یجب أن یعلم أنّه بواسطه الصّلاه أنّه سیرد علی هذا الموجود العظیم، وغنی عن البیان أنّ کلّ ورود یستلزم خروجاً، یعنی یجب علیه أن یخرج من الدنیا والمیول النفسانیّه والنوازع الشهوانیّه لیدخل إلی ساحه النور الإلهی.

الحقّ الثانی، أننا نقف بین یدی اللّه تعالی، وهذا الحقّ إنّما یمکن أداؤه فیما لو أدّی المصلّی الحقّ الأوّل للصّلاه وعمل بوظیفته وتکلیفه.

«وَأَنَّکَ فِیها قَائِمٌ بَینَ یَدی اللّهِ، فَإذا عَلِمْتَ ذَلِکَ کُنْتَ خَلِیقاً أَنْ تَقُومَ فِیها مَقَامَ العَبْدِ الذَّلِیلِ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ الخَائِفِ الرَّاجِی المُستَکِینِ المُتَضرِّعِ المُعَظِّم، مَقَامَ مَنْ یَقُومُ بَینَ یَدَیهِ بَالسُّکونِ وَالوِقارِ وَخُشُوعِ الأَطرافِ وَلِینِ الجَناحِ وَحُسْنِ المُناجَاهِ لَهُ فِی نَفسِهِ وَالطَّلَبِ إِلَیهِ فِی فِکَاکِ رَقَبَتِهِ الَّتِی أَحاطَتْ بِها خَطِیئَتُهُ وَاستَهلَکَتْها ذُنُوبُهُ وَلا قُوَّهَ إلّا بِاللّهِ»، وفی آخر الروایه یقول علیه السلام أنّه لا قوّه ولا قدره لدی الإنسان وغیره من المخلوقات إلّابقدره اللّه تبارک وتعالی، فلو أنّ الإنسان أراد الخلاص من الذنوب والخطایا التی أحاطت به فیجب علیه أن یستمد العون والمد من اللّه تبارک وتعالی والتطهیر من الذنوب لا یکون إلّابإراده الحقّ تعالی، وعلی هذا الأساس فمن أجل الخلاص من التلوّث یجب أن نقف فی صلاتنا فی مقام العبد الذلیل ونعیش الخشوع والوقار وبالتالی نحظی بحسن المناجاه ولذه الحدیث مع اللّه تعالی.

۱- (۱) . آداب الصّلاه، الإمام الخمینی، ص ۱۵۰.

۹۹، ۱۰۰– حدود الصّلاه فی حدیث رزّام

إنّ مسأله القیام فی صلاه الجماعه تعتبر مسأله مهمّه جدّاً ولها تجلیات کبیره، فالمصلّون عندما یقفون فی صفوف منتظمه أمام الباری تبارک وتعالی یجب أن یعلموا مدی عنایه اللّه بهم ورعایته لهم، والسرّ فی أنّ صلاه الجماعه لها ثواب کثیر جدّاً یکمن فی مراعاه هذه الآداب والتوجّه إلی هذه الأسرار الکامنه فی صلاه الجماعه، وعلی هذا الأساس یجب الالتفات جیداً بکیفیّه قیامنا فی الصّلاه ونعلم بآدابها ونلتزم بمراعاه هذه الآداب.

وینقل المرحوم السیّد بن طاووس فی کتابه «فلاح السائل» روایه عن الإمام الصادق علیه السلام تتحدّث عن خصوصیّات الصّلاه التی تنهی عن الفحشاء والمنکر:

«فی صفه الصّلاه التی تنهی عن الفحشاء والمنکر»، والروایه تقول: إنّ أباجعفر المنصور کان یوم الجمعه وقد أخذ بید الإمام الصادق علیه السلام فسأله رجل یدعی رزّام: مَن هذا الشخص الذی أخذت بیده؟ فقیل له: جعفر بن محمّد ابن رسول اللّه صلی الله علیه و آله، فقال ذلک الرجل: «إِنِّی وَللّهِ لَوَدَدتُ مَا عَلِمْتُ أَنَّ خَدَّ أَبِی جَعفَرِ نَعْلٌ لِجَعفَر».

وبهذه المقدّمات یسأل رزّام من الإمام الصادق علیه السلام عن الصّلاه وحدودها:

«أَخبِرنِی عَنِ الصَّلاهِ وَحُدُودِها».

فقال له الإمام علیه السلام: «للصَّلاهِ أَربَعَهُ آلافِ حَدٍّ لَسْتَ تُؤاخَذُ بِها»، أی أنّک لا تستطیع العمل بهذه الحدود ولا یمکنک رعایتها، وهذه نقطه مهمّه جدّاً أنّ الإمام الصادق علیه السلام یقول: إنّ للصّلاه أربعه آلاف حدّ، والمراد من الحدّ هنا هو ما یدخل فی تحقّق حقیقه الصّلاه.

فقال رزّام: «أَخْبِرنِی بِمَا لایَحِلُّ تَرکُهُ وَلا تَتُمُّ الصَّلاهُ إِلّا بِهِ»، أیّها الشباب الأعزاء، لتعلموا أنّ بعض الناس فی زمان الأئمّه المعصومین علیهم السلام عندما یحضرون فی مجلس الإمام ما هی الأسئله التی یطرحونها، والیوم للأسف الشدید نجد أنّ أیدینا قاصره عن الوصول إلی ساحه الوجود المقدّس الإمام ولی العصر (عج)، فلا ینبغی أن نغفل عن الأکابر من علمائنا الذین سلکوا فی وادی الفقاهه والمعرفه وفهموا کتاب اللّه وتشخیص الحلال والحرام، ویجب علینا السعی للتواصل وطرح مثل هذه الأسئله علیهم لکی نستطیع من تصحیح أعمالنا، لئلا تنقضی أیّامنا وعمرنا ثمّ نتأسف لماذا لم نلتفت إلی مسأله القیام فی الصّلاه ولماذا لم نراعی آداب القیام؟ لماذا لم نحقّق القیام المطلوب فی محضر الباری تبارک وتعالی فی حال الصّلاه؟

ویسأل رزّام من الإمام الصادق علیه السلام عن تلک الأمور التی یجب مراعاتها فی الصّلاه وبیان زاویه من هذه الحقیقه وحدود الصّلاه التی یجب علی المؤمن الاتیان بها، وقال علیه السلام: «لا تَتُمُّ الصَّلاهُ إِلّا لِذِی طُهرٍ سَابِغٍ»، أی أن یکون علی طهاره کامله، وتشمل جمیع وجوده، وهذا یعنی مجموع الطهاره الظاهریّه والطهاره الباطنیّه، وتستوعب الطهاره جمیع وجوده من أعلی رأسه إلی أخمص قدمه، فالإنسان عندما یقف للصّلاه یجب أن یکون وجوده طاهراً، والمراد من هذه الطهاره لیس الوضوء فقط الذی هو شرط للصّلاه، ثمّ قال علیه السلام: یجب أن یکون المصلّی «تَمامِ البَالغِ»، یعنی أنّها تامّه وجامعه، والبالغ له معانٍ متعدده أحدها

بمعنى الوصول والنضـج، فالطفل عنـدما يصل إلى حـدّ البلوغ يقال له بالغ، أو الثمره التى تصل إلى حاله النضج يقال ثمره بالغه، وعلى هذا الأساس فإنّ معنى هذه العباره أنّ المصـلّى يجب أن يصل إلى مرتبه التمام والكامل، أمّا المعنى الثانى للبالغ هو النافذ، و «أمر بالغ» يعنى نافـذ، وهـذا يعنى أنّ المصـلّى يجب أن يتمتع بالتماميه النافذه، وفى تقديرى أنّ معنى «النافذ» أولى من «البالغ»، ولابدّ أن تكون العبارات المذكوره تنفذ إلى القلب ولا تقف عند حدود اللسان والكلام فقط.

ثمّ قال عليه السـلام: الشـرط الثالث لحقيقه الصّـلاه هو: «غَيْرِ نَازِع» وفى بعض النسخ «غَيْرِ نَازِع»، وهو تعبير جميل جدّاً، ويعنى أنّه لا يصدر منه أدنى حركه، وكما ذكرنا مسبقاً فى بعض الروايات أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام عندما يقف للصّلاه بين يدى اللّه تعالى فكأنّه جذع شجره فلا يرى منه أدنى حركه إلّاما تحركه الريح من ثوبه «غيرِ نازِع» يعنى لا تصدر أدنى حركه منه.

الخصوصيّه الرابعه: «وَلاـ زَائِغ» بمعنى أنّه لاـ يصـدر منه أدنى انحراف، «زائغ» من مـاده «زيغ» وتعنى الاـنحراف عن طريق الحقّ، وهـذه الكلمه تـأتى أيضـاً بمعنى الانحنـاء والاعوجاج، يعنى أنّ المصـلّى فى حاله الصّـلاه يجب أن يقف بشـكل ثابت وعمودى وليس فيه أدنى انحراف واعوجاج، وعلى هـذا الأساس فالخصوصـيّات التى ذكرها الإمام الصادق عليه السـلام فى هـذا الحـديث الشريف:

أ) إنّ المصلّى يجب أن يكون بطهاره كامله، ويتحلّى بجميع أنواع الطهاره.

ب) يجب أن يتمتع بالتام والجامع والنافذ.

ج) لا ينبغى أن تصدر منه أدنى حركه خارج الصّلاه، فلا يعبث برأسه ووجهه وأعضاء بدنه.

د) يجب أن يكون ثابتاً ومستقيماً ولا يوجد فى بدنه أى انحراف أو انحناء.

۱۰۱- حدود وخصوصیّات الصّلاه فی حدیث الإمام الصادق علیه السلام

وفی سیاق روایه رزّام یشیر الإمام الصادق علیه السلام إلی بعض هذه الحدود الأربعه آلاف ویتحدّث عن تسع خصوصیّات أخر یقول:

۱ و ۲. «عَرَفَ فَوَقَفَ»، «وَأَخْبَتَ فَثَبَتَ»، فیجب علیه أن یعرف اللّه ثمّ بعد المعرفه یقف للصّلاه بین یدیه فی حاله اخبات وخشوع، ومع وجود حاله الخشوع والتواضع فسوف یحصل علی الثبات فی هذا العمل.

۳. «وَهُوَ وَاقِفٌ بَیْنَ الیَأسِ وَالطَّمَعِ وَالصَّبْرِ وَالجَزَعِ»، المصلّی عند یقف للصّلاه بین یدی اللّه فإنّه یشعر من جهه بحاله من الیأس حاکمه علیه، لأنّه ینظر إلی ضعفه وتقصیره ویری أنّ عمله فی مقابل اللّه تعالی لیس جدیراً بتقدیمه وقبوله، ویجب علینا أن نعیش مثل هذه الحاله فی الصّلاه، فعندما تطول صلاتنا إلی عشر دقائق نتصوّر أننا قمنا بعمل عبادی جلیل، یجب علینا أن نشعر بحاله الیأس من اللیاقه ومقبولیّه أعمالنا وعباداتنا، ولکن من جهه أخری یجب أن نستشعر بلطف اللّه

ص:۳۲۳

وفضله ورحمته ونعيش حاله الرجاء والأمل.

ومن جهه يجب علينا، فى أعمالنا وامتثال تكاليفنا، أن نتحلّى بالصبر والمثابره، ومن جهه أخرى نتضرّع إلى البارى تعالى ونستشعر الجزع لما قصّرنا فيه من أعمالنا وعباداتنا لئلا يبعدنا العجب عن محضر البارى تعالى وساحه لطفه وبذلك ترفض أعمالنا القليله ولا تحظى بالقبول «كَأَنّ الوَعْدُ لَهُ صُنِعَ»، ما أجمل هذا التعبير وما أبلغه، فالشخص الذى يقف للصّلاه بين يدى البارى تبارك وتعالى عليه أن يعلم أنّ جميع وعود اللّه تعالى قد تحقّقت بالنسبه إليه، ويجب أن يكون على يقين بأنّ الوعود الإلهيّه للمصلّين والمثوبات التى اعدّتْ لهم قد تحقّقت جميعها، «والوَعِيدُ بِهِ وَقَعَ»، ومن جهه أخرى يرى نفسه مستحقاً للعقوبات الإلهيّه التى قرّرها البارى تعالى للغافلين والمتساهلين والمتماهلين فى صلواتهم، وهذه الحاله هى حاله عجيبه جدّاً، بأن يرى الإنسان نفسه مستحقاً للوعد والثواب الإلهى، وفى ذات الوقت يستحق الوعيد والعقوبات الإلهيّه.

۴. «بَذَلَ عِرْضُهُ وَتمثّل غَرَضَهُ»، «عروض» فى اللغه تعنى المال والمتاع والثروه والحياه أهم رأس مال وثروه يملكها الإنسان وكلما لديه من مال وثروه يعرضه أمام اللّه تبارك وتعالى.

۵. «وَتَمَثَّلَ غَرضُهُ»، أى أنّ غرضه ومقصوده يتمثّل فى هذه المناجاه والدعاء والتوصل مع اللّه تعالى.

۶. «وَبَذَلَ فِى اللّهِ المُهْجَةَ»، أى أنّه مستعد للتضحيه فى سبيل اللّه بكلّ وجوده

۷. «وَتَنَكَّبَ إِلَيهِ المَحَجَّهُ»، اختار الطريق الإلهى فقط ولم يسلك خطّ الضلاله والانحراف ويجتنب كلّ طريق لا يقوده إلى اللّه.

۸. «غَيْرَ مُرْتَعِم بِارتْغَام»، فعندما يضع أنفه فى حاله السجود على التراب لا يجد فى نفسه غضاضه ولا كراهه من ذلك، لا تقول إنّ هذا العمل صعب على

نفسى، فلماذا يجب علىَّ أن أضع جبهتى على التراب؟ يجب أن يشعر باللذه من هذه الحاله وهذا العمل العبادى.

۹. «يَقطَعُ عَلائِقَ الإهتَمامِ بِعْيَنِ مَنْ قَصَدَ وَإلَيهِ وَفَدَ وَمِنْهُ استَرفَدَ»، فالمصلّى يقطع أى علاقه ورابطه فى وجوده مع غير اللّه ويحصر توجهه واتنباهه فى مجال الارتباط مع اللّه تعالى، وهذا الشخص الذى وقف للصّلاه عليه أن يعلم لمن قصد وعلى من يرد ويقف بين يديه وفى محضره؟ ومن أى أحد طلب الثواب، ومع أى أحد يتحدّث؟

«فَإذا أَتَىْ بِذَلِكَ كَانَتْ هِىِ الصَّلاه الَّتِى بِها أَمَرَ وَعَنهَا أَخْبَرَ»، يقول تعالى: «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ...»۱.

أيّها الأحبّه، لماذا لا تنهانا صلواتنا عن الفحشاء والمنكر؟ بسبب أنّ هذه الصّلاه لا تملك تلك الخصوصيّات الوارده فى هذا الحديث الشريف، ولو أنّها كانت تتمتع بهذه الخصوصيّات فلا يمكن لمثل هذه الصّلاه أن لا تكون ناهيه ومانعه من الفحشاء والمنكر، يقول الإمام الصادق عليه السلام: إنّ هذه الصّلاه هى التى تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر، وفى ذيل هذه الروايه يقول أبوجعفر المنصور العباسى وهو يخاطب الإمام الصادق عليه السلام قائلًا: «يَاأَبَا عَبْدِاللّه لانَزَالُ مِنْ بَحرِكَ نَغْتَرِفُ وَإلَيكَ نَزْدَلِفُ تُبَصِّرُ مِنَ العَمى وَتَجْلُو بِنُورِكَ الطَّخْياءُ، فَنَحنُ نُعُومُ فِى سُبحَاتِ قُدْسِكَ»، وهكذا ترون أنّ هذا الخليفه العباسى، الذى قتل الإمام عليه السلام فيما بعد كيف يتحدّث مع الإمام عليه السلام والكلمات البليغه التى قالها فى حقّ الإمام عليه السلام؟

ص:۳۲۵

۱۰۲– علّه خوف وخشیه الأنبیاء والأئمّه علیهم السلام

جاء فی کتاب «عدّه الداعی» روایه: «رُوِیَّ أَنَّ إِبرَاهِیم علیه السلام کَانَ یُسمَعُ تَأَوُّهُهُ عَلَی حَدِّ مِیلٍ»(۱)، إنّ ابراهیم علیه السلام کان فی حال المناجاه والعباده للّه یشتدّ به البکاء والتأوّه بحیث أنّه یسمع من مسافه بعیده «حَتَّی مَدَحَهُ اللّهُ تَعالَی بِقَولِهِ «إِنَّ إِبْراهِیمَ لَحَلِیمٌ أَوّاهٌ مُنِیبٌ»۲».

یجب أن نلتفت فی حال القیام فی الصّلاه أنّ هذه الصّلاه لیست فقط لقلقه لسان، بل یجب أن تقترن بحاله الإنابه والتوبه والبکاء، وقد جاء فی سیره الأکابر من العرفاء وحالاتهم أنّهم أحیاناً یغمی علیهم من شدّه البکاء ولا یستطیعون اتمام الصّلاه.

وقد جاء فی الروایه أنّ النبیّ إبراهیم علیه السلام کان یسمع له فی الصّلاه صوت کصوت المرجل فی حال الغلیان: «وَکَانَ فِی صَلاهٍ یُسمَعُ لَهُ أَزِیز کَأَزِیزِ المِرجلِ

۱– (۱) . کلّ میل بمقدار أربعه آلاف ذراع وکلّ ذراع سبعین سانت متر، ولذا میل واحد یساوی الألفین وثمنمائه متر.

وَكَذَلِكَ كَانَ يَسمَعُ مِنْ صَدرِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللّهِ علیه السلام مِثْلُ ذَلِكَ»، وطبعاً ينبغى الالتفات إلى أنّ المقصود ليست تلك الحاله من البكاء التى تهدم الصّلاه، «وَكَانَتْ فَاطِمَةُ علیها السلام تَنْهَجُ فِى الصَّلاهِ مِنْ خِيفَهِ اللّهِ»(۱).

وفى كتابه «آداب الصّلاه»(۲) للإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه نرى عبارات مهمّه جدّاً، وينبغى أن تقرأه بشكل متكرر، فهذه كلمات إنسان ربّانى قد أتعب نفسه فى تهذيبها ووصل فى سيره وسلوكه المعنوى والإلهى إلى مراتب عاليه، يقول الإمام الخمينى قدس سره: عليك أن تفكّر فى حالات علىّ بن الحسين (زين العابدين عليه السلام) ومناجاته للّه تعالى والأدعيه اللطيفه التى علّم هذا الإمام عليه السلام كيفيه آداب العبوديّه للناس، فأنا لا أقول إنّ مناجاه هذا الإمام الوارده فى كتب الأدعيه هى من أجل تعليم الناس، وأحد الآراء المذكوره أنّ هذه المناجاه والأدعيه التى صدرت عن أئمّتنا عليهم السلام وما فيه من اظهار التقصير والذنوب أمام اللّه تعالى هى من أجل تعليمهم عباده اللّه بأن يعبدوا اللّه بهذه الصوره.

يقول الإمام الخمينى قدس سره: إنّ هذا الكلام باطل ولا أساس له ونابع من جهل البعض بمقام الربّوبيّه ومعارف أهل البيت عليهم السلام، إنّ حاله الخوف والخشيه لدى هؤلاء الأولياء أكثر وأشدّ من أى شخص آخر، وتلك الحاله من الخوف والخشيه التى كان أميرالمؤمنين والإمام زين العابدين عليهما السلام وسائر الأئمّه عليهم السلام يعيشونها لا تقبل المقارنه مع خشيه الإنسان العادى أو مع علمائنا، فإنّ عظمه وجلاله الحقّ تعالى فى قلوبهم أكثر وأشدّ تجلياً من الآخرين، فاللّه تعالى تجلى لهم بما لا نستطيع دركه ولكن يجب علينا أن نتعلم كيفيّه العبوديّه والسلوك إلى اللّه منهم، وعندما يقف الإمام زين العابدين عليه السلام للصّلاه ويعيش هذه الحاله من الخشوع

۱- (۱) مستدرك الوسائل، ج ۴، ص ۱۰۰، عدّه الداعى، ص ۱۵۱.

۲- (۲) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۵۲.

والخوف من اللّه فنحن يجب علينا على الأقل أن نتشبه بهم، وعندما يكون حال إبراهيم عليه السلام كذلك يجب أن نكون مثله ولو بمقدار القليل.

نحن ندعى أننا من شيعه أميرالمؤمنين عليه السلام فما مقدار اقتراب صلاتنا من صلاه هذا الإمام عليه السلام؟ يجب أن نسأل من أنفسنا ونجيبها وفى الغالب أننا سنشعر بالخجل والندم، فهيا بنا نتحرّك فى بقيه عمرنا والمهله التى أمامنا أن نهتمّ باصلاح هذا الحال واصلاح صلاتنا.

ص:۳۲۸

۱۰۳- الإمام زين العابدين عليه السلام قدوه العابدين

ذكرنا أنّ الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه، يقول: يجب علينا أن نقتدى فى عبادتنا وعبوديّتنا، بعباده الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فهذا الوجود وهذا الإمام المبارك يعدّ من أكبر النعم التى منّ اللّه تعالى على عباده من أجل إفهامنا طريقه العبوديّه والسلوك إلى مقام القرب والقدس الإلهى، فعباده الإمام زين العابدين عليه السلام وأدعيته وصلاته كلّها منّه من اللّه تعالى على سائر الخلق حتّى يكون نموذجاً وقدوه وأُسوه فى كيفيه العباده والتضرّع والوصول إلى اللّه، والمقصود من النعيم فى الآيه الشريفه: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»۱ ، هى نعمه الولايه التى يسأل عنها المرء يوم القيامه.

فإذا سئلنا فى ذلك اليوم: لماذا لم تعرف هذه النعمه ولم تنتفع بتعليمات وتوصيات هذا الإمام؟ لماذا لم تكن أدعيتكم وصلواتكم مثل دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام وصلاته؟ فنحن لا نملك الجواب أمام اللّه تعالى، ثمّ يقول الإمام

الراحل قدس سره: «أيّها العزيز! الآن وأنت تملك المهله والفرصه ورأس مال العمر والطريق مفتوح أمامك للسلوك إلى اللّه، فالآن وأنت تملك الوقت ورأس المال والطريق مفتوح وأبواب رحمه اللّه مفتوحه أمامك وتملك السلامه وقوه الأعضاء والجوارح وتعيش فى دار الزرع وعالم الملك، فعليك باستثمار هذه الفرصه»، ما أروع هذه الكلمات والتعبيرات البلاغيه العميقه، فنحن الآن نعيش فى عالم الزراعه وغداً يكون الحصاد، ولا يوجد فى باب المعنويّات فصل خاصّ للزراعه.

إنّ عالم الدنيا هو دار الزرع دوماً، ففى كلّ لحظه، سواءً فى الليل أو فى النهار، يجب على الإنسان أن يتحرّك للزراعه وتقديم أعماله الصالحه للعالم الآخر، يقول: «الآن وأنت تتوفرّ لديك جميع العوامل وتواجه القليل من الموانع فى العباده والطاعه والمشاكل الدنيويّه وبالتالى فإنّ التلوّث بالذنوب أقل والحجب على قلبك قليله».

وبالنسبه للأشخاص الذين يملكون بحمد اللّه إمكانيه السير والسلوك المعنوى، فيجب عليهم أن يشحذوا الهمّه والعزم ويدركوا قدر هذه النعمه الإلهيّه وينتفعوا بها ويتحرّكوا فى طريق تحصيل الكمالات الروحانيّه والسعاده الأبديّه.

وفى هذا المقطع يذكر الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه، نقطه مهمّه جدّاً ويقول: إنّ كلّ هذه المعارف الوارده فى القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام وما جاءوا به لهذه الطبيعه الظلمانيّه فى الأرض وأناروا العالم بأنوارهم الملكوتيّه، فلماذا لا نستفيد نحن منها؟

ويقول قدس سره: يجب عليك استغلال الفرصه والسعى لتنوير أرض طبيعتك المظلمه بالنور الإلهى، وهكذا تنوّر نفوسنا وعيوننا وآذاننا ولساننا وقوانا الظاهريّه والباطنيّه بنور اللّه، هذه الأرض الظلمانيّه يجب أن تتبدل بأرض نورانيّه وسماويّه

وعقلانيّه، كما ورد فی القرآن الكريم: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...»۱ ، و «وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها...»۲ ، يقول قدس سره: طبقاً للآيه الاُولی فكلّ إنسان يجب عليه أن يستبدل وجوده وأرضه المظلمه بنور اللّه ويجعلها أرضاً نورانيّاً، فإذا عمل الإنسان فی الـدنيا هـذا العمل فإنّه سوف لا يواجه الظلمات والصـعوبات والمصائب والعذاب والذله يوم القيامه وسـيكون يوم القيامه بالنسـبه إليه يوم جليل وسـعيد جدّاً، وأمّا الأشـخاص الذين عاشوا فی عالم الدنيا حاله الظلمه وكانت أرضهم مظلمه فإنّهم سيزدادون يوماً بعد آخر من الظلمه وستكون قيامتهم صعبه جدّاً(۱).

ص:۳۳۱

۱- (۳) انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۵۲.

۱۰۴– الغرض الإلهی من فرض الصّلاه علی العباد؟ العبادات، تجسید التوحید فی ملک البدن

تبیّنت فی بحث أسرار الصّلاه هذه النقطه، وهی أنّ العبادات الظاهریّه لها حقیقه خاصّه، والغرض من أداء هذه الظواهر العبادیّه هو الوصول إلی تلک الأسرار والحقائق، وبدون رعایه هذه الظواهر لا یمکن التوصل إلی تلک الحقائق، والکثیر من الأشخاص یسألون: ما هو غرض اللّه تبارک وتعالی من الصّلاه؟ والسبب فی هذا السؤال هو أننا قصرنا فکرنا ودرکنا علی هذه الظواهر وأنّ کلّ ما فی الصّلاه والعباده هو هذا الظاهر، أی هذا القیام والقعود والأذکار الظاهریّه، ومع هذا الحال قد یطرح هذا السؤال وهو: ما هو غرض اللّه من هذه العباده وماذا یستفید اللّه من هذا الظاهر، وکذلک ما فائده هذه العباده للإنسان؟

ولکن لو علمنا أنّ هذا الظاهر هو طریق لفتح أبواب الحقائق والمعارف أمامنا التی لا سبیل لنا لفهم تلک الحقائق بغیر هذا الطریق، فالصّلاه لها حقائق ومعارف لا یمکن الوصول إلیها إلّابهذا الظاهر والأعمال، وعلی رأس هذه المعارف مسأله

التوحید، فمن أجل أن یتمکن الإنسان الاقتراب إلی حقیقه التوحید بمقدار ممکن فالطریق الوحید أمامه هو الصّلاه، وکلّ شخص یوفّق أکثر لأداء الصّلاه فإنّه سیتقرب أکثر من مقام التوحید، وینقل الإمام الراحل رضوان اللّه علیه فی کتابه «آداب الصّلاه» عن استاذه فی العرفان المرحوم الشیخ الحاج محمّد علی شاه آبادی رضوان اللّه تعالی علیه، إنّ العبادات فی حقیقتها تجسید وترسیخ للتوحید فی ملک البدن وفی باطن القلب، فالإنسان عند إتیانه بالعباده یرید أن یحقّق التوحید فی جمیع عالم ملکه ووجوده، وبدون هذه العباده والصّلاه لا یتحقّق التوحید فی وجود الإنسان.

والنقطه التی یؤکد علیها الإمام الخمینی قدّس سرّه فی هذا المورد(۱) هی: أنّ مقصد ومقصود الباری تعالی من أرسال الأنبیاء والقرآن والأحکام والشرائع والکتب السماویه هو نشر التوحید والمعارف الإلهیّه، فجمیع هؤلاء جاءوا لإیصال الإنسان إلی مرتبه التوحید وتخلیصه من أجواء الکفر والشرک وتطهیر باطنه من شوائب الانحراف والضلاله، ثمّ یقول: من الخطأ أن نقول إنّ جمیع هذه البرامج السماویّه أعم من إرسال الأنبیاء والکتب، وبیان الشرائع، والأحکام، والدساتیر والمقررات، من أجل أنّ الإنسان یدخل الجنّه المادیّه ویتنعم بنعمیها بعد هذا العالم، بل إنّ هذه الاُمور مقدّمه لإیصال الإنسان إلی مقامات أعلی وأسمی ولفتح أبواب المعرفه الواسعه أمامه، فلو أنّ الإنسان وصل فی عباداته إلی هذه المرتبه فإنّه لا یکتفی بالظاهر، وأساساً فإنّه یتجاوز هذه الظواهر ویعبرها ویوصل نفسه إلی الباطن والحقیقه، یجب علینا الالتفات إلی أنّ بسط هذه الأمور وإنزالها من بساط الرحمه الإلهیّه وانزال الکتب والملائکه وإرسال الأنبیاء لیس هو من أجل تحقّق بعض الأمور الظاهریّه والتافهه کالأکل والشرب

۱- (۱) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۵۳.

والمشـى تحت ظلال الأشجار فى الجنّه، إنّ غايه المعارف هى أنّ الإنسان مع إتيانه بهذه العباده والامتناع عن الذنوب والمعاصى سيصـل إن شـاء اللّه إلى مقامـات عاليه جـدّاً من العلم والمعرفه والنورانيّه فى الآخره، وهـذه نقطه مهمّه جـدّاً يجب علينا الالتفات إليها.

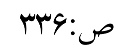
ويقول الإمام الخمينى رحمه الله: إنّ أمثالنا من الذين لم يتجاوزوا حدّ الحيوانيّه لا يفكرون سوى بالجنّه الجسـمانيّه وإشـباع البطن والفرج، ولكن ينبغى أن نتصوّر بـأنّ السـعاده منحصـره بهـذه الأـمور وأنّ جنّه الخلـد محصوره بهـذه الجنّه الحيوانيّه بل إنّ للحقّ تعالى عوالم لا تخطر على بال بشـر ولا تراها عين ولم تسـمعها اذن، ولذلك فإنّ أهل المحبّه والمعرفه لا يهتمّون بمثل هذه الجنّه الماديّه والحيوانيّه، بل يهدفون إلى جنّه اللقاء وجنّه الحضور.

وهكذا ترون إلى أى درجه ومرتبه توصل الصّلاه الإنسان فى سيره المعنوى؟ فهذه الصّلاه إذا اقترنت برعايه آدابها وخصوصيّاتها فإنّ غايتها التوحيـد والوصول بالإنسان إلى مقامات أسـمى وأعلى من هذه الجنّه الظاهريّه، ونسأل اللّه تعالى أن يرزقنا هذه النعمه إن شاء اللّه.

الفصل الخامس: أسرار النيّه

اشاره

ص:۳۳۵



۱۰۵- النیّه هی العزم علی أداء الفعل

بعـد بیان أسـرار القیام، یأتی الـدور إلی بیان موضوع النیّه فی الصّـلاه، فثمّه عـدّه أمور یجب بیانها فی مسأله النیّه، وأوّلها: ما هی حقیقـه النیّـه؟ إنّ حقیقـه النیّه عبـاره عن العزم علی أداء فعـل معیّن، فمجرّد أن یقصـد الإنسـان الإتیـان بعمـل معیّن تتحقّـق النیّه، ولذلک فإنّ حقیقه النیّه لا تتوقف علی التلفظ، بحیث إنّه لو لـم یتلفظ بالنیّه بلسانه فإنّ النیّه لا تتحقّق، إنّ حقیقه النیّه هی ما تقدّم من وجود عزم فی نفس الإنسان علی القیـام بفعـل معیّن، مثلاًـ عنـدما یقرّر الإنسـان أن یمشـی خطوات، فـإنّ نیّه المشـی تتحقّق حنیئذٍ، ولو أنّه قرّر أن یجلس فإنّه نوی الجلوس.

وعلی هـذا الأسـاس فلاـ یخلو أی فعـل اختیـاری من النیّه، ولا یمکن أن یصـدر أی فعل وعمل بـدون النیّه، والنتیجه عنـدما یرید الإنسـان القیـام بالصّـلاه فهـذه هی النیّه للصّـلاه بمجرّد أن یقرّر الإنسـان القیـام لعبـاده اللّه فإنّ هـذه هی النیّه، فلا ینبغی أن نبتلی بـالوسوسه فی هـذه المسـأله، وللأـسف فـإنّ بعض الجهّـال والأشـخاص الـذین یعیشون حاله التقـدّس، فإنّهم یبتلون بهـذه الحیله الشیطانیّه وخاصّه فی

العبادات وبالأخص فى الصّلاه، فالشيطان ومن أجل التصدى لإيمان الإنسان يتبع حيل متعدده ومختلفه، فتاره يزرع اليأس فى الإنسان ويجعله يترک أصل العمل العبادى، ولو أنّ هذه الحيله لم تؤثر فى البعض فى المرحله الأُولى، فإنّه فى المرحله الثانيه يورطه بمسأله الرياء والعجب والغرور.

فى المرحله الثالثه، يتحرّک الشيطان لالقاء الشک والترديد والوسوسه، بأن يقول له هل أتيت بالنيّه أم لا؟ وهل أنّ نيّتک صحيحه أم لا؟ وهل قصدت القربه أم لا؟ وعلى هذا الأساس فإنّ مرادنا من النيّه هو قصد أداء الصّلاه والعزم على الاتيان بالصّلاه، فالشخص الذى يقوم ويريد أن يكبّر للصّلاه فإنّه قصد الاتيان بالصّلاه، ولا ينبغى أن يبتلى بالوسوسه «أننى نويت للصّلاه أم لا»، وللأسف نرى أحياناً أنّ البعض يقولون «اللّه أكبر» ثمّ يقطعون الصّلاه بحجّه أنّه لم ينو نيّه صحيحه، فهذه الوساوس، كما ورد فى الروايات الشريفه، هو عمل شيطانى.

فى الروايه عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تُعَوِدّوا الخَبيثَ مِنْ أَنْفُسِكُم بِنَقضِ الصَّلاهِ فَتُطمِعُوه»، فكلّ مرّه تقطع الصّلاه فإنّ طمع الشيطان سيزداد «فَإِنَّ الشَّيطَانَ خَبيثٌ يَعتَادُ لِما عُوِّدَ»، فعندما تتعوّد أن تقطع صلاتک بسبب مسأله النيّه، فإنّ الشيطان سيعود إليک مرّه ثانيه لتقطع الصّلاه أيضاً.

«إِنَّما يُريدُ الخَبيثُ أَنْ يُطاعَ فإذا عُصِىَ لَمْ يَعُد إلى أَحَدِكُم»، ولذلک عندما لا تلتفت إليه ولا يطيعه فى وساوسه سيشعر باليأس ويترکک، ولكن إذا شككتَ فى الصّلاه هل نويت للصّلاه أم لا؟ فإذا لم تهتمّ لذلک وتستمر بصلاتک فإنّ الشيطان سوف يترکک وتخلص من التورط بالشک والوسوسه، وأمّا لو التفت إلى وسوسته وأطعته فيما يقول وقطعت صلاتک فإنّ الشيطان سيعود مرّه أخرى فى صلاتک الثانيه، أو يبقى معک فى هذه الصّلاه ويعمل على بث الشک والتردد فى نفسک، وأحياناً يستغرق المصلّى ساعه كامله لينهى تكبيره واحده، ويقول دائماً إننى لم

أنوی للصّلاه بشکل صحیح، لماذا نصرف عمرنا الغالی فی تحصیل هذه الأمور الظاهریّه ونتلف عمرنا باطاعه الشیطان ونفسح له المجال للتصرف فی نفوسنا وأفکارنا والحال أننا یجب أن نهتمّ للحصول علی الحقائق والمعنویات؟

إذن لا ینبغی لنا فی مسأله النیّه أن نطیع ونتبع هذه الوساوس، وکلّ عمل اختیاری لابدّ وأن یکون مقترناً بالنیّه، ولا یجب أن تکون النیّه بالتلفظ، فبمجرّد أن تقوم للصّلاه فهذا یعنی أنّک نویت للصّلاه والاتیان بها بهذا العمل، وهذا المقدار من النیّه یکفی للصّلاه، ونری فی کلمات الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه التأکید علی هذه النقطه، وهی أنّ الوسواس بالنیّه أعجب وأغرب من جمیع الوساوس، فلو أنّ الإنسان لم یلتفت وأصغی إلی کلام الشیطان فسوف یجرّه إلی عواقب وخیمه، فأنتم ترون أنّ الشخص إذا أراد أن یقوم بعمل اختیاری بدون نیّه فهذا غیر ممکن عقلاً ولو جمع کلّ قواه فی طیله عمره أن یأتی بعمل بدون نیّه لا یستطیع لذلک سبیلاً، ولکن تری شخصاً مریضاً وضعیف العقل ینتظر قبل کلّ صلاه مدّه مدیده لکی یأتی بالنیّه لصلاته، وهذا الشخص مثل ما لو فکّر الإنسان لمدّه فی کیفیّه النیّه عندما یتناول طعام الغذاء أو عندما یتوجّه إلی السوق، وهذا المسکین الذی ینبغی أن تکون صلاته معراج القرب ومفتاح السعاده له ویهتمّ بالتأدّب بالآداب القلبیّه ویطلع علی أسرار هذه اللطیفه الإلهیّه ویعمل علی تکوین ذاته وتأمین حیاته، فهو یغفل عن جمیع هذه الأمور، بل لیس فقط الاهتمام بهذه الأمور، بل أنّه یراها باطله جمیعاً، یعنی أنّه لا یتوجّه أبداً لهذه الأسرار والحقائق ویصرف رأس ماله العظیم فی خدمه الشیطان واطاعه الوسواس الخنّاس ویجعل من عقله، وهو النعمه الإلهیّه ونور الهدایه، محکوماً بحکم إبلیس(۱).

۱- (۱) انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۵۷-۱۵۸.

وهكـذا ترون كيف أنّ الوسواس مذموم وخاصّه الوسواس بالنيّه، لأنّه يحجب الإنسان من أصل العمل والعباده ويبعده عن حقيقه هـذه العباده، فإذا شـعر الإنسان بأدنى الوسواس فى نفسه وذهنه، فيجب عليه أن يفكّر فى التخلص منه حتماً ومهما بـذل من تعب ورياضه نفسـيّه، ولا يتصوّر مثل هـذا الاحتياط فى العمل أنّه من التدين، فالشـخص الذى يقطع صـلاته مرّات عديده بحجّه أنّه لم ينو للصّلاه، فإنّه مطيع للشيطان ولا يتصوّر أنّ ذلك من التدين والتقدس وأنّه سيحظى بثواب أكثر من اللّه.

۱۰۶- الإخلاص وقصد القربه

إحدى النقاط التى تطرح فى مورد النيّه، أنّ المصلّى يجب أن يأتى بصلاته وعمله العبادى بإخلاص وقربه إلى اللّه تعالى، يعنى أنّه يقصد عمله هذا التقرّب إلى اللّه تبارك وتعالى.

وبعباره أخرى أنّه يصلّى بإخلاص كامل للّه تعالى، وطبعاً تعلمون قصد القربه تختلف عن مسأله النيّه فى أصل الصّلاه، فلو أنّه كان ينوى مع نيّه الصّلاه غير قصد التقرّب إلى اللّه فإنّ هذه الصّلاه باطله، وبالنسبه للإخلاص فهنا مسائل بحاجه إلى التأمل فيها والدقّه، ماذا يعنى الإخلاص؟ وماذا يعنى التقرّب إلى اللّه؟ وما هى مراتب الإخلاص للّه تعالى؟ ذكر أولياء اللّه والعرفاء الكبار وعلى رأسهم الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه ثمان مراتب للإخلاص، وبعد أن نعلم بمراتب الإخلاص تأتى النوبه إلى تحقّق هذه المراتب العاليه فى أعمالنا وعباداتنا وبخاصه مرتبه كمال الآخلاص.

إنّ حقيقه الإخلاص عباره عن أداء العمل بعيداً عن أى شائبه وهدف باعث

غیر امتثال أمر اللّه تعالی وبأن یأتی الإنسان بهذا العمل للّه تعالی فقط لا بقصد الریاء والتظاهر أمام الآخرین، وأن یرونه یصلّی صلاته فی أوّل الوقت ولکسب رضاهم والفات نظر المخلوقین، بل لا یکون قصده بدافع العجب والغرور، فلا ینبغی أن یصلّی المؤمن صلاته ویقول لنفسه أننی اصلی أوّل الوقت أو اصلی جماعه ویحدّث نفسه من موقع العجب والرضا عن نفسه، فهذه الأمور تتنافی مع الإخلاص، ومعنی الإخلاص هو أنّ المصلّی لا یفکّر بشیء غیر اللّه تعالی.

یقول القرآن الکریم: «أَلا لِلّهِ الدِّینُ الْخالِصُ...»۱ ، ونستوحی من هذه الآیه الشریفه أنّ الدین الخالص هو ما یکون للّه تعالی، أی الدین الذی لا یکون فیه شائبه غیر اللهی، الدین الذی تکون ماهیّته وخصوصیّاته من البدایه إلی النهایه جمیعاً للّه، الدین الذی لا یوجد فیه شائبه شیطانیّه وغیر إلهیّه، ویستفاد من هذه الآیه الشریفه أنّ اللّه تبارک وتعالی لا یقبل إلّاما کان خالصاً له ویقصد به وجهه فقط، فالدین الخالص والقلب السلیم، هو القلب الخالص: «یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ * إِلاّ مَنْ أَتَی اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ»۲ ، وقد ورد فی بعض الروایات أنّ القلب السلیم یعنی القلب الذی لا یوجد فیه شیء غیر اللّه تعالی، فإذا أردنا أن نصلّی وتکون صلاتنا مقبوله ونافعه لنا فی عالم الدنیا والآخره، فیجب أن تکون مقرونه بالإخلاص ولا توجد فیها أی شائبه غیر اللّه تعالی.

ویستفاد من الآیه الشریفه: «أَلا لِلّهِ الدِّینُ الْخالِصُ...» ، الدین الصحیح هو الدین الخالص، فلو لم یکن الدین خالصاً وکانت فیه أذکار وأهداف غیر إلهیّه فمثل هذا الدنیا لا یتعلّق باللّه تعالی ولا یکون مقبولاً عنده.

۱۰۷- الإخلاص، أن یکون العمل قابلاً للعرض علی اللّه

یستفاد من آیات القرآن الکریم فیما یتّصل بحقیقه الإخلاص أنّ اللّه تبارک وتعالی یقبل الدین الخالص، وأساساً إذا لم یکن العمل خالصاً للّه فإنّه غیر قابل للعرض بین یدی اللّه تبارک وتعالی، لا نقول إنّ اللّه لا یتقبّل هذا العمل، لأنّ مثل هذا العمل أساساً غیر قابل للعرض بمحضر الباری تبارک وتعالی.

والإنسان المصلّی أو أی شخص أدّی عباده معیّنه یجب أن یلتفت أنّه لو لم یکن عمله خالصاً للّه فإن هذا العمل من شأنه أن یتبدل إلی ظلمه وبالتالی لا یمکن عرضه علی الباری تبارک وتعالی الذی هو نور.

یقول القرآن الکریم: إنّ الدین الخالص للّه، یعنی إذا کان الدین یحتوی علی أفکار نفسانیّه وشیطانیّه وغیر إلهیّه فإنّه لا یحقق ارتباطاً مع اللّه تبارک وتعالی، والعمل الخالص یکون هذه الصوره، وبعباره أخری، إذا لم یتمتع الشخص بالإخلاص فی صلاته فلا- یستطیع القول بأنّنی صلّیت، لأنّ عمله لا یتّصف بعنوان الصّ_ٍلاه لیمکن عرضه علی اللّه تبارک وتعالی، یقول القرآن الکریم فی الآیه ۵ من

سوره البیّنه: «وَ ما أَمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» ، فقد أراد اللّه تبارک وتعالی من الیهود والنصاری أن یترکوا الشرک ویعبدوا اللّه فقط، فلا موجود آخر یستحق العباده سوی اللّه تعالی، ولذلک یجب أن تنطلق العباده من موقع الإخلاص، وهذا الأمر لا یختصّ بأهل الکتاب، فإنّ اللّه تبارک وتعالی طلب من جمیع البشر عبادته بإخلاص.

ونقرأ فی سوره الشوری الآیه ٢٠ قوله تعالی: «... وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ...».

وجاء فی الحدیث الشریف عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «لِكُلِّ امرءٍ مَا نَوى»(١).

«وَمَنْ كَانَ هِجرَتُهُ إِلى اللّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجرَتُهُ إِلى اللّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَ هِجرَتُهُ إِلى الدُّنيا يُصِيبها أَو امْرَأَهٍ يُنكِحُها فَهِجرَتُهُ إِلى مَا هاجَرَ إِليهِ»، کالمجاهد الذی یبتغی من جهاده الدنیا والسلطه وتحقیق المیول النفسانیّه، فمثل هذا الشخص لا یکون عمله وجهاده مقبولاً عند اللّه.

وهذا الحدیث الشریف یتضمّن معانی واضحه جدّاً، فالصّلاه تعتبر أحد مصادیق الهجره إلی اللّه وإلی رسوله، فالصّلاه هی حرکه نحو اللّه وورودها إلی محضر القدس الإلهی، فهل نحن واقعاً نفهم هذا المعنی حین صلاتنا أو قبل الصّلاه؟ وأننا نرید بهذا العمل الهجره إلی اللّه تعالی؟ هل نستطیع أن نقول لأنفسنا بعد الصّلاه نحن هاجرنا إلی للّه؟ هل کنّا نعیش حاله الإخلاص فی صلاتنا؟ ومعنی الإخلاص هو أنّ عملنا یمثّل هجره وحرکه نحو اللّه تعالی، أمّا لو کان عملنا بدوافع غیر إلهیّه فإنّه خارج عن دائره الإخلاص، فلو أنّ الإنسان تأمّل فی هذا الحدیث الشریف فسوف یستوحی منه نقاط أخری، والصّلاه هی أحد المصادیق العلمیّه للهجره الواقعیّه، تلک الهجره التی یقبلها اللّه تعالی ویبارکها،

ص:٣۴۴

١- (١) مستدرک الوسائل، أبواب مقدّمه عبادات، الباب ۵، ح ۵.

وقد ورد فی بعض الآیات القرآنیّه الإشاره إلی هذه المسأله مثل: «وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ یُدْرِکْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَی اللّهِ...»۱ ، فالصّلاه عباره عن هجره وحرکه نحو اللّه، ومن لم تکن حرکته نحو اللّه فلا تسمی هجره، ولا توجد فیها حقیقه الهجره، والإخلاص فی الصّلاه هو أن نکون مهاجرین إلی اللّه ونعیش أجواء الهجره إلی اللّه فی صلاتنا إن شاء اللّه.

ص:۳۴۵

۱۰۸- الإخلاص، مصداق الهجره نحو الحقّ

يقول تعالى فى الآيه الشريفه: «وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ...»۱ ، فلو أنّه مات فى هذا الطريق فإنّه سيحصل على أجره وثوابه من اللّه (كنايه عن كثره هذا الأجر والثواب) والمقصود هنا ليس الهجره الظاهريّه فقط التى ينتقل بها الإنسان من مكان إلى آخر ببدنه، فلو أنّ شخصاً ترك محلّ سكانه أو محلّ عمله بسبب وجود حالات الفسق والفجور، فتركه للسكنى فى محلّ آخر يعيش فيه أهل الإيمان والعباده، فهذه هجره ظاهريّه، أمّا الهجره بالمعنى الدقيق لها أوالهجره الباطنيّه «وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ...» ، فالمقصود من هذا البيت ليس هو بيت سكناه ومحلّته المكانيّه الظاهريّه، بل المقصود من هذا البيت هو بيت النفس، فالشخص الذى يترك أهواءه النفسانيّه وتمنياته الشيطانيّه ونوازعه الذاتيّه ويهاجر إلى اللّه ورسوله بأن يترك تلك الآمال والأهواء النفسانيّه يتحرّك فى خطّ الطاعه وامتثال ما يريده اللّه منه، فهنا تكون

حركته نحو البارى تعالى ويكون سفره هذا سفراً باطنيّاً، فالهجره بالمعنى الأوّل هى السفر الظاهرى، ولكن طبقاً لهذا المعنى الثانى فهى هجره معنويّه ومبدأ هذا السفر والهجره هو بيت القلب والنفس وترك الميول النفسانيّه والآمال والأهواء والأنانيّه وتكون غايته وهدفه الوصول إلى حضره الحقّ تبارك وتعالى.

إذا هاجر الإنسان من بيت نفسه وترك نفسه جانباً، وعلى حدّ التعبير الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه وحشره مع أجداه الطاهرين فى كتابه «آداب الصّلاه»(۱) ، إنّ الإنسان فى هذه الهجره الباطنيّه يترك «إِنِيَّتَهُ ومنيّته» وأساساً لا يعرف شيئاً يدعى بالأنا والنفس، حتّى فيما يتّصل بحركته المعنويّه إلى اللّه تعالى، لا يقول إننى قريب الوصول إلى مقامات معنويّه، فهذه الأنانيّه لا ينبغى أن تكون فى مسيره الإنسان السالک فى خطّ المعنويّه، والشخص الذى يريد أن يكون ذائباً فى اللّه تبارک وتعالى فلا ينبغى أن تكون فيه حاله الأنا ولا يعتبر لها قيمه، لأنّ هذه الأنا هى التى تجعل الإنسان فى قفص الميول والأهواء النفسانيّه، وهذه الأنانيّه تتسبّب فى أنّ هذا الشخص سوف يغادر نفسه فى هذا السفر ليعود إلى نفسه مرّه أخرى لا إلى اللّه تعالى، وكأنّه ينتقل فى حركته من زاويه إلى زاويه أخرى فى بيت نفسه ويسافر فى باطن نفسه من جهه إلى أخرى، فهذا الشخص ليس مسافراً إلى اللّه، فمعنى المسافر إلى اللّه والإخلاص فى هذا السفر للّه تعالى هو أن يترک الإنسان جميع أموره الدنيويّه وهذه الجهات النفسانيّه.

وعلى هذا الأساس فالإخلاص إنّما يتحقّق فيما لو كانت الهجره إلى اللّه واقعاً، وأن يقوم الشخص بعمل يقصد به وجه اللّه بعيداً عن أى شائبه من شوائب الأنانيّه والدوافع غير الإلهيّه.

۱- (۱) . انظر، آداب الصّلاه، ص ۱۶۲،

۱۰۹- الإخلاص، مانع من تسلط الشيطان

«قالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ * إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ» (۱)

یجب علی المصلّی الإخلاص فی نیّته وأن یصلّی للّه فقط، وهذا الإخلاص من شأنه أن یقطع ید الشیطان عنه ولا یطمع فیه وفی عبادته، ولو أحاطت بالمصلّی الوساوس الشیطانیّه والأفکار غیر الإلهیّه، والتصوّرات المادیّه والدنیویّه فی صلاته، فهذا یعنی أنّه یفتقد إلی الإخلاص فی نیّته، ومن أجل تحصیل حاله الإخلاص واقعاً وبالتالی نقطع طمع الشیطان فینا، لأنّه أقسم أن یغوی جمیع الناس: «قالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ» ، والعزّه مظهر قدره اللّه تعالی، وهذا القسم لغرض إظهار قدره الشیطان نفسه بحیث یحلف بعزّه اللّه تعالی، ممّا یوحی للناس بأنّنی أستطیع أن أغوی جمیع عبادک إلّاالمخلصین منهم.

وقد وردت عدّه تأکیدات فی هذه الآیه الشریفه لغرض إیقاظ الإنسان إلی هذه الحقیقه، فالقسم، والفعل المضارع المقترن باللام، ونون التأکید، وکلمه

۱- (۱) سوره ص، الآیه ۸۲ و ۸۳.

أجمعين، كلها تدلّ على التأكيد، يعنى أنّ الشيطان لا يتركنا لحظه واحده فى سبيل العمل على إضلالنا ويسعى دوماً فى الوسوسه للإنسان ليل نهار، وفى أيّام الشباب والشيخوخه وفى جميع الحالات، فالإضلال هو عمل الشيطان، ولكن نفس هذا الشيطان ذكر استثناء لقسمه وعمله «إِلاّـ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِ ينَ» ، أى أننى أستطيع إغواء جميع الناس إلّافئه واحده منهم فإنّنى لا أستطيع إغوائهم ولاـ أتمكن من اصطيادهم فى شباكى وهم عبادك المخلصون، فلو أنّ الإنسان فى هذه الصلوات اليوميّه حقق حاله الإخلاـص واقعاً فى نفسه وصار من عباد اللّه المخلِصين والمخلَصين فإنّ الشيطان سيبتعد عنه وييأس من إغوائه ولا يستطيع إضلاله.

إنّ الإخلاص فى الصّلاه إلى هذه الدرجه من الأهميّه والتأثير ويجب علينا أن نستمد العون من اللّه تعالى ليهبنا الإخلاص فى النيّه لتكون أعمال وعبادتنا بقصد القربّه الكامله.

ص:۳۴۹

۱۱۰- آثار الإخلاص

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «مَا أَخْلَصَ عَبْدُ للّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَربَعِينَ صَباحاً إِلّا جَرَتْ يَنابِيعُ الحِكْمَهِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسانِهِ»(۱)

النقطه المهمّه، والتى وردت التأكيد عليها كثيراً فى الروايات، أنّ الصّلاه وجميع العبادات يجب أن تقترن بالإخلاص، وأوّل أثر لهذا الإخلاص إيجاد القابليّه فى العمل ليكون جديراً بالعرض على البارى تعالى، والعمل بدون إخلاص لا يساوى شيئاً ولا قيمه له وكالعدم، وبالتالى ليست له القابليّه والجداره على تقديمه فى محضر اللّه تعالى.

والأثر الثانى للإخلاص، أنّ الشيطان سوف ييأس من إغواء هذا الإنسان ويتركه ويبتعد عنه.

والأثر الثالث، إذا التفت إليه المصلّى واقعاً وطبقه فى كلّ عباده، أنّ الإخلاص ليس فقط يؤثر فى ذلك العمل نفسه، فليس الإخلاص أن يجعل من هذا العمل

۱- (۱) بحار الأنوار، طبعه بيروت، ج ۶۷، ص ۲۴۲.

قابلاً للعرض على اللّه تبارک وتعالی وینتهی کلّ شیء، کلّا... إنّ هذا الإخلاص یؤدّی إلی أن تظهر آثار هذا العمل علی نفس المصلّی وسلوکیاته وأعماله الأخری، فمضافاً إلی آثار الإخلاص علی هذه الصّلاه، فإنّه یؤدّی إلی تأثیرات إیجابیّه أخری فی حیاه المؤمن، فمن هذه الجهه من الضروری أن یعلم المصلّی ماذا یترتّب علی قصد القربه والإخلاص من آثار وبرکات.

وأحد هذه الآثار والبرکات ما ورد فی الروایه المعروفه: «مَنْ أَخلصَ للّهِ أَربَعِینَ صَباحاً جَرَتْ یَنابِیعُ الحِکْمَهِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَی لِسانِهِ»(۱)، فلو أنّ الإنسان سلک فی أعماله وحرکاته وسکناته من موقع الإخلاص للّه لمدّه أربعین یوماً، یعنی أن یکون طیله هذه المدّه مخلصاً للّه تعالی فی نومه ویقظته وفی سماعه وفی کلامه وفی عمله وکتابته، وفی عباداته وفی نظراته وکلّ عمل یصدر منه یکون للّه تعالی حتّی الإشاره التی تصدر منه أو المعامله التی یعقدها مع الآخرین، وکذلک عندما یتکلّم مع أبنائه وعندما یتناول طعامه، کلّ ذلک یکون للّه تعالی، فحسب هذه الروایه الشریفه فإنّ ینابع الحکمه ستنفجر من قلبه وتجری الحکمه علی لسانه.

وهذه الروایه تتضمّن مسائل مهمّه جدّاً ونقاط عمیقه جدّاً، وتلاحظون ما هی ینابع الحکمه وکیف تنطلق من قلب الإنسان وتجری علی لسانه؟ وهذه المسأله تستدعی بحثاً مستقلاً ومنفصلاً عن بحث أسرار الصّلاه.

ولکن النقطه التی نستوحیها من هذا الحدیث الشریف أنّ المصلّی یجب أن یعلم أنّه لو حقّق الإخلاص فی صلاته فسوف تترتّب علیه آثار وثمرات کثیره فی حیاته، فلیس فقط أنّ الإخلاص یتسبّب فی قبول صلاته من قِبل الباری تبارک وتعالی ثمّ لا أثر آخر له، فبعد أن یتحقّق الإخلاص فی عمل المؤمن تبدأ البرکات والثمرات فی الظهور، وأحد هذه البرکات والثمرات إیجاد النورانیّه فی

۱- (۱) . مصباح الشریعه، ص ۳۵۵.

وجود الإنسان، وعاده يشعر المصلّى بعد الانتهاء من صلاته بحاله نورانيّه فى نفسه ويجب عليه حفظ هذه الحاله وعدم التفريط بها.

إلى هنا تحدّثنا بشكل مختصر عن المسائل التى تتعلّق بحقيقه الإخلاص وآثاره، وأمّا ما يتعلّق بمراتب الإخلاص، فالإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه يذكر فى كتابه الشريف «آداب الصّلاه» سبع مراتب للإخلاص فى الصّلاه ويجب علينا الإشاره إلى جميع هذه المراتب، بدايه يجب أن نعلم ما هى مراتب الإخلاص؟ وبعد ذلك نتحرّك على صعيد العمل والتطبيق، فالالتفات إلى هذه المراتب فى الصّلاه يجلب اللذه والبهجه للمصلّى ويساعده فى الوصول إلى مراتب أعلى وبالتالى الحصول على عنايات وبركات إلهيّه أكثر.

ص:۳۵۲

۱۱۱- مراتب الإخلاص

۱. تصفيه العمل من رضا المخلوقين

۲. عدم جعل العمل وسيله للأغراض الدنيويّه

أوّل مرتبه للإخلاص: عندما نريد الاتيان بعمل فى سبيل اللّه يجب أن نعلم أنّ المهمّ بالنسبه لنا فى هذا العمل هو طلب رضا اللّه تبارك وتعالى، ولا ينبغى أن يصدر منّا هذا العمل من أجل فرح الآخرين وكسب رضا المخلوقين، والفات نظرهم إلى عملنا، وهذا الشيء وللأسف نتورط فيه أحياناً، ففى بعض الأوقات عندما يصلّى الإنسان بحضور الآخرين فإنّه يصلّى بشكل آخر، وتكون قراءته فى الصّلاه بنحو آخر، فلو رأينا أنّ صلاتنا عندما نكون لوحدنا فى المنزل تختلف عن صلاتنا عندما نكون فى مجلس ومع الآخرين، فهذا يعنى أننا لا نملك الإخلاص فى صلاتنا، وهذا معنى الرياء المبطل للصّلاه وللعمل العبادى، فلو أنّ الإنسان قام بعمل عبادى لكسب نظر الآخرين، مثلاً يصلّى ليقال عنه أنّه مسلم أو متدين أو يصلّى لكى يقوى علاقته وإرتباطه معهم ويحقّق لنفسه الاحترام منهم،

ص:۳۵۳

فهذا لا ينسجم مع الإخلاص.

فأوّل مرتبه الإخلاص، أن يحرز الإنسان من تلويث عمله بالرغبه فى كسب رضا الآخرين، وعليه أن يطهّر عمله من ذلك ولا يهتمّ بهم وبوجودهم، فسواءً رضى الآخرون من عمله أو لم يرضوا، وسواءً استاءوا منه أو مدحوه، وسواءً التفتوا إليه أم لم يتلفتوا، فالمؤمن يجب عليه أن يأتى بصلاته على كافه الحالات، وأحياناً يكون الإنسان فى مجلس وقد دخل وقت الصّلاه ومضى عليه مدّه ولم يصلّ، فيقول فى نفسه، إذا قمت من مكانى وصلّيت أمام هؤلاء الأشخاص فسوف أخسر سمعتى ويقلّ شأنى، فنفس هذا التصوّر والتصوير يعدّ مشكله لدى المؤمن، فعندما يكون المعيار للإنسان هو كسب رضا اللّه تعالى فلا ينبغى أن يلتفت ويهتمّ لهذه الأمور، ولا يبالى ماذا يقول عنه هؤلاء الناس، بل يجب أن يتوجّه بقلبه وفكره إلى اللّه تعالى، وهذه أوّل مرتبه من مراتب الإخلاص.

المرتبه الثانيه للإخلاص، إنّ الإنسان فى صلاته أو سائر أموره العباديّه لا يجعلها وسيله لتحصيل رغباته وحاجاته الدنيويّه، مثلًا إذا صلّى الشخص بهدف أن يرزقه اللّه تعالى أو يقول إننى اصلّى صلاه أوّل الشهر ليبقى بدنى سالماً طيله هذا الشهر فهذا العمل وهذه النيّه لا تتناسب مع الإخلاص، صحيح أنّ العبادات لها لكلّ واحده منها آثار خاصّه، فصلاه الليل تؤثر فى زياده الرزق وفى العزّه والنورانيّه فى الظاهر والباطن، ولكن إذا صلّى المرء صلاه الليل من أجل أن يكون وجهه نورانيّاً أو يزيده اللّه من الرزق، فإنّ مثل هذه الصّلاه لا تكون مقترنه بالإخلاص، وبعض الفقهاء ذهبوا إلى أنّ مثل هذه النيّه مخله فى صحّه العمل، فلو قال شخص إننى اصلّى لغرض أن يزيد اللّه فى رزقى أو أصوم ليكون بدنى سالماً فهذا مخلّ بصحه العمل، ومثل هذا العمل لدى أهل المعرفه هو عباره عن معامله وتجاره، لأنّ هذا المصلّى لم يقصد القربه إلى اللّه فى صلاته بل قصد سعه الرزق،

أو صـام لحفـظ سـلامته البـدنيّه، فهـذا النوع من التجـاره وليس العمـل بـدافع القربه إلى اللّه، وهـذه هى المرتبه الثانيه من مراتب الإخلاـص، إذن المرتبه الأُولى لابـدّ للإنسان من تصـفيه وتنقيه عمله من كسب رضا المخلوقين، وفى المرتبه الثانيه، أن لا يجعل عمله طريقاً ووسيله للحصول على غايات دنيويّه ومقاصد غير إلهيّه، فكلّ ذلك مخلّ بالإخلاص.

۱۱۲- مراتب الإخلاص المرتبه الثالثه: أن لا يقصد الأجر والثواب

المرتبه الثالثه للإخلاص: أن لا يقصد من عبادته وصلاته الحصول على الجنّه وما جعل اللّه للمؤمنين فيها من الحور والقصور والبساتين والأنهار والأشجار، ولا يهدف من صلاته أن يرزقه اللّه لكلّ صلاه قصراً فی الجنّه أو يحصل على بساتين تجری من تحتها الأنهار، وبعباره أخری أن لا تكون صلاته للوصل إلى المنافع الظاهريّه ولو فی عالم القيامه، ولا فرق بين أن يقصد الإنسان بصلاته أغراضاً وغايات ماديّه فی هذه الدنيا أو فی تلك الحياه الآخره، ومن هذه الجهه فإنّ كلا القصدين والغايتين عباره عن كسب وتجاره، وهذه هی عباده التجّاره.

وجاء فی روايه عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «فَلَکَ الحَمْدُ عَلَى ابتِدائِکَ بِالنِّعَمِ الجِسامِ، وَإِلهَامِکَ الشُّكْرَ عَلَى الإحسَانِ والإنعَامِ»(۱)، فی هذه المرتبه من الإخلاص لا ينظر المصلّی إلى الأجر والثواب المادّی والظاهری كالحور

ص:۳۵۶

۱- (۱) . الصحيفه السجاديّه، ص ۱۵۲ (الدعاء ۳۲).

والقصور والثمـار والأشـجار وأنهـار الجنّه وما إلى ذلک، فمثل هـذا التوجّه إلى النعم الماديّه ناشـیء من قلّه معرفه المصـلّی باللّه تبارک وتعالی.

یجب على الإنسان فی حال الصّلاه التوجّه إلى هذه الحقیقه، وهی أنّ صلاته وحضوره بین یدی اللّه هو توفیق إلهی وعنایه ربّانیّه من اللّه تعالى له، وبهذا المعنی لا یعتقد هذا المصـلّی أنّه یسـتحق الأجر والثواب على هذه الصّـلاه، والویل للشخص الذی یتصوّر بعد صلاته أنّه یستحق الأجر والثواب علیها ویطلب من اللّه أجره وثوابه.

ونقرأ فی الباب ۷۶ من کتاب «مصـباح الشـریعه» فی بحث الإخلاص أنّ الإمام علیه السلام یقول: «أَدْنَى حَدِّ الإِخلَاصِ بَذْلُ العَبْدِ طَـاقَتَهُ، ثُمّ لایَجعَلُ لِعَمَلِهِ عِنْـدَ اللّهِ قَـدْراً فَیُوجِبَ بِهِ عَلَى رَبِّهِ مُکَافَأَه بِعَمَلِهِ»(۱)، فلو تصوّر أحـدهم أنّه یسـتحق الأجر والثواب على صلاته فیجب على اللّه أن یعطیه الأجر والثواب، فهذا یعنی أن یرى لعمله قیمه واعتباراً، فی حین أنّ الإنسان المخلص یقول: إننی لم أفعل شیئاً یستحق الأجر والثواب وکلّما لدی فهو توفیق من اللّه ورعایته ولطفه وإحسانه.

ولو أنّک سعیت لخدمه شخص تحبّه لیل نهار فإنّک مع ذلک تقول لم أفعل شیئاً لک، فکیف بالنسبه إلى اللّه تعالى الذی وهب الإنسان بکلّ هذه النعم رعاه، فلو صـلّى المرء رکعتین فکیف یتوقّع مع ذلک أنّه یسـتحق الأجر والثواب على هذا العمل البسـیط، وأساساً لا ینبغی أن یری لنفسه ولعمله قدراً وقیمه أمام اللّه تعالى:

«لا یَجعَلُ لِعَمَلِهِ عِنْدَ اللّهِ قَدْراً...».

إذا أراد المصـلّون الأعزاء والمتهجـدون والعابدون معرفه میزان ومقدار عباداتهم عند اللّه فعلیهم أن یعتقدوا أنّهم لم یقدّموا شـیئاً یستحق الثواب عند اللّه فی جمیع أعمالهم وعباداتهم.

ص:۳۵۷

۱- (۱) . مصباح الشریعه، ص ۳۳۷.

وعلى هـذا الأسـاس المرتبه الثالثه للإخلاص، أن لا يسـعى الإنسان وراء نيل الأجر والثواب والجنّه الجسـمانيّه والفواكه والبساتين والقصور فى الجنّه، فيأيّهـا المصـلّى أليس من الحيف أن تطلب بصـلاتك الوصول إلى الثمـار المـاديّه والظاهريّه فى الآخره؟ إنّ قيمه صـلاتك أعلى وأسـمى كـثيراً من ذلـك، والإخلاص من شـأنه أن يقود الإنسـان فى طريق الكمـال المعنوى والإلـهى إلى مقامات ودرجات عاليه فى الجنّه.

۱۱۳– المراتب العاليه للإخلاص

أشرنا لحدّ الآن إلى ثلاث مراتب من مراتب الإخلاص، وبعض هذه المراتب لو لم تتحقّق فى واقع الإنسان المصلّى فصلاته باطله، أمّا بالنسبه للبعض الآخر من المراتب، فإنّها لو لم تتحقّق فإنّ درجه وقيمه الصّلاه تتنزل وتقلّ قيمتها، وعلى سبيل المثال إذا كان قصد المصلّى من صلاته الرياء والتظاهر فإنّ صلاته باطله، ولو أنّه قصد التوصّل إلى الحاجات الدنيويّه فبعض الفقهاء ذهبوا إلى أنّ هذه الصّلاه باطله، والمرتبه الثالثه، أنّ لا يقصد المصلّى من صلاته طلب الأجر والثواب من اللّه تبارک وتعالى، وطبعاً فالشخص الذى يقصد الحصول على الأجر والثواب فلا تبطل صلاته، ولكن بما أنّها تفتقد هذه المرتبه من الإخلاص فإنّ قيمتها ستكون هابطه.

المرتبه الرابعه، تصفيه العمل من الطمع بالجنّه والخوف من النار، بمعنى أنّ الإنسان يقوم بتصفيه عمله من الخوف من النار والطمع بالجنّه، فبعض الناس يصلّون خوفاً من النار ولئلا يكون مصيره إلى جهنّم، وطبعاً فإنّ هذا الخوف لا

يضرّ بصحّه الصّلاه ولكنه مخلّ بالإخلاص، فالمصلّى لا ينبغى أن يصلّى ويعبد اللّه بهذا الدافع النفسانى وبسبب الخوف من عذاب النار، وأحياناً يقوم بعض الأباء والاُمّهات ولغرض تشويق أبنائهم للصّلاه القول لهم: إذا لم تصلّ فسوف يكون مصيرك النار يوم القيامه، وقد ورد فى القرآن الكريم فيما يخاطب به أهل النار يوم القيامه: «ما سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ»١ ، ورغم أنّ كلّ شخص ترك الصّلاه فهو من أهل النار قطعاً، ولكن لا ينبغى أن نعلّم الشخص الذى يريد أن يصلّى لتوه أن يصلّى فراراً من العقاب والخلاص من نار جهنّم، الصّلاه التى تقوم على أساس الخوف ليست بصلاه تقود الإنسان فى معراج الكمال المعنوى الإلهى، والصّلاه التى يصلّيها الإنسان طيله عمره على أساس الخوف من جهنّم ربّما تؤثر هذا الأثر وهو أن تنقذ هذا الشخص من الجهنّم الظاهريّه ولكنها لا تصعد بروحه إلى عالم الملكوت والمراتب العليا من الكمال المعنوى.

المرتبه الخامسه، تصفيه العمل من التوصّل إلى السعاده العقليّه واللذات الروحانيّه الدائميّه والأزليّه، وهذا هو ما أشار إليه الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه فى كلماته، ويستفاد جيداً من الآيات والروايات أنّ فى الآخره مرتبه أعلى من مرتبه الجنّه الظاهريّه الماديّه، وهى جنّه الملذات العقلانيّه والروحانيّه، وهذه اللذه أعلى من اللذات الظاهريّه والماديّه، يقول الإمام الخمينى قدس سره: بالرغم أنّ هذا المقام هو مقام سامى جدّاً والوصول إليه يجعل الإنسان فى زمره الكروبين، ولكنّ الإنسان المخلص لا يؤدّى صلاته وأعماله العباديّه حتى يجعل فى زمره هذه الفئه من أهل السعاده، لأنّ العارف والسالكين إلى اللّه يرون أنّ مثل هذا القصد وهذه النيّه تعدّ نقصاً فى العباده وبمثابه المعامله والتجاره، لأنّه يصلّى

لغرض الوصول إلى تلك المقامات العاليه ويكون من زمره الكروبين.

المرتبه السادسه، تصفيّه العمل من خوف عدم الوصول إلى اللذات العقليّه، وهذه المرتبه لها علاقه وثيقه بالمرتبه الخامسه، فهو يصلّى لأنّه إذا لم يصلّ فإنّه يخشى أنّ اللّه تعالى لا يمنحه تلك اللذات العقليّه فى القيامه، وهذا هو نوع من العذاب.

المرتبه لسابعه، تصفيّه العمل من الوصول إلى لذات الجمال الإلهى، وهنا أيضاً نرى أنّ الإمام الراحل رضوان اللّه تعالى عليه بيّن هذه المرتبه بعبارات شيّقه وجذّابه، فبالنسبه لتصفيه العمل من الوصول إلى لذات الجمال الإلهى والوصول إلى بهجه أنوار السبوحات غير المتناهيه، يقول: هذه هى جنّه للقاء كما يستفاد من الآيات والروايات الشريفه وتعتبر غايه آمال العارفين وأرباب القلوب وأنّ يد البشر نوعاً لا تنال هذا المقام إلّاعدد قليل جدّاً من أهل المعرفه يمكنهم الوصول إليه، وهذا هو ما نقرأه فى دعاء شهر شعبان: «إِلَهِى هَبْ لِى كَمَالَ الإِنْقِطَاعِ إِلَيکَ»، فهذا الانقطاع الكامل ليس انقطاع عن الحور والقصور والأشجار والأنهار والثمار فى الجنّه، فلا يمكن تفسير كمال الانقطاع بهذه الأمور الظاهريّه، وطبعاً أنّ فهم هذه المرتبه مشكل جدّاً جدّاً لأمثالنا، ولكن يمكننا أن نفهم إجمالاً أنّه لا ينبغى أن يكون هدفنا من الصّلاه هو الوصول والحصول على الأمور الماديّه، بل يجب الابتعاد عن ماديّات الدنيا والآخره ونرتفع بنفوسنا إلى مستويات أعلى من طلب الماديّات والملذات البدنيّه، ولو بمقدار قيمتنا الوجوديّه وقيمه عباداتنا أكثر ولا نفقد رأسمال عمرنا فى العباده لهذه الأغراض النازله بدون فهم ودرك صحيح لأنّ ذلك يستتبع خساره كبيره للإنسان، لأنّ المؤمن ومن خلال هذه العبادات يستطيع الوصول إلى كثير من المقامات العاليه.

ص:٣٦١

۱۱۴- طريق الخلاص من العجب والغرورأن يعتقد الإنسان بأنّه مقصّر دائماً فى مقابل اللّه

إحدى النقاط التى ينبغى أن يلتفت إليها المصلّى فى مسأله الإخلاص، هى: أن لا يشعر بالسرور والبهجه فى داخله ونفسه لأعماله الصالحه وعباداته الكثيره، وطبعاً فالإنسان أحياناً يشكر اللّه تعالى على أنّه مضى من عمره خمسين سنه ولم تفته صلاه واحده أو أنّه صلّى صلاه الليل مدّه خمسين سنه فلا مانع من الإحساس بالنعمه والشكر، ولكن إذا شعر فى نفسه بالسرور والفرح من عباداته وقال إننى أنا الذى صلّيت كلّ هذه الصّلاه والعباده فأين الآخرون من أعمالى وعباداتى، وهذا التصوّر من شأنه أن يوجّه ضربه قاصمه للإخلاص، فماذا ينبغى أن يصنع المرء فى مثل هذه الحاله حتّى لا يشعر بهذا الشعور؟ يقول الإمام موسى الكاظم عليه السلام فى توصيته بهذا الشأن وكذلك ورد فى كلمات الأئمّه الآخرين عليهم السلام، وذلك أنّ هذا الشخص يجب أن يرى نفسه مقصّراً دائماً فى مقابل البارى تعالى، فلو أنّ المرء اعتقد بالتقصير وقال إنّ أعمالى وعباداتى لا تعتبر شيئاً وأننى إنسان مقصّر مهما أتيت من عباده وعمل صالح ولا يختلف حاله بين عمل يوم واحد

ص:۳۶۲

وعمل مائه يوم ومائه سنه من العباده، وأمّا الشخص الذى لا يرى نفسه مقصّراً ويقول إننى صلّيت وعبده تاللّه كثيراً وهو يرى أنّه يمتاز على الآخرين، فهذه الحاله هى التى تخدش حاله الإخلاص وتنقضه.

وجاء فى كتاب «الأصول لكافى» فى باب الاعتراف والتقصير روايه عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يقول لأحد أبنائه: «يا بُنَىَّ عَلَيكَ بِالجِدِّ وَلا تُخرِجَنَّ نَفْسَكَ مَنَ التَّقصِيرِ فِى عِبَادَةِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَاعَتِهِ فإِنَّ اللّهَ لايُعْبَدُ حَقَّ عِبادَتِهِ»، فلو أنّ هذه الحاله من رؤيه النفس والعمل الكثير تضرّ بالعباده والإخلاص ويجب على المؤمن تطهير نفسه وروحه منها، فهذا العمر قد يمتد إلى خمسين أو ستين سنه، فهذا المقدار لا يعتبر شيئاً أمام الزمان الأزلى مثل عمر الملائكه الذين يعبدون اللّه من الأزل إلى أبد الآبدين ولا يقولون إننا عبدنا اللّه حقّ عبادته.

لو جمعت عبادات جميع الأنبياء فمع ذلك لا يمكن أن تؤدّى للّه حقّه فى الطاعه والعبوديّه، فيجب على المصلّى أن يلتفت إلى هذه الحقيقه، وأنّ جميع الملائكه منذ الأزل وإلى الأبد يعبدون اللّه تعالى ومع ذلك لا يمكنهم الادعاء أنّهم أدّوا حقّ عباده اللّه، فما قدر عباداتنا فى مقابل عباده الملائكه وعندما ندرك هذه الحقيقه وننتهى من صلاتنا فنشعر واقعاً بالخجل والحياء من اللّه ونقول إلهنا! نحن لا نستطيع وليس لنا القدره على عبادتك بصوره صحيحه، فلو أننا عبدناك ليل نهار فمع ذلك نعترف ونقرّ بقصورنا وتقصيرنا وأننا لا نستطيع أن نعبدك حقّ عبادتك، ولو أنّ الإنسان شعر بهذه الحاله من التقصير والقصور فى العباده فسوف لا يحسب مدّه عبادته وكميّتها وعدد السنوات والليالى التى عبد اللّه فيها والنوافل اليوميّه التى أداها، وأساساً لا يسمح لنفسه أن يفكّر ويحسب عباداته، وهذه إحدى المراتب المهمّه للإخلاص، بحيث إنّ الإنسان فى هذه المرتبه لا يفرح من كثره عمله رغم أنّه يجب عليه شكر اللّه تعالى على ما أنعم عليه بهذه النعم والمواهب الجزيله.

ص:۳۶۳

الفصل السادس: أسرار القراءه وآدابها

اشاره

ص:۳۶۵

۱۱۵- فضیله قراءه القرآن فی الصّلاه وغیر الصّلاه

یقول رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «مَنْ قَرَأَ خَمْسِینَ آیَهً فِی یَومِهِ وَلَیلتهِ لَمْ یُکْتَبْ مِنَ الغافَلِینَ».

من جمله البحوث المهمّه فی موضوع أسرار الصّلاه، مسأله القراءه، وهو أن یقرأ المصلّی فی الرکعه الاُولی والثانیّه من صلاته سوره فاتحه الکتاب وبعدها یقرأ إحدی سور القرآن، فما هی الأسرار الکامنه فی قراءه القرآن هذه؟ وکما سائر الأجزاء والأذکار وأفعال الصّلاه تتضمّن أسراراً وحقائق فإنّ هذه القراءه للقرآن فی الصّلاه لها أسرار أیضاً، والنقطه التی ینبغی الفات النظر إلیها وجود فضل کبیر علی نفس قراءه القرآن کما ورد فی النصوص الدینیّه والروایات الشریفه.

إنّ مسأله قراءه القرآن مسأله مهمّه جدّاً، ولیست أهمیّتها الثواب المترتب علی قراءه القرآن فقط، بل للآثار والبرکات المهمّه جدّاً فی الدنیا والآخره المرتبه علی قراءه القرآن الکریم، ومن هذه الجهه ینبغی الإشاره إلی آداب قراءه القرآن، ففی روایه عن أنس بن مالک عن النّبی الأکرم صلی الله علیه و آله قال: «سمعت رسول

الله صلی الله علیه و آله یقول: من قرأ خمسین آیه فی یومه و لیله لم یکتب من الغافلین»(۱) ،

وبعباره أخری، إنّ قرائه القرآن الکریم تجعل الإنسان من الذاکرین، ومعلوم أنّ الغفله منشأ الکثیر من الذنوب والتلوّث بالخطایا والخوض فی الظلمات، ومع قراءه القرآن یخرج الإنسان من زمره الغافلین.

ونقرأ فی روایه أخری عن الإمام الحسین بن علی علیهما السلام یقول: «مَنْ قَرَأ آیَهً مِنْ کِتَابِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِی صَلاتِهِ قَائِمَاً یُکْتَبُ لَهُ بِکُلِّ حَرْفٍ مائهَ حَسنَهً»(۲).

وجاء فی روایه أخری عن الإمام الباقر علیه السلام ما یقرب من هذا المضمون یقول:

«مَنْ قَرأَ القُرآنَ قَائِماً کَتَبَ اللّهُ لَهُ بِکلِّ حرفٍ مائهَ حَسنه، وَمَنْ قَرَأَهُ فِی صَلاتِهِ جَالِساً کَتَبَ اللّهُ لَهُ بِکُلِّ حرفٍ خَمسِینَ حَسنهً وَمَنْ قَرَأه فِی غَیرِ صَلاتِهِ کَتَبَ اللّهُ لَهُ بِکُلِّ حرفٍ عشرِ حَسناتٍ» (۳).

وفی سیاق الروایه المذکوره عن الإمام الحسین علیه السلام یقول فیها: «وإِنْ استَمَع القُرآنَ کُتِبَ لَهُ بکلّ حَرف حَسنه، وإِنْ خَتَمَ القُرآنَ لَیلًا صَلَّتْ عَلَیهِ المَلائِکَهُ حَتّی یُصبِحَ، وَإِنْ خَتَمَهُ نَهاراً صَلَّتْ عَلَیهِ الحَفَظَهُ حَتّی یُمسِی وَکَانَتْ لَهُ دَعوَهٌ مُجَابَه...»(۴).

إلی هنا تبیّن إجمالاً ما هی فضیله وبرکه قراءه القرآن وتبیّن الفرق بین الشخص الذی یقرأ القرآن فی صلاته وبین الشخص الذی یقرأ القرآن فی غیر الصّلاه، ومن هذه الجهه ینبغی علی المصلّین الاستفاده من هذه الروایه ولا یغفلوا عن قراءه القرآن فی صلاتهم.

۱- (۱) . مستدرک الوسائل، ج ۴، ص ۲۶۳.

۲- (۲) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۲، ص ۶۱۱.

۳- (۳) الکافی، ج ۲، ص ۶۱۱.

۴- (۴) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۲، ص ۶۱۱.

۱۱۶- قیمه قراءه القرآن وأهمیّتها

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «إِنَّ الْمُؤمِنَ إِذا قَرأَ القُرآنَ نَظَرَ اللّهُ إِلَیهِ بِالرَّحمَهِ».(۱)

إنّ إحدی التوصیات الأکیده للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله وأمیرالمؤمنین علیه السلام تترکز علی قراءه القرآن، وقد ورد فی الحدیث الشریف أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال لأمیرالمؤمنین علیه السلام: «أُوصِیکَ فِی نَفْسِکَ بِخِصالٍ فَاحْفَظها...، وَعَلَیکَ بِتِلاوَهِ القُرْآنِ عَلَی کُلِّ حَال»(۲).

وهذه التوصیه وردت أیضاً عن أمیرالمؤمنین علیه السلام وکذلک عن الأئمّه المعصومین علیهم السلام وکانت مورد اهتمامهم، وعندما نقرأ ونتمعّن فی سیره الأئمّه الطاهرین علیهم السلام فسوف نجد أنّ قسماً مهمّاً جدّاً من حیاتهم یخصّ مسأله قراءه القرآن.

والجدیر بالذکر أنّ الإنسان لا ینبغی أن یغفل عن قراءه القرآن فی کلّ یوم،

ص:۳۶۹

۱- (۱) جامع الأخبار، ص ۳۹.

۲- (۲) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۸، ص ۷۹.

وقد ورد فی تفسیر أبوالفتوح حدیثاً عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال: «مَنْ قَرأ ثُلْثِ القُرْآنِ فَکَأَنَّما أَوتِی ثُلثِ النُّبوَّهَ، وَمَنْ قَرأ ثُلْثَی القُرْآنِ فَکَأَنَّما أُوتِی ثُلثَی النُّبوَّهَ، وَمَنْ قَرأ القُرْآنِ ـ کُلَّهُ فَکَأَنَّما أُوتِی تَمام النُّبوَّهَ».

وجاء فی الروایات أنّ عدد درجات الجنّه بعدد آیات القرآن الکریم، ففی یوم القیامه یقال للإنسان «إقرأ وارق»، فکلّ مقدار من آیات القرآن کان مع هذا الشخص وجاء به یوم القیامه وقرأ هذه الآیات کأنّه یرقی فی کلّ آیه یقرأها درجه فی الجنّه.

«ثُمَّ یُقَالُ لَهُ اقْرَأَ وَارْقَ بِکُلِّ آیِهٍ دَرَجَهً فَیَرقی فِی الجَنَّهِ بِکُلِّ آیَهٍ دَرَجَهً حَتّی یَبلُغَ مَا مَعَهُ مِنْ القُرآنِ، ثُمَّ یُقَالُ لَهُ اقْبِضْ فَیَقبِض، ثُمَّ یُقَالُ لَهُ مَرَّهَ ثَانِیه اقَبِضْ فَیَقبِض، ثُمَّ یُقالُ لَهُ هَلْ عَلِمْتَ مَا فِی یَدِکَ، فَیَقُولُ لا، وَإِذا فِی یَدِهِ الیُمنَی الخُلدُ وَفِی الأُخری النَّعِیم»(۱).

إذن فالجنّه أساساً متدرجه بعدد آیات القرآن ودرجاتها ومراتبها منظمه حسب قراءه القاری للقرآن، والخلود بالجنّه متعلّق بقراءه القرآن، والنعیم الأبدی فی الجنّه لیس فقط النعم الظاهریّه والمادیّه، بل جمیع النعم والمواهب فی الجنّه حتّی رضوان اللّه تعالی فی الجنّه کما تقول الآیه: «وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَکْبَرُ...»۲ ، کلّها متوقّفه ومتقوّمه بأُنس الإنسان فی الدنیا بتلاوه القرآن الکریم، ولذا یجب علینا أن نعرف قیمه قراءه القرآن لکی نوفّق لفهم أسرار قراءه القرآن فی الصّلاه ونزین صلاتنا بالقرآن.

۱- (۱) مستدر الوسائل، ج ۴، ص ۲۶۲.

۱۱۷- فضیله قراءه سوره التوحید

یجب أن تکون تلاوه القرآن فی حیاه المسلم وخاصّه الشیعی المؤمن جزءاً من برنامجه ومنهجه الأصلی فی الحیاه، کما أنّ الصّلاه جزء من المنهج الأصلی للمؤمن فی حیاته کما ورد فی کتاب «الکافی» روایه عن الإمام موسی بن جعفر علیهما السلام، حیث قال الإمام علیه السلام لأحد أصحاب: «أَتُحِبُّ البَقاءَ فِی الدُّنیا؟ قَالَ: نَعم، فَقَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِقْراءَهِ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحدٌ»، فإننی احبّ البقاء فی الدنیا ولو اعطیت مهله بدقیقه واحده فی الدنیا فإنّنی أقرأُ سوره التوحید «فَسَکَتَ عَنْهُ»، أی أنّ الإمام عندما سمع هذا الجواب سکت، وقبل أن نذکر بقیه هذه الروایه، نری فی روایه أخری أنّ الإمام الباقر علیه السلام: إذا قرأ الإنسان فی یومه سوره التوحید مرّه واحده فإنّه اللّه تعالی سیبارکه، وإذا قرأها مرّتین فسبارک اللّه علیه وعلی اسرته ویرحمهم، إذا قرأها ثلاث مرّات فإنّ اللّه تعالی سینزل رحمته وبرکاته علیه وعلی جیرانه، وإذا قرأها اثنی عشر مرّه فی یومه بنی اللّه له اثنی عشر قصراً فی الجنّه، وإذا قرأها مائه مرّه فی یومه غفر اللّه له ۲۵ سنه، إلّاأن یکون عصی اللّه فی مورد

الـدماء والأموال، يعنى لا سـمح اللّه قتل شـخصاً بدون ذنب وبدون حقّ، أو سـفک دم شـخص وجرحه، فیجب علیه القصاص أو الـدیه، فهـذه الـذنوب التی تتعلّق بالـدماء والأمـوال لا یغفرها اللّه للشـخص، أمّا سائر الـذنوب التی هی حقّ محض للّه فإنّ تعالی یغفرها ببرکه سوره التوحید.

ویتـابع الإمام علیه السـلام: «وَمَنْ قَرَأَها أَربَعمَائَهَ مَرّه کَانَ لَهُ أَجرَ أَربَعمَائَهَ شَـهِید کُلُّهُم قَـدْ عَقَرَ جَوادَهُ وَاُرِیقَ دَمُهُ وَمَنْ قَرَأَها أَلفَ مَرَّهٍ فِی لَیلَهٍ لَمْ یَمُت حَتّی یَری مَقعَدَهُ فِی الجَنَّهِ أو یری لَهُ».

ونقرأ الکثیر من الروایات التی تؤکد کثیراً علی قراءه سوره التوحید، ففی الروایه الاُولی، کأنّ ذلک الشـخص سمع من الأئمّه من آباء الإمام موسـی بن جعفر علیهما السـلام ثواب قراءه سوره التوحیـد، ولـذلک عنـدما سأله الإمام عن رغبته فی البقاء فی الـدنیا ولماذا؟ فقال: لکی أقرأ سوره التوحید، لمّا سمع الإمام بهذا الکلام سکتَ، ثمّ بعد مدّه قال لهذا الراوی وهو حفص:

«یـا حَفْصُ! مَنْ مَاتَ مِنْ أَولِیائِنا وَشِیعَتِنا وَلَمْ یُحْسِنِ القُرآنَ عُلِّمَ فِی قَبرِهِ لِیَرفَعَ اللّهُ بِهِ مِنْ دَرَجَتِهُ»، لأنّ درجات الجنّه، کما تقـدّم، بمقدار آیات القرآن، فیقال له:

اقرأ وارقَ.

وبحسب ما ورد فی الروایات أنّ هذا الامتیاز یعدّ من مختصات شیعه أهل البیت علیهم السـلام والإمامیّه الاثنی عشریّه ولا یشمل سائر المسلمین.

یقول حفص: «وَمَا رَأَیْتُ أَحَـدَاً أَشَدُّ خَوْفَاً عَلَی نَفْسِهِ مِنْ مُوسـی بِن جَعفَرٍ علیه السـلام ولا أَرجی النَّاسِ مِنْهُ، وَکَانَتْ قَرَاءَتُهُ حُزناً، فَإذا قَرَأَ فَکَأَنّهُ یُخاطِبُ إِنسَاناً»(۱).

وهکـذا کـان الإمـام علیه السـلام یتلو القرآن الکریم، ویجب علینـا أن نتعلّم هـذا الأدب فی الالتزام بتلاوه القرآن من الإمام علیه السلام.

۱- (۱) الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۴، ص ۶۱۱.

۱۱۸- آداب قراءه القرآن الالتفات إلی عظمه هذا الکتاب الإلهی والالتفات إلی أم الکتاب

لقد ورد فی الروایات الشریفه أنّ لقراءه القرآن الکریم آثاراً وبرکات کثیره جدّاً، یقول النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله لسلمان رحمه الله: «عَلَیکَ بِقِرَاءَهِ القُرانِ فَإِنَّ قِرَاءَتَهُ کَفَّارَهُ الذُّنُوبِ وَسُتْرَهٌ مِنَ النَّارِ وَأَمَانٌ مِنَ العَذَابِ»(۱).

إنّ إحدی النقاط المهمّه فی موضوع قراءه القرآن مسأله آداب القراءه، وقد أورد الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه فی کتابه «آداب الصّلاه»(۲) أدقّ وأشمل بحث فیما یتّصل بقراءه القرآن وذکر فی هذا الکتاب بعض آداب القراءه کما سنشیر إلیها باختصار، فأوّل أدب منها أن یلتفت قاریء القرآن إلیه حین القراءه هو «التعظیم» یعنی الالتفات إلی عظمه هذا الکتاب الإلهی وأن یعلم أنّ الکتاب الذی یقرأه لیس کتاباً عادیاً، بل هو أعظم کتاب سماوی، فالالتفات

۱- (۱) جامع الأخبار، ص ۳۹.

۲- (۲) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۸۰.

والاهتمام بتعظیم وإکرام القرآن یتسبّب فی نورانیّه القلب والحیاه الباطنیّه، والتعظیم یتوقف علی أنّ الإنسان یفهم أنّ القرآن کتاب عظیم وأنّ هذا الکتاب الإلهی لا ـ ینحصر بهذه الألفاظ والکلمات الظاهریّه بل هناک حقیقه أخری وراء هذه الألفاظ والکلمات تقصر عنها ید البشر، وید العلماء، وحتّی ید أهل الباطن وأهل الشهود والمکاشفه، فلا ینبغی أن نتصوّر أنّ حقیقه القرآن هی الألفاظ فقط التی أمام ناظرنا وفی مقابلنا.

یقول اللّه تبارک وتعالی: «إِنّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ»۱ ، ویقول:

«وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ»۲ ، فأصل وحقیقه القرآن موجود فی امّ الکتاب عندنا، ولکنّ البشر یستطیع التوصّل إلی هذا الکتاب الظاهر وتلاوته، ولکن فیما یتّصل بأُمّ الکتاب وهو لدینا، فلا أحد یستطیع الوصول إلیه، ویتبیّن من هذه الآیه الشریفه أنّ القرآن قبل أن ینزل علی قلب النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وقبل أن یتحوّل إلی العربیّه کان موجوداً فی امّ الکتاب، وظاهر الآیه الشریفه هو أنّ القرآن بهذه الصوره کانت حقیقته موجوده عند اللّه وفی امّ الکتاب وربّما بشکل أوسع وأعظم بکثیر، ولکنّه تنزّل من تلک العوالم إلی هذا العالم وهو عالم الملک وعالم المادّه وتجلّی علی شکل ألفاظ وکلمات عربیّه، فلا ینبغی أن نتصوّر أنّ القرآن مجموعه کلمات وألفاظ کما نری فی سائر الکتب الأخری مثل هذه العبارات والألفاظ، والأشخاص الذین یعتقدون أنّ القرآن کلام بشری، لماذا لا یلتفتون إلی هذه الآیه الشریفه، فلو قلنا بأنّ هذا القرآن منحصر بهذه الألفاظ الظاهریّه فسوف یکون مسوغاً لایجاد هذه التوهّمات الباطله، وأمّا إذا قلنا إنّ حقیقه القرآن هی وراء هذا العالم المادی وفی امّ الکتاب وعند اللّه تبارک وتعالی، فلا أحد من البشر

مع كلّ هذه العلوم الرسميّه والظاهريّه يستطيع التوصّل إلى حقيقه تلك المعارف القلبيّه والمكاشفات الغيبيّه، وهنا يوجد استثناء واحد وهو الوجود المقدّس لخاتم الأنبياء النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله عندما وصل فى معراجه قاب قوسين أو أدنى استطاع أن يصل إلى امّ الكتاب، ولكن البشر العادى لا يستطيع لذلك سبيلا.

إذن عندما نجلس فى محضر القرآن يجب علينا الانتباه إلى أنّ هذا القرآن هو مرتبه نازله عن امّ الكتاب، أى أنّ هذا القرآن متنزل عن تلك الحقيقه العظيمه التى يعجز البشر عن دركها، ولو أننا لم نتمكن من الالتفات والانتباه إلى عظمه القرآن الكريم، فهذا يعنى أننا لا نستطيع أداء حقّ وتعظيم القرآن كما هو حقّه وشأنه.

يقول الإمام الخمينى رضوان اللّه عليه فى بحث تعظيم القرآن وبعنوان أحد آداب القراءه: إنّ منشأ العظمه ثمانيه أمور فعظمه كتاب معين تاره تنشأ من عظمه المتكلّم

وصاحب الكتاب، وأحياناً أخرى مرتبطه بعظمه المسائل والمقاصد المذكور فيه، والثالثه، بعظمه النتائج والآثار المترتبه على هذا الكتاب، الرابعه، بعظمه الرسول وحامل الكتاب، أى جبرئيل الأمين والروح الأعظم الذى نزل بهذا الكتاب (إذا كان الروح الأعظم هو جبرائيل)، الخامسه، عظمه النبيّ نفسه والذى نزل هذا القرآن على قلبه المبارك، السادسه، عظمه الأشخاص الذين حفظوا هذا القرآن، السابعه، عظمه الأشخاص الذين شرحوا هذا الكتاب، والثامنه، عظمه الزمان الذى نزل فيه هذا الكتاب(۱).

۱- (۱) انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۸۲.

۱۱۹- وجوه عظمه القرآن

قبل بیان الموارد الثمانیه فی وجوه عظمه القرآن الکریم، أری من المناسب استعراض هـذه الروایه الشریفه: «إِنَّ أَکرَمَ العِبادِ إِلی اللّهِ بَعْدَ الأَنبیاءِ العُلَماءُ ثُمَّ حَمَلَهَ القُرآنِ»(۱)، یعنی القراء للقرآن والعاملین بمضامینه والناشرین له.

«یَخْرُجُونَ مِنَ الـدُّنیا کَما یَخْرُجُ الأَنبِیاء»، أی کما أنّ الملائکه تقبض روح الأنبیاء بکلّ احترام وتقدیر ومؤانسه وکذلک یتمّ قبض هؤلاء القراء للقرآن.

«وَیُحشَرُونَ مِنْ قُبُورِهِم مَعَ ا لأَنبِیاءِ، ویَمُرُّونَ عَلَی الصِّراطِ مَعَ الأَنبِیاء، وَیَأَخُذُونَ ِ ثَوابَ الأَنبِیاء».

والقاریء للقرآن کما ورد فی النصوص والروایات الشریفه، فی منزله الأنبیاء فی الـدنیا والآخره کما وقـد تقـدّم فی روایه سابقه، أنّ «مَنْ قَرأ ثُلْثِ القُرْآنِ فَکَأَنَّما أُوتِی ثُلثِ النُّبوَّهَ»، وهکـذا الشـخص الـذی یقرأ ثلثی القرآن فکأنما اوتی ثلثی النبوّه، أمّا من قرأ تمام القرآن فکأنّما اوتی النبوّه أجمع، وفی هذه الروایه مورد

۱- (۱) بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۸۹، ص ۱۹.

البحث يقول الإمام عليه السلام، إنّ اللّه تبارك وتعالى يرفع من درجه قارىء القرآن وحامله فى الدنيا والآخره أنّه سيكون بمنزله الأنبياء وفى مرتبتهم.

وإذا التفتنـا إلى هـذه الحقيقه حين قراءه القرآن فـإنّ عظمه القرآن سـتحيط بقلبنـا ولاـ يتبادر إلى ذهننا أبـداً أنّ الغرض من قراءه القرآن هو لنيل الثواب فقط.

إمّا بيان المنشأ والمراتب الثمان فى وجوه تعظيم القرآن:

أوّل سـبب ومنشـأ لعظيمه القرآن، عظمه المرسـل له وصـاحبه، فـالقرآن العظيم بما أنّه من شـخص عظيم وأنّ من صـفات البارى تبارك وتعالى هو العظيم «يا عَلِىُّ يا عَظِيم»، فالقرآن يكتسب العظمه من عظمه اللّه تعالى.

يـذكر الإمـام الخمينى رضوان اللّه تعـالى عليه عبـاره فى هـذا المورد جـديره بالتأمّـل والتمعّن، والواقع أننـا نرى أحيانـاً فى بعض عبارات الإمام الراحل قـدس سره فى كتابه من العمق والـدقّه بحيث يلزمنا التـدبّر والتأمّل فيها لعـدّه ساعات، يقول(۱): إنّ تجلّى الحقّ تعـالى فى جلوه العظمه لا يتيسـر هـذا التجلّى لأى مخلوق، بل إنّه تعالى يتجلّى لمخلوقاته من وراء آلاف الحجب، يعنى أنّ اللّه تبارك وتعالى إذا أراد أن يتجلّى بصـفه العظيم، ويتجلّى بمبدأ العظمه والكبرياء لا يوجد أى مخلوق بإمكانه تحمّل مثل هذا التجلّى، وبالتالى فإنّ تجلّى عظمه اللّه يجب أن يكون من خلال الحجب والستائر، ونفس القرآن يعتبر تجلياً للذات المقدّسه، وقد تنزّل كثيراً إلى درجه أنّه صار على شكل ألفاظ عربيّه ووصل إلى يد البشر.

ونقرأ فى روايه نقلها العلّامه المجلسى فى بحار الأنوار، وهذه الروايه مذكوره أيضاً فى كتب العامّه، أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله قال: «إِنّ للّهِ تَبارَكَ وَتَعالى سَبعِينَ أَلفَ حِجابٍ مِنْ نُور وَظلمَه لَو كُشِفَتْ لأَحرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ مَا دُونَهُ»(۲).

۱- (۱) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۸۲.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۵۵، ص ۴۵.

وأحد امتيازات القرآن الكريم على سائر الكتب السماويّه الأخرى أنّ القرآن صدر من اللّه تبارك وتعالى بجميع شؤون الذاتيّه والفعليّه والصفاتيّه ومع جميع تجلّياته الكماليّه والجلاليّه، يعنى أنّ التجلّى فى القرآن هو التجلّى الأعظم، وهكذا جميع الصفات والأسماء الإلهيّه فاللّه تعالى تجلّى بجميع ذاته أفعاله وصفاته وبجميع صفاته الثبوتيّه والسلبيّه، والجماليّه والجلاليّه فى القرآن الكريم وليس الحال كذلك فى سائر الكتب السماويّه الأخرى، وهذا يبيّن عظمه هذا الكتاب أكثر.

وعلى هذا الأساس، فأوّل، منشأ والسبب لعظمه القرآن ولزوم تعظيمه أن نعلم أنّ هذا الكتاب الإلهى صادر من موجود عظيم.

الثانى: أنّ هذا القرآن الكريم جاء به جبرئيل الأمين، ومعلوم أنّ جبرئيل الأمين ملك من أشرف الملائكه وهو الموكّل بايصال الفيض الإلهى من العلم والحكمه وسائر الأرزاق المعنويّه إلى الأنبياء والبشريّه.

الثالث: من جهه الشخص الذى نزل عليه القرآن، وقد نزل القرآن الكريم على أشرف الناس جميعاً على الكره الأرضيّه وهو نبى الإسلام صلى الله عليه و آله.

الرابع: أنّ اللّه تبارك وتعالى يقول فى هذا الكتاب: «إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ»١ ، والكتاب الذى يتولّى البارى تعالى بحفظه وحمايته، فلا يوجد أى شخص أو فئه لها القدره لاتلاف هذا الكتاب أو التلاعب بكلماته أو تحريفه وسيظلّ هذا الكتاب باقياً وسليماً إلى يوم القيامه.

الخامس: من جهه الأشخاص الذين يتولّون شرح وبيان هذا الكتاب، وهم الأئمّه المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين، فهم شرّاح ومفسّرو هذا الكتاب الإلهى.

ص:٣٧٨

السادس: من جهه الوقت الـذی نزل فیه القرآن، وذلک فی لیله القـدر وهی أفضل اللیالی والأوقات عنـد اللّه تبارک وتعالی: «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ»۱ ، فلو أنّ الإنسان التفت حین قراءته للقرآن إلی هذه الجهات فی عظمه هذا الکتاب فسوف یدرک بمقدار ظرفیّتـه الوجـودیّه عظمـه القرآن الکریـم وبالتـالی یقـوده هـذا الفهم إلی الاـقتراب أکـثر من بـاطن القرآن ولکشـف عن أسـراره وحقائقه إن شاء اللّه.

ص:۳۷۹

۱۲۰– عظمه مضامین ومحتویات القرآن

بحسب ما أورده الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه فی کتابه «آداب الصّلاه» من الوجوه الثمانیه لعظمه القرآن الکریم، وأحد هذه الوجوه فی عظمه هذا الکتاب الإلهی، المضامین ومحتویات القرآن الکریم.

الإنسان عندما یقرأ کتاباً معیّناً ولا یلتفت إلی عظمه مضامین هذا الکتاب ومقاصده فلا یستطیع أن یدرک عظمته وقیمته، والقرآن الکریم من حیث المضامین فی دائره المفاهیم یعدّ أعظم کتاب، فلا یوجد لدینا کتاب مثل القرآن الکریم من حیث مضامینه وتعالیمه ومحتویاته، والقرآن الکریم هو کتاب هدایه بالمرتبه الاُولی: «هُدیً لِلْمُتَّقِینَ»۱ ، فإذا أراد شخص سلوک طریق الحقّ والإیمان فلا یستطیع ذلک بدون الارتباط بالقرآن الکریم، وإذا أراد شخص الوصول إلی مراتب عالیه فی سلّم الهدایه والسیر إلی اللّه تعالی فیجب أن یستمد نور الهدایه من القرآن الکریم، وإذا أراد شخص أن یتحرّک فی سیره وسلوکه فی خطّ اللّه

تعالى، فيجب أن يستمد القوّه والمدد من القرآن الكريم، والأشخاص الذين يعيشون فى هذه الحياه الدنيا بسلاسل الشهوات وقيود الباطل والنوازع الدنيويّه فإنّهم يستطيعون بواسطه القرآن انقاذ أنفسهم والنجاه والخلاص من هذه القيود والسلاسل، والإنسان يستطيع بتلاوه القرآن الكريم أن يرتفع بنفسه من هذه المرتبه النازله الماديّه ومن حضيض الحيوانيّه إلى مراتب أعلى فى سلّم المعنويّه والإنسانيّه والكمال الإلهى، ويتخلّص بتلاوه القرآن من مجاوره ومجالسه الشيطان، واستبدالها بمجالسه ومصاحبه الملائكه الإلهيين، وهذه هى إحدى الخصوصيّات المهمّه جدّاً فى القرآن الكريم.

الأمر الثانى: أنّ هذا الكتاب يستطيع أى شخص أن يستفيد منه وينتفع به بمقدار قابليته واستعداده، فكما أنّ العالم الذى ينال مراتب عاليه فى علم المعرفه ينتفع بكّل آيه من القرآن وتمثّل له كنوزاً وخزائن من العلم والمعرفه فكذلك الشخص الذى يعيش بعيداً عن أجواء العلم والمعرفه بإمكانه الاستفاده من ظواهر القرآن أيضاً، وقد ورد فى الروايات أنّ بعض سور القرآن مثل سوره التوحيد وبعض آيات القرآن كالآيات الأُولى من سوره الحديد، نزلت خاصّه للمتعمقين والعارفين فى آخر الزمان.

وهذا لا يعنى أنّ سوره التوحيد نزلت فقط لهؤلاء المتعمقين، بل إنّ هؤلاء يملكون القدره على فهم الكثير من الحقائق والمعارف فى هذه السوره والغوص فى بحارها واستحصال الدرر والجواهر من هذه السوره المباركه بحيث إنّ الأديان السابقه لم تكن لهم القدره على هذه الاستفاده، وطبعاً فالقدماء استفادوا أيضاً من هذه السوره بمقدار ظرفيّتهم الوجوديّه وقابليّتهم أيضاً، فأى كتاب لدى البشريّه إلى درجه من العمق وكثره المعارف أنّ عباره واحده وسطراً واحداً من هذا الكتاب يكون نافعاً للأشخاص الذين نالوا أرقى وأعلى مراتب العلم

والمعرفه وفى ذات الوقت يفيـد الأشـخاص الذين لا يملكون حظاً من العلم والمعرفه! وهذه خصوصـيّه متوفّره فى القرآن الكريم وتعدّ هذه الخصوصيّه أحد وجوه إعجاز القرآن.

إذن الأمر الثانى هو أنّ القرآن الكريم يملك هذه الخصوصـيّه بأنّ كلّ شخص ينتفع به بمقدار ما يملك من استعداد وقابليّه، ولا ينبغى أن يقول شـخص إنّ القرآن يتعلّق بطبقه وفئه خـاصّه، فهـذا الكتاب الإلهى هو كتاب لجميع أفراد البشـر ويسـتطيع كلّ فرد الاسـتفاده منه بمقدار قابليته واسـتعداده، وبالنتيجه أنّ كلّ شخص سيفهم من القرآن بمقدار ظرفيّته ومعلوماته، عظمه هذا الكتاب الإلهى.

۱۲۱- رعایه حقّ تلاوه القرآن الترتیل، التدبّر، العمل بالآیات، العبره من القصص توجه القاریء لتعالیم القرآن

یقول اللّه تبارک وتعالی فی الآیه الشـریفه: «اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ...»۱ ، فماذا یعنی حقّ تلاوه القرآن؟ یستفاد من هـذه الآـیه الشـریفه أنّه ربّما یتلو شـخص القرآن ولکنّه لا یراعی حقّ تلاوه القرآن، فالتلاوه مسأله وحقّ التلاوه مسأله أخری، کمـا أنّ مسـأله العبـاده أمر، وحقّ العبـاده أمر آخر، ومعرفه اللّه أمر، وحقّ معرفته أمر آخر، ومن أجـل معرفه حقّ التلاـوه بإمکاننا التعبیر عنها بآداب القراءه والتلاوه، یقول الإمام الصادق علیه السلام فی ذیل هذه الآیه الشریفه:

«یُرَتِلُونَ آیَاتِهِ وَیَتَفَقَّهُونَ فِیهِ»، وهذا یعنی أنّ ترتیل الآیات القرآنیّه یعدّ أحد آداب قراءه القرآن والتفقّه فی هذه الآیات أدب آخر للقراءه والتلاوه «وَیَعْمَلُونَ بِأَحْکَامِهِ»، فالأدب الثالث من شؤون حقّ التلاوه العمل بالقرآن وبما یحمله من

تعاليم وأحكام، أى أنّ الإنسان عندما يقرأ الآيه ويتدبّر فى مضامينها يتحرّك بعدها فى مقام العمل لتطبيقها.

والقارىء للقرآن الكريم عندما يتلو آياته ويقرأ أنّ اللّه تبارك وتعالى عليم وسميع وبصير، فلو أراد العمل بهذه الآيه فى حياته فيجب أن يلتفت أنّ اللّه تعالى عالم بجميع أبعاده وبسرّه وعلانيّته.

«وَيَرْجُونَ وَعْدَهُ وَيَخافُونَ وَعِيدَهُ وَيَعْتَبِرُونَ بِقِصَصِهِ»، فعندما يصل القارىء للقرآن إلى آيات البشاره بالجنّه والوعد الإلهى بالنعيم الخالد فى الآخره للمؤمنين فإنّه يرجو من اللّه تعالى أن ينال هذه الجنّه والنعيم الأبدى، وعندما يصل إلى آيات العذاب والنار فإنّه يشعر فى نفسه بالخوف من عذاب اللّه وتجرى دموعه على خدّيه، وعندما يقرأ قصص القرآن فإنّه يستفيد منها الدروس والعبر فى واقع الحياه، فحكايه هذه القصص فى القرآن لا تعنى أنّ اللّه تبارك وتعالى يريد فقط أن يحكى لنا قصص الأقوام السابقه بوصفها تاريخاً لتلك الاُمم وأنبيائهم، بل يريد منّا الاعتبار بما جرى لهذه الاُمم فى التاريخ وكسب الدروس النافعه من هذه القصص، وحتّى تلك القضايا التى وقعت متكرره فى القرآن الكريم فإنّها فى الحقيقه ليست تكراراً، بل يتضمّن كلّ مورد منها نقاطاً دقيقه عرفانيّه وأخلاقيّه وتربويّه أو علميّه لا توجد فى الموارد الأخرى المشابهه لها.

«وَيَأْتَمِرُونَ بِأَوامِرِهِ وَيَتَنَاهَونَ عَنْ نَواهِيهِ»، ثمّ يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَا هُوَ واللّهِ حِفظُ آيَاتِهِ وَدَرْسِ حُرُوفِهِ وَتِلاوَهِ سُورِهِ وَدَرسِ أَعْشَارِهِ وَأَخمَاسِهِ»، وكأنّ بعض المسلمين فى عصر هذا الإمام عليه السلام كانوا مثل بعض الناس فى هذا العصر يحفظون آيات القرآن عن ظهر قلب ويتصوّرون أنّ هذا هو المقصود من الحفظ بمعناه الحقيقى.

«حَفِظُوا حُرُوفَهُ وَأَضَاعُوا حُدُودَهُ»، فبعض المسلمين يهتمّون بحسب الظاهر

وحفظه وتلاوته ولكنّهم أضاعوا حقائقه وحدوده.

«وَإِنَّما تَدَبُّرُ آيَاتِهِ وَالعَمَلُ بِأَحْكَامِهِ»، ثمّ يقول الإمام عليه السلام: إنّ حقّ التلاوه عباره عن التدبّر فى آيات القرآن والعمل بأحكامه وتعاليمه وتطبيقها على أرض الواقع العملى، فيجب علينا الانتباه إلى هذه الحقيقه، وهى أنّ قارىء القرآن يجب عليه رعايه حقّ تلاوه القرآن، وإحدى جهات هذه الرعايه لحقّ التلاوه إننا نهتمّ بمضامين آيات القرآن ونسعى لتطبيقها.

ص:٣٨٥

۱۲۲- التأثير المضاعف لقراءه القرآن فى الصّلاه

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله: «قِرَاءَهُ القُرآنِ فِى الصَّلاهِ أَفضَلُ مِنْ قِرَاءَهِ القُرآنِ فِى غَيرِ الصَّلاهِ»(۱).

يجب على المصلّى، بغض نظر عن مسأله الصّلاه، أن يلتفت إلى هـذه الحقيقه، وهى أنّ قراءه القرآن مسأله مهمّه جدّاً، وقد ورد التأكيد عليها فى الآيات والروايات الشريفه ولها آثار وبركات كثيره، وعندما تكون هذه القراءه للقرآن فى الصّلاه فسوف تكون لها آثار وبركات مضاعفه بل لعدّه أضعاف، وقد ورد فى الروايات أنّ الجنّه تشتاق لهؤلاء قراء للقرآن.

والآن إذا قرأ المصلّين آيات القرآن فى صلاته فإنّ اشتياق الجنّه سيتضاعف إليه بل ورد فى الروايات أيضاً أنّ الشخص الذى يقرأ القرآن فإنّ الملائكه تستغفر له، وهذا الشخص عندما يقرأ القرآن فى صلاته فإنّ استغفار الملائكه له سيتضاعف مرّات عديده.

وعندما نرى فى الروايات أنّ الشخص الذى قرأ القرآن فإنّ اللّه تعالى ينظر إليه

ص:۳۸۶

۱- (۱) بحار الأنوار، طبعه بيروت، ج ۸۹، ص ۱۹.

بنظر رحمته، «إِنَّ المُؤمِنِ إِذَا قَرَأ القُرآنَ نَظَرَ اللّهُ إِلَيهِ بِالرَّحمَهِ»، أى أنّ هـذا الشـخص سـيدخل دائره الأمن ويـدخل دائره الرحمه الإلهيّه، فى حين أنّه لو كانت قراءه القرآن فى الصّلاه، فإنّ مثل هـذه الصّلاه سـتجلب له نظر الرحمه الإلهيّه، ولكن ما هى الآثار المترتبه على تلاوه القرآن فى الصّلاه؟ لقـد ورد فى الروايـات الشـريفه أنّ الإنسان إذا قرأ آيه واحـده من القرآن فإنّ اللّه تعالى سيعطه أجر مـائه شـهيد، ولو أنّه قراء سوره واحـده من القرآن فسـيعطيه اللّه تعالى أجر نبى مرسل ويكون له فى مقابل كلّ حرف من آيـات القرآن نور على الصـراط، والآـن لو قرأ المصـلّى القرآن فى صـلاته فما هى الآثار المترتبه على ذلك؟ ولـذلك يجب على المصلّى أن يطّلع على هذه الآثار والبركات مسبقاً.

وسـبق أنّ بيّنا أنّ أحد الأمور فى عظمه القرآن، توجّه الإنسان وتعمّقه فى تعاليم القرآن الكريم ومفاهيمه، فالقرآن يتضمّن مسائل ومفـاهيم متنوعه ومختلفه، فهو أولاًـ كتـاب هـدايه، وثانيـاً: يسـتوعب جميع طبقـات البشـر وفئـاتهم من العـامى والعـارف والعالم وغيرهم، وكـلّ فئه من فئـات المجتمع تنتفع من حقـائق القرآن معـارفه وتعـاليمه بمقـدار اسـتعدادهم وقابليـاتهم، وثالثـاً: إنّ هـذا الكتـاب «هُـدىً لِلْمُتَّقِينَ» ، ويتسبّب فى انقـاذ الإنسان من الرذائل وتطهير نفسه وتنقيه قلبه من النوازع النفسانيّه الـذميمه، والأهواء والوسـاوس الشـيطانيّه، والقرآن كفّاره للـذنوب أيضـاً، يعنى عنـدما يقرأ القارىء آيه من الآيات القرآن الكريم ويتـدبّر فيها فإنّ ذلك من شأنه تطهير باطنه من شوائب الرذيله وتنقيه ذهنه من الأفكار المنحرفه.

المسـأله الرابعه فى القرآن الكريم، بيـان سـيره الأنبياء وقصصـهم وما جرى على الأقوام السالفه من حوادث ووقائع، ولكن البعض يتصوّر أنّ ذكر هذه القصص يهدف إلى أنّ اللّه تبارك وتعالى أراد نقل تاريخ هذه الأقوام إلى الأجيال اللاحقه،

فی حین أنّ اللّه تبارک وتعالی یقول لنبیّه الکریم: «وَ اذْکُرْ عَبْدَنا»۱ ، ویحکی له ما جری علی الأنبیاء السابقین فإنّ ذلک لغرض تذکیر النبیّ أولاً، ثمّ امّته ثانیاً، بهذه القصص لاقتباس الدروس والعبر منها وللاستفاده من هذه القصص فی مجال التربیه والتعلیم.

لماذا توجد فی هذه القصص معارف کثیره؟ یقول الإمام الصادق علیه السلام: إنّ حقّ التلاوه هو عندما تصل إلی قصّه من قصص القرآن فعلیک بکسب العبره منها، ولا تقتصر العبره علی النصائح الأخلاقیّه والتربویّه، والإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه یقول(۱): إنّ فی قصص القرآن معارف وتعالیم تربویّه وربوبیّه إلی درجه أنّها تحیّر العقول، وهذه المظاهر المتکرره فی القصص القرآنیّه أولاً: فتح باب التزکیه والتعالیم والتربیه للناس، وثانیاً: إذا دققنا جیداً فی هذه القصص المتکرره فسوف لا نجد تکراراً لها بل کلّ مورد منها یتضمّن مسائل عمیقه ونکات عرفانیّه وأخلاقیّه جدیده.

وعلی هذا الأساس یجب الالتفات والاهتمام بقصص القرآن والاستفاده منها فی واقع الحیاه، لأنّ الاهتمام بقصص الأنبیاء یعدّ وسیله مهمّه فی مجال السیر والسلوک المعنوی إلی اللّه تعالی، مثلاً فی قصّه النبیّ إبراهیم علیه السلام یقول: «فَلَمّا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ رَأی کَوْکَباً...»۳ ، فالإنسان السالک یفهم من هذه الآیه الشریفه أنّ الإنسان ومن أجل إدامه سیره وسلوکه إلی اللّه تعالی یجب أن یبتدیء هذا السیر من منتهی ظلمه الطبیعه إلی أن یصل إلی نور اللّه تبارک وتعالی.

ص:۳۸۸

۱- (۲) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۸۶.

۱۲۳- تعظیم القرآن، هو التوجّه إلی مضامینه

أحـد المسائـل والأمور التی یتحـدّث عنها القرآن الکریم، بیان أحوال الکفّار والمنکرین والأشـخاص الـذین یکـذّبون بآیات اللّه والرسـاله السـماویّه، وفی مقابـل ذلک یبیّن القرآن أیضاً أحوال المتقین والأبرار الصالحین والمحسـنین والأشـخاص الـذین آمنوا وصـدقوا بآیـات اللّه تعـالی وبأنبیـائه وکتبه، ویبیّن اللّه تعـالی بجلاء ووضوح عاقبه کلّ فئه من هاتین الفئتین، فالفراعنه، والنماره، وقارون وشداد وأصحاب الفیل وأمثالهم کانت عاقبتهم وخیمه فی الدنیا وینتظرهم العذاب فی الآخره، وفی مقابل هؤلاء یتحدّث القرآن عن العـاقبه الحسـنه التی تنتظر أهـل الولاـیه والصـلاح والإیمـان، وإحـدی المسائل التی تحـدّث عنها القرآن الکریم ذکر أحوال المعـاد والبراهین الـداله علی تحقّقه وکیفیّه العـذاب الاُـخروی، وأحوال الجنّه والنار، وأحوال أهل السـعاده ودرجاتهم فی الجنّه، وسـبق أن ذکرنـا فی تفسـیر الآیه الشـریفه: «اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ الْکِتابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ...»۱ ، أنّ الإمـام الصادق علیه السـلام یقول فی تفسیر هذه الآیه

ص:۳۸۹

الشریفه أنّ حقّ التلاوه:

«هُوَ الوُقُوفُ عِنْدَ ذِكرِ الجَنَّهِ وَالنَّارِ»، أی لا ینبغی علی قاریء القرآن عنـدما یصل إلی ذکر الجنّه والنار وحالات أهل الجنّه والنار أن یمرّ علیها مرور الکرام، بل یتمعّن ویتـدبّر فی هـذه الآیات الشـریفه ویطلب من اللّه تعالی أن یجعله من أهل الجنّه وعندما یمرّ بآیات العذاب وأهل النار وما فی جهنّم من عقوبات ألیمه لا تتصوّرها عقولنا ومخیلتنا، فهنا نستجیر باللّه تبارک وتعالی من عذابه ونقمته وسخطه.

وقـد ذکر القرآن الکریم بشـکل تفصـیلی براهین إثبات وجود اللّه والتوحیـد وصـفات اللّه وأسـمائه الحسـنی، ومن هـذا المنطلق فمعنی التعظیم للقرآن، وهو أوّل أدب لقراءه القرآن، هو أنّ القـاریء للقرآن یتمعّن فی مضـامین هـذا الکتـاب الإلهی، فلا یوجد کتـاب فی العـالم یملک مضامین راقیه ومفاهیم سامیه کمفاهیم القرآن وتعالیمه، وهو الکتاب الـذی تضـمّن حقائق عالم الوجود من الأزل إلی الأبد وذکرها وفصّلها للبشر فی جمیع الأبعاد، وهو کتاب السعاده والهدایه ولم یجد ولن یجد أفراد البشر أی کتاب أکمـل وأشـمل أدقّ مـن القرآن الکریـم، لیس فقـط القرآن، بـل سـوره واحـده من سـوره وحتّی آیه من آیـاته الکریمه، یقـول أمیرالمـؤمنین صـلوات اللّه علیه: «البَیْتُ الَّذی یُقرَأُ فِیهِ القُرآنُ وَیُذکَرُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِیهِ تَکْثُرُ بَرَکَتُهُ وَتَحْضُرُهُ المَلائِکَهُ وَتَهْجُرُهُ الشَّیاطِینَ»، أی تبتعـد عن هـذا البیت الکثیر من المشـکلات والأزمات ویعیش أصـحاب هـذا البیت حالات الطمأنینه والبهجه من الناحیه المعنویّه.

«ویُضِیءُ لأَهلِ السَّماءِ کَمَا تُضِیءُ الکَواکِبُ لأَهلِ الأَرضِ، وَإنَ البَیتِ الَّذی لا یُقرأُ فِیهِ القُرآنُ وَلا یُذکَرُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِیهِ تَقِلُّ بَرَکَتُهُ وَتَهجُرُهُ المَلائِکَهُ وَتَحضُرُوهُ الشَّیاطِینَ»(۱)، ویترتّب علی ذلک أنّ أصحاب هذا البیت یعیشون التوتر

۱- (۱) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۲، ص ۶۱۰.

والمشـكلات المادّيه والنفسـيّه، بخلاف البيت الـذى يقرأ فيه القرآن فإنّ الهدوء والاسـتقرار يهيمن على أجوائه والنورانيّه والأمل والصـفاء تمـلء قلوب أصـحابه وأهله، وعلى هـذا الأسـاس فـالمؤمنون يجب أن يهتمّوا بقراءه القرآن ولاـ يغفلوا عن هـذه النعمه العظيمه.

ص:٣٩١

۱۲۴- القرآن کتاب تعلیم وتربیه

وأحـد آداب قراءه القرآن الأخری أنّ الشـخص عنـدما یقرأ القرآن فینبغی أن یقرأه بهدف التعلّم وطلب المعرفه، فإنّ اللّه تبارک وتعالی جعل القرآن کتاب تعلیم وتربیه وأختار لهـذه المهمّه وتبلیغ هـذه الرساله أفضل عباده لغرض تعلیم الناس وتربیتهم، وهذه الجهه مهمّه جـدّاً، فلو أننـا أردنا قراءه القرآن من أجل الثواب والأجر فقط، أو بهـدف الاطلاع علی بعض فنونه الأدبیّه والفصاحه والبلاغه، فإنّما نبتعد بذلک عن الهدف الأصلی من قراءه القرآن وهو التعلیم، وکسب المعرفه، وفی القرآن الکریم آیات متعدده تصرّح بهذا الأمر وأنّ القرآن هو کتاب علم ومعرفه، فنقرأ فی آیه ۱۵۱ من سوره البقره أنّه تعالی یقول: «کَما أَرْسَلْنا فِیکُمْ رَسُولاً مِنْکُمْ یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِنا وَ یُزَکِّیکُمْ وَ یُعَلِّمُکُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ...» ، فإحـدی وظائف الرسول الکریم، تعلیم الناس بهـذا الکتاب، بمعنی أن تکون قراءه القرآن مقـدّمه لحصول الإنسان علی المقاصد الحقیقه للقرآن الکریم وما یریده اللّه تعالی من عباده، ونقرأ فی الآیه ۱۶۴ من سوره آل عمران: «لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَی

ص:۳۹۲

وأحـد آداب قراءه القرآن الأخرى أنّ الشـخص عنـدما يقرأ القرآن فينبغى أن يقرأه بهدف التعلّم وطلب المعرفه، فإنّ اللّه تبارك وتعالى جعل القرآن كتاب تعليم وتربيه وأختار لهـذه المهمّه وتبليغ هـذه الرساله أفضل عباده لغرض تعليم الناس وتربيتهم، وهذه الجهه مهمّه جـدّاً، فلو أننـا أردنا قراءه القرآن من أجل الثواب والأجر فقط، أو بهـدف الاطلاع على بعض فنونه الأدبيّه والفصاحه والبلاغه، فإنّما نبتعد بذلك عن الهدف الأصلى من قراءه القرآن وهو التعليم، وكسب المعرفه، وفى القرآن الكريم آيات متعدده تصرّح بهذا الأمر وأنّ القرآن هو كتاب علم ومعرفه، فنقرأ فى آيه ۱۵۱ من سوره البقره أنّه تعالى يقول: «كَما أَرْسَلْنا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِنا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ...» ، فإحـدى وظائف الرسول الكريم، تعليم الناس بهـذا الكتاب، بمعنى أن تكون قراءه القرآن مقـدّمه لحصول الإنسان على المقاصد الحقيقه للقرآن الكريم وما يريده اللّه تعالى من عباده، ونقرأ فى الآيه ۱۶۴ من سوره آل عمران: «لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى

اَلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ...».

والنقطه الجـديره بالملاحظه هنـا أنّ هـذه الجهه التعليميّه تتعلّق بجميع الكتب السـماويّه، ونقرأ فى بعض الآيات القرآنيّه الأخرى أنّها أشارت إلى هـذا المعنى أيضاً، كما ورد فى الآيه ۴۸ من سوره آل عمران: «وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتـابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِيلَ» ، وهكذا نرى أنّ مسأله التعليم والتربيه تستوعب جميع الكتب السماويه من القرآن والتوراه والانجيل الحقيقى.

وكيف كـان، فالقـارىء للقرآن يجب أن يلتفت أنّ القرآن كتاب تعليم ومعرفه، ويجب على الإنسان من خلال القرآن أن يغترف من بحر العلم فيصل إلى حقائق الوجود، والنقطه الـدقيقه جدّاً التى ذكرها الإمام الخمينى رضوان اللّه عليه(۱) أنّ مسأله التعاليم لا تنحصر ببيـان الجهـات الأدبيّه للقرآن أو بيـان شـأن نزول الآيـات أو اختلاف القراءات، إنّ بحث تعـاليم القرآن يرتبط بأنّ اللّه تبـارك وتعـالى أراد للإنسان بواسـطه هـذه الآيات الشـريفه أن يصل إلى مقصوده النهائى، وهو هـدايه الإنسان فى طريق الكمال المعنوى والوصول إلى مراتب عـاليه من القرب الإلهى، ثمّ إنّ الإمام كشف عن حقيقه بلغه العتب وقال: يجب علينا الاعتراف بأنّ المفسّـرين الكبـار للقرآن لم يفتحوا بـاب التعاليم أمام الناس، بل أعلى من ذلك قال: أنا لا أسـتطيع القبول بوجود تفسـير للقرآن لحدّ الآن.

وهكـذا نرى الإمام الخمينى رحمه الله فى ذات الوقت الـذى يقـدّر ويحترم تفاسـير علماء الإسـلام ويـدعو لهم ويقـدّر جهودهم، ولكنّه يقول: فى نظرى أنّ هـذه التفاسـير ليست تفسـيراً حقيقيـاً، لأنّهـا مجرّد شـرح مقاصـد الكتـاب ويجب على المفسّـر أن يبيّن المقصود من نزول هذه الآيات لا بيان سبب نزول الآيات، ولذلك

ص:

۱- (۱) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۹۲.

يؤكّد أننا يجب أن نرى فى كلّ آيه الجهه التعليميّه الأصليّه يعنى ما كان مقصود المعلّم الأوّل والآخر للبشر وهو اللّه تبارك وتعالى وما هو غرضه ومقصوده من هذه الآيات؟

وفى نظر الإمام الراحل رحمه الله فإنّ البعد الأصلى لتعاليم جميع آيات القرآن الكريم يدور حول محور الهدايه وفتح الطريق للبشر فى حركتهم وسيرهم المعنوى وسلوكهم إلى اللّه تعالى، ومن هذا المنطلق يجب على المفسّر مهما أمكن أن يستخرج جميع الجهات العرفانيّه والتربويّه من قلب الآيات الشريفه، كما هو الحال فى قصّه النبىّ آدم وحواء وقصّه الشيطان واخراجهم من الجنّه وهبوطهم إلى الأرض، فهذه القصّه تتضمّن معارف ومواعظ كثيره بحيث إنّ الإنسان إذا أراد أن يعرف نفسه ويكتشف عيوبه ويتعرّف على خطط وخطوات إبليس وفخاخه ومصائده بشكل صحيح فيمكنه الاستفاده من هذه الآيات الكريمه.

إنّ المفسّر الذى يغفل عن الجوانب وأبعاد العرفانيّه والتربويّه والأخلاقيّه فى الآيات الكريمه فإنّه يغفل عن المقصود الأصلى للقرآن، ومن هنا يجب على قارىء القرآن الاهتمام بهذا أدب القرآنى من آداب التلاوه وهو ما يخصّ الجانب التعليمى للقرآن، وعندما يقرأ القرآن يكون همّه الانتهاء من السوره أو من القراءه بل يتدبّر أكثر فى الآيات الكريمه ويتفقّه ويهتمّ بالنقاط الأخلاقيّه والعرفانيّه والتربويّه التى يستوحيها من هذا الكتاب السماوى.

ص:٣٩٤

۱۲۵- آداب التلاوه رفع الموانع والحُجب (العُجب - الأفكار الباطله)

أحد آداب تلاوه القرآن، رفع موانع الاستفاده من القرآن الكريم وإزاحه الحجب والستائر التی تمنع من وصول الإنسان إلی حقائق القرآن، وهذا البحث تحدّث عنه الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه، فی کتابه «آداب الصّلاه»(۱) بعبارات دقیقه وعمیقه جدّاً، وأحد هذه الموانع حجاب الأنانیّه والعجب، والذی یتسبّب فی توقف الفرد عن الحرکه فی خطّ البحث عن الحقیقه والتوصل إلیها، فلو أنّ الشخص حصر نفسه فی دائره علم من العلوم ونظر إلی القرآن الکریم وقرأ آیاته من هذه الزاویه فقط، فهذا نوع من أنواع العجب والانحصار فی الفهم وضیق الرؤیه وبالتالی یتسبّب فی وضع حجاب بینه وبین القرآن.

ولو أنّ الأدیب تصوّر أنّ القرآن منحصر فقط فی جهاته الأدبیّه والبلاغیّه، ولو أنّ الفقیه تصوّر أنّ القرآن منحصر فقط فی جهاته الفقهیّه والشرعیّه، ولو أنّ

۱- (۱) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۹۵.

الفیلسوف تصوّر أن القرآن منحصر فی بیان الحقائق الفلسفیّه، فإنّهم لم یصلوا أبداً إلی حقیقه آیه واحده من آیاته الکریمه فضلاً الوصول إلی حقیقه القرآن، فلا ینبغی لأی عالم أن یحصر نفسه فی فرع خاصّ من الفروع العلمیّه، وإحدی تعالیم القرآن المهمّه أنّ أی عالم وفی أیه مرتبه علمیّه کان، حتّی الأنبیاء فی مرتبه النبوّه، لا ینبغی لهم الغفله عن طلب الزیاده فی العلم والمعرفه.

ونری أنّ الباری تعالی یأمر نبیّه الکریم فی القرآن ویقول: «وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً»۱ ، فرغم أنّ النبیّ الکریم وصل إلی أعلی مراتب العلم والمعرفه بین سائر موجودات العالم ولکن باب العلم وحقیقه المعرفه عند اللّه تبارک وتعالی لا تتحدّد بحدّ معین وأوسع من أن یحیط بها إنسان حتّی نبیّ الکریم بحیث کان یسأل اللّه تعالی الزیاده فی العلم والمعرفه.

والنتیجه أنّ المؤمن عندما یقرأ القرآن یجب أن یأخذ بنظر الاعتبار هذا الدعاء لیستزید من العلم، فإنّ اللّه تعالی یثیر العلم والمعرفه لکلّ إنسان بحقّ ومقدار وظرفیّته وقابلیّته.

ونقرأ فی قصّه النبیّ موسی والخضر علیهما السلام، أنّ موسی علیه السلام مع أنّه کان یملک مقام النبوّه ولکنّه لم یقنع بذلک الحدّ والمرتبه من مقام العلم والمعرفه، ولذلک عندما التقی بالخضر علیه السلام ورأی فیه إنساناً کاملاً وعالماً وعارفاً فإنّه طلب منه بکلّ تواضع أن یستفید من علمه: «قالَ لَهُ مُوسی هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلی أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً»۲ ، إذن فأول حجاب یجب علی الإنسان إزاحته، إزاحه الأنانیّه والعُجب عن ذاته، وعندما یجلس فی محضر القرآن الکریم سیواجه بحاراً من العلوم والمعارف الکثیره ولا ینبغی أن یتصوّر أنّ هذا الکتاب العظیم محصور ومنحصر فی فرع خاصّ من العلوم.

ونقرأ فی بعض الروایات: «مَنْ أَرَادَ العِلمَ فَلْیُثَوِّرُ القُرانَ»(۱)، یعنی لیحرث القرآن ویبحث فی مطاویه ومضامین آیاته الکریمه ویهدف فی بحثه هذا أن یفتح من کلّ آیه قرآنیّه باب من العلم والمعرفه، وکلمه علم فی «مَنْ أَرَادَ العِلمَ...» لا تعنی فقط علوم الآخره بل تشمل کلّ ما ینتفع به من حقیقه العلم، إذن فالشخص الذی یقرأ القرآن یجب أن یتأدب بهذا الأدب وأن یزیح عن نفسه وعقله حجاب الأنانیّه والعُجب والغرور ورؤیه الذات ویتحرّک فقط لطلب الحقائق الکامنه فی آیات القرآن الکریم وینتفع به أکثر.

ومن الحُجب الأخری التی تقع بین الإنسان وآیات القرآن حجاب الأفکار الباطله والأفکار الفاسده التی وصلت إلی الإنسان من القدماء واکتسبها بشکل إرث تقلیدی، ومعلوم أنّ وجود الآراء الفاسده والأفکار والمسالک الباطله یمنع الإنسان من الاستفاده الصحیحه من القرآن الکریم، وثمّه نماذج کثیره علی هذا الموضوع وقد استعرض الإمام الخمینی رحمه الله أمثله علی ذلک فی کتابه «آداب الصّلاه»(۲) وقال: نحن نری فی القرآن الکریم آیات عدیده تتعلّق بلقاء اللّه ومعرفته مثل: «إِنَّ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا...»۳ ، أو «مَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ...»۴ ، وهکذا ما ورد فی الأحادیث الشریفه والأدعیه ومناجاه الأئمّه الأطهار علیهم السلام وما فیها من مسائل وتعالیم کثیره وعمیقه من قبیل عبارات المناجاه الشعبانیّه.

والآن إذا أراد شخص أن یقرأ هذا الکتاب الإلهی برؤیه سطحیّه وظاهریّه واعتقد أنّ باب معرفه اللّه ومشاهده الجمال الإلهی مسدود وموصد تماماً وتصوّر

۱- (۱) . مجمع البحرین، ج ۳، ص ۲۳۸.

۲- (۲) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۹۷.

خطأ أنّ هذا الباب من المعرفه لا يمكن دركه كما فی باب معرفه الذات الإلهیّه، فإنّه قد حرم نفسه من الكثير من المعارف الإلهیّه والقرآنیّه، ورغم أنّه ورد فی بعض الروايات النهی عن التفكّر فی ذات اللّه، ولكن هذه المعارف تختلف عن معرفه الذات، فبحث لقاء اللّه ومشاهده الجمال الإلهی مطلوب وغايه بأولياء اللّه ونقرأ فی المناجاه الشعبانیّه: «اِلهی هَبْ لی كَمالَ الْإِنْقِطاعِ اِلَیْکَ، وَاَنِرْ اَبْصارَ قُلُوبِنا بِضِیاءِ نَظَرِها اِلَیْکَ، حَتّی تَخْرِقَ اَبْصارُ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ...»، وطبقاً لهذه المضامين الشريفه فالإنسان يستطيع إزاحه الحجب والحصول على كمال الانقطاع إلى اللّه تعالى وبالتالی مشاهده الجمال الإلهی.

إنّ إنكار هذه البحوث والمسائل يحرم الإنسان من الكثير من الحقائق الوارده فی القرآن الكريم، والنقطه العجيبه والمثيره جدّاً فی كلام الإمام الخمينی رضوان اللّه تعالى عليه هی قوله: إنّ مثل هذه الأفكار هی السبب فی كون القرآن مهجوراً كما تقول الآيه على لسان النبیّ: «يا رَبِّ إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً»١ ، فمهجوريه القرآن ليس بسبب أنّ الناس لا تقرأ القرآن أو لا أحد يتلو آياته الكريمه أو لا يعمل به، فإنّ المهجوریّه لها مراتب متعدده بحيث إننا جميعاً متورطون فی هذا الشأن، وأحد هذه المراتب الحرمان من هذه الحقائق الموجوده فی آيات القرآن والتی تتعلّق بلقاء اللّه ومعرفته ومشاهده سبحات جماله، ولو أنّ للإنسان هذه الأفكار الباطله وأراد تكذيب هذه الآيات أو يفسّرها بتفاسير سطحیّه ساذجه، فهذا يؤدّی أيضاً إلى مهجوریّه القرآن.

وعلى هذا الأساس فإنّ أحد الحجب التی يجب على قاری القرآن إزاحتها، العقائد الفاسده والمسالک الباطله ويسعى للتخلّص منها ليتمكن من الاقتراب من حقائق القرآن.

۱۲۶– آداب التلاوه رفع الموانع، عدم حصر التفسير بفهم القدماء

الحجاب الثالث الذى أشار إليه الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه(۱) ، أنّ مفسّر القرآن لا ينبغى أن يتصوّر أنّ كلّ ما فى آيات القرآن من معارف وتعاليم ومفاهيم قد ذكر فى تفاسير المفسّرين، وإذا أراد إضافه مسأله أخرى ومفهوم آخر على هذه التفاسير فسيكون هذا من مصاديق التفسير بالرأى، وليس له حقّ بيانه، مثلاً فى قصّه النبىّ موسى والخضر عليهما السلام وكيفيّه طلب النبىّ موسى عليه السلام العلم من هذا العالم وجواب الخضر عليه السلام وكيفيّه السؤال والجواب والحوار بين هذين النبيين يستفاد منه أهميّه العلم والتعلّم، فنحن نستطيع أن نستوحى عشرين أدباً من آداب المعلّم والمتعلِّم لم ترد الإشاره إليها فى كلمات المفسّرين السابقين من هذه القصّه، فلا يتصوّر أحد أنّ هذا من باب التفسير بالرأى، أو مثلاً الآيه الشريفه:

«اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ»۲ ، فقد يستوحى منها أحدهم أنّ جميع أشكال الحمد

ص:۳۹۹

۱- (۱) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۱۹۷.

والثناء وفی أی مکان ومن أی شخص صدر ولأی شخص کان المقصود بالثناء والحمد، فإنّ جمیع هذه الأنواع والحالات من الحمد والثناء تعود فی حقیقتها إلی اللّه تعالی، ومثل هذا المعنی المستفاد من هذه الآیه لا یعتبر من التفسیر أساساً حتّی یقال إنّه من مصادیق التفسیر بالرأی، فلو طالعتم تفاسیر القرآن فسوف ترون أنّ مفسّراً أحیاناً یخطیء مفسّراً آخراً بحجّه أنّ کلامه من قبیل التفسیر بالرأی، ولکن لو أنّ المفسّر استوحی من الآیه الشریفه نقطه عرفانیّه دقیقه فسوف یتهمه مفسّر آخر بأنّه من قبیل التفسیر بالرأی.

یقول الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه: هذا الکلام والاتهام بنفسه نوع من الحجاب، فعندما یصل المفسّر بعد تدبّره بآیات القرآن إلی حقیقه معیّنه بحیث إنّ الآخرین لم یتوصلوا إلیها کأن یفهم نقطه أخلاقیه أو إشاره عرفانیّه باب السیر والسلوک المعنوی أو معلومه إرشادیّه من آیات القرآن فلا ینبغی أن نتصوّر أنّ هذا من قبیل التفسیر بالرأی.

ولکن العلماء الآخرین أجروا مسأله التفسیر بالرأی إلی جمیع آیات القرآن، وهنا نری أنّ أحد آراء الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه أنّه قال: لا- أستبعد، بل احتمل قویاً أنّ مسأله التفسیر بالرأی التی وقعت مورد الذم، تتعلّق بآیات الأحکام ولا تتعلّق بجمیع آیات القرآن الکریم، ومعلوم أنّ العقل البشری قاصر عن فهم آیات الأحکام وتشخیصها وتشخیص مقادرها ومقادیر الحدود الإلهیّه، ولذلک لا یحقّ للعقل البشری أن یتصرّف بآیات الأحکام، خلافاً لسائر الآیات الکریمه التی یستحسن التفکّر بها والتدبّر فیها بواسطه العقل البشری، فهناک آیات لا مجال لفهم مضامینها إلّامن خلال العقل وبواسطه التعّقل، فالعقل فقط هو الذی یجب أن یحضر إلی هذا المیدان، وعلی هذا الأساس یجب علی الإنسان أن یزیح هذا الحجاب عن فکره وقلبه ولا یتصوّر أنّه إذا استوحی نقطه معرفیّه أو مسأله علمیّه من هذه الآیه فإنّه من قبیل التفسیر بالرأی.

۱۲۷- آداب التلاوه المانع الثانی والثالث لفهم القرآن: حجاب المعاصی وحبّ الدنیا

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «إِنّ للقُلُوبَ صَدَأ کَصَدَأ النُّحاسِ فَاجْلُوها بِالإِستِغْفَارِ وَتِلاوَهِ القُرآنِ»(۱)

یجب علی المصلّی، بغض النظر عن الصّلاه، الالتفات إلی أهمیّه قراءه القرآن، فالشخص الذی یعتقد بأهمیّه قراءه القرآن وتلاوته، فإنّ صلاته ستکون صلاه أخری، وتترتّب علی قراءه القرآن آثار وبرکات کثیره جدّاً، یقول النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله: «إِنّ للقُلُوبَ صَدَأ کَصَدَأ النُّحاسِ...»، أی کما أنّ النحاس والفلزات الأخری تصدأ، فکذلک قلب یصدأ بما یتراکم علیه من الشوائب والنوازع النفسانیّه والأعمال السیئه فربّما لا یکتشف هذا القلب الطریق إلی الحقّ والهدایه.

«فَاجْلُوها بِالإِستِغْفَارِ وَتِلاوَهِ القُرآنِ»، فیوصی النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله لتطهیر القلب من هذا الصدأ والرین، بأمرین: أحدهما، الاستغفار، والثانی، تلاوه القرآن.

وسبق أن قلنا إنّ تلاوه القرآن لها آداب، وأحدها أن یزیح قاریء القرآن

ص:۴۰۱

۱- (۱) بحار الأنوار، مطبعه بیروت، ج ۷۴، ص ۱۷۲.

الحجب الموجوده بینه وبین آیات القرآن، ومنها حجاب الأنانیّه والعُجب، وحجاب العقائد الفاسده والأفكار الباطله، ومنها حجاب أن یتوقّف القاریء للقرآن عن التفكیر والتدبّر فی آیات القرآن ویجمد عقله وحصره بالتفاسیر السابقه.

ومن الحجب الأخری، حجاب المعاصی، فالشخص القاریء القرآن یجب أن یبتعد عن معاصی اللّه ویجتنب الذنوب، لأنّ أعمال الإنسان وسلوكیاته، سواءً الجیده أو السیّئه تترک أثراً فی نفس الإنسان وباطنه، فقد ورد فی الروایات أنّ الإنسان عندما یذنب فسوف یترک هذا الذنب نقطه سوداء فی قلبه وإذا استمر فی ارتكاب المعاصی والذنوب ولم یتب إلی اللّه، فإنّ تلوّث القلب یزداد حتّی یطغی التلوّث والرین علی جمیع القلب، والقرآن یصرّح بأنّ القلب الملوّث لا یدرک الحقیقه ولیس قلباً سلیماً، بالتالی فإنّ هذا القلب لا یتأثر بالموعظه ولا یسلک طریق الحقّ والحقیقه.

وقد یسأل بعض المتدینین: لماذا لا تؤثر الموعظه فی بعض الأشخاص؟ أحیاناً یدخل الإنسان إلی مقبره ویری قبور الموتی ویعلم أنّ عاقبته ونهایه حیاته ستكون إلی هذا المكان ولكن هذا المشهد لا یؤثر فیه لماذا؟ ولماذا عندما یقرأ آیات القرآن التی تتحدّث عن الجنّه والنار لا تؤثر فیه شیئاً؟ السبب فی ذلک یعود إلی صدأ القلب والرین المتراكم علی قلب هذا الإنسان بسبب الذنوب والخطأ.

یجب علی قاریء القرآن أن یطهّر قلبه كلّ یوم ویجلوه بالاستغفار وتلاوه القرآن لكی یعود هذا القلب إلی صفائه ونقائه، ویتحرّک لفهم حقائق الآیات القرآنیّه بهذا القلب النقی، «لَهُمْ قُلُوبٌ لا یَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْیُنٌ لا یُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا یَسْمَعُونَ بِها أُولئِکَ كَالْأَنْعامِ...»١ ، فالشخص الذی ران علی قلبه

وتراكمت عليه الموانع والحجب وغطت على عينه غشاوه الأهواء والميول النفسانيّه فسوف لا ينتبه إلى الحقائق النورانيّه، يقول القرآن: إنّ حال هؤلاء حال الأنعام بل هم أشدّ وأضلّ، لأنّ الأنعام لا تملك هذه القوى التى يملكها الإنسان للفهم والتعّقل والإدراك ولكن هؤلاء يملكون هذه النعم والمواهب التى وهبها للّه تعالى للإنسان ولكنّهم ضيّعوها وأهملوا الاستفاده منها بشكل صحيح، إذن يجب على قارىء القرآن أن يزيل عن قلبه حجاب المعصيه ويزيحه عن بصيرته.

وآخر حجاب، حجاب حبّ الدنيا، يقول الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه، إنّ حبّ الدنيا من الحجب الغليظه والستائر الضخيمه ومن الحجب التى لا يستطيع الإنسان بسهوله إزاحتها وإبعادها عنه، فالإنسان إذا أراد أن يفهم مضامين القرآن ويتدبّر فى آياته يجب عليه إزاحه حبّ الدنيا عن قلبه: «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها»١ ، وأحد هذه الأقفال المهمّه حبّ الدنيا.

وجاء فى روايات كثيره أنّ قارىء القرآن إذا قرأ القرآن للحاكم الجائر فسوف يكون من أهل النار، والأشخاص الذين يقرأون القرآن لكسب قلب الناس والفات نظرهم فهم من أهل النار، والأشخاص الذين يقرأون القرآن لتحصيل المال والثروه فهم من أهل النار، ولذلك يجب على الإنسان تطهير نفسه وقلبه من حبّ الدنيا وإزاحه هذا الحجاب عن بصيرته ولا يجعل القرآن سبيلاً وطريقاً لتحصيل الدنيا، فلو أننا التفتنا إلى هذه الحجب وتحرّكنا لإزاحتها من واقعنا وقلوبنا فنرجو أن يفتح اللّه تعالى بصيرتنا على حقائق القرآن إن شاء اللّه.

ص:۴۰۳

۱۲۸- آداب التلاوه التفکّر والتدبرّ فی القرآن وتطبیقه علی النفس

تحدّثنا فی بحث أسرار الصّلاه عن آداب قراءه القرآن، وذکرنا أنّ الإنسان المصلّی إذا اهتمّ بقراءه القرآن فی غیر الصّلاه کثیراً، واهتمّ بتلاوه القرآن فی صلاته بتلک المرتبه، فسوف تترتّب علی صلاته آثار عجیبه وبرکات کثیره، واستعرضنا بعض الروایات التی تؤکد أنّ تلاوه آیه واحده فی غیر الصّلاه لها من الأجر عشر حسنات، فلو قرأ الإنسان نفس هذه الآیه فی الصّلاه فإنّه سیحصل علی مائه حسنه، وهذه الحسنات لیست فقط ثواباً فی الآخره بل لها آثار وضعیه ومعنویه فی هذا العالم الدنیوی أیضاً.

وأحد الآداب التی یجب علی قاریء القرآن الالتفات إلیها، التفکّر والتدبّر فی آیات القرآن، یقول تبارک وتعالی: «أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...»۱ ، أو قوله تعالی:

وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ»۲ ، فالتفکّر لا

ص:۴۰۴

يختصّ بفعل دون آخر، ولا يختصّ بالعلماء دون عامه الناس، فكلّ شخص بإمكانه أن يتفكّر ويتدبّر فى آيات القرآن ولا سيما فى الآيات التى تتحدّث عن قصص الأقوام السالفه مع أنبيائهم، فالتفكّر فى هذه الآيات واستخلاص نقاط علميّه وتربويّه وأخلاقيّه وعرفانيّه ميسور للجميع، ولذلك يقول تعالى:

«فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»١ ، وقد ورد فى ذيل الآيه الشريفه: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ»٢ ، روايه فى هذا الشأن يقول عليه السلام: «وَيلٌ لِمَنْ قَرَأَها وَلَمْ يَتَفَكَّر فِيها»(١)، أى يجب عليه أن يفكّر فيما تشير إليه هذه الآيه الشريفه من علائم الخلقه وفى الطبيعه وفى السماوات والأرض، فعندما يتفكّر الإنسان بهذه الآيات والعلامات فى عالم الطبيعه فسوف يصل إلى حقائق جليّه ومعارف بهيّه، ويوجد فى القرآن الكريم آيات كثيره تدعو أرباب العقول وأصحاب الفكر إلى التفكّر فى عالم الخلقه ليلتفت الإنسان من خلال هذا الطريق إلى عظمه البارى تعالى وقدرته المطلقه وبذلك يتعمّق إيمانه ويترسخ فى قلبه.

ومن هذا المنطلق فإنّ أحد آداب قراءه القرآن، التفكّر فى كلّ آيه، وذلك ميسور للجميع: «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ»۴.

وآخر أدب من آداب تلاوه القرآن، مسأله التطبيق والعمل بالتعاليم، يعنى أنّ الإنسان عندما يقرأ كلّ آيه فعليه أن يلاحظ نفسه هل أنّ هذه الآيه تنطبق عليه أم لا؟ وهكذا يقيس نفسه ويعرف موقعه من هذه الآيه الشريفه، فعندما يمرّ بالآيات التى تتحدّث عن الجنّه أو النار، والآيات التى تتحدّث عن الإيمان وخصوصيّات المؤمنين، فيرى هل أنّ هذه الآيات تنطبق عليه، وهل أنّه من زمره

۱- (۳) . تفسير نور الثقلين، ج ۱، ص ۳۵۰.

أهل الجنّه ومن المؤمنين أم لا؟ فإذا قرأ الآيات التی تتعلّق بالكفر والنفاق والشرك والضلاله، فيرى نفسه هل أنّ هذه الآيات، لا سمح اللّه، تنطبق عليه، وهل أنّه من زمره الكفّار والمنافقين أم لا؟ إنّ مسأله التطبيق تعدّ إحدى المسائل المهمّه جدّاً، والتی يجب على قارىء القرآن الالتفات إليها والاهتمام بها.

وجاء فی ذيل الآيه الشريفه: «اَلَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ...»١ ، روايه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «حَقَّ تِلاوَتِهِ هُوَ الوُقُوفُ عِنْدَ ذِكرِ الجَنَّهِ وَالنَّارِ يَسأَلُ فِی الاُولى ويَستَعِيذُ مِنْ الاُخرى»(١).

وكذلك ورد فی الحديث الشريف عن النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه قال يوماً لأبن مسعود، اقرأ علیَّ بعض آيات القرآن، قال ابن مسعود: «فَفَتَحْتُ سُورَهُ النِّساءِ»،

وشرعت بتلاوتها: «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً»٣ ، قال ابن مسعود: «رَأَيْتُ عَيَناهُ تَذرِفَانِ مِنَ الدَّمعِ، فَقَالَ: حَسبُكَ الآن»(٢)، وكأنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله يرى نفسه حاضراً يوم المحشر، ويرى هذه المشاهد فعندها سالت الدموع من عينه الكريمتين، ونرى أنّ النبیّ الأكرم صلى الله عليه و آله الذی جاء للبشريّه بهذا الكتاب السماوی ومع أنّ اللّه تعالى قد وعده فی هذا القرآن وعوداً كثيره فی الآخره، ولكن النبیّ بكى عندما سمع بهذه الآيه وقال لابن مسعود: «حَسبُكَ الآن»، أی كفى، وعلى هذا الأساس فإنّ تطبيق آيات القرآن على النفس من جمله آداب التلاوه المهمّه ويجب الالتفات إليها.

۱- (۲) وسائل الشيعه، ج ۶، ص ۲۱۷.

۲- (۴) بحار الأنوار، مطبعه بيروت، ج ۱۶، ص ۲۹۴.

۱۲۹– آداب التلاوه القلب الخاشع، البدن الفارغ، المكان الخالی

جاء فی كتاب «مصباح الشریعه» عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَلَمْ یَخْضَعْ للّهِ وَلَمْ یَرَقَّ قَلْبُهُ وَلا یَكْتَسی حُزناً وَوَجَلاً فِی سِرِّهِ فَقَدْ استَهَانَ بِعَظِیمِ شَأَنِ اللّهِ تَعالی وَخَسِرَ خُسرَاناً مُبِیناً»، فلو أنّ قاریء القرآن لم یجد أثراً وتفاوتاً فی نفسه بهذه القراءه ولم یستشعر الحزن والفرح فی قلبه فإنّ هذا الشخص قد استهان باللّه تعالی وخسر خساره عظیمه ولم یحصل علی ثمرات وبركات هذه القراءه.

«فَقَارِیء القُرْآنِ یَحتَاجُ إِلی ثَلاثَهِ أَشیَاءَ قَلْبٌ خَاشِعٌ وبَدنٌ فارِغٌ وَمَوضِعٌ خَالٍ فَإِذا خَشَعَ للّهِ قَلْبُهِ فَرَّ مِنْهُ الشَّیطَانُ الرَّجِیمُ»(۱)، هذه الاستعاذه باللّه تعالی من شرّ وساوس الشیطان من أجل أنّ اللّه تعالی یُبعد الشیطان من قلب الإنسان المؤمن الخاشع للّه، فالقلب الذی یستشعر الخضوع والخشوع فی مقابل الباری تعالی

۱– (۱) . مصباح الشریعه، ص ۲۸ عن بحار الأنوار، ج ۸۲، ص ۴۳.

يكون مستعداً لنيل الأنوار الإلهيّه، بمعنى أنّ الشيطان هو المانع الأكبر لتجلّى نور الحقّ على قلب هذا الإنسان، فإذا خشع هذا القلب للّه خرج منه الشيطان هارباً.

وجاء فى الحديث الشريف عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «لَولا أَنَّ الشَّياطِينَ يحُومُونَ عَلى قُلُوبِ بَنِى آدمَ لَنَظَرُوا إِلى المَلَكُوتِ»(۱)، فالمانع من نظر الإنسان إلى عالم الملكوت هو ابتلاء القلب بوساوس الشياطين وتورطه فى شداتها، فالشياطين تجول وتطوف دائماً حول قلب الإنسان وتمنع الأنوار الإلهيّه الاشراق على هذا القلب، فلو خضع هذا القلب وخشع للّه فإنّ الشيطان سيتركه ويبتعد عنه.

الثانى: البدن الفارغ، فيجب يكون البدن فارغاً من المشاغل الدنيويّه التى تلهى الإنسان عن الاهتمام بالأمور الروحانيّه.

الثالث: وموضع خالٍ، الإنسان يحتاج إلى مكان خلوه يبتعد فيه عن الضوضاء وعالم الكثره والمجالس الصاخبه وأصحاب الدنيا المشغولين باللعب واللهو، فينبغى أن يبتعد عن هذه الأمور حتّى تأنس روحه باللّه تبارك وتعالى، فقارىء القرآن يحتاج بشدّه إلى الأُنس والخلوه للّه تعالى عند تلاوته للقرآن حتّى يذوق حلاوه الخطاب الإلهى ويرى رعايه اللّه ويستشعر بها فى قلبه ويدرك عنايه الحقّ بها فى أعماق وجوده، وعلى حدّ تعبير بعض الأكابر، إذا وجد قارىء القرآن مثل هذه الحاله فى نفسه وقلبه فإنّه لا يكون مستعداً أبداً أن يترك هذه الحاله والانشغال بعمل آخر، وعندما نشعر بالتعب والملل من قراءه القرآن فهذا يعنى أننا لم نوفّر الشروط المقرره لتلاوه القرآن، وتكون تلاوتنا مجرّد تلاوه باللسان فقط دون أن يشترك قلبنا فى فهم معانى القرآن ودون أن يستشعر القلب حاله الحضور والخشوع، وإلّا فإنّ القلب الخاشع لا يملّ أبداً من تلاوه القرآن.

۱- (۱) . محجّه البيضاء، ج ۲، ص ۲۴۱.

۱۳۰– تفاوت القرآن مع سائر الکتب

یتابع الإمام الصادق علیه السلام قوله فی الروایه السابقه: «فَانظُرْ کَیفَ تَقرَأ کِتَابَ رَبِّکَ وَمَنشُورَ وَلایَتِک»، لا ینبغی أن تکون تلاوه القرآن مثل قراءه سائر الکتب الأخری، ففی سائر الکتب لا یدرک الشخص عظمه وقدره المؤلف وصاحب الکتاب، خلافاً للقرآن الکریم الذی نعلم أنّه کلام اللّه تعالی وقد أرسله الباری تعالی إلی الناس لإرشادهم وهدایتهم إلی طریق الحقّ والصواب، فالقرآن هو منشور ولایه الحّق تبارک وتعالی، والإنسان المؤمن لا یجد لتحقیق لسعادته أی کتاب ومنشور آخر غیر کتاب اللّه تبارک وتعالی، وهو المنشور والکتاب الذی یحقّق السعاده الواقعیّه والحقیقیّه للإنسان، فنحن بتلاوه القرآن نطالع ونقرأ المنشور الواقعی للسعاده والهدایه ونتدبّر فی آیاته.

«وَکَیْفَ تُجِیبُ أَوَامِرَهُ وتَجتَنِبُ نَواهِیِهِ»، فیجب علی قارىء القرآن أن یقف أمام الآیات التی تتضمّن الأوامر والنواهی الإلهیّه ویتدبّر فیها وما عمل علی تطبیقه فی حیاته من هذه الأوامر والأحکام، وما مقدار ما امتثله من هذه النواهی.

ص:۴۰۹

«وَکَیفَ تَتَمَثَّلُ حُدُودَهُ»، أی کیف تعمل علی رعایه الحدود الإلهیّه.

« «فَإِنَّهُ کِتَابٌ عَزِیزٌ لایَأتِیهِ البَاطِلُ مِنْ بَینِ یَدَیهِ وَلا مِنْ خَلفِهِ تَنزِیلٌ مِنْ حَکیمٍ حَمِیدٍ فَرَتِّلَهُ تَرتِیلاً»(۱) وَقِفْ عِنْدَ وَعدِهِ وَوَعِیدِهِ».

إنّ وعود القرآن لا تختصّ بالجنّه وعالم الآخره، بل ثمّه وعود مهمّه فی هذا العالم أیضاً: «وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ...»۲ ، وعندما نقرأ هذه الآیه یجب أن نری هل أننا نملک اللیاقه لنکون من زمره مصادیق هذا الوعد الإلهی أم لا؟ وهکذا بالنسبه للآیات التی تتحدّث عن العذاب الإلهی فلابدّ أن نفکّر فی أنفسنا لئلا یکون هذا الخطاب متوجّهاً لنا ونحن نستحق العذاب والعقاب الإلهی یوم القیامه.

«وَفَکِّرْ فِی أَمثَالِهِ وَمَواعِظِهِ وَاحذَرْ أَنْ تَقَعَ مِنْ إقَامَتِکَ حُرُوفَهُ فِی إضَاعَهِ حُدُودِهِ»(۲)، یقول الإمام الصادق علیه السلام: عندما تصل فی تلاوه الآیات الکریمه إلی الأمثال والمواعظ والحِکم فعلیک أن تفکّر فیها وتتمعّن فیها، فعندما یحکی لنا القرآن هذه القصص لیس من أجل الاستمتاع وبیان معلومات تاریخیّه فحسب بل لکی نکسب الدرس والعبره من هذا، فالإنسان ما لم یفکّر فی سیره الأولین وما جری علی الأقوام السالفه ولا یفکّر بالسبب الذی ابتلیت هذه الأقوام بالعذاب الإلهی، وما هو العامل الذی دفع بهؤلاء الناس رغم وجود تحذیرات الأنبیاء أن یتوغلوا فی خطّ الضلاله والمعصیه، فإنّه لا یستطیع أن یکسب العبره من حیاتهم وسیرتهم، وفی ذیل هذه الروایه یقول الإمام: «وَاحذَرْ أَنْ تَقَعَ مِنْ إقَامَتِکَ حُرُوفَهُ فِی إضَاعَهِ حُدُودِهِ»، واحذر أنّک تضیّع لا سمح اللّه حقائق القرآن وحدوده.

۱- (۱) سوره فصلت، الآیه ۴۲.

۲- (۳) . مصباح الشریعه، ص ۶۹؛ التنبیهات العلیّه، ص ۱۲۲.

وللأسف نری فی زماننا أنّ البعض یهتمّ کثیراً بتجوید القرآن وإقامه حروفه وترتیله بشکل صحیح وخاصّه فی الصّلاه، وأحیاناً یکرر الکلمه عدّه مرّات لمراعاه التجوید اللفظی بحیث یصبح محلّ استهزاء الآخرین، وهنا ننقل هذا کلام من بعض الأکبار کالمرحوم الفیض الکاشانی حیث یقول: إنّ أکبر استهزاء للشیطان بهذا الشخص المصلّی عندما یقول: «ولا الضّالّین» ویتصوّر أنّه لم یؤدّها بشکل صحیح ولذا یقوم بتکرارها مرّات عدیده بحیث یکون مورد استهزاء الآخرین، فالإمام الصادق علیه السلام یقول: إحذر أن یکون اهتمامک بإقامه الحروف أکثر من اللازم بحیث إنّک تضیّع حدود القرآن ومعانیه ومفاهیمه السامیه.

نسأل اللّه تعالی أن یرزقنا معرفه حقائق القرآن ویفتح قلوبنا علی تعالیمه وحدوده ویوفّقنا لإقامتها والعمل به فی واقع الحیاه إنّ شاء اللّه.

۱۳۱- آداب القراءه: التعظيم - التفكّر

بحسب الروايه الوارده فی کتاب «مصباح الشريعه» عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ قراءه القرآن لها مراتب، ويجب على القارىء للقرآن معرفه هذه المراتب والالتفات إليها، المرتبه الأُولى: مرتبه التعظيم، المرتبه الثانيه، التدبّر، الثالثه:

التخلی، الرابعه: التفهمّ والتخصيص، والخامسه: التأثر والترقی.

يتحدّث المرحوم الميرزا جواد ملکی التبريزی رضوان اللّه تعالی عليه فی کتابه «أسرار الصّلاه» فی بيان هذه المراتب بكلام جميل وبليغ يحكی عن معنويه هذا الرجل العظيم ومرتبته الساميه فی المسائل العرفانيّه والأخلاقيه:

المرتبه الأُولی، وهی مرتبه التعظيم وسبق أن تحدّثنا عنها، فالقارىء للقرآن يجب أن يلتفت إلی عظمه الكلام والمتكلّم، فالكلام عظيم جدّاً، وكذلك المتكلّم، وهذا الفهم من شأنه أن يخلق فی نفس القارىء حاله الخشوع والخضوع.

أمّا المرتبه الثانيه، وهی التفكّر والتدبّر فی آيات القرآن، فإنّ القرآن نفسه يدعو الناس للتفكّر فی آياته ويستنكر من لا يتدبّر ولا يتفكّر فيها: «أَ فَلا

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...»۱.

يقـول المرحوم الميرزا جواد ملكى فى كتـابه «أسـرار الصّـلاه»: إذا قرأت فى سوره الواقعه «أَ فَرَأَيْتُمُ الْمـاءَ الَّذِى تَشْـرَبُونَ * أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ»۲ ، فإنّ اللّه تعالى فى هذه الآيه الشـريفه يريد أن يفهمنا بأنّكم لا ينبغى أن تحصروا فكركم بـأنّ المـاء وسـيله لرفع العطش فقـط، بل إنّ كلّ موجود حى فى هـذا العالم من النباتات والأشـجار والحيوانات خلقت جميعاً من الماء وتحتاج فى إسـتمرار حياتها إلى الماء، فينبغى على الإنسان أن يفكّر كيف أنّ قطرات الماء هـذه تتبدّل فى عالم الطبيعه إلى غـذاء وطعام، والحبوب التى توضع فى التراب تتبـدّل إلى نبات، وهـذا النبات يتبدّل إلى غذاءٍ للحيوانات، وهذه الحيوانات تكون غـذاءً للإنسان، فعندما تتحوّل إلى غذاءٍ للإنسان وتكون لحمه وجلده وعظمه فإنّ هذا الإنسان لا يعتمد فى حياته وبدنه فقط على هـذا الغـذاء، بل إنّ قوّه ذهنه وإدراكه وحواس السـمع والبصـر و... وسائر القوى الأخرى تتولّـد من هذا الغذاء، وفى هذه المرحله يجد الإنسان الصلاحيّه والاستعداد لتقبّل الروح الإلهيّه وينوجد فيه الشعور والفكر والعقل، فما لم تتحقّق تلك المراحل لا يحصل الإنسان هذه اللياقه والقابليّه لهذه المرحله.

«ثُمَّ تَفَكَّرْ فِى حَقِيقَهِ العَقلِ وَالعَظَمَهِ، ثُمَّ تَفَكَّرْ فِى مَراتِبِ العُقُولِ»، ويقول ملكى التبريزى: إذا تدبّر الإنسان فى هذه الآيه: «أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْـرَبُونَ» ، وأدرك أنّ هذا الماء الذى يشربه ليس مجرّد قطرات من الماء ليرفع عطشه بها، بل إنّ هذا الماء فى مسيره التكامل هو مصدر الحياه الظاهريّه للكائنات والحياه الظاهريّه والباطنيّه للإنسان، وهنا يلتفت إلى المبدأ والمصدر لهذا الماء.

ص:۴۱۳

والمثال الثانى الذى يذكره الميرزا ملكى التبريزى فى كتابه، الآيه الشريفه:

«فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها...»۱ ، فعندما يقرأ الإنسان هذه الآيه الشريفه ويفكّر فى رحمه اللّه تعالى وقموميّته على جميع العالم والكائنات، وعندما يفكّر فى قوله تعالى: «اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...»۲ ، فماذا تعنى كلمه «قيوم»؟ إنّ قيّوميّه البارى تبارك وتعالى على جميع عالم الوجود هى الحافظه والماسكه لهذا العالم والكائنات من الاندثار والزوال، فعندما تقف السقوف على الدعائم والأعمده فإنّ هذا يعكس قيّوميّه هذه الأركان والأعمده بحيث إنّها لو أصابها الخلل والاعوجاج لحظه واحده فإنّ السقف سينهار، وعالم الوجود والكائنات تستقى وجودها وبقائها من نور قيّوميّه البارى تعالى، ولو انطفأ ذلک النور لحظه واحده فإنّ جميع الأشعه فى عالم الموجود ستزول وتنعدم، وهکذا نعلم بأنّ اللّه تبارک وتعالى له قيّوميّه على سائر المخلوقات بحيث إنّ هذه القيّوميّه لو سلبت من المخلوقات لحظه واحده فلا يبقى شىء فى العالم وستندثر جميع الكائنات والموجودات، إذن يجب علينا التفكّر والتدبّر فى الآيات الإلهيّه.

وإحدى المراتب المهمّه فى آداب القراءه والتلاوه، مسأله التفكر فى آيات القرآن الكريم، نرجو أن يوفّقنا اللّه جميعاً للتفكّر والتدبّر إن شاء اللّه.

ص:۴۱۴

۱۳۲- آداب القراءه: التخصیص

وأحد الآداب الأخرى لقراءه القرآن: التخصیص، والتخصیص یعنی أنّ الشخص عندما یقرأ القرآن یرى نفسه مخاطباً لهذه الآیات الشریفه وهو المقصود بالخطابات القرآنیّه، وکأنّ اللّه تعالى یتحدّث معه فیها، فلو أنّه مرّ على آیه فیها أمر للمخاطب فعلیه أن یعلم أنّه المأمور وهو المخاطب بهذه الآیه، وإذا مرّ بأیه فیها نهی فیقول: إنّ النهی متوجّه لی فی هذه الآیه الشریفه ویجب علیَّ امتثال هذا النهی، فلا ینبغی أن نقرأ آیه الجنّه فقط ونقول إنّها ترتبط بنا وأنّ هذا الوعد الإلهی بالجنّه یخصّنا، ولکن عندما نصل إلى آیات العذاب وجهنّم نقول بأنّ المقصود بها هو الکفّار والفسّاق والمنافقین، کلّا، لا ینبغی أن نتعامل مع آیات القرآن بهذه الصوره، یقول أمیرالمؤمنین علیه السلام: «وَإِذَا مَرُّوا بِآیَهٍ فِیهَا تَخْوِیفٌ أَصْغَوْا إِلَیْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِیرَ جَهَنَّمَ وَشَهِیقَهَا فِی أُصُولِ آذَانِهِمْ»(۱).

وعندما یصلوا إلى هذه الآیه الشریفه: «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ»۲ ، والتی تتحدّث عن

ص:۴۱۵

۱- (۱) نهج البلاغه، الخطبه ۱۸۴.

حال المجرمين يوم القيامه وكيفيّه سحبهم بالسلاسل إلى النار، فيجب أن يخاطب نفسه لئلا يكون من زمره هذه الفئه والجماعه، لا ـ ينبغى أن تكون أعمالنا بحيث تجعلنا من هذه الجماعه، ومن هذه الجهه لابدّ أن يستشعر القارىء للقرآن حاله الخوف والاضطراب فى نفسه.

ويحكى عن بعض الأكابر والأولياء كان عندما يقرأ هذه الآيات فإنّه ومن شدّه البكاء والجزع يصاب بالإغماء، لأنّه يتصوّر حالاته عندما يقرأ الآيه «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ» ، وكأنّ يوم القيامه تجسد أمام عينيه ويرى نفسه فى زمره هؤلاء المجرمين والمذنبين، فمن شدّه الخوف والاضطراب يبكى حتّى يغمى عليه، وعندما يصل إلى آيات الرحمه ويقرأ: «لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»١ ، ينشرح لها صدره ويفرح ويقول إن شاء اللّه أنا أكون من هؤلاء الذين غفر اللّه لهم ذنوبهم وأدخلهم فى رحمته الواسعه، ويتصوّر من شدّه فرحه وشوقه وكأنّه له جناحان يريد أن يطير بهما من شدّه الفرح، وهكذا الحال عندما يتأثر القلب بتلاوه الآيات الجليله وعندما يدرك القارىء مفهوم التخصيص فى هذه الآيات.

ومن الحالات الأخرى التى يجب على قارىء القرآن الالتفات إليها، الترقى، بمعنى أنّه عندما يقرأ القرآن الكريم فكأنّما يسمع كلام اللّه تعالى، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «عندما أقرأ القرآن فكأنّنى أسمع هذه الآيات من المتكلّم بها».

۱۳۳– آداب القراءه: الترقّی

یقول الإمام الصادق علیه السلام: «وَاللّهِ لَقَدْ تَجَلّی اللّهُ لِخَلقِهِ فِی کَلامِهِ وَلَکنْ لایُبصِرُونَ»

ثمّه ثلاث مراحل فی مسأله الترقّی لقاریء القرآن، وأوّل هذه المراحل أن یری القاریء نفسه واقفاً بین یدی اللّه عزّ وجلّ، فعندما یقرأ القرآن علیه أن یجد نفسه حاضراً فی مقابل اللّه تبارک وتعالی، وعلینا أن نعلم أنّه تعالی یرانا ویسمع کلامنا، فعندما یشعر الإنسان بهذه الحاله فسوف یقرأ الآیات بحزن أو بشوق ووَجْد، وحتّی عندما یطلب من اللّه تعالی شیئاً ویصل إلی آیاته وصفاته الرحیمیّه والغفوریّه فإنّه یستشعر التملق إلی الباری تبارک وتعالی، فحاله التملّق حاله سلبیه وذمیمه فی جمیع الموارد والمواطن إلّاالتملّق فی المعنویّات فی مقابل اللّه تبارک وتعالی.

المرحله الثانیه، وهی أعلی من هذه المرتبه، أی یشهد القاریء بقلبه وکأنّ اللّه تعالی یخاطبه ویتحدّث معه ویناجیه، وکأنّه یسمع کلام اللّه ویدرک أنّه هو المخاطب فی هذا الکلام من قِبل اللّه تبارک وتعالی، فالالتفات إلی هذه الحقیقه،

وهی أنّ اللّه تعالی یتحدّث معه بهذه الآیات یؤثر کثیراً فی فهم القاریء لهذه الآیات، وسیجد فی نفسه حاله من التعظیم والحیاء والهیبه والأمل أکثر فأکثر فی علاقته وارتباطه باللّه تبارک وتعالی.

المرحله الثالثه، وهی بدورها أعلی من تلک المرحله السابقه، وهی «أَنْ یَرَی فِی الکَلامِ المُتَکَلِّمَ، وَفِی الکَلِمَاتِ الصِّفِاتَ، وَیَشْتَغِلُ ذَلِکَ عَنِ النَّظَرِ إلی قِرَاءَتِه وَإلی نَفْسِهِ»، وعندما یقرأ کلام اللّه فکأنّه یری المتکلّم بهذا الکلام، ویری من خلال هذه الآیات والکلمات الإلهیّه صفات اللّه تبارک وتعالی، فحینئذٍ یغفل عن نفسه وحتّی عن قراءته الظاهریّه لهذه الکلمات والآیات ویشاهد فقط اللّه تبارک وتعالی ویستغرق فی هذه الأجواء وفی مقام الشهود.

یقول الإمام الصادق علیه السلام «وَاللّهِ لَقَدْ تَجَلّی اللّهُ لِخَلقِهِ فِی کَلامِهِ وَلَکنْ لا یُبصِرُونَ»(۱)، یعنی أنّ الإنسان إذا أراد مشاهده اللّه تعالی، فإنّ اللّه قد تجلّی لعباده من خلال کلامه فی القرآن الکریم، ولکن الحجب التی تحجب الناس عن هذه الحقائق تمنعهم من هذه الرؤیه.

وطبعاً فإنّ هذه المرتبه هی مرتبه سامیّه جدّاً وتختصّ بالمقرّبین، ویقول المرحوم المیرزا جواد ملکی فی کتابه «أسرار الصلاه» فیما یتّصل بهذه المرتبه وأنّها آخر مرتبه یشاهد الإنسان الباری تعالی ولا یری نفسه وهذه الألفاظ والکلمات ویستغرق فی الشهود: إنّ هذه الدرجه والمرتبه خاصّه بالمقرّبین، أمّا المرتبه الثانیه، وهی أن یشعر الإنسان بأنّ اللّه تعالی یتحدّث معه، فتتعلّق بأصحاب الیقین، والمرتبه الاُولی تتعلّق بسائر الناس بأن یعلموا بأنّهم یجلسون فی محضر الباری تعالی، وعلیهم أن یعلموا أنّهم عندما یقرأون القرآن فإنّ اللّه تعالی ینظر إلیهم.

ص:۴۱۸

۱- (۱) . التنبیهات العلیّه، ص ۱۳۸.

۱۳۴، ۱۳۵– سوره الحمد فی الحدیث القدسی

نتحدّث الآن عن موضوع قراءه سوره الحمد فی الصّلاه، وسبق أن أشرنا أنّ ثواب تلاوه آیه واحده فی الصّلاه تعادل أحیاناً مائه ضعف من ثواب تلاوه آیه فی غیر الصّلاه، وإذا التفت المؤمنون إلی هذا الأمر فسوف یساعدهم ذلک علی حفظ مقدار من آیات وسور القرآن الکریم وتلاوتها فی صلاتهم وخاصّه السور التی تتضمّن آیات أکثر.

وأحد الأجزاء المهمّه جدّاً، سوره الحمد وسوره أخری حیث یجب قراءه هاتین السورتین فی الرکعتین الاُولیین من الصّلاه، وحتّی فی الرکعات الأخری، الثالثه والرابعه فالمصلّی مخیّر بین قراءه سوره الحمد أو التسبیحات الأربعه، وهذا یکشف عن أهمیّه قراءه القرآن وبخاصّه سوره الحمد فی الصّلاه، التی هی سفر إلهی ومعراج المؤمن، ولو أننا تعرفنا علی الأسرار الوارده فی سوره الحمد أو فاتحه الکتاب، فسوف نعرف أهمیّه الصّلاه وتأثیرها ودورها فی حیاه الإنسان.

فبالنسبه للقراءه ينبغى القول إنّ المصلّين على فئتين: الفئه الأُولى، ليس لها ربح وحظ من القراءه سوى التلفّظ بالكلمات أو حتّى التجويد والترتيل بشكل جميل، هؤلاء محرومون من بركات روح العباده، الفئه الثانيه، هم الأشخاص الذين تكون قراءتهم وسيله التذكّر والحمد والثناء للّه ربّ العالمين وتقديسه، هؤلاء لهم الحظ الوافر من ثمرات العباده والصّلاه، ونرجو عند قراءه سوره فاتحه الكتاب الالتفات إلى هذا الحديث القدسى وهو حديث عميق المغزى والمضمون، يقول اللّه تبارك وتعالى فى هذا الحديث القدسى: «قَسَمْتُ الصَّلاهَ بَينى وَبَينَ عَبْدِى فَنِصفُها لِى وَنِصْفُها لِعَبدِى»، ومن المسلّم أنّ حقّ النصف الأوّل المتعلّق بالبارى تعالى وهو الحقّ الربوبى إذا لم يؤدّها المصلّى على الوجه الصحيح فلا تصل النوبه للنصف الثانى من حقّ العباد.

«فَإِذا قَالَ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم يَقُولُ اللّه: ذَكَرَنِى عَبْدِى».

والذكر هنا له مرتبه لفظيّه وظاهريّه بأن يذكر الإنسان اللّه تعالى بلسانه، والمرتبه الأخرى هى المرتبه القلبيّه والإيمانيّه.

إنّ بيان أسماء اللّه الحسنى وصفات الجمال والكمال والجلال للذات المقدّسه تعدّ من مصاديق الذكر، ولكنّ أفضل وأعمق وأقرّب مصاديق ذكر اللّه، هو: «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم»، يقول البارى تعالى: عندما يذكرنى عبدى بهذه العباره، فليس المقصود هنا الذكر اللفظى فقط من عباره «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم»، بل يجب على الإنسان أن يكون ذاكراً للّه بقلبه وأعماق وجوده، كما أنّ المفسّرين ذهبوا إلى أنّ المراد من الاسم هو المسمى، يعنى حقيقه كلّ شىء فى عالم الوجود هى جلوه من تجليات الحقّ تبارك وتعالى، فالإنسان يجب أن يصدق ويؤمن بأنّه لا موجود فى هذا العالم لا يحكى عن الوجود البارى تبارك وتعالى ولا كائن من كائنات عالم الطبيعه إلّاهو تجلى من تجليات حضره الحق تعالى.

ولا ینبغی لنا أن نحصر جمله «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ»، بأنّها أمر مستحب یأتی به الإنسان فی بدایه کلّ عمل من أعماله، فرغم أنّ هذا الذکر للبسمله فی بدایه کلّ عمل أمر محبذ ومستحب مؤکّد، ولکن حقیقه «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ»، أعلی من هذه المرتبه، وهذا یعدّ أدنی مرتبه من مراتب حقیقه البسمله ورشحه من رشحات حقیقه «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ»، یعنی یجب علی الإنسان أن یؤمن ویعتقد بأنّ جمیع موجودات هذا العالم هی فی حقیقتها تجلّیات الباری تبارک وتعالی، وجمیع موجودات العالم مظهر من مظاهر اللّٰه تعالی ولا شیء فی هذا العالم منفصل ومستقل عن فعل اللّٰه، إذن فکلّ شیء مقترن بالذات المقدّسه ومرتبط باللّٰه تعالی، وعندما نذکر «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ»، فإننا نرید من هذه العباره ومن هذا الذکر أن نعترف ونقرّ بألسنتنا ونصدق بقلوبنا بهذا المعنی فی البسمله.

یجب أن یکون قلب الإنسان تجسیداً للذکر، أی یکون باطنه ذاکراً وتتحقّق صفه الذاکر لذاته، ویتبادر إلی ذهننا هنا کلام العارف بابا طاهر، حیث یقول:

«هنیئاً للأشخاص الذین یعیشون الصّلاه دائماً»، وهذا الکلام ناظر إلی الأشخاص الذین یعیشون القلب الذاکر، فإذا کان القلب ذاکراً فإنّه سیکون ذاکراً حتّی فی حال النوم ولا فرق لدیه بین النوم والیقظه.

ومن هذا المنطلق فالنقطه الاُولی فیما یتّصل «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ»، هی أنّ قلب الإنسان أیضاً یجب أن یکون ذاکراً لهذا الذکر، فلو قال اللّٰه تعالی: «ذکرنی عبدی» أی عندما یتلفّظ المصلّی البسمله فإنّه یذکر اللّٰه تعالی، وهذا الذکر لیس مجرّد لقلقه لسان بل إنّ اللّٰه تعالی ینظرإلی قلب المصلّی، فإذا کان قلبه ذاکراً وکانت هذه البسمله نابعه من قلبه، فهنا یقول اللّٰه: «ذکرنی عبدی» ولکن إذا کانت البسمله تدور فی مدار اللسان فقط ولا تحدث أی تغیّر وتحوّل فی قلبه ولا یشهد

بـأى تجلّى للّه تعـالى فى ممكنات العالم، فهنا لا يمكن القول إنّ حقيقه الـذكر موجوده فى هـذا الشـخص، وبالتالى لا يقول اللّه: ذكرنى عبدى.

«اِذا قَالَ الْحَمْدُ للّهِ ِيَقُولُ اللّهُ: حَمَدَنِى عَبْدِى وَأَثنَى عَلَىَّ».

«وَإِذا قَالَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم يَقُولُ اللّهُ: عَظَمَنِى عَبْدِى»، ويتـبيّن من هـذا الكلاـم للّه تعـالى وجـود فرق بين هـذه العبـاره «الرَّحْمَنِ الرَّحِيم»، وبين مـا ورد فى البسـمله «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم»، وأنّ هـذه الكلمه لاـ تعـدّ من التكرار، فهنـا يـدرك المصـلّى مقام التعظيم للّه تبارك وتعالى.

«وَإِذا قَالَ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ يَقُولُ اللّهُ: مَجَدَنِى عَبْدِى»، فهذه العباره تدلّ على أنّ المجد والعظمه والمالكيّه للّه تعالى.

«وَإِذا قَالَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ يَقُولُ اللّهُ: هَذا بَينِى وَبَينَ عَبْدِى»، فهـذه الآيه الشـريفه نصـفها للّه إلى قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»، ونصفها الآخر للعبد وناظره إلى نفعه وهو قوله: «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ».

«وَإِذا قَالَ اهْدِنَا الصِّرَطَ الْمُسْتَقِيمَ يَقُولُ اللّهُ: هَذا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ»(۱).

وطبقاً لهذا الحديث القدسـى فإنّ سوره فاتحه الكتاب من البسمله إلى مالك يوم الدين مختصّ باللّه تعالى، ويجب على المصلّى أن يلتفت إلى هـذه النقطه كاملاًـ ليسـتطيع الاسـتغراق فى حـال التوجّه إلى اللّه تعـالى، أمّـا الآيه: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، فالمصلّى يجب أن يعلم بأنّ قسماً منها متعلّق باللّه تعالى والقسم الآخر متعلّق به، أمّا باقى السوره فمختصّ بالعبد.

ص:۴۲۲

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۹۲، ص ۲۲۶.

۱۳۶- حقیقه الذکر فی الروایات

أری من المناسب أن نستعرض فی مورد حقیقه الذکر بعض الروایات لکی نعرف ما هی حقیقه الذکر، فإنّ حقیقه الذکر لیست مجرّد التسبیح ومسک المسبحه بالید وذکر بعض الأوراد والاذکار، بل هذا الذکر لسانی مقدّمه للتوصّل إلی حقیقه الذکر القلبی، وهو ما یوجد فی باطن الإنسان من التوجّه إلی اللّه تعالی، بحیث یری الإنسان نفسه فی محضر الحقّ تعالی ویری العالم جلوه من تجلیات الباری تبارک وتعالی، فلو وصل الذاکر إلی هذه المرحله فإنّه قد وصل إلی مقام الذکر.

ونقرأ فی بعض الروایات إنّ اللّه عزّ وجلّ یقول: «أَنا جَلِیسُ مَنْ ذَکَرَنِی»(۱)، وهذا المعنی یعکس غایه اللطف الإلهی بعبده، مع أنّ توفیق الذکر وأن یتوجّه الإنسان إلی ربّه بذکره هو توفیق من اللّه تعالی وعنایته، ولکنه تعالی یقول: عندما یوفّق قلب هذا العبد لذکری فسأکون جلیسه وصاحبه، وعندما یکون اللّه تعالی جلیس المرء وصاحبه فإنّ یده ستتحرّک بعنایه الباری تعالی، وهکذا یعیش هذا الإنسان

۱- (۱) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ح ۲، ص ۴۹۶.

بوجوده ويتحر فكره، وعينه، وأُذنه، ولسانه وجميع كيانه وقواه بنظر اللّه تعالى وعنايته ومشيئته، وهذا توفيق عظيم لا يناله سوى أولياء اللّه الخاصّين الذين يعيشون حاله الذكر الدائم بقلوبهم.

وجاء في حديث قدسي آخر أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال: «قَالَ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ يا بنَ آدم اذكُرنِي فِي نَفسِكَ أَذكُرْكَ فِي نَفسِي»، وهذا الذكر للّه عزّ وجلّ الوارد في هذا الحديث الشريف هو ذكر في مرتبه الذات، هو رتبه أعلى بكثير من ذكر اللّه تعالى عند الملائكه، وهذا المعنى نعجز عن فهمه ولا نستطيع إدراك هذا المفهوم العميق، وهو أن يذكرنا في نفسه، فماذا يعني هذا الذكر؟ إنّ اللّه تعالى يقول هذا الكلام لنستطيع أن نتصوّر ولو بمقدار قليل أنّ هناك مرتبه أعلى وهي هذه المرتبه الساميه من عنايه الحقّ تبارك وتعالى بعبده بأن يذكره في نفسه، وليس أمام الملائكه كما في الأحاديث الأخرى.

إنّ اللّه تعالى إذا أراد أن يمنح العبد عنايته الخاصّه فإنّه يقول: إنّ هذا العبد قد ذكرني في نفسه دون أن يلتفت إليه أحد من الناس ودون أن يشير إلى ذلك ليلفت نظر الآخرين إليه، فأنا أذكره أيضاً في نفسي.

«يابنَ آدم اذكُرنِي فِي خَلاً أَذكُرْكَ فِي خَلاً، يابنَ آدم اذكُرني فِي مَلاً أَذكُرْكَ فِي ملاً خَيرٌ مِنْ مَلئكَ».

يقول الإمام الصادق عليه السلام في سياق هذا الحديث الشريف: «مَا مِنْ عَبْدٍ ذَكَرَ اللّهَ فِي مَلأ مِنْ النَّاسِ إلّا ذَكَرَهُ اللّهُ فِي مَلأ مِنَ المَلائِكَهِ»(۱).

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوه والتبليغ للدين الإلهي والحضور في المساجد وإقامه الصّلاه جماعه، كلّها من مصاديق ذكر اللّه في الملأ، فالشخص الذي يدعون الناس إلى اللّه تعالى ويرشدهم إلى طريق الهدايه

۱- (۱) وسائل الشيعه، ج ۷، ص ۱۵۹؛ المجالس، ج ۱، ص ۳۹.

والإيمان فإنّه يذكر اللّه تعالى فى جماعه من الناس، وهذا مصداق ذكر اللّه فى الملأ، وفى المقابل فإنّ اللّه تعالى يذكر هذا الشخص فى اجتماع عظيم للملائكه بما لا يقبل المقارنه بتجمع بشرى.

إذن ينبغى الالتفات إلى هذه الحقيقه وهى أهميّه ذكر اللّه تعالى وأنّ ذكر بسم اللّه الرحمن الرحيم هو المصاديق البارزه لذكر اللّه، ومقدّمه لايجاد الذكر الواقعى وتجسيد الذكر القلبى فى أعمال الذات إن شاء اللّه.

ص:۴۲۵

۱۳۷- بسم اللّه الرحمن الرحیم ذکر اللّه

قال الإمام علی علیه السلام: «إِنَّ کُلَّ مَا فِی القُرْآنِ فِی الفَاتِحَهِ...».

أشرنا فیما تقدّم إلی الآیه الشریفه: «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» ، وطبعاً لا نقصد فی هذا البحث تفسیر سوره الحمد، رغم أنّ بعض الأکابر ذکروا فی کتابهم «أسرار الصّلاه» جانباً من تفسیر هذه السوره المبارکه، وکذلک ذکروا بعض الجوانب من تفسیر سوره التوحید، ولو أردنا الدخول فی هذه البحوث التفسیریّه فسوف یطول بنا المقام، ولکن بمناسبه ذکر هذا الحدیث القدسی، فإنّ العبد عندما یقول:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» ، فإنّ اللّه تعالی یقول: «ذَکَرَنِی عَبْدِی»، ولذلک نشیر هنا إلی بعض النقاط التی نستوحیها من هذا الحدیث فیما یتّصل بالآیه «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ».

وینبغی الالتفات إلی هذه النقطه، وهی أنّ القرآن الکریم نفسه یصرّح فی بعض آیاته بأنّه ذکر، وحتّی أنّه ورد التعبیر عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله بأنّه ذکر، فکلّ هذه الأمور من مصادیق الذکر، کما ورد فی الروایه المنسوبه إلی أمیرالمؤمنین

صلوات اللّه علیه وقال: «إِنَّ كُلَّ مَا فِی القُرْآنِ فِی الفَاتِحَهِ»، فجمیع المعانی، والمفاهیم، والأسرار، والحقائق الوارده فی القرآن الكریم، وردت بشكل إجمالی وموجز فی سوره فاتحه الكتاب، ولذلک كانت هذه السوره امّ الكتاب، یعنی سوره الحمد تجمع فی مطاویها جمیع معانی وحقائق القرآن بشكل إجمالی.

ویتابع أمیرالمؤمنین علیه السلام بالقول: «وَكُلُّ مَا فِی الفَاتِحَهِ فی «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیم» ،وَكُلُّ مَا فِیهِ فِی البَاءِ، وَكُلِّ مَا فِی البَاءِ فِی النُّقطَه وَأَنا النُقطَه تَحْتَ البَاءِ»، وهذه الروایه مذكوره فی كتا ب مشارق أنوار الیقین(۱) وفی كتاب ینابیع المودّه.

یجب علی المصلّی أن یعلم أنّ جمیع معانی القرآن والحقائق الغیبیّه الموجوده فی عمق الآیات القرآنیّه كامنه ومجتمعه فی سوره الحمد، وحقیقه سوره الحمد موجوده فی «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیم» ، ولذلک عندما یقف للصّلاه فلا ینبغی الاستعجال فی قراءه هذه السوره، بل یتأمل فی معانیها والإشارات التی وردت فی روایات الأئمّه الطاهرین صلوات اللّه علیهم أجمعین لهذه السوره، وفی هذه السوره سیتحوّل حاله إلی حال آخر، فعندما یقول: «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیم» ، یقول اللّه تعالی: «ذكرنی عبدی»، ومعنی ذكر اللّه لیس أن یذكر اسم اللّه بلسانه فقط، كلّا، فالمصداق الأتمّ للذكر كما ورد فی هذه الروایات، یتحّقق فی «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیم».

وجاء فی بعض الروایات(۲) أنّ الباء فی بسم للّه إشاره إلی إحدی صفات وأسماء اللّه الحسنی وفی بعض آخر ذكر أنّ الباء إشاره إلی بهجه اللّه، وفی روایه ثالثه أنّه إشاره إلی بهاء اللّه، كما نقرأ فی دعاء السحر فی شهر رمضان المبارک:

«اللّهُمَّ إِنّی أَسأَلُکَ بِبهائِکَ كُلِّهِ وَكُلُّ بَهائِکَ بَهیّ»، فالبهاء هو أحد أسماء اللّه

ص:۴۲۷

۱- (۱) مشارق أنوار الیقین فی أسرار أمیرالمؤمنین علیه السلام، ص ۳۵.

۲- (۲) . انظر: الكافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۱، ص ۱۱۴.

الحسنی، و «سین» إشاره إلی سناء اللّه، و «میم» إشاره إلی مجد اللّه، وجاء فی بعض الروایات «أَنَّ مِیم دَلیلٌ عَلَی مُلْکِهِ»، فالقاریء للقرآن یجب أن یعلم ما فی مطاوی هـذه الحروف الجلیله وفی هـذه السوره الشـریفه، ولا یقرأها کما یقرأ سائر الکتب، بل هـذه السوره تتضـمّن غایه الحکمه والـدقّه والنظم والبلاغه، فالشـخص الـذی یقف للصّلاه ویریـد التوجّه والتفکیر فی هذه النقاط ولو بشکل إجمالی فإنّ قلبه سیشعر بالاستقرار والطمأنینه شیئاً فشیئاً ویکون مستعداً لاشراق التجلیات الإلهیّه علیه.

ص:۴۲۸

۱۳۸- معنی اللّه فی کلام أمیرالمؤمنین علیه السلام

قال الإمام علی علیه السلام: «إِنَّ کُلَّ مَا فِی القُرْآنِ فِی الفَاتِحَهِ...».

ینقل الشیخ الصدوق رضوان اللّه علیه فی کتابه «التوحید»(۱) هذه الروایه عن أمیرالمؤمنین علیه السلام أنّه قال: «إِنَّ رَجُلًا قَامَ إِلَیهِ فَقَالَ: یاأَمِیرَالمُؤمِنِینَ أَخْبِرنِی عن بِسمِ اللّه الرّحمنِ الرَّحِیمِ مَا مَعنَاه»؟

ویستفاد من هذا السؤال أنّ أصحاب أمیرالمؤمنین علیه السلام کانوا یعیشون مرتبه من الفهم والإیمان والدقّه فی الملاحظه بحیث یسألون الإمام مثل هذه الأسئله، وهکذا ینبغی علی شعبنا العزیز وشبابنا أن یسعوا للمزید من طرح أسئلتهم فی المعارف والعقائد الدینیّه ویجب علی علمائنا تقدیم الأجوبه لهؤلاء الشباب حسب الامکان.

ونری أنّ هذا الشخص سأل من الإمام علیه السلام عن معنی «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» ، فقال له الإمام علیه السلام فی جوابه: «إِنَّ قَولَکَ اللّهُ أَعْظَمُ اسمِ مِنْ أَسمَاءِ اللّهِ، وَهُوَ

۱- (۱) . التوحید للشیخ الصدوق، ص ۲۳۱ باب معنی بسم اللّه الرحمن الرحیم.

الإسم الَّذی لایَنبَغِی أَنْ یُسَمّی بِهِ غَیرُ اللّهِ، وَهُوَ الَّذی یَتَأَلَّهُ إلَیهِ عِبْدَ الحَوائِجِ وَالشَّدائِدِ کُلَّ مَخلُوقٍ عِنْدَ انقِطَاعِ الرَّجَاءِ مِنْ جَمِیعِ مَنْ هُوَ دُونَهُ وَتَقطُّعِ الأَسبَابِ مِنْ کُلِّ مَنْ سِواهُ»، فهذا الاسم هو مصداق تلک الحقیقه التی یلجأ إلیها الناس عند الشدائد والأزمات وهو اللّه الذی یحکی عن ذلک الموجود العظیم.

وهذا یعنی أنّ الإنسان عندما یتلفظ بکلمه اللّه فعلیه أن یلتفت أنّ هذه الکلمه وهذا الاسم لیس له سوی مصداق واحد، بل لا یمکن عقلاً تصوّر مصداق آخر له، فلا موجود غیر اللّه تبارک وتعالی یکون قابلاً لإطلاق هذا الاسم علیه، ولا ینبغی القول إنّ اللّه یعنی المعبود، ثمّ یقال لا سمح للّه إنّ الأصنام والأوثان هی معبوده للوثنیین والمشرکین وبذلک یکون اللّه معبوداً والأوثان معبوداً آخر.

ومن هذه الجهه قال علماؤنا الأکابر، اللّه اسم مستجمع لجمیع الصفات الکمالیّه، فعندما نقول: «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» ، فلو أننا لم نلتفت إلی هذه الجهه من معنی هذه العباره فإنّ اللّه تعالی لا یقول: ذکرنی عبدی، ولکن إذا التفتنا إلی أنّ اللّه اسم مختصّ بتلک الذات اللامتناهیه والذی یملک القدره والعلم والحیاه المطلقه وأنّ جمیع عوالم الوجود صدرت من برکه وجوده وأسمائه الحسنی وصفات جلاله وجماله، وفی هذه الصوره یقول اللّه: ذکرنی عبدی، وإلّا إذا قلنا:

اللّه، ولکننا لا نفهم من ندعو بهذا الاسم ولا نفهم أنّ اللّه اسم لأی شیء ومتعلّق بأی موجود؟ فمن البدیهی لا ینبغی أن نتوقع ذکر اللّه لنا، وطبعاً فإنّ مقصودنا لا یتعلّق بمعرفه الذات المقدّسه علی نحو الحقیقه، لأنّه لا أحد من المخلوقات حتّی الأنبیاء لا یستطیعون درک وفهم حقیقه الذات المقدّسه، ولکننا یجب أن نعلم بهذا المقدار، وهو أنّ اللّه یتّصف بهذه الخصوصیّات «اللّهُ هُوَ المَستُورُ عَنْ دَرْکِ الأبصَارِ المَحجُوبِ عَنِ الأوهَامِ وَالخَطَراتِ»، یجب أن نعلم أنّ هذا الأسم مختصّ باللّه تبارک وتعالی ونحن لا نستطیع درک تلک الذات المقدّسه لأنّ أذهاننا وأفهامنا لا

تملک القـدره علی ذلک، ومن هـذه الجهه یقول العرب عن الشـخص المتحیّر، «أَلِهَ الرُّجل»، فکلمه اللّه تعنی أیضاً تلک الـذات التی تحیّرت فیها عقول البشر عن فهم حقیقته وأنّه تعالی محجوب عن جمیع الأفکار والأوهام والأذهان.

۱۳۹- مضافاً إلى الصّلاه كلّ عباده تنقسم بين اللّه وعبده

بالنسـبه للحديث القدسی المتقدّم الذی يقسّم الصّلاه وسوره الحمد بين اللّه وعبده، ربّما يثار هذا السؤال، هل أنّ ما ورد فی هذا الحديث الشـريف يختصّ بسوره الحمد أم يشـمل الأفكار والأفعال والأمور الأخرى فی الصّلاه وأنّها تقسّم أيضاً بين اللّه وعبده؟ لأنّه من جهه نرى فی بدايه هذا الحديث أنّ اللّه تعالى يقول:

«قَسَّمْتُ الصَّلاهَ بَينِی وَبَينَ عَبـدِی»، ومن جهه أخرى وعنـدما يصل إلى شـرح هـذه المسأله يطرح فقط التقسـيم فی سوره الحمد، ويقول إنّ الآيات الاُولى من هذه الصوره تتعلّق باللّه من «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» ، و «الحَمد للّه»؟

وهـل أنّ ما ورد فی هـذا الحـديث فيما يتّصل بسوره الحمـد ذكر على سبيل المثال، أو أنّه يختصّ بسوره فاتحه الكتاب؟ وهنا قد يطرح هذا السؤال المهم أيضاً، أساساً هل أنّ هذا التقسـيم بين اللّه وعبده خاص بالصّلاه؟ يعنی لو قلنا فی شـرح سوره الحمد أنّ اللّه تعالى أراد أن يبيّن لنا مثالاً ونموذجاً فی عمليه القسمه

هـذه، ولكن الصّـلاه تتعلّق بالعبد من جهه، وتتعلّق باللّه من جهه أخرى، فهل يمكن أن يسـرى هذا الكلام وهذا التقسـيم بالنسـبه لجميع العبادات أم لا؟ هل يمكن القول إنّ كلّ عباده ذات وجهين، وجه مرتبط باللّه تعالى، والوجه الآخر مرتبط بالإنسان؟

وقـد أشـار الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه إلى هـذه النقطه الـدقيقه وقال(۱): فى نظرنـا رغـم أنّ هـذه الروايه تقرّر أنّ اللّه تعـالى قسّم سـوره الحمـد إلى قسـمين، ولكن هـذا التقسـيم يتعلّـق بجميـع أجزاء الصّـلاه ويشـمل الأذكـار وحالات الصّـلاه من التكبيرات الافتتاحيّه إلى قول المصلّى السلام عليكم.

ويتبيّن من كلام الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه وحشره اللّه مع أجداده الطاهرين، إنّ العبد عندما يقول «اللّه أكبر» ويؤدّى وظيفه العبوديّه بشـكلها الصحيح ويعتقد أنّ جميع حالات الكبرياء والمجد والعظمه منحصره للّه تعالى، فإذا اعتقد فى باطنه وقلبه واقعاً وحقيقه أنّ اللّه أكبر وكان هذا النور يشـرق فى قلبه فإنّ اللّه تعالى سـيفتح أمامه باب المراوده والمكاشفه والإنابه، كما ورد فى الحديث الشـريف فى كتاب «مصباح الشريعه» الإشاره إلى هذا المعنى، فعندما تكبّر تقول لقلبك: انظر والتفت جيداً هل تجد حلاوه هذه الصّـلاه وحاله البهجه والسـرور فى قلبك أم لا؟ فلو أنّك بقولك «اللّه أكبر» تشـعر بالأنوار الإلهيّه تشـرق على قلبك وأبواب السـرور والبهجه تنفتـح عليـك وتحسّ بحلاوه فى باطنك بين ذاتك وبين اللّه تعالى، فيتبيّن أنّ هـذه الكلمه «اللّه أكبر» هى اللّه أكبر واقعيه وحقيقيّه، أمّا لو قلت تكبيره الإحرام ولم تشـعر بمثل هـذه الحلاوه فى باطنك فاعلم أنّ هذا التكبير لم يصدر منـك من موقع الصـدق والإخلاص وأنّك فى قولك هـذا غير صادق، فلو كان الإنسان صادقاً فى قوله فسـيجد لـذه الحلاوه فى باطنه وقلبه.

ص:۴۳۳

۱- (۱) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۲۱۹.

وعلى هـذا الأساس فكلمه «اللّه أكبر» ترتبط من جهه باللّه تعالى وتبيّن كبرياء اللّه وعظمته من قبل العبـد، وأمّا من الجهه الأخرى المتعلّقه بالعبد فإنّ الإنسان يستشعر اللطف الإلهى الخفى والرحمه الإلهيّه الجليّه ويذوق حلاوه المناجاه وعباده اللّه.

ولو أردنا شـرح وبسط كلام الإمام الراحل رحمه الله هـذا فلا مانع من القول إنّ هذا الكلام يسـرى إلى جميع العبادات، ولكن قد يطرح هـذا السؤال: ما هى الخصوصيّه فى الصّلاه بحيث إنّ اللّه تعالى فى هـذا الحديث القدسـى الشـريف ذكرها؟ الجواب: إنّ الصّلاه هى المظهر الأعلى والأتم للعباده والمصـداق البارز والجليل لهـذا التقسـيم، ففى كلّ عباده هناك وجه متعلّق باللّه تعالى، ووجه آخر متعلّق بالعبد، ولكن هذا التقسـيم فى العبادات الأخرى ليس متجلّياً كما فى الصّلاه، فكلّ شخص وإن لم يكن له حظّ من العلم والمعرفه يستطيع فهم هذين القسمين وأنّ أحدهما متعلّق باللّه والقسم الآخر متعلّق بالإنسان.

يجب علينـا الالتفـات إلى هـذا المعنى فى جميع عباداتنا ولا نتصوّر أنّ عباداتنا جميعاً متعلّقه باللّه تعالى، وأنّها بمثابه الثقل الـذى يحمله الإنسان على ظهر ويسـلّمه إلى مولاه، فالعباده لها جهه متعلّقه باللّه تبارك وتعالى وجهه أخرى متعلّقه بالإنسان نفسه، ومن ذلك آثار العباده وحلاوتها فى قلب الإنسان العابد إن شاء للّه.

ص:۴۳۴

۱۴۰- الاستعاذه، آدابها وأركانها

«فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ» (۱)

وأحد الآداب المهمّه للقراءه «الاستعاذه» والمقصود من الاستعاذه أن يقول المصلّى بعد التكبيره الإحرام وقبل أن يبتدىء بقراءه السوره: «أَعُوذُ بِاللّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ»، وقد أفتى فقهاؤنا العظام باستحباب الاستعاذه قبل قراءه السوره، وصرّحوا أيضاً بأنّ الاستعاذه يجب أن تكون على نحو الاخفات وبدون الجهر، ولكن ما هى الاستعاذه وما هى آدابها وأركانها، وهل أنّ الاستعاذه مجرّد ذكر كلام يجرى على لسان المصلّى وأنّ الإنسان بمجرّد قول هذه العباره سيكون فى حصن حصين من اللّه تبارك وتعالى، أو أنّ الاستعاذه كلام يجب أن يحكى عن استعاذه القلب والروح وباطن الإنسان وبذلك تكون الاستعاذه الحقيقيّه هى الاستعاذه القلبيّه؟

النقطه المهمّه جدّاً هنا، هى أولاً: يجب الالتفات إلى اللّه أنّ تبارك وتعالى

ص:۴۳۵

۱- (۱) سوره النحل، الآیه ۹۸.

عندما أمر نبيّه الكريم: «وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ...»۱ ، فهذا اللّه الرحيم والرحمن يتحدّث مع نبيّه الكريم ويأمره بالتعامل مع المشركين بمثل هذا اللطف، فهل يعقل أن يستجير به المسلم ولا يقبل اللّه تعالى إجارته واستعاذته، وما هى آثار وعلامات الاستعاذه باللّه تعالى فى حياه الإنسان؟ وندرك نقاط مهمّه جدّاً مع بعض الدقّه فى حقيقه الاستعاذه.

أولاً: ورد فى الآيه الشريفه ۹۸-۱۰۰ من سوره النحل أنّ اللّه تعالى أمر نبيّه الكريم: «فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ» ، يعنى أنّك عندما تقرأ القرآن بقصد القربه إلى اللّه فاعلم أنّ الشيطان يهدف إلى إبعادك وإبعاد امّتك عنّى، وذهب بعض الفقهاء العظام أنّ الأمر بالاستعاذه فى هذه الآيه الشريفه واجب، لأنّهم ذهبوا فى علم الأصول إلى ظهور صيغه الأمر بالوجوب، فالاستعاذه قبل قراءه القرآن واجبه.

ويقول البارى تعالى فى سياق الآيه: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ».

وبما أنّ قسماً مهمّاً من الصّلاه يتضمّن قراءه القرآن فلذلك يجب الاستعاذه من الشيطان بعنوانها من آداب القراءه فى الصّلاه، كما أنّ القرآن أحد مصاديق الصراط المستقيم والمبين له، فإنّ الصّلاه كذلك من المصاديق البارزه للصراط المستقيم، ونقرأ فى سوره الأعراف أنّ الشيطان بعد أن طرد من الجنّه قال مخاطباً البارى تعالى: «فَبِما أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ»۲ ، والصّلاه هى أحد المصاديق المهمّه للصراط المستقيم ويجب على المؤمنين الالتفات إلى أنّ الشيطان عندما يرى بأنّ هذا المؤمن مشغول بصلاته فإنّه يستجمع جميع قواه

وحیله ووساوسه لکی یمنع هذا المصلّی من الاستفاده من صلاته، والآن إذا أردنا فی هذا السیر والمسیر إلی اللّه أن نستفید فائده وافیه من صلاتنا فیجب علینا طرد وإبعاد الشیطان من دائره نفوسنا وقلوبنا لکی نسلک فی هذا المعراج المعنوی والطریق إلی اللّه تعالی بأفضل وجه إن شاء اللّه.

۱۴۱- الاستعاذه، غلق طريق نفوذ الشيطان

إذا أراد المصلّى أن يحصل على بعض حقائق سوره الحمد ونال التوفيق لهذا السفر الروحانى والسير إلى اللّه الذى جعله اللّه تعالى لعباده فى كلّ يوم، يجب عليه فى الخطوه الأُولى التصدى لمانع هذا الطريق وهو الشيطان ويزيحه عن طريقه، الشيطان إذا تسلط على قلب الإنسان، فحتّى لو كان هذا الشخص قد صلّى ألف عام وختم القرآن ألف ختمه فلا أثر ولا فائده من ذلك، فالقرآن وتلاوته والتمسّك به إنّما تكون نافعه للإنسان وتنوّر قلبه وتنير طريق وتأخذ بيده من عالم الملك والماديّه والحيوانيّه وتعرج به إلى مقام القرب إلى اللّه وتخرجه من ظلمات والجهل والشرك إلى أجواء النور والإيمان فيما لو لم يكن الشيطان مسلطاً على الإنسان، وعندها سيؤثر القرآن أثره فى شفاء قلبه ونفسه من الشوائب والرذائل والميول الدنيويّه، فقد ورد فى بعض الروايات التى تتحدّث عن الاستعاذه نقاط جميله ورائعه، منها ما ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إِنّ قَولَهُ أَعُوذُ بِاللّهِ أَى أَمتَنِعُ بِاللّهِ»(۱)، وهذا يعنى أننا نمنع الشيطان

ص:۴۳۸

۱- (۱) . وسائل الشيعه، ج ۶، ص ۱۹۷، باب استحباب الاستعاذه عند التلاوه.

من التصرف فى قلوبنا ولا نسمح له فى النفوذ إليها، «فَإذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيم»۱ ، وطبعاً فالإستعاذه هنا لا تعنى أنّ المصلّى يقول هذه العباره فقط قبل قراءه القرآن، بل يبتدىء أوّلاً بالاستعاذه قبل القراءه ويستمر عليها إلى آخرها.

«وَمَنْ تَأَدَّبَ بِأَدَبِ اللّهِ أَدَّاهُ إلى الفَلاحِ الـدَّائِمِ»، ما أروع هـذا التعبير فى هـذه الروايه، فكلّ شـخص يريـد أن يقرأ القرآن وتجرى آياته على لسانه يجب أن يتأدّب بالآداب الإلهيّه، والأدب الإلهى يعنى أن يبتـدىء الإنسان بطرد الشـيطان من طريقه واخراجه من أجواء مملكته بحيث لا يكون له سلطان على هذا الشـخص، وإلّا فمع وجود سلطه الشيطان على نفسه فإنّه عندما يقول أعوذ باللّه من الشـيطان، يكون كاذباً، فالإنسان إنّما يكون مسـتجيراً باللّه فيما لو لم يسـمح للشـيطان أن يتسلط على قلبه، وهذا بدوره يحتاج إلى رعايه اللّه وطلب المـدد والمعونه منه تعالى، وكما أنّ الشـيطان قد طرد من الجنّه، فالإنسان أيضاً وبمعونه اللّه تعالى يجب أن يطرد الشيطان من قلبه أيضاً: «وَمَنْ تَأَدَّبَ بِأَدَبِ اللّهِ أَدَّاهُ إلى الفَلاحِ الدَّائِمِ».

وينقل أميرالمؤمنين عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّه قال: «إنْ أَرَدتَ أَنْ لايُصِبَكَ شَرُّهُم وَلا يَبدَأَكَ مَكْرُوهُهُم فَقُلْ إذا أَصبَحتَ: أَعُوذُ بِللّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ فَإنّ اللّهَ يُعِيذُكَ مِنْ شَرِّهِم»(۱)، فلو أراد الإنسان أن يبعد شياطين الجن والإنس عن نفسه وعن طريقه ولا يصـيبه شرّهم وضررهم فعليه بالاستعاذه، والنقطه المهمّه هنا أنّ الاستعاذه ليست فقط الاستعاذه باللسان والكلام، بـل يجب على الإنسـان أن يجمع جميع قواه النفسـانيّه، وعلى حـدّ تعـبير البعض فى كتبهم: الأقـاليم السـبعه الأرضـيّه، والأقاليم السبعه فى وجوده «العين، الأُذن، اللسان، البطن، الفرج، اليد،

ص:۴۳۹

۱- (۲) . وسائل الشيعه، ج ۶، ص ۱۴۲.

والقـدم» ویعیـذها جمیعاً باللّه من الشـیطان الرجیم ویبعـد الشـیطان من هـذه الحقول والأقالیم ویطهّر نفسه وفکره وجمیع قواه من شوائب المعاصـی ولوث الذنوب ولا یسـمح للشـیطان بالعوده یتسـلط علی قواه النفسـیّه والبدنیّه، ومثل هذا الشخص عندما یقول: «أَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ الشَّیْطَانِ الرَّجِیمِ» فإنّ هذه الاستعاذه ستؤثر أثرها ویجعله اللّه تعالی فی حصنه الحصین ویعیذه من الشیطان الرجیم.

۱۴۲- الاستعاذه طریق النجاه من الوسوسه

یروی أمیرالمؤمنین علیه السلام عن رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه علیه أنّه قال: «أَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الأنصَارِ فَقَالَ: یا رَسُولُ اللّهِ إِلَیکَ أَشکُو مَا أَلقَی مِنَ الوَسوَسهِ فِی صَلاتِی حَتّی لاأَعْقَلُ مَا صَلَّیتُ مِنْ زِیادَهٍ أَو نُقیصَان».

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله: «إِذَا قُمْتَ فِی الصَّلاهِ فَاطعَنْ فِی فَخذِکَ الیُسری بِإصبِعِکَ الیُمنَی المُسَبِّحه ثُمَّ قُلْ بِسمِ اللّهِ وَبِاللّهِ تَوَکَّلتُ عَلَی اللّهِ أَعُوذُ بِاللّهِ السَّمِیعُ العَلِیمُ مِنَ الشَّیطَانِ الرَّجِیم فَإِنَّ ذَلِکَ یَرجُزُهُ وَیطرُدُهُ»(۱)، مع الأسف فإنّ بعض المؤمنین والمصلّین یبتلون بالوسوسه، وهذه الوسوسه هی أساس عمل الشیطان، «اَلَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النّاسِ»۲ ، ومن أجل أن نبعد هذه الوسوسه عنّا فی الصّلاه یجب علینا الاستعاذه باللّه من الشیطان ومن وساوسه.

سبق أن أشرنا أنّ الاستعاذه لا تعنی الاستعاذه اللفظیّه، فثمّه أشخاص

۱- (۱) . دعائم الإسلام، ج ۱، ص ۱۹۰.

یستعیذون باللّه من الشیطان مدّه خمسین سنه بلسانهم، ولکن إذا رأیت باطنهم فسوف لاتری سوی حبّ المال وسلطه الشیطان، فالشیطان قد تسلط علی جوارحهم وقواهم وأعضائهم الظاهریّه وقواهم الباطنیّه وحتّی تسلط علی قواهم الفکریّه وعقائدهم الدینیّه، ومن المعلوم أنّ حقیقه الاستعاذه مسأله أبعد وأعمق من الاستعاذه اللسانیّه واللفظیّه، فیجب علی الإنسان أن یحقّق حقیقه الاستعاذه فی أعماق وجوده والمستعیذ یجب أن یجعل جمیع هویته الوجودیّه وحقیقته الإنسانیّه فی جمیع المراتب فی حصن اللّه تعالی ویلجأ إلیه بجمیع قواه ووجوده ولیس فقط یستعیذ باللّه بلسانه.

وعندما یقول القرآن الکریم: «وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِکَ مِنْ هَمَزاتِ الشَّیاطِینِ * وَ أَعُوذُ بِکَ رَبِّ أَنْ یَحْضُرُونِ»۱ ، فهذا یعنی أنّ أحد تکالیف النبیّ صلی الله علیه و آله من قِبل اللّه تعالی أن یستعیذ باللّه من الشیطان الرجیم، ویوحی لنا هذا النص بأنّ الشیاطین حاضره فی وجود الإنسان وتعمل علی منعه من الحرکه والسیر والسلوک إلی اللّه تعالی ولذلک ینبغی الاستعاذه باللّه منها.

یجب علی الإنسان أن یستعیذ باللّه بجمیع وجوده ویری ما هو مقدار سلطه أهوائه النفسانیّه علیه وعلی إرادته وتصرفاته؟ ولو أنّ الإنسان وجد نفسه فی حاله معیّنه أو عمل بین أن یقف بین الدنیا والآخره واختار الدنیا، فلیعلم بأنّه قد سلّط الشیطان علی نفسه وإرادته، فلو أنّه مع ذلک قال فی الیوم ملیون مرّه: «أَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ الشَّیْطَانِ الرَّجِیمِ»، فلا أثر لمثل هذه الاستعاذه.

ولو أنّ الإنسان ابتلی بالأهواء النفسانیّه وتورط فی شباک النوازع الدنیویّه وسلّم نفسه إلی هذه المیول والأهواء من حبّ السلطه والشهوه وحبّ المال والثروه وسعی فی حیاته إلی مماته فی طلب المال والمنصب والجاه، فلیعلم أنّ

الحاكم على نفسه والمسيطر على قواه وإرادته هو الشيطان، وكلّما قال «أَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فلا أثر له، لأنّ مثل هذه الاستعاذه إنّما تكون مؤثره عندمايطهر الإنسان باطنه وقلبه من وساوس الشيطان ومن شراكه ومكره ويعمل على تنقيه روحه وفكره وجميع قواه من لوث الشياطين حتّى تشترك معه جميع هذه القوى فى قوله «أَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

ص:۴۴۳

۱۴۳– الاستعاذه: اللجوء إلى اللّه من الذنوب والانحرفات الفكريّه والعقديّه

إنّ أحد العوامل التی تؤدّی إلی عدم استجابه الدعاء للإنسان، أو عدم تأثیر الأذکار والأوراد التی یقولها المؤمن، بسبب أنّ هذه الأذکار والأوراد صدرت من لسانه الذی یتصرّف به الشیطان، ویحکم علی ذهن صاحبه وقلبه، وعندما یقول الباری تعالی للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله: «فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیم»۱ ، فهذا یعنی أنّ الشیطان لو کان حاضراً عند قراءه القرآن أیضاً فهذا القرآن لا یؤثر أثره فی النفس البشریّه، إذن یجب أن نحقّق الاستعاذه فی کلّ مملکه وجودنا، لا فقط عندما نواجه الذنب أو التلوّث بالمعصیه الظاهریّه فنستجیر باللّه من الشیطان، بل إنّ التلوّث الذی یهدد الإنسان أعمق من ذلک، فالکثیر من الأشخاص ربّما لا یصدر منهم ذنب ولا معصیه من قبیل السرقه الغیبه والخیانه فی الأموال ولا تصدر منهم کلمات نابیه وبذیئه ولکنّهم مع ذلک وقعوا

ص:۴۴۴

أسری الشیطان وتسلط الشیطان علی عقولهم وعقائدهم وأفکارهم وصدهم عن السلوک الصحیح والصراط المستقیم وقادهم نحو هاویه العقائد الباطله والأفکار المنحرفه.

ومن هذا المنطلق یجب أن تستوعب الاستعاذه جمیع أبعاد الإنسان الوجودیّه وتخلّصه من سلطه الشیطان وتنقذه من فخاخه وشراکه، والإستعاذه لها آداب خاصّه، وأحد هذه الآداب المهمّه هو الإخلاص، ونقرأ فی الآیه الشریفه:

«قالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ * إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ»١ ، فهنا نری أنّ الشیطان یقسم بعزّه اللّه، وهذا القسم مهمٌّ جدّاً، ویقول: إننی سوف أغوی جمیع عبادک إلّافئه واحده لا استطیع أن أتسلط علیه وهم المخلصون، والمخلَص بصیغه اسم المفعول تختلف عن المخلِص بصیغه اسم الفاعل، والمرتبه الاُولی أعلی کثیراً من الثانیه، وعلامه ذلک یظهر فی عمل هذا الشخص المخلَص وفی سلوکیاته.

إذا جعل الإنسان جمیع هویته وأبعاده الوجودیّه وقواه النفسانیّه بید اللّه تبارک وتعالی، ولو صدرت حرکه من یده وقدمه، أو نظر بعینه، أو سمع کلاماً بأُذنه فإنّه یجعل من کلّ ذلک للّه تعالی ولا یسمح لهذه الأعضاء والجوارح أن تخون الأمانه الإلهیّه الکبیره عنده، ولا یجعلها تتصرّف فی غیر طاعه اللّه، ولو أنّ أفکاره وعقائده أو عمل یعمل یعمله کانت لنیّته للّه تعالی، فیفکّر للّه ویجعل قلبه حرم اللّه، وبشکل عام یکون اللّه تعالی حاکماً علی جمیع وجوده وکیانه وتکون جمیع أفکاره وأعماله للّه تعالی، فإنّه عند ذلک یدخل فی زمره المخلَصین، ونتیجه هذا الإخلاص أن تتفجر ینابیع الحکمه من قلبه وتجری علی لسانه: «مَنْ أَخلصَ للّهِ أَربَعِینَ صَباحاً جَرَتْ یَنابِیعُ الحِکْمَهِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَی لِسانِهِ»(١)، یعنی عندما یتحدّث

١- (٢) . مصباح الشریعه، ص ٣۵۵.

فكأنّما ينبع الحكمه من قلبه وتظهر فى كلامه وعلى لسانه ويتحدّث بمسائل عميقه جدّاً ومعنويه ونورانيّه من شأنها أن تنوّر الآخرين وتصلح المجتمع، ومع وجود هذه الحاله من الإخلاص فإنّ الشيطان لا يستطيع النفوذ إلى قلب هذا الشخص، والاستعاذه هنا من أجل إيصال الإنسان إلى هذه المرحله.

إذن فأحد آداب الاستعاذه الخلوص والإخلاص، وكلّما ازداد وتعمّق إخلاص الفرد فإنّ استعاذته باللّه تبارك وتعالى ستكون أكثر وأشدّ، نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا جميعاً مثل هذا الإخلاص إنّ شاء اللّه.

ص:۴۴۶

۱۴۴- الاستعاذه، الورود فی حصن اللّه والأمن من عذابه

فیما یتعلّق بالاستعاذه یجب الالتفات إلی هذه النقطه، وهی أنّ الشخص الذی یستجیر بالحقّ تبارک وتعالی فإنّ اللّه تعالی یقول: «کَلِمَهُ لاإِلَهَ إِلّا اللّهُ حِصنِی فَمَنْ دَخَلَ حِصنِی أَمِنَ مِنْ عَذابِی»، والنقطه الدقیقه والمهمّه جدّاً هنا والتی أشار إلیها الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه(۱) ، هی: إنّ الإنسان إذا دخل فی حصن اللّه تعالی، فلیس فقط یکون فی مأمن من عذاب جهنّم الظاهری، بل یکون محفوظاً ومصوناً من جمیع مصادیق العذاب الإلهی، وإلی هذا المعنی أشار الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام فی دعاء: «فَهَبنِی صَبَرْتُ عَلَی عَذَابِکَ فَکیفَ أَصْبِرُ عَلَی فِراقِکَ»، فالصبر علی عذاب اللّه ربّما یکون قابلاً للتحمّل لدی أولیاء اللّه، ولکن الصبر علی فراقه وأن یکون حجاب بین الإنسان وربّه، وهذا الحجاب یحجب الإنسان عن الحقّ ورؤیه جمال الحقّ ویحجب قلب الإنسان عن رؤیه نور الحقّ ویعیقه عن الوصال بالمحبوب، فهو أمر غیر قابل للتحمّل عند أولیاء اللّه، ومن

۱- (۱) . انظر: آداب الصّلاه، ص ۲۲۳.

هـذه الجهه يقول أميرالمؤمنين عليه السـلام: إنّ هـذا الأمر أعلى وأشـدّ أنواع العذاب، فالإنسان المؤمن المحبّ للّه لا يتحمّل مثل هذا العذاب، ولو أنّه استطاع أن يتحمّل العذاب الظاهرى فإنّه لا يستطيع الصبر على هذا العذاب المعنوى، والآن إذا دخلنا بواسطه الاستعاذه الحقيقيّه فى حصن اللّه تعالى: «فَمَنْ دَخَلَ حِصنِى أَمِنَ مِنْ عَذابِى»، وسيكون محفوظاً من أى حجاب وابتعاد عن محبوبه الواقعى وهو اللّه تعالى.

ويتحدّث الإمام الخمينى رحمه الله عن هذا المعنى بعباره لطيفه ويقول: الشخص الذى يصل إلى هذا المقام، أى يكون فى مأمن من هذا العذاب، فهو عبد اللّه الحقيقى، وهذا المقام يعدّ من أعزّ مقامات أولياء اللّه وأخصّ مدارج أصفياء اللّه، ومثل هذا المقام متعلّق بالأصاله بوجود حضرت النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله خاتم الأنبياء، وفى المرتبه التاليه للأئمّه الطاهرين صلوات عليهم أجمعين، وليس من المعلوم أنّ أحد غير هؤلاء يستطيع الوصول إلى هذه المرتبه ويكون فى مأمن من عذاب هذه المرتبه، وعلى هـذا الأساس فالاستعاذه تمهّد الطريق للإنسان للوصول إلى مثل هـذا المقام والمرتبه بحيث يكون مصوناً ومحفوظاً من جميع مراتب العذاب، ومن هنا يجب علينا السعى أكثر بحيث إذا لم نتمكّن من الوصول إلى تلك المقامات والدرجات العاليه، فعلى الأقل أن نوفّق للوصول إلى المراتب الأخرى إن شاء اللّه تعالى.

ص:۴۴۸

۱۴۵- القيام، إعلان الاستعداد للدفاع عن الحقّ والتصدى للشياطين

كمقـدّمه يجب أن يكون معلومـاً أنّ الصّـلاه، وهى معراج المؤمن وأهم وسـيله للقرب من اللّه تبـارك وتعالى، لها ثلاث حالات مهمّه: القيام، الركوع، السجود، وكلّ واحده من هذه الحالات الثلاث فى مسار الحقّ نحو اللّه تعالى، تعتبر منزله من منازل الفيض والسلوك ومقدّمه للمنزل الآخر، فإذا لم تراع آداب كلّ منزل منها لا تصل النوبه للورود إلى المنزل الآخر، فلو أردنا معرفه أسرار وحقائق الركوع وتجسيدها فى وجودنا فلابدّ أن نحقّق فى أنفسنا حقائق القيام قبل ذلك.

يقول علماء العرفان: إنّ هـذه الحالات الثلاث فى الصّـلاه يعنى: القيام، والركوع، والسـجود، إشاره إلى المراتب الثلاثه للتوحيـد، ويجب على المصـلّى عنـد الـدخول إلى أى واحـده من هـذه المنـازل الثلاـثه للتوحيـد أن يحقّق فى ذاته وباطنه مرتبه من مراتب التوحيد.

والآن ما هو سرّ القيام بحيث يجب أداء قسم من الصّلاه فى حال القيام؟

ص:۴۴۹

ويجب أيضاً قراءه القرآن فى حال القيام فقط دون الركوع والسجود فلا يلزم قراءه القرآن فيهما، ذهب علماؤنا فى تأويل ذلك إلى أنّ القيام هو إعلان الاستعداد للنهوض والقيام فى سبيل اللّه، أى إعلان الاستعداد لإقامه حكم اللّه وإحياء كلمه اللّه على الصعيد الفردى والاجتماعى، وأساساً فالأشخاص الذين يتحرّكون فى حياتهم بهدف إحياء دين اللّه فإنّهم أشخاص يعيشون حال القيام دائماً، والشخص الذى يجاهد فى سبيل اللّه فهو فى الحقيقه قائم للّه، فهذا الشخص هو القائم الحقيقى وإن كان جالساً بحسب الظاهر، والمجاهد الذى لا يستطيع القيام، ولكنّه يجاهد فى سبيل اللّه فهو فى الحقيقه قائم واقعاً، فالقيام فى الصّلاه يحكى عن هذه الحقيقه ويكشف عن أننا فى صلاتنا نقف بكل وجودنا فى مقابل البارى تعالى ونتحرك فى سبيله ونتجه بجميع وجودنا نحو الفناء فى اللّه والتضحيه فى سبيل اللّه، ومن هنا نرى من المناسب الإشاره إلى هذه الآيه الشريفه: «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَهُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا...»١ ، فالأشخاص الذين سلكوا فى خط الإيمان والتوحيد والاستقامه فسوف تتنزل عليهم ملائكه اللّه وتبشّرهم بالجنّه والنعيم الأبدى وتقول لهم: أن لا تخافوا ولا تحزنوا، فالأشخاص الذين ثبتوا واستقاموا فى قيامهم هذا فإنّ بإمكانهم فهم هذه البشاره الإلهيّه، بل على حدّ تعبير بعض الأكابر، قد يشاهد هؤلاء المجاهدون والقائمون فى سبيل اللّه الملائكه نفسها، فالشخص الذى يعيش الاستعداد الدائم للقيام والحركه فى خط التوحيد والإيمان فسوف يحظى بمثل هذا الامتياز.

ومعنى القيام، إنّ الإنسان يحقّق فى نفسه الاستعداد الدائم للحركه من أجل اعتلاء كلمه الحقّ، ولا ينبغى أن نتصوّر أنّ القيام فى الصّلاه هى الوقوف لحظات

معدوده فقط وقراءه سوره فاتحه الكتاب وسوره التوحيد، كلّا، فالقيام يعنى الإعلان عن وقوفنا ضد قوى الباطل والشرّ والدفاع عن دين اللّه دائماً، والإعلان عن التصدى لشيطان النفس ومحاربه شيطان الجنّ والإنس وجميع أشكال الفساد والتلوّث والانحراف، فنحن قائمون من أجل محاربه أعداء الداخل والخارج.

وعلى هذا الأساس، فالقيام فى الصّلاه له مثل هذه الحاله والمكانه ويعدّ مقدّمه ليكون الإنسان قائماً بالقسط والعدل فى مجتمعه كما تقول الآيه الشريفه: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ وَ الْمَلائِكَهُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ...»١ ، وهذا القيام بالقسط يرتبط باللّه تبارك وتعالى وكذلك يرتبط بالملائكه وأولى العلم أيضاً، والمصلّى بقيامه أمام اللّه تعالى يريد أن يحقّق فى نفسه هذه المرتبه العاليه جدّاً والمختصّه بأُولوالعلم والملائكه الإلهيين.

يقول أميرالمؤمنين صلوات اللّه وسلامه عليه فى وصف أولياء اللّه: «وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا»(١)، ماذا يعنى قيام القرآن؟ وعندما نقول إنّ القرآن قائم بأولياء اللّه فهذا يعنى أنّ الظهور العملى للقرآن فى قلوب الناس وأذهانهم وأعضاء الإنسان وجوارحه يتحقّق بهذه الحاله، أمّا قيامهم بالقرآن فيعنى العلم والعمل بالقرآن وأنّهم يعلّمون الناس تعاليم القرآن وما يبعدهم عن النار ويقرّبهم للجنّه ويعلّمونهم كيفيّه سلوك الطريق إلى الحقّ واجتناب الباطل.

وعلى هذا الأساس يجب الالتفات إلى جميع هذه الجهات، فالشخص الذى يقف للصّلاه يجب عليه أن يعلم بأنّه يريد القيام للّه دائماً، وأن يكون قائماً بالقسط وأن يصل إلى هذه المرتبه العاليه بحيث يكون القرآن قائماً به وهو قائم بالقرآن،

١- (٢) . «بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عَلِمُوا، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا»، نهج البلاغه، صبحى الصالح، الكلمه ۵۵۲.

وعندما يلتفت المصلّى إلى هذه الحقيقه كأن الوقوف بالصّلاه يتضمّن هذه المعانى العميقه، وعلى حدّ تعبير الأكابر، فإنّه لا يفكّر بعدها بأمور ظاهريّه وتشريفيّه وأنّ اللّه أمره فقط بالقيام فى الصّلاه وقراءه الفاتحه وسوره أخرى وأنّ هذا القيام مجرّد أمر تعبدى ولا توجد حقيقه رواء هذا العمل الظاهرى.

فمن هذه الجهه وبسبب ما لموضوع القيام من أهميّه فإنّه ورد أنّ الأشخاص السالمين الذين يستطيعون القيام ولكنّهم أدوا صلاتهم من جلوس فإنّ صلاتهم باطله بحسب ما ورد فى الروايات الشريفه «وَمَنْ لَمْ يُقِمْ صُلْبَهُ فِى الصَّلاهِ فَلَا صَلاهَ لَهُ»(1).

۱- (۱) الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ۳، ص ۳۲۰.

الفصل السابع: آداب الركوع وأسراره

اشاره

ص:۴۵۳

۱۴۶- آداب الركوع وأسراره

ثمّه مسائل عدّه فی ركن الركوع:

۱. التكبيره قبل الركوع. ۲. حاله الركوع.

۳. الذكر والتسبيح فی الركوع. ۴. لماذا لا يستطيع الإنسان فی حال الركوع أن يذهب إلی السجود مباشره، بل يجب عليه أن يقف متنصباً بعد الركوع ثمّ يذهب إلی السجود، وإلّا فصلاته باطله.

يجب البحث فی هذه المسائل الأربع فی بحث الركوع إلی حدّ تتّضح لنا هذه المسائل بالمقدار الممكن.

بالنسبه للتكبير قبل الركوع، فيطرح هذا البحث: هل أنّ هذا التكبير يتعلّق بحال القيام أو يتعلّق بحال الركوع؟ يعنی أنّ المصلّی عندما ينتهی من قراءه الحمد والسوره يكبّر، وهذا التكبير يعود إلی سوره الحمد وما فيها من صفات اللّه وعظمته، فيقول المصلّی اللّه أكبر من هذه الصفات ونحن لا نستطيع وصف الباری تعالی كما هو حقّه وعاجزون عن فهمه عظمه الباری تعالی.

ص:۴۵۵

الاحتمال الثانی: أن یکون هذا التکبیر غیر متعلّق بالقراءه، بل هو من متعلّقات الورود إلی الرکوع والاستعداد له، ویری الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه فی کتابه «آداب الصّلاه»(۱) ، اختیار هذه النظریه، ویقول: الظاهر أنّ هذا التکبیر من متعلّقات الرکوع وإعلان المصلّی استعداده للورود إلی منزل الرکوع، فمنزل الرکوع أهم بکثیر من منزل القیام، فبذلک یجب قبل الورود إلی هذا المنزل، التکبیر، فالتکبیر هنا هو أدب الورود إلی هذا المنزل وأنّ الإنسان یقرّ من جهه بعظمه الباری تعالی وکبریائه ویلتفت إلی مقام الربوبیّه، والمالکیّه، والخالقیّه للّه تعالی، ومن جهه أخری یری ضعفه وذلّته ومهانته ومع إلتفاته إلی هذه الحاله یقول: «اللّه أکبر» أی أنّ اللّه تعالی منزّه عن کلّ وصف، ویعترف بأنّ اللّه تعالی غیر قابل للتوصیف، ثمّ یدخل فی حال الرکوع.

ویؤید قول الإمام الخمینی رحمه الله ما ورد فی الروایه التی ذکرها الشیخ الکلینی فی کتابه «الکافی» فی باب الرکوع: «إِذا أَرَدْتَ أَنْ تَرْکَعَ فَقُلْ وَأَنتَ مُنْتَصِبٌ اللّهُ أَکبرُ»(۲)، ویتبیّن من ذلک أنّ هذا الذکر وهذا التکبیر یتعلّق بالورود إلی الرکوع.

۱- (۱) . آداب الصّلاه، ص ۳۴۸.

۲- (۲) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۳۱۹.

۱۴۷- آثار الركوع، التزين بنور البهاء، الاستظلال تحت مظلّه كبرياء اللّه ارتداء لباس الخاصّيين

بالنسبه للركوع فقد وردت روايه رائعه جدّاً فی كتاب «مصباح الشريعه»(۱) عن الإمام الصادق عليه السلام، وتشير هذه الروايه إلى آثار وآداب وأسرار الركوع، يقول الإمام عليه السلام: «لا يَركَعُ عَبْدٌ للّهِ رُكُوعاً عَلَى الحَقِيقَهِ إلّا زَيَّنَهُ اللّهُ تعالى بِنُورِ بَهائِهِ وَأظَلَّهُ فِی ظِلالِ كِبريَائِهِ وَكَسَاهُ كِسوَهَ أَصفِيائِهِ»، فهنا يقرر الإمام عليه السلام أنّ اللّه تعالى يمنح هذا الراكع ثلاثه أنوار ويزيّنه بثلاث خصوصيّات، أحدها أنّه يزيّنه بنور بهائه، وهذه هی أحد آمال المؤمنين ودعائهم البارى تبارك وتعالى فی الأسحار وبخاصّه أسحار شهر رمضان: «اللّهُمَّ إِنّی أَسأَلُكَ مِنْ بَهائِكَ بِأَبهاه وَكُلُّ بَهائِكَ بَهیّ»، فهذا البهاء هو النور الساطع من الذات الإلهيّه المقدّسه، فلو أنّ المصلّی أتی بالركوع الحقيقی فإنّ اللّه تبارك وتعالى يزيّنه بنور جماله وبهائه، وثمّه نقاط وحقائق كثيره جدّاً فی معنی نور البهاء، وعلى سبيل الإجمال نقول: إنّ هذا النور

۱- (۱) . مصباح الشريعه، ص ۶۱.

الصادر من الـذات الإلهيّه المقـدّسه ينور وجود الإنسان ويمنحه القيمه والاعتبار، ومن هـذه الجهه فإنّ أحـد المقامات العاليه جدّاً التى يطلبها العرفاء والأكابر من اللّه تعالى هو مقام نور البهاء.

والشـخص الذى يصل إلى هذا المقام فقد وصل إلى مقام الأسـماء على حدّ تعبيرهم، ومقام الأسماء هو ما ورد فى الآيه الشريفه: «وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها...»۱ ، وهـذا يعنى أنّ الشـخص المزيّن بـالنور الإلـهى يحصل على مثل هـذا المقام، والنور الإلهى ليس كمثـل الأنـوار الظـاهريّه التى يصـل شـعاعها إلى ظاهر الإنسان فقط، كلّا، النور الإلهى من شأنه اخراج الإنسان من ظلمات الجهل والذلّ والحقاره ويوفّقه للوصول إلى فهم ودرك مقام الأسـماء الإلهيّه، يقول علماء الكلام: إنّ جميع الصـفات الإلهيّه الثبوتيّه لها عنوان الجمـال، ومن بين هـذه الصـفات الثبوتيّه والتى تشترك جميعهـا بعنوان الجمـال، فإنّ بعضـها يختصّ بعنوان البهاء، فمرتبه البهاء هى مرتبه أعظم وأعمق من مرتبه الجمال الإلهى.

وعلى هذا الأساس فأوّل ثمره للركوع الحقيقى هى أنّ اللّه تعالى يزيّن هذا الراكع بنور البهاء.

الثمره الثـانيه، يقول: «وَأَظَلَّهُ فِى ظِلالِ كِبرِيَائِهِ»، أى جعله تحت مظلّه الكبرياء الإلهى، يقول أهل المعرفه، إنّ هـذا الظلّ للكبرياء الإلـهى هو ظـلّ الأسـماء الإلـهيّه القهريّه، وإذا وصل الإنسان إلى هـذه المرتبه واسـتقرّ فى هـذا المقام فهـذا يعنى أنّه نسـى أنانيّته ونفسه وهو مقام الفناء، أى فناء عقله عن ذاته، وعندما يسـتقرّ الإنسان فى ظلّ الكبرياء الإلهى فإنّه سوف لا يرى أى كبير لموجود غير اللّه تعـالى حتّى لنفسه، ويرى كلّ عظمه وكبرياء للّه تعالى، وكلّ مـدح وثناء وعظمه، وكلّ جلال وجبروت، وكلّ شـىء إنّما هو من متعلّقات البارى تبارك وتعالى.

ص:۴۵۸

۱۴۸- الركوع أدب، والسجود قرب إلى اللّه تعالى

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «فِی الرُّكُوعِ أَدبٌ وَفِی السُّجودِ قُربٌ»

مع ما تقدّم من آثار وثمارات كبيره ومهمّه للركوع، فهل من الانصاف أن يستعجل بعض الأشخاص فی أدائه، بحيث إنّهم قبل الاستقرار فی حال الركوع ينهضون منه؟ أی الركوع يأتی به هذا المصلّی بهذا العجله؟! بديهی أنّ هؤلاء الأشخاص لا يشعرون بلذّه من ركوعهم، ويتبيّن أنّ هؤلاء الأشخاص يشعرون بالتكلّف والثقل من صلاتهم وركوعهم فی حين أنّهم لو علموا ما فی الركوع من أسرار وبركات فسوف لا يملّون من الركوع.

ويحكی عن الربيع بن خثيم وهو أحد الزهاد الثمانيه الكبار، أنّه كان يبقی مستيقظاً من أوّل الليل إلی طلوع الفجر ويقضی هذه المدّه كلّها فی حال الركوع، لأنّه يجد لذّه خاصّه فی ركوعه، فلماذا نقصّر فی ركوعنا، لماذا نشعر بالتعب والملل من ركوع قصير بمقدار دقيقه واحده لا بل عشر أو عشرين ثانيه، وماذا شاهد أولئك الأولياء بحيث إنّ ركوعهم يستغرق ليله كامله إلی طلوع الفجر ولا

يشعرون بالتعب؟ وعندما يصبح الصباح يرفعون رؤوسهم ويقولون بأسف شديد:

«آه سَبَقَ المُخلِصُونَ وَقُطِعَ بِنا»(1)، أى أننـا متخلّفون عن الركب ولم نحصل على شـىء، إذن يجب علينا أن نهتمّ بركوعنا، يقول الإمام الصادق عليه السـلام: الإنسان الذى يأتى بالركوع بشـكل حقيقى فإنّ اللّه تعالى فى المرتبه الاُولى يزيّنه بنور بهائه وجماله، فثمّه نورانيّه خـاصّه تسـتغرق جميع وجوده ويهيمن عليه جمـال عجيب، ليس الجمـال الظـاهرى بـل جمـال الوجود الزاخر بـالعلم والحياه والفهم والإدراك وكلّ شىء، وفى المرتبه الثانيه يجعله اللّه تعالى فى ظلّه عزّته وكبريائه.

الأثر الثالث: «وَكَسَاهُ كِسوَهَ أَصـفِيائِهِ»، يعنى أنّ اللّه تعالى يجعله واحداً من أصـفيائه وأوليائه، وأصـفياء اللّه هم الأشـخاص الذين دخلوا دائره عنايه البارى تعالى ووضـعوا يـديهم بيـد اللّه، فكانت يـدهم يد اللّه وعينهم عين اللّه واُذنهم اذن اللّه وجميع وجودهم هو وجود الإلهى، وبذلك صار وجودهم رشحه من رشحات البارى تبارك وتعالى.

ويتـابع الإمـام الصـادق عليه السـلام قوله: «وَالرُّكُوعُ أَوَّلٌ والسُّجُودُ ثَانٍ فَمَنْ أَتَى بِمَعْنَى الأَوَّلِ صَـلَحَ للثَّانِى وَفِى الرُّكُوعِ أَدَبٌ وَفِى السُّجُودِ قُربٍ، وَمَنْ لايُحْسِنُ الأَدَبَ لا يَصْـلُحُ لِلقُرْبِ»، فالشخص الذى لا يراعى آداب الركوع فسوف يفقد الصلاحيه للقرب من اللّه تعالى، فإذا أراد الإنسان التقرب إلى عالم جليل القـدر فيجب عليه مراعاه الأدب فى الوهله الاُولى، والشـخص الذى لا يراعى الأدب فى محضر هذا العالم بشكل جميل لا يملك اللياقه للحضور بين يديه، وهكذا الحال فى الصّلاه، فيجب فى المرتبه الاُولى رعايه أدب العباده والعبوديّه والخضوع والخشوع، فالركوع فى مقابل الحقّ تبارك وتعالى يعنى الخشوع والخضوع، وبعـد مرحله القيام يصل الإنسان إلى هذا المنزل، وهو مرتبه الركوع ويجب عليه أن يخضع

۱- (۱) . مصباح الشريعه، ص ۶۲.

للباری تعالی لیحظی باللیاقه والقابلیه علی التقرب من الـذات المقدّسه، نسأل اللّه تبارک وتعالی أن یلهمنا أسـرار الصّـلاه ویعمق حقیقه الصّلاه فی قلوبنا وأعماق وجودنا إن شاء اللّه.

ص:۴۶۱

۱۴۹- الرکوع، إظهار العجز والخضوع فی مقابل اللّه

یقول الإمام الصادق علیه السلام فی سیاق هذه الروایه المذکوره: «فَارْکَعْ رُکُوعَ خاضِعٍ للّه عَزَّ وَجَلَّ بِقَلبِهِ»، ویقول الشهید الثانی فی کتابه «التبیهات العلیّه»(۱): عندما تصل إلی الرکوع فاستشعر قلبک من جهه عظمه اللّه تعالی، ومن جهه أخری ضعفک وحقاره وذلّتک وتفاهه کلّ ما سوی اللّه وغیر اللّه، فلو أنّ قلب الإنسان لم یخضع فی الرکوع فإنّ هذا الرکوع لیس برکوع حقیقی وصحیح.

ویتابع الإمام الصادق علیه السلام قوله: «مُتَذَلِّلٍ وَجِلٍ تَحْتَ سُلطانِهِ خَافِضٍ للّه بِجَوارِحِهِ خَفْضَ خَائِفٍ حَزِینٍ عَلَی مَا یَفُوتُهُ مِنْ فَوائِدِ الرَّاکِعِینَ»(۲)، فهذا الشخص الراکع یستشعر الخوف والقلق فی رکوعه لئلا تفوته فوائد وبرکات الرکوع ویعیش حاله القلق لئلا یخسر أفضل لحظه فی حیاته لکسب المقامات المعنویه والتزیّن بنور بهاء اللّه، ویخشی أنّه یرکع ببدنه ویرفع رأسه من الرکوع ولکن لا یحظی بهذه المواهب الإلهیّه.

ص:۴۶۲

۱- (۱) . التنبیهات العلیّه، ص ۱۲۳.

۲- (۲) . مصباح الشریعه، ص ۶۱.

والركوع إنّما يكون مؤثراً فيما لو كان قلب المصلّى مؤمناً ومصدقاً بعظمه البارى تعالى وعزّته وعلوّه، ويعلم أنّ اللّه تعالى أعظم من كلّ عظيم، وأساساً فإنّ العظمه له خاصّه، ففى هذه الصوره سوف ينفتح لسانه تلقائياً بذكر الحقّ تعالى ويقول: «سُبحَانَ رَبِّى العَظِيم بِحَمدِهِ»، وهذا التسبيح وهذا البيان لعظمه اللّه تعالى إنّما يتحقّق واقعاً فيما لو استشعر قلب الإنسان هذه العظمه الإلهيّه وأدرك أنّ هذه العظمه تستوعب جميع وجوده، فلو أنّ عظمه اللّه تعالى استوعبت جميع وجود الإنسان فسوف يستشعر الخوف والهيبه ويخشى أن لا يحظى بشىء من هذه المائده الإلهيّه ومن بساط السلطه والكبرياء الإلهى أو يطرد من فناء هذا البلاط والديوان.

وطبعاً فالمصلّى يعيش إلى جانب هذا الخوف، الرجاء والأمل والاطمئنان بفضل اللّه ورحمته وعنايته، ويقول: إننى أركع فى صلاتى بتوفيق اللّه تعالى ولا يمكن أن يدعونى اللّه الرحيم إليه ثمّ لا يستجيب دعائى ولا يسمع مناجاتى، ولا يمكن أن يحرمنى اللّه تعالى من وعده وثوابه، وكذا يستشعر المصلّى بالأمل والرجاء بأنّ اللّه تعالى سيزيّنه بنور بهائه، وبعد أن يحصل المصلّى على مثل هذه الحاله فى الركوع ويذكر تسبيحه الركوع، يرفع رأسه من الركوع بهذا الأمل ويقول باطمئنان تام: «سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، والشخص الذى يستطيع قول هذه الجمله باطمئنان كامل هو من كان ركوعه ركوعاً صحيحاً واقعاً، وبذلك يجيبه اللّه تعالى فيقول: «سَمِعَ اللّه، أى أَجَابَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَشَكَرَهُ».

ص:۴۶۳

۱۵۰- کیفیّه الرکوع حاله الذله والخضوع، عدم التسرع والعجله الوقار والسکینه فی القیام

تقـدّم الکلام لحـدّ الآن أنّ الإنسان المصـلّی إذا التفت فی رکوعه إلی المقامات والبرکات التی سـیحصل علیها من هذا الرکوع، فإنّه لا یسارع أبداً فی إنهاء رکوعه، والاستعجال فی رفع رأسه من الرکوع.

یقول المرحوم السیّد بن طـاووس فی کتابه «فلاح السائل» فی ذیل باب أدب الرکوع والسـجود: «یَنبَغِی أَن یَرکَعَ بِبذُلٍ وَاستِکَانَهٍ وَخُضُوعٍ»، ولکن نوع البشـر لا یلتفتون إلی هـذه الحقیقه، وهی لماذا یرکعون؟ ولماذا یظهرون الخضوع والخشوع الکبیر فی حال الرکوع، الإنسان الـذی یری ویشاهد عظمه الباری تعالی وقدرته المطلقه من جهه، ومن جهه أخری یشاهد ضـعفه وذلّته، فإنّه بلا شک سیطأطیء برأسه تعظیماً للذات المقدّسه ویجد نفسه یقول تلقائیاً فی حال رکوعه:

ص:۴۶۴

لَکَ سَمْعِی وَبَصرِی وَشَعرِی وَ عَصَبِی وَمُخِّی وَعَظامِی»، فجمیع وجودی وقوای خشعت لک ولجلالک وجبروتک، وهذه هی حاله الاستکانه والذله، والشخص الذی یعلم أنّه یقف فی مقابل الخالق العظیم والمالک الحقیقی لکلّ شیء فی عالم الوجود فإنّه سیجد هذه الحاله من الخضوع والخشوع أمامه.

ولو لم یستشعر بهذه الحاله فی الرکوع، فعندما یقول: «سُبحَانَ رَبِّی العَظِیمِ وَبِحَمْدِهِ»، فإنّه لا یستطیع أن یعتقد بأنّه هو المتکلّم بهذا الکلام، لأنّه لو لم یکن قلبه خاضعاً وخاشعاً، فلو قال ألف مرّه هذا الذکر وهذا التسبیح فی رکوعه فلا ینفعه بشیء.

وأحد الآداب الأخری فی الرکوع ما ذکره المرحوم السیّد بن طاووس فی هذا المجال: «أَنْ لایَستَعْجِلَ بِرَفْعِ رَأسِهِ قَبْلَ استِیفاءِ أَقْسامِ ذُلِّ العُبُودِیَّهِ لِمَولاهُ»، وأین رکوعنا وحالتنا فی الرکوع من هذا الکلام؟ نحن لا نستشعر فی رکوعنا أیّه حاله من الذلّه، الحقاره، الضعف، العجز، الجهل، والمسکنه والعدمیّه، ولذلک نسارع فی رفع رأسنا من الرکوع.

ومن آداب الرکوع أن لا یستعجل الإنسان فی رکوعه ولذلک یقول الإمام الصادق علیه السلام: «کَانَ عَلیّاً علیه السلام یَرْکَعُ فَیسِیلُ عَرَقُهُ حَتَّی یَطأَ فِی عَرَقِهِ مِنْ طُولِ قِیامِهِ»، وهذا الکلام لیس کلاماً اسطوریاً، بل هو حقیقه نجدها فی عباده الأولیاء والأئمّه والأنبیاء، وللأسف نحن محرومون منها.

ومن الآداب الأخری للرکوع: «إِذا رِفَعَ رَأسَهُ فَلْیَکُنْ رَفْعَ رَأسِهِ لِوقَارٍ وَسَکِینهٍ فَإِنَّ مَولاهُ یَراهُ»، لماذا لا ینبغی العجله فی رفع الرأس من الرکوع؟ لأنّ اللّه تعالی یراه، ثمّ یقف لیقول: «سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، وعلی هذا فإنّ أحد النقاط المهمّه التی یجب علی المصلّین الأعزاء الالتفات إلیها والتأمل فیها، هی الحاله التی هم علیها أثناء الرکوع، وما هی حالتهم عندما یرفعون رؤوسهم من الرکوع؟ فلو کانوا

يعيشون هذه الحاله المذكوره فى الروايات ووردت على لسان الأكابر من علمائنا فحين ذاك يمكنهم تذوق لذّه الصّلاه وسيذيقهم البارى تعالى حلاوه العباده والصّلاه فى أعماق وجودهم، فهذا الانحناء للركوع ثمّ القيام ورفع الرأس من شأنه أن يمنح الروح الذروه فى التحليق والعروج فى المراتب المعنويّه والسمو فى عالم الملكوت بحيث لا يرغب المصلّى أن ينقطع عن هذا الحال لحظه واحده.

جعلنا اللّه تعالى من أهل الركوع الحقيقى.

ص:۴۶۶

۱۵۱- آثار طول الركوع وذكره

إنّ الحالات الموجوده فی الصّلاه من (القيام، الركوع، السجود، الجلوس)، هی تكاليف موجوده فی أصل الصّلاه وقد أمر اللّه تبارك وتعالی بها، فقد ورد فی روايه معراج النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله: «أَمَرَنِی جِبرئِيلُ أَنْ قَرأَ القُرآنَ قَائِماً، وَأَنْ أَحْمَدَهُ رَاكِعاً وَأَنْ اسَبِّحَهُ سَاجِدَاً»(۱).

ونری من المناسب الإشاره إلی هذه المسأله، وهی أنّ علماء العرفان قالوا إنّ اللّه تبارك وتعالی خلق الإنسان كوناً ووجوداً جامعاً، يعنی أنّ جميع الحالات الموجوده فی سائر الكائنات التی تعبد اللّه تبارك وتعالی أوجدها فی الإنسان.

فثمّه طائفه من الملائكه يعبدون اللّه تبارك وتعالی فی حال القيام دائماً، وطائفه أخری يعبدون اللّه فی حال الركوع، وطائفه ثالثه فی حال السجود، ولكن اللّه تعالی وعلی أساس عنايته بالإنسان، قد جمع له هذه الحالات الثلاث فی صلاته، القيام، الركوع والسجود، ليستطيع الإنسان فی عبادته أن يأتی بهذه

۱- (۱) بحار الأنوار، طبعه بيروت، ج ۹۰، ص ۳۱۳، باب آداب الدعاء وذكر؛ مستدرك الوسائل، ج ۴، ص ۴۲۷.

الحالات الثلاث ويعبد اللّه قائماً وركعاً وساجداً، وأحد النقاط التی یجب الالتفات إلیها طول الرکوع والسجود.

وینقل الشیخ الکلینی رحمه الله فی کتابه «الکافی» روایه یقول فیها الإمام علیه السلام:

«عَلَیْکُم بِطُولِ الرُّکُوعِ وَالسُّجُودِ فَإِنّ أَحَدَکُم إِذا أَطَالَ الرُّکُوعَ والسُّجُودَ هَتَفَ إِبلیسُ مِنْ خَلفِهِ وَقَالَ یَا وَیلَهُ أَطاعَ وَعَصیَتُ وَسَجَدَ وَأَبَیتُ»(۱).

وجاء فی روایه أخری عن إسحاق بن عمّار عن الإمام الصادق علیه السلام: «سَمِعْتُ أَبا عَبْدِللّهِ علیه السلام یَعِظُ أَهلَهُ وَنِسَاءَهُ وَهُوَ یَقُولُ لَهُنَّ: لاتَقُلنَ فِی رُکُوعِکُنَّ وَسُجودِکُنَّ أَقلَّ مِنْ ثَلاثَ تَسبِیحات، فَإِنَّکُنَّ إِنْ فَعَلتُنَّ لَمْ یَکُنْ أَحسَنَ عَمَلاً مِنْکُنَّ»(۲)، وهکذا ینبغی علینا أن نتقید بمقدار معیّن فی صلاتنا، فلماذا نختصر الرکوع والسجود فی الصّلاه؟ ونری بعضهم یکتفی بمقدار أقل من الذکر ویرفع رأسه فی حین أنّ طول الرکوع من شأنه أن یوصل الإنسان إلی مقامات معنویّه عالیه ویحلق به فی مراتب القرب الإلهی.

وأحد الأذکار المستحبه فی الرکوع والسجود، یقول الإمام الباقر علیه السلام: «مَنْ قَالَ فَی رُکُوعِهِ وَسُجُودِهِ وَقِیامِهِ صلّی اللّهُ علی مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ کَتَبَ اللّهُ لَهُ ذَلِکَ بِمِثلِ الرُّکُوعِ وَالسُّجُودِ وَالقِیَامِ»(۳)، أی أنّ الثواب والآثار المترتبه علی الرکوع والسجود والقیام ستکتب له عندما یقول اللّهم صلّ علی محمّد وآل محمّد.

یجب علینا الاهتمام علینا بالرکوع، وعندما یوصی القرآن الکریم بالصّلاه، فتاره یذکر الصّلاه بهذه الکلمه «أَقِیمُوا الصَّلاهَ»، وتاره أخری یذکر الصّلاه بکلمه

ص:۴۶۸

۱- (۱) الکافی، مطبعه دار الکتب الإسلامیّه، ج ۲، ص ۷۷ باب الورع.

۲- (۲) . بحار الأنوار، طبعه بیروت، ج ۸۲، ص ۱۲۰.

۳- (۳) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۳۲۴.

الركـوع والسـجود: «يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْـجُدُوا...»۱ ، أو «وَ ارْكَعُـوا مَـعَ الرّاكِعِيـنَ»۲ ، وهـذا يـبيّن لنـا أهميّه الركوع والسجود فى الصّلاه والعباده.

نرجو من اللّه تعالى أن يوفّقنا جميعاً للاستفاده من أسرار الركوع وحقيقته.

۱۵۲- معنى الركوع فى كلام أميرالمؤمنين عليه السلام

بالنسبه للركوع، فقد ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّ رجلاً سأله: «مَا مَعنَى الرُّكُوعِ»؟، ويتبيّن من جواب الإمام عليه السلام أنّ مقصود هذا الشخص ليس المعنى اللغوى للركوع بل هو فى صدد فهم حقيقه وأسرار الركوع، فأجابه الإمام عليه السلام فقال: «مَعنَاهُ آمَنْتُ بِكَ وَلَوْ ضَرَبتَ عُنُقِى»، يعنى أنّ الركوع يبرز إيمان هذا الشخص باللّه تبارك وتعالى، وبهذا الشكل والخصوصيّه يريد الإنسان الإعلان عن هذه الحقيقه وهى: إلهى! إذا أراد أعداؤك قتلى وضرب عنقى لأتخلّى عنك وأكفر بك وأترك الإيمان بك، فإننى سوف لا أفعل ذلك حتّى لو ضربوا عنقى.

ويتابع الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ويقول: «وَمَعنَى قَولِهِ سُبحَانَ رَبِّى العَظِيم بِحَمْدِهِ، فَسُبحَان اللّهِ أَنَفَهٌ للّه عَزَّ وَجَلَّ وَرَبِّى وَخَالِقِى»، أى أنّ معنى الذكر فى الركوع هو أنّ اللّه تعالى منزّه من كلّ عيب وعار من كّل نقصان، وأساساً لا يمكن وجود أى عيب ونقص فى حريم ربوبيّته واُلوهيته.

ص:۴۷۰

وَسُلطَانِهِ»، فعندما نذكر اللّه بالعظمه فهذا يعنى أنّ هذا الموجود فى ذاته عظيم، وكذلك فى سلطانه وحكمه على عالم الوجود، فهذا الموجود العظيم لا مجال ليوصف بالصغر ولا إمكان لأن يوصف بغير العظمه فى جميع أبعاده وجهاته.

«وَأَعظَمُ مِنْ أَنْ يُوصَف»، واللّه تعالى أكبر وأعظم من أن يستطيع عباده أمثالنا وسائر مخلوقات العالم وصفه وتصوّره، فلا موجود فى عالم الخلقه والطبيعه يملك القدره على توصيف البارى تعالى، وما يصدر منّا من ذكر صفات الجلال والجمال للبارى تعالى هو إشاره فقط إلى زاويه من زوايات صفات اللّه الحقيقيّه، وإلّا فلا أحد يستطيع درك وفهم صفات الاُلوهيّه واقعاً.

والآن إذا أراد المصلّى أن يقول فى ركوعه «سُبحَانَ رَبِّى العظِيمِ وَبِحَمْدِهِ»، فكما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: بأنّ المصلّى عندما يقول هذه الكلمه «سُبحَانَ رَبِّى»

يجب أن يلتفت إلى قلبه ووجوده وأنّه راكع مقابل موجود عظيم لا مجال لأى عيب ونقص فيه، ولا حاجه له لركوعنا وعبادتنا، بل نحن الذين نحتاج إلى عبادته، ونحن الذين نتقرّب إليه خطوه بهذا الركوع وبهذه العباده ونزيح عن قلوبنا الحجب والموانع، وعندما نقول: «رَبِّى العظِيمِ»، نلتفت إلى أنّ هذا الربّ العظيم هو خالقنا وهو الذى يهتمّ بتربيتنا وتدبير أمورنا.

وعندما نصل إلى كلمه عظيم نلتفت إلى عظمه الذات الإلهيّه وعظمه الملك والسلطان الإلهى، وأنّه أكبر وأعظم من أن يوصف، فإذا تحقّق مثل هذا الالتفات والعلم فى هذه الصوره يكون للذكر فى الركوع روح وحال أخرى ولذّه لا توصف.

ثمّ قال الإمام عليه السلام: «قَوْلُهُ سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَهُوَ أَعْظَمُ الكَلِماتِ»، ولها وجهان وجه منه «مَعنَاهُ سمِعَهُ»، أى أنّ هذا الذكر من أعظم الكلمات وله معنيان:

أحدهما: أنّ اللّه تعالى يسمع هذا التسبيح «الوَجْهُ الثّانى يَدعُو لِمَنْ حَمِدَ اللّهَ فَيقُولُ

اسمَعْ لِمَنْ حَمِدَکَ»(۱).

نسأل اللّه تبارک وتعالی أن یوفّقنا جمیعاً لفهم حقیقه الرکوع ودرک حقیقه الصّلاه وأسرارها فی قلوبنا.

ص:۴۷۲

۱- (۱) مستدرک الوسائل، ج ۴، ص ۴۴۲، باب النوارد.

۱۵۳– حدیث المعراج والتوجّه لعظمه الحقّ فی الرکوع

ینقل المرحوم صاحب الوسائل روایه مطوله معروفه بحدیث المعراج عن الإمام الصادق علیه السلام، ویبتدیء فی هذه الروایه بمسأله الأذان والذی أبلغه جبرئیل إلی النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله بأمر اللّه تبارک وتعالی، وأخبره بکیفیّه الأذان وکیفیّه الإقامه وکیفیّه الصّلاه إلی أن یصل إلی مسأله الرکوع.

وعندما یصل إلی مسأله الرکوع یأتی الخطاب من قِبل ربّ العالمین إلی النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله ویقول: «فَأُنْظُر إِلی عَرشِی».

«قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله فَنَظَرتُ إِلی عَظَمهٍ ذَهَبتْ لَها نَفسِی وَغُشِی عَلَیَّ»، فلا أحد یستطیع النظر إلی عظمه اللّه تعالی، فحتّی النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله وهو أشرف المخلوقات وأکمل أفراد البشر والعقل الأوّل لم یتمکّن أن یری عظمه الباری تعالی، عندها امر بالنظر إلی العرش ونظر النبیّ إلی عظمه اللّه التی تجلّت فی عرشه اغمی علیه.

تَجَلَّىْ الغَشْىُ عَنِّى حَتَّى قُلْتُها سِبعَاً أَلهِمَ ذَلِکَ فَرَجعتُ إِلى نَفْسِى کَمَا کُنْتُ»(۱).

وعلی هـذا الأسـاس فما یجب الالتفات إلیه فی حال الرکوع، عظمه الحقّ تعالی وصـغر وتفاهه ما دونه، وبـذلک تعیش قلوبنا فی مقابل الباری تعالی فی حاله الخضوع والخشوع، ونستطیع بهذه الطریقه إدراک حقیقه الرکوع.

۱- (۱) وسائل الشیعه، ج ۵، ص ۴۶۶.

۱۵۴- حُسن الركوع الصحيح يزيل وحشه القبر

وأحد الآثار والثمرات للركوع الصحيح والحسن ما ورد فى كلام الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أَتَمَّ رُكُوعَهُ لَمْ تَدْخُلْهُ وَحْشَةَ فِي القَبْرِ»(۱)، وهذا يعنى أنّ المصلّى لو أتى بالركوع مع رعايه آدابه ومستحبّاته وطريقه انحنائه ورفع رأسه من الركوع كما ذكر فى الكتب الفقهيّه، فهذا من شأنه منح الإنسان الاستقرار والطمأنينه والسكينه فى حال الركوع وعندما يرفع رأسه منه، فكأنّه يرفع رأسه فى مقابل نظر مولاه.

وأحد الآثار المهمّه لمثل هذا الركوع هو أنّ المصلّى لا يبتلى بعذاب القبر، فالإنسان الذى يعيش فى الدنيا فى مقابل عظمه البارى تعالى ويعيش حاله الهيبه والدهشه من عظمه اللّه فإنّه يكون مصوناً من الوحشه فى عالم القبر.

وأرجو الالتفات إلى حال الركوع فى هذه الروايه التى وردت عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله أنّه عندما قال: «فَنَظَرتُ عَرشِ رَبِّى... إلى عَظَمهٍ ذَهَبتْ لَها نَفسِى

ص:۴۷۵

۱- (۱) . الكافى، المطبعه الإسلاميّه، ج ۳، ص ۳۲۱.

وَغُشِی عَلَیَّ فَأَلهِمتُ أَنْ قُلتُ سُبحَانَ رَبِّی العَظِیمِ وَبِحَمْدِهِ... قُلْتُها سِبعَاً أَلهِم ذَلِکَ فَرَجَعتُ إِلی نَفْسِی کَمَا کُنْتُ»(۱).

هنا یقول الإمام الخمینی رحمه الله فی عباره بلیغه ودقیقه جدّاً: انظر أیّها العزیز إلی مقام وعظمه سلوک سیّد البشر، وهادی السبل صلی الله علیه و آله وهو فی حال الرکوع بحیث نظر إلی مادون اللّه تعالی فرأی نور العرش، وبما أنّ نور العرش فی نظر الأولیاء هو جلوه من تجلیات الذات المقدّسه بدون واسطه وانتشار بدون مرآه، هنا یجب أن یتخلی الإنسان عن نفسه ویترک التعینات النفسانیّه فیصاب حاله الغشوه والإغماء، وفی هذه الحاله من الغشیه یتخلّی الإنسان عن نفسه وذاته ویغمی علیه فیأخذ اللّه تعالی بیده، وعندما تکرر هذا الذکر من النبیّ صلی الله علیه و آله سبعه مرّات وهو یشمل التسبیح والتعظیم والتحمید عادت إلیه نفسه وأفاق من حاله الفناء فی اللّه، وقد ثبت فی محلّه وتؤیده الروایات الشریفه وکذلک کلمات العرفاء أنّ هذه المرّات السبعه بعدد الحجب السبعه.

یقول الإمام الراحل رضوان اللّه علیه: والآن إذا کان النبیّ العظیم الشأن صلی الله علیه و آله واجه مثل هذه الحاله، فنحن الذین لا نجد طریقاً إلی خلوه الاُنس ولا مکاناً فی مقام القرب فینبغی الاعتراف بذلّتنا وقصورنا وعجزنا لیکون هذا الاعتراف والاقرار رأسمالنا للوصول إلی المقصد وحجّه فی الوصول إلی المطلوب، فنحن لا نترک التمسّک والتثبت بمقصودنا إلی أن ترتوی قلوبنا من شرابه، وإذا لم نکن رجل هذا المیدان فینبغی لنا أن نطلب الهدایه من رجال هذا الطریق وهذا المیدان ونستعین بروحانیه الکمل من الأولیاء فلعل رائحه من معارفهم الإلهیّه تصل إلی مشامنا ویهب نسیم من لطائفهم علی قلوبنا(۲).

۱- (۱) وسائل الشیعه، ج ۵، ص ۴۶۶.

۲- (۲) انظر: آداب الصّلاه، ص ۳۵۲.

وهكـذا نرى أنّ هـذا الرجـل الإلـهى كيف يتحرّك بمنتهى التواضع والخضوع لتحصـيل المعـارف والحقائق الإلهيّه وغرسـها فى أرض قلبه وأعماق ذاته ولا يكتفى بـذلك حتّى يوصـى الآخرين بهـذه التوصـيه ويقول: إنّ عاده الحقّ تعالى الإحسان إلى الخلق وشـيمته التفضـل والإنعام، فلا يمكن أن يطلب منه عبـده بجميع وجوده معارف ولطائف وأسـرار ولكنّه لا يحصل على شـىء ولا يستجيب له البارى تعالى.

ص:۴۷۷

۱۵۵- سرّ الانحناء واستقامه الرقبه فی الرکوع

إنّ أحد المندوبات فی الرکوع، أنّ المصلّی یجب علیه الانحناء فی رکوعه ومدّ عنقه بحیث یتساوی ظهره مع رأسه بشکل مستقیم، فلا ینبغی أن یکون انحناءه ناقصاً ولا أکثر من اللازم، فکلا هذین الأمرین غیر صحیح، بل یجب أن یکون فی انحنائه مستوی الظهر.

جاء فی بعض الروایات: «کَانَ رَسُولُ اللّهِ صلی الله علیه و آله إِذا رَکَعَ لَو صُبَّ عَلَی ظَهرِهِ مَاءً لاسْتَقَرَّ»(۱).

وجاء فی نفس هذه الروایه التی وردت فی کتاب «مصباح الشریعه» أنّ الإمام الصادق علیه السلام قال: «استَوْفِ رُکُوعَکَ بِاستِواءِ ظَهْرِکَ»(۲)، یعنی أنّ کمال الرکوع بأن تجعل ظهرک مستویاً، ثمّ یمدّ الراکع عنقه بموازاه ظهره، ویفسّر الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام هذه الحاله بأنّک عندما ترکع فأنّک تخاطب اللّه تعالی بالقول:

۱- (۱) بحار الأنوار، مطبعه بیروت، ج ۷۳، ص ۳۴۵.

۲- (۲) . مصباح الشریعه، ص ۶۲.

«آمَنْتُ بِکَ وَلَوْ ضَرَبتَ عُنُقِی»(۱).

وذکر الشیخ الکلینی رحمه الله فی کتابه «الکافی» تحت عنوان باب الرکوع وذکر التسبیح الوارد فیه، روایه عن الإمام الباقر علیه السلام قال: «إِذا أَرَدتَ أَنْ تَرکَعَ فَقُلْ وَأَنْتَ مُنتَصِبٌ اللّهُ أَکبرُ»، وهذه الروایه تعتبر دلیلًا جلیاً علی أنّ کلمه اللّه أکبر قبل الرکوع تعدّ من مقدّمات الرکوع لا من متممات القیام والقراءه.

«ثُمَّ ارْکَعْ وَقُلْ...»، إلی أن یقول الإمام فی هذه الروایه: «وَتَصُفُّ فِی رُکُوعِکَ بَیْنَ قَدَمَیکَ، وَتَجعَلُ بَینَهُما قَدْرَ شِبرٍ، وَتُمَکِّنَ رَاحَتَیکَ مِنْ رُکْبَتَیکَ، وَتَضَعُ یَدَکَ الیُمنی عَلَی رُکْبَتِکَ الیُمنَی قَبْلَ الیُسری وَبَلِّغْ بِأَطرَافِ أَصَابِعِکَ عَیْنَ الرُّکبهِ، وَفَرِّجْ أَصَابِعَکَ إِذا وَضَعتَها عَلَی رُکْبَتِکَ، وَأَقِمْ صُلبَکَ وَمُدَّ عُنُقَکَ وَلیَکُنْ نَظَرُکَ بَیْنَ قَدَمَیکَ، ثُمَّ قُلْ سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَأَنْتَ مُنتَصِبٌ قَائِمٌ»(۲)، أی بعد أن تذکر تسبیح الرکوع ترفع رأسک وتقول: «سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، هذه آداب الرکوع، والشخص الذی یرید أن یأتی بالرکوع کاملاً ـ وصحیحاً یجب علیه رعایه هذه الآداب لیکون المصداق لتلک الروایه الوارده عن الإمام الباقر علیه السلام قال: «مَنْ أَتَمَّ رِکُوعَهُ لَمْ تَدْخُلْهُ وَحْشَهٌ فِی القَبرِ»(۳)، فیجب علینا نحن المصلّین، أن نتأملّ فی صلاتنا ونری هل أنّ رکوعنا مقترن بآدابه الصحیحه أم لا؟ هل أنّ هذا الرکوع یحتوی علی جمیع الخصوصیات المذکوره فی الروایات الشریفه، أو أننا لا نلتفت مع الأسف إلی الکثیر من آدابه من قبیل کیفیّه الإنحناء فی الرکوع وکیفیّه رفع الرأس منه وقد نغفل عن الاتیان بالذکر الصحیح وقد نستعجل بالرکوع.

ألا ینبغی لنا أن نتأسف علی انقضاء سنوات مدیده من عمرنا ولحدّ الآن لم

ص:۴۷۹

۱- (۱) مستدرک الوسائل، ج ۴، ص ۴۴۲، باب النوارد.

۲- (۲) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۳۱۹.

۳- (۳) . الکافی، المطبعه الإسلامیّه، ج ۳، ص ۳۲۱.

يأت بصلاه واحده تتوفّر فيها الشرائط والآداب والمستحبات المطلوبه، ما أعظم هذا الخسران الكبير الذى لا يقبل الجبران.

نسأل اللّه تعالى بلطفه وعنايته أن يوفّقنا فيما بقى من عمرنا للإتيان بالصّلاه مع آدابها وشروطها كما يريدها اللّه تعالى منّا.

ص: ۴۸۰

۱۵۶– درک عظمه اللّه، یستجلب الخضوع

یقول الإمام الصادق علیه السلام فی مقطع آخر من الروایه المذکوره فی «مصباح الشریعه»: «وَانْحَطَّ عَنْ هِمَّتِکَ فِی القِیامِ بِخدْمَتِهِ إلّا بِعَونِهِ»، یقول علیه السلام: لا ینبغی أن یتصوّر الشخص وهو فی الحال الرکوع أنّه یعبد اللّه تعالی بهمّته وإرادته وأنّه یتحرّک فی مسار السیر والسلوک إلی اللّه بحوله وقوّته، وعندما یرد فی منزل من منازل السلوک ویرید أن یتحدّث عن عظمه اللّه ویسبّحه ویقدّسه فینبغی أن یتخلّی عن نفسه وینزع جلد أنانیّته ولا یری ذاته، ولا ینبغی أن یفکّر بتدبیر معیّن لنفسه ویتصوّر أنّه رکع للّه بتدبیر منه «إلّا بِعَونِهِ»، فعلیه أن یؤمن بأنّ هذا الرکوع وهذه العباده صدرت منه بتوفیق من اللّه تعالی وبعونه، وبذلک وصل إلی هذا المنزل، ولو أنّ الشخص تبادر إلی ذهنه هذا المعنی وأدرک هذه الحقیقه فأنّه قد وصل إلی حقیقه الرکوع.

یقول بعض الأکابر فیما یتّصل بأسرار الصلاه: «حَقِیقَهُ الرُّکُوعِ أَنْ یَکُونَ قَلْبُ العَبْدِ عَلَی صِفَهِ التَّوَکُّلِ وَعَمَلُهُ عَمَلَ المُتَوکِّلِینَ وَلا یَری مُدَبِّراً وَلا فَاعِلًا بِالإستِقلالِ

ص:۴۸۱

إلّا بِاللّه».

ویتابع الإمام علیه السلام فی هذه الروایه ویقول: «وَفِرَّ بَالقَلْبِ مِنْ وَسَاوِسِ الشّیطَانِ وَخَدَائِعِهِ وَمَکَائِدِهِ»، وهذه النقطه عجیبه، یعنی أنّ الشیطان یستعمل جمیع خدعه ومکائده لإغواء المصلّی فی حال الرکوع، فلو أنّ الشیطان فی حال القیام استخدم بعض خدعه ووساوسه للمصلّی، ولکنّه فی حال الرکوع وأکثر من ذلک، وفی حال السجود، یستعمل جمیع خدعه وینصب جمیع مصائده وفخاخه لإغواء المصلّی، فیجب علی المصلّی أن یفرّ من هذه الوساوس والمکائد، فالشیطان أحیاناً یوسوس للإنسان فی حال الرکوع بأنّ اللّه تعالی لا ـ یحتاج إلی تسبیحک ورکوعک فلماذا تصلّی للّه؟ وهکذا یخدع الإنسان بهذه الطریقه ویحرفه عن مساره فی السلوک إلی اللّه.

أو یقوم الشیطان بأعمال أخری ویتلاعب بذهن الإنسان ویوسوس له بأنّک لا تطل فی صلاتک کثیراً وسارع فی إتمامها لتصل إلی أعمالک الأخری، فإنّ اللّه لا یحتاج إلی صلاتک، هذه کلّها من وساوس الشیطان، حیث یوصینا الإمام الصادق علیه السلام بأن نفرّ من هذه الوساوس: «فَإنّ اللّهَ تَعالی یَرْفَعُ عِبادَهُ بِقَدْرِ تَواضُعِهِم لَهُ»، وکلّما کان الإنسان فی مقابل الباری تعالی ذلیلاً ویری نفسه حقیراً وتافهاً ویعیش الذلّه والحقاره فی مقابل عظمه اللّه بجمیع وجوده، فإنّ اللّه تبارک وتعالی سیرفع مقامه ومکانته بمقدار تواضعه، «وَیَهدِهِم إلی أُصُولِ التَّواضُعِ وَالخُشُوعِ بِقَدْرِ اطّلاعِ عَظَمَتِهِ عَلَی سَرائِرِهِم»، فکیف نحصل علی حال التواضع؟ وکیف نستشعر الخضوع والخشوع فی مقابل عظمه اللّه ونحقّق فی أنفسنا حاله الخضوع والتواضع؟

یقول علیه السلام: إنّ کلّ إنسان یحقّق حاله الخضوع فی نفسه بمقدار علمه بعظمه اللّه تعالی، فإنّ اللّه تعالی ینظر إلی قلوب عباده ویری مقدار ما یشعرون به من عظمه

اللّه تعـالى وما يعيشونه فى مقابل عظمه الـذات المقـدّسه، فالشـخص الـذى يفكّر بارتكاب الـذنب فإنّه لا يستشـعر عظمه اللّه فى نفسه، وكيف الأمر بذلك الشـخص الذى، ونعوذ باللّه يرتكب الذنب، فالإنسان المذنب لا يسـتطيع القول بأننى أشـعر بعظمه اللّه وأعتقد بها.

إذا أدرك الإنسـان عظمه البارى تعالى فسوف لا يسـمح لنفسه أبـداً بأن يفكّر بارتكاب الـذنب، وكلّ إنسان ترسـخت عظمه اللّه تعـالى فى قلبه فإنّه يكون متواضـعاً أكثر، وكلّ إنسان يعيش حالات التواضع فإنّ اللّه تعالى يرفعه أكثر ويزيـح الحجب من أمامه، نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا التوفيق لإدراك عظمته فى قلوبنا إن شاء اللّه.

ص:۴۸۳

الفصل الثامن: أسرار السجود

اشاره

ص:۴۸۵

۱۵۷- أسرار وآداب السجود

بعد الانتهاء من موضوع الركوع، نشرع بالبحث فی موضوع السجود، فما هی أسرار السجود، وما هی الآداب التی ینبغی للمصلّی مراعاتها عند السجود لیکون سجوده سجوداً حقیقیاً، وما هی النقاط الدقیقه فی ذکر السجود، وما هو السرّ فی تکرر السجود فی الرکعه الواحده خلافاً للرکوع، وما هی الدقائق التی یمکن استفادتها من المنابع الروائیه فی هذا المجال؟

وکمقدّمه لابدّ من القول إنّ السجود، بغض النظر عن الصّلاه، ورد الترغیب والندب إلیه کثیراً فی الروایات الشریفه، ونفس السجود، وعندما یتوضأ الشخص ویسجد للّه تعالی، هو من الأمور المندوبه جدّاً، وقد ورد التشویق إلیه بشدّه وأنّه عمل مستحب، وتطویل السجود، سواءً فی سجود الصّلاه أو فی السجود بعد الصّلاه أو السجود المستقل، من جمله الأمور التی ورد الاهتمام بها فی الروایات الشریفه، ولکن ما هی حقیقه السجود؟

یقول المرحوم الشهید الثانی رحمه الله فیما یخصّ السجود: «وَهُوَ أَعظَمُ مَرَاتِبُ

الْخُضُوعِ وَأَحْسَنُ دَرَجاتِ الْخُشُوعِ»(۱)، يعنى أنّ الإنسان الذى يسجد أمام البارى تبارك وتعالى، فإنّ هذه الحاله لا يوجد أعلى منها فى تحقّق حاله الخضوع للّه، فالسجود هو غايه مراتب الخضوع فى مقابل اللّه تبارك وتعالى، والخضوع موجود فى القيام أيضاً ولكن مقدار الخضوع الذى يشعر به الإنسان فى قيامه يختلف عن حاله الخضوع الذى يجدها الإنسان فى ركوعه.

وفى الركوع أيضاً يجد الإنسان حاله الخضوع والخشوع، ولكن مرتبه الخضوع والخشوع فى الركوع لا تصل أبداً إلى مرتبه الخضوع والخشوع فى السجود، فالمصلّى يهيىء نفسه من خلال القيام والركوع للاتيان بأعلى مراتب الخضوع والخشوع فى سجوده: «وَأَعْلَى مَراتِبِ الإِسْتِكانَه»، السجود نهايه مرتبه اظهار الذلّه والاستكانه والعبوديّه بين اللّه تعالى، ومن هذه الجهه نرى أنّ اللّه تبارك وتعالى يأمر نبيّه الكريم صلى الله عليه و آله بالسجود، فنفس السجود وبالاستقلال عن الصّلاه مطلوب ومحبذ ومندوب، ولكن، وحسب ظاهر بعض الآيات الشريفه، السجود واجب بالنسبه للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وينبغى علينا أن نعلم أنّ أفضل حالات الصّلاه هى حاله السجود، وأفضل وأعلى درجه من الخضوع والخشوع والذله هى فى حال السجود، فنحن نتذكر فى سجودنا عظمه البارى تبارك وتعالى، فعندما يضع الإنسان رأسه على التراب ويسجد للّه فقبل أن يتلفظ بذكر السجود يستشعر عظمه اللّه تعالى، وهو ذلك الموجود الذى نضع جبهتنا أمامه على التراب لأنّ الموجود الجدير للعباده والسجود له هو اللّه تعالى، وبما أنّ السجود يعتبر نهايه درجه الحضور، فإنّ هذه المرتبه من الخضوع مختصّه للّه تبارك وتعالى ولا يصحّ السجود لغير اللّه.

يقول الإمام الخمينى رضوان اللّه تعالى عليه فى كتابه «آداب الصّلاه»: سرّ

ص:۴۸۸

۱- (۱) . التنبيهات العليّه على وظائف الصّلاه القلبيّه، ص ۱۲۴.

السجود لدى أصحاب العرفان ترك النفس والتعلق بغير اللّه(۱).

وعندما يسجد الإنسان فلا يبقى معنى للالتفات لغير اللّه تعالى، والويل لذلك الشخص الذى يسجد ولكنّه يفكّر فى نفسه أو يفكّر فى الدنيا وما سوى اللّه، فالإنسان عندما يسجد يجب عليه أن يترك نفسه وينسى ذاته ويوصد فكره وعينه عن غير اللّه وينبغى أن يعلم أنّ السجود، على حدّ تعبير العرفاء، هو المعراج اليونسى، أى أنّ الإنسان يجد نفسه فى مجموعه ظلمات الدنيا، ومع ذكر السجود فإنّ المصلّى يطلب النجاه من هذه الظلمات والتقرّب إلى اللّه تبارك وتعالى.

نسأل اللّه تعالى أن يهب لنا جميعاً السجود الحقيقى إن شاء اللّه.

ص:۴۸۹

۱- (۱) آداب الصّلاه، ۳۵۷.

۱۵۸– أهمّیه السجود

یقول الإمام الصادق علیه السلام: «وَجَدْتُ النُّورَ فِی البُکاءِ والسَّجْدَهِ»

یقول الإمام الصادق علیه السلام: «السُّجُودُ مُنتَهی العِبادَهِ مِنْ بَنِی آدَم»(۱)، فلو أنّ الإنسان أراد أن یصل فی عبادته إلی الذروه والنهایه، فالمرتبه العالیه التی لا یمکن تصوّر مرتبه أعلی منها تکمن فی السجود.

ویتبیّن أنّ حال السجود من بین جمیع العبادات هو أفضل عباده وأعلاها مرتبه، ویختلف السجود عن جمیع أجزاء الصّلاه وأقسامها الأخری وکذلک یختلف عن سائر العبادات الوارده فی الشریعه، یقول الإمام الصادق علیه السلام:

«السُّجُودُ مُنتَهی العِبادَهِ...»، ولا ینبغی للمصلّی أن یغفل عن هذه الحقیقه، وأساساً عندما یقف الإنسان للصّلاه بین یدی الباری تعالی فهو یعیش الأمل أن یصل إلی الرکوع وینال مرتبه أکثر من التواضع والخضوع فی عبادته، وفی الرکوع یأمل أن یصل إلی السجود بشوق بالغ، ومع رعایه آداب الرکوع یجد فی

۱– (۱) . بحار الأنوار، مطبعه بیروت، ج ۸۲، ص ۱۶۴.

حال السجود حاله الخضوع أكثر ليؤدى حقّ العبوديّه للّه تعالى فى هذه المرتبه من العباده والخضوع.

وسئل الإمام الصادق عليه السلام: «لِمَ اتَّخَذَ اللّهُ إبراهِيمَ خَلِيلاً»؟

فقال عليه السلام: «لِكِثْرَهِ سُجُودِهِ عَلَى الأَرضِ»(۱).

وجاء فى روايه أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «وَجَدْتُ النُّورَ فِى البُكاءِ والسَّجْدَهِ»، فلو أراد الإنسان تحصيل النور الإلهى فى وجوده ويكون وجوده وعاءً لتجليات النور الإلهى، فيجب عليه أن يقوم بأمرين: أحدهما: البكاء من خشيه اللّه، الثانى: السجود للّه، وعلى هذا الأساس يجب أن نهتمّ كثيراً بأمر السجود

وجاء فى روايه عن سلمان الفارسى رحمه الله أنّه قال: «لَولا السُّجُودُ للّهِ وَمُجالَسَهُ قَوْمٍ يَتَلفَّظُونَ طَيِّبِ الكَلامِ كَمَا يُتَلَفَّظُ طَيِّبُ التَّمرِ لَتَمَنَّيتُ المَوْتَ»(۲)، يعنى أنّ سبب الشعور باللذّه فى البقاء فى الدنيا عند سلمان الفارسى رحمه الله هو لذّه السجود للّه تعالى.

وللسجود فى الصّلاه أهميّه كبيره ولا ينبغى أن نغفل عنه، ولا ينبغى لشعبنا العزيز وشبابنا الأكارم أن يحرموا أنفسهم من هذه النعمه الإلهيّه والتوفيق الربّانى الكبير، بحيث إنّهم يستعجلون فى رفع رأسهم من السجود، ولا ينبغى الشعور بالتعب من السجود، بل يجب أن نعلم أنّ أفضل حالات القرب من اللّه تعالى وأفضل أوقات الاستغراق فى رحمه اللّه تعالى ولطفه ورحمته هو فى حال السجود.

وينقل ابن طاووس روايه عن حالات الإمام زين العابدين عليه السلام: «أَنّهُ بَرزَ إِلى

۱- (۱) بحار الأنوار، مطبعه بيروت، ج ۱۲، ص ۴.

۲- (۲) . بحار الأنوار، ج ۶، ص ۱۳۰.

الصَّحراءِ فَتَبِعَهُ مَولاً لَهُ فَوَجَدَهُ سَاجِداً عَلَى حِجَارَةٍ خَشِنَةٍ»، ونحن عـاده نهتمّ بمكـان السـجود أن يكون ناعمـاً وصافياً بحيث لا تصاب جبهتنا بأدنى خـدش أو أذى، ولكن الإمام زين العابـدين عليه السـلام يضع جبهته على حجاره خشـنه ويكرر هـذا الـذكر ألف مرّه: «لا إِلَهَ إِلّا اللّهُ حَقّاً حَقّاً، لاإِلَهَ إِلّا اللّهُ تَعَبُّدَاً وَرِقاً، لاإِلَهَ إِلّا اللّهُ إِيمَاناً وَصُدقَاً ثُمَّ رفَعَ رَأسَهُ»(۱).

هذه سيره أئمّتنا الطاهرين عليهم السلام وهكذا المعروف عن الإمام زين العابدين والإمام موسى الكاظم عليهما السلام أنّهما كانا معروفَين بالسـجود الطويل، ويجب علينا أيضاً الاهتمام بحال السـجود فى صـلاتنا وكذلك فى غيرالصّلاه فنسجد للّه فى منتصف الليل وندعوه ونعيش فى حال المناجاه.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۱۱، ص ۱۶۶.

۱۵۹- سرّ السجود على التراب

أسلفنا أنّ السجود هو أعظم مرتبه من مراتب الخضوع والخشوع فى مقابل اللّه تبارک وتعالى، ويجب على الإنسان فى حال السجود أن يتذكّر عظمه اللّه وينسى نفسه وكلّ ما سوى اللّه ويتركه جانباً، والسجود، فى كلام العرفاء، هو المعراج اليونسى، وكما هو معلوم أنّ النبىّ يونس عليه السلام عندما كان فى بطن الحوت وفى تلك الظلمات أخذ بالدعاء والذكر لينقذه اللّه تعالى من هذه الظلمه والسجن فأنقذه اللّه تعالى، ونحن أيضاً عندما نكون فى حال السجود نجد أنفسنا فى ظلمات الدنيا، ونرى فى السجود أنّ جميع الدنيا وظلماتها قد تسلطت علينا، فلو أردنا الخلاص من هذه الظلمات يجب علينا أن نذكر اللّه تعالى بعظمته وعلوّه وكبريائه ونتوجّه إليه فى قلوبنا وجميع وجودنا ثمّ نقول ذكر السجود بلساننا: «سُبْحَانَ رَبَّى الأعَلى وَبِحَمْدِهِ».

وبالنسبه لذكر السجود فقد ورد فى الروايه أنّها عندما نزلت الآيه الشريفه ۷۴ من سوره الواقعه «سُبْحَانَ رَبَّى العَظِيم وَبِحَمْدِهِ» على النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، أمر النبىّ

أن تجعل هذه الآيه فى الركوع، وعندما نزلت الآيه الأُولى من سوره الأعلى:

«سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» ، أمر النبیّ الأکرم صلى الله عليه و آله أن توضع فى السجود، فقد ورد فى «الكافى» أنّ أوّل اسم جعله تبارک وتعالى لنفسه «العَلىّ وَالعَظيم»(۱)، ونحن نذكر هذين الإسمين فى ركوعنا وسجودنا لئلا نغفل فى سجودنا أننا فى أى حاله؟ لا ينبغى أن نتصوّر أنّ السجود مجرّد تكليف شرعى ظاهر ويقتصر على وضع الجبهه على التراب ولا يجب الالتفات إلى شيء آخر وراءه، كلّا، فالإنسان فى صلاته يضع أشرف وأفضل موضع فى بدنه وهو الجبهه ومركز الفكر والترشحات العقليّه على أهون ماده فى العالم وهو التراب.

إنّ سرّ أهميّه السجود من حيث إنّ الخضوع والخشوع يكمن فى هذه النقطه، وهى أنّ الإنسان يضع أشرف أعضاء بدنه على أحقر وأتفه شيء فى العالم وهو التراب، ومن هنا يتبيّن لماذا قال الفقهاء إنّ السجود يجب أن يكون على التراب ولا يجزى السجود على اللباس أو الطعام، فلماذا لا يصحّ السجود على المأكول والملبوس؟ لأنّ الشيء إذا كان من الملبوس أو المأكول فإنّه يتّصف بأنّه بضاعه ومتاع دنيوى وأنّ أهل الدنيا ومن خلال هذه الأمور الدنيويّه يرون لأنفسهم عزّه ومكانه، ومن هذه الجهه أمر الإسلام بالسجود على أتفه شيء فى عالم الطبيعه بحيث لا مجال لرؤيه أى مكانه وقيمه للذات والنفيّه.

ويجب الالتفات إلى هذه الحقيقه أيضاً، وهى أنّ السجود أهم وسيله للتقرب إلى اللّه تبارک وتعالى، والإنسان الذى يتحرّک فى مسار السير والسلوک، فإنّه كلّما أطال سجوده أكثر كان يعيش حالات الخضوع والخشوع فى سجوده أكثر فإنّ نورانيّه صلاته ستكون أكثر وسينال توفيق أكثر فى الإستفاده من عنايات البارى تبارک وتعالى وألطافه الغيبيّه.

ص:۴۹۴

۱- (۱) . الكافى، ج ۱، ص ۱۵۳.

ومن هـذه الجهه نرى الأنبياء الإلهيين والأئمّه من أهل البيت عليهم السلام يهتمّون بالسجود كثيراً، يقول منصور الصيقل: «حَجَجَتُ فَمَرَرْتُ بِالمَدِينَهِ فَأَتَيْتُ قَبْرَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه و آله فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ»، وانشغلت بالزياره فرأيت الإمام الصادق عليه السلام فى حال السجود «فَجَلَسْتُ حَتَّى مَلِلْتُ»، أى أنّ سجود الإمام عليه السلام كان مطولاً إلى درجه أنّ هـذا الشخص شعر بالملل والتعب، «ثُمَّ قُلْتُ لأُسَبِّحَنَّ مَادَامَ سَاجِداً»(١)، وبذلك أقتدى بهذا الإمام وأُسبح اللّه تعالى مادام الإمام عليه السلام فى سجوده، يقول هـذا الراوى، فعددت ذكر الإمام عليه السلام «سُبْحَانَ رَبَّى العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، واستَغفِرُ اللّهَ وَأَتُوبُ إِلَيهِ»، ثلاثمائه وستين ونيف.

إذن، لا ينبغى أن نستشعر التعب والملل من السجود ولا ينبغى الاحساس بالتعب بمجرّد ذكر التسبيح مرّه أو مرّتين، فالسجود كلّما كان طويلاً فإنّ التوفيقات الإلهيّه والسعاده الروحانيّه تكمن فى هذا السجود.

١- (١) . مستدرك الوسائل، ج ۴، ص ۴۱۳.

۱۶۰- حقیقه السجود فی کلام الإمام الصادق علیه السلام

یقول الإمام الصادق علیه السلام فی روایه مفصّله وردت فی کتاب «مصباح الشریعه»(۱):

«مَا خَسِرَ وَاللّهِ قَطُّ مَنْ أَتَی بِحَقِیقَهِ السُّجُودِ وَلَوْ کَانَ فِی عُمُرِهِ مَرَّه وَاحِدَهً، وَمَا أَفلَحَ مَنْ خَلَا بِرَبِّهِ فِی مِثلِ ذَلِکَ الحَالِ شَبِیهاً بِمُخادِعِ نَفْسِهِ غَافِلاً لاهیاً عَمَّا أَعَدَّ اللّهُ تَعالی لِلسَّاجِدِینَ مِنْ البِشْرِ العَاجِلِ وَرَاحهِ الآجِلِ»، ونری أنّ الإمام الصادق علیه السلام یقول: إنّ اللّه تعالی جعل الاُنس والراحه للساجدین فی الدنیا والآخره، فالشخص الذی یرید أن یعیش فی الدنیا حاله الاُنس والمحبّه مع اللّه تبارک وتعالی، والشخص الذی یرید أن یجد الراحه والبهجه فی القبر والبرزخ والقیامه ویرید الحصول علی المقام والمکانه فی الآخره، یجب علیه الاستمداد من حاله السجود والوصول إلی حقیقه السجود.

«وَلا بَعُدَ عَنِ اللّهِ تَعالی أَبَداً مَنْ أَحْسَنَ تَقَرُّبَهُ فِی السُّجُودِ، وَلا قَرُبَ إِلَیهِ أَبَدَاً مَنْ أَساءَ أَدَبَهُ وَضَیَّعَ حُرْمَتَهُ بِتَعْلِیقِ قَلبِهِ بِسِواهُ فِی حَالِ السُّجُودِ»، وهذه الروایه مهمّه جدّاً فی بیان الآثار المرتبه علی السجود ورعایه آدابه، یقول الإمام الراحل

ص:۴۹۶

۱- (۱) مصباح الشریعه، ص ۶۴.

رضوان اللّه تعالى عليه فى كتابه «آداب الصّلاه»: فى هذا الحديث الشريف جمع بين أسرار وآداب السجود، وبين حقيقه السجود، فقد ذكر فى هذا الحديث الشريف الآداب التى يجب على المصلّى أو الساجد رعايتها فى عبادته وسجوده، وكذلك بيّن بعض حقيقه وأسرار السجود.

وفى سياق هذه الروايه يقول الإمام عليه السلام: «فَاسْجُدْ سُجُودَ مُتَواضِعٍ للّهِ ذَلِيلٍ»، فأحد آداب السجود التى ينبغى رعايتها من إظهار التذلل والتواضع للّه تعالى لئلا تكون فى السجود شائبه الأنانيّه ورؤيه الذات كما سبق أن ذكرنا فى حالات الصّلاه الأخرى أنّ الإنسان يجب أن يلتفت دوماً إلى ضعفه وعجزه وتفاهته فى مقابل البارى تعالى، وفى السجود خاصّه يجب أن تكون حاله الذلّه والتواضع فى ذروتها.

«عَلِمَ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ تُرابٍ...»، فعندما نضع جبهتنا على التراب فيجب أن نعلم أننا خلقنا من هذا التراب، وأى تراب؟ التراب الذى يسحقه الناس بأقدامهم.

«أَنَّهُ رُكِّبَ مِنْ نُطفَهٍ يَستَقْذِرُها كُلُّ أَحَدٍ، وَلَقَدْ جَعَلَ اللّهُ مَعنَى السُّجُودِ سَبَبَ التَّقَرُّبِ إلَيهِ بِالقَلْبِ وَالسِّرِّ وَالرُّوحِ، فَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ بَعُدَ عَنْ غَيرِهِ»، وهكذا حال الإنسان بين الدنيا والآخره، وبين اللّه وغيره، كلّما اقترب الإنسان من اللّه تعالى ابتعد عن غيره، وكلّما اشدّت عظمه اللّه تعالى فى قلب الإنسان ضعف ما سواه.

«أَلا تَرى فِى الظّاهِرِ أَنَّهُ لايَستَوى حَالُ السُّجُودِ إلّا بِالتَّوارِى عَنْ جَمِيعِ الأشيَاءِ وَالإحْتِجَابِ عَنْ كُلِّ مَا تَراهُ العُيُونُ»، يتحدّث الإمام الصادق عليه السلام هنا فى بيان حال السجود باسلوب بليغ وكلام رائع، فكما أن الإنسان عندما يسجد ويضع رأسه على الأرض لا يرى شيئاً ومظهر من مظاهراً الدنيا وتختفى عن بصره الأشياء، «كَذلِكَ أَرادَ اللّهُ تَعالى أَمْرَ البَاطِنِ»، فباطن الإنسان يجب أن يكون كذلك، أى لا يتوجّه قلبه أبداً نحو الدنيا ولا يفكّر بذهنه أبداً فى متطلباتها وزخارفها.

نسأل اللّه تعالى أن يرزقنا جميعاً السجود الحقيقى.

۱۶۱- علّه تکرار السجود

جاء فی روایه فی کتاب «مصباح الشریعه»(۱) عن الإمام الصادق أنّه قال: «لا یَستَوی حَالُ السُّجُودِ إلّا بِالتَّوارِی عَنْ جَمِیعِ الأشیَاءِ وَالإحتْجَابِ عَنْ کُلِّ مَا تَراهُ العُیُونُ»، فالإنسان فی حال السجود لا یری أی مظهر من مظاهر الدنیا، ولا یری الولد ولا الزوجه ولا الدنیا ولا المقام ولا المال ولا الثروه، وهکذا یجب أن یکون باطنه فی حال السجود بأن لا یری ولا یفکّر بشیء غیر الباری تعالی.

«فَمَنْ کَانَ قَلْبُهُ مُتَعلِّقاً فِی صَلاتِهِ بِشیءٍ دُونَ اللّهِ تَعالی فَهْوَ قَریبٌ مِنْ ذَلِکَ الشَّیءِ، قَالَ اللّهُ تَعالی : «ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ...»۲» ، فهذا القلب إمّا أن یکون قریباًب من اللّه أو قریباً من غیر اللّه، وهذا یعنی أننا یجب أن نخلص قلوبنا للّه تعالی فی السجود ونفکّر أننا جئنا فی یوم من الأیّام إلی الدنیا من هذا التراب فسوف نعود إلیه لاحقاً، ولعل السرّ فی استحباب النظر إلی محلّ السجود

ص:۴۹۸

۱- (۱) . مصباح الشریعه، ص ۶۶.

فی حال القیام أن الإنسان بهذا التوجّه إلی الأرض کأنّه یقول: «إِنّا للّهِ وإِنّا إِلَیهِ راجِعُونَ»، وهکذا یعیش الإنسان هذه الحقیقه الحاسمه دائماً.

وجاء فی روایه فی کتاب «بحار الأنوار»: «سُئِلَ أَمِیرُالمُؤمِنِینَ علیه السلام مَا مَعنَی السَّجدَهِ الاُولی؟ فَقَالَ: تَأَوِیلُها اللُّهُمَّ إِنّکَ مِنها خَلَقتَنا وَرَفْعُ رَأسِکَ وَمِنْها أَخْرَجتَنا»(۱)، فباطن وحقیقه السجده الاُولی هی أننا نرید أن نقول للّه تعالی: إلهنا! لقد خلقتنا من هذا التراب وأخرجتنا منه.

«وَالسَّجدَهُ الثّانِیهُ وإِلَیها تُعِیدُنا»، وحقیقه السجده الثانیه هی أننا نقول للّه تعالی: إلهنا! سیأتی الیوم الذی نعود فیه إلی هذا التراب، وعندما نرفع رأسنا من السجده الثانیه نتذکّر ونقول: وسوف نخرج منها مرّه ثانیه، وهو ما ورد فی الآیه الشریفه ۵۵ من سوره طه، حیث تقول: «مِنْها خَلَقْناکُمْ وَ فِیها نُعِیدُکُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُکُمْ تارَهً أُخْری» ، والآن تبیّن لماذا یتکرار السجود مرّتین فی کلّ رکعه بخلاف الرکوع وهو مرّه واحده فی الرکعه، لأنّ المصلّی یلتفت إلی هذه الحقیقه فی حال السجود، وذلک فی مرحله الخلق من التراب والموت والعوده إلی التراب ومرحله الحشر والقیامه، فکلّ مراحل الحیاه منذ خلق الإنسان إلی حشره یوم القیامه کامنه فی هاتین السجدتین، فعلی الإنسان الانتباه إلی هذه الحقیقه واستغلال عمره ووقته فی ما ینفعه لذلک الیوم ولا یتلف وقته وقواه فی أمور الدنیا.

۱- (۱) . بحار الأنوار، مطبعه بیروت، ج ۷۹، ص ۲۷۱.

۱۶۲- تأكيد الأئمّه عليهم السلام على إطاله السجود

ينقل المرحوم الميرزا جواد ملكى التبريزى رضوان اللّه تعالى عليه فى كتابه «أسرار الصّلاه» عن استاذه المرحوم الملا حسين قلى الهمدانى رحمه الله ويقول عن هذا الأُستاذ العارف: «كان لى شيخٌ جليلٌ عارفٌ كاملٌ ما رأيت له نظيراً، فطلبتُ منه عن عَملٍ مُجرّبٍ يُؤثّر فى إصلاح القلب وجلب المعارف».

فقال المرحوم الملا- حسين قلى رحمه الله: «ما رأيت عملاً مؤثّراً فى ذلك مثلَ المُداومه على السّجده الطّويله فى كلّ يوم مرّه واحده»، وتقول فى هذه السجده:

«لا إله إلّاأنتَ سُبحانَك إنّى كنتُ مِن الظّالمين».

فإذا داومت على هذا الذكر فى السجود فاستشعر فى نفسك أنّك: «يرى نفسهُ مسجونه فِى سِجنِ الطّبيعه ومُقيّده بقُيودِ الأخلاقِ الرذيله، ومُقرّاً بأنّك لَم تَفعل ذلك بى ولَم تَظلِمنِى وأَنا الّذى ظلمتُ نفسِى وأوقعتُها فى هذا الحال»، وتكرر هذا الذكر ۳۶۰ مرّه.

يقول المرحوم الملا حسين قلى الهمدانى رحمه الله: إذا داوم السالك على هذا الذكر

والسجده الطویله فی کلّ یوم فإنّ اللّه تعالی سیفتح أمامه أبواب المعارف، ونقرأ فی سیره أصحاب الأئمّه المعصومین علیهم السلام والرواه الکرام أنّ أحد أعمالهم العبادیه یتمثّل فی السجده الطویله، یقول الکشی فی کتابه «اختیار معرفه الرجال»: «إنّه وجد فی کتاب أبی عبداللّه شاذانی بخطه: سمعتُ أبا محمّد الفضل بین شاذان یقول:

دخلت العراق فرأیت واحداً یعاتب صاحبه ویقول له: أنت رجل علیک عیالٍ»، أی یجب أن تذهب للکسب والعمل لتحصیل الرزق، فلماذا تطیل السجود، وأنا أخشی علیک أن تذهب عینک بسبب هذا السجود الطویل، «فلمّا أکثر علیه قال لو ذهبت عین أحد من طول السجود لذهبت عین ابن أبی عمیر فَمَا ظَنُّکَ بِرَجلٍ سَجَدَ سَجدَهَ الشُّکر بعد صلاهِ الفجرِ فَما رفعَ رأسهُ إلّاعِندَ الزَّوال». وهکذا کان حال ابن أبی عمیر فی سجوده الطویل بحیث إنّه بعد انتهاء من الصّلاه الصبح یسجد سجده الشکر ویستمر فی سجوده إلی آذان الظهر.

وجاء فی روایه أخری أنّ رجلاً جاء إلی ابن أبی عمیر، وقال: أنت طویل السجده؟ فقال ابن أبی عمیر: «لَو رأَیتَ جَمیل ابن درّاج»، ویقول هذا الشخص:

أتیت جمیل بن درّاج فرأیتُ أنّ سجوده یستغرق وقتاً طویلاً، فقلت له: ما أطول سجودک، فقال: لو رأیت معروف بن خربوز، فسجودی لا یقارن بسجوده، وهذه هی سیره ومنهج أصحاب الأئمّه الطاهرین علیهم السلام.

یجب علی کلّ مسلم أن یضع فی برنامج حیاته سجده طویله فی کلّ یوم، فإذا استمر واقعاً بهذا العمل وداوم علیه فسوف تنحلّ الکثیر من مشکلاته ویجد الطریق مفتوحاً فی مسیره الإیمان والعباده والقرب إلی اللّه تعالی ویعیش النورانیّه فی حیاته بما لا یستطیع تصوّره.

نسأل اللّه تعالی أن یوفّقنا جمیعاً للسجود الطویل، إن شاء اللّه.

ص:۵۰۱

الفصل التاسع: أسرار التّشهد

اشاره

ص:۵۰۳

۱۶۳– سرّ الشهاده بالتوحید والنبوّه فی بدایه الصّلاه ونهایتها

نصل إلی مسأله التشهد، والذی یجب أن یأتیه المصلّی فی الرکعه الثانیه والرکعه الأخیره من صلاته، ویجب فی التشهد أن یتشهد المصلّی الشهادتین، الاُولی الشهاده بالتوحید والإقرار بواحدانیّه الباری تبارک وتعالی ویقول: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّااللّهُ وَحْدَهُ لاشَرِیکَ لَه»، والثانیه: الشهاده بنبوّه ورساله النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه عبد اللّه ورسوله، وأحد النقاط المطروحه هنا، سواءً فی الشروع بالصّلاه أو فی وسطها أو فی نهایتها، مسأله الشهاده بالتوحید والشهاده بالرساله والنبوّه، فما هو سرّ الکامن فی هذه الشهاده، بحیث یجب علی المصلّین الاتیان بها فی أوّل صلاته وآخرها ویشهد بتوحید الباری وتعالی ورساله النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله؟ یجب علینا التأمّل والتدبّر فی هذه المسأله، وهل یوجد ارتباط عمیق بین أوّل الصّلاه وآخرها؟ ألا نستوحی أنّ الصّلاه تتضمّن مثل هذا المفهوم وأنّ هذا العمل العبادی من شأنه إیصالنا إلی مراتب عالیه من التوحید، والإیمان بوحدانیّه

ص:۵۰۵

الباری تعالی.

إنّ سرّ تکلیف الناس بالصّلاه هو أنّ الاتیان بالصّلاه فی کلّ یوم من شأنه تقویه التوحید فی وجودهم وقلوبهم وتکمیل مسیره اتّباع النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله والاستنان بسنّته، فالصّلاه یجب أن تحلق بالإنسان فی کلّ وقت وفی کلّ لحظه فی معراج المعنویّات وفی درجات التوحید، ولو أراد شخص معرفه: هل أنّ صلاته صحیحه أم لا؟ فینبغی أن یلاحظ توحیده وإیمانه بعد الصّلاه إلی أی مرحله وصل؟ هل أن توحیده یزداد ویتعمّق ویرتفع شیئاً فشیئاً، أم لا؟

هل أنّ أهواءه وتمنیاته وجمیع ما جعله صنماً له فی نفسه، یتأثر فی کلّ صلاه یصلّیها وتضعف هذه الرغبات الدنیویّه والنوازع النفسانیّه بعد الصّلاه أم لا؟ إنّ الصّلاه لغرض إیصال الإنسان إلی مرتبه عالیه من التوحید، والصّلاه تهدف إلی إفهام الإنسان بشکل أعمق وأشدّ بوحدانیّه الباری تعالی ویؤمن بهذه الحقیقه الحاسمه فی قراره نفسه، وعلی حدّ قول العرفاء لا توجد لذّه أعلی من درک معنی التوحید.

ولو علم الإنسان أنّه لا یوجد إله غیر اللّه یستحق العباده وأنّ کلّ شیء بیده وبمشیئته، وأنّ العزّه والذلّه، والغنی والفقر، والسلامه والمرض، والراحه والابتلاء بیده فقط، فسوف یجد هذا الشخص لذّه کبیره وانبساطاً وبهجه فی حال التقرب والإرتباط باللّه تعالی.

یقول الإمام الخمینی رضوان اللّه تعالی علیه: هناک فرق بین الشهاده بالتوحید فی أوّل الصّلاه والشهاده بالتوحید فی آخر الصّلاه مع وجود ارتباط وثیق وعمیق بینهما، ولکن الفرق فی المرتبه والدرجه، فالشهاده بالتوحید فی أوّل الصّلاه هی الشهاده قبل السلوک وقبل العمل وقبل المعراج، والشهاده فی آخر الصّلاه تعنی نهایه هذا السفر والمعراج الإلهی.

ص:۵۰۶

الشـهاده قبل الصّـلاه تعبير عن شهاده تعبّديّه أو تعقّليّه، فنحن على أساس التعبّد بأوامر اللّه تعالى أو التعقّل والتفكّر نؤدّى الشهاده بالتوحيد، وأمّا فى آخر الصّـلاه فهى شهاده تحقيقيّه وحضوريّه، يعنى بعد أن يأتى المصلّى فى الركعه الاُولى والثانيّه ويقرأ سوره الحمـد ثمّ يركع ويسـجد ويطوى مراحل السـلوك إلى أن يصل إلى درجه القرب الإلهى فى السـجده الثانيه، عنـدها يحين وقت التشـهد وأداء الشـهاده على التوحيـد، يعنى أنّ هـذا التوحيـد قـد تحقّق فى باطننا ووجودنا، ونعود مرّه ثانيه إلى هذا العالم والدنيا لنأخـذ منه الزاد والمتاع فى سـفرنا وعروجنا الإلهى، ولـذلك ورد التعبير أنّ الشـهاده فى آخر الصـلاه هى شـهاده حضوريّه، وفى هذه الشـهاده خطر عظيم، لأنّها عباره عن ادعاء حصول التوحيد فى الذات والقلب، ولكن الشـهاده فى أوّل الصّـلاه لا تحمل هذا العنوان والادعاء، وعلى هذا الأساس يجب أن نتدبّر فى سـرّ هذه الشـهاده والتشـهد، ونلتفت إلى تحقّق التوحيد فى جميع وجودنا وواقعنا النفسانى، إن شاء اللّه تعالى.

۱۶۴- حقیقه التشهد

جاء فی کتاب «مصباح الشریعه»(۱) روایه رائعه جدّاً عن الإمام الصادق علیه السلام تتضمّن الأداب القلبیّه وحقائق وأسرار التشهد، یقول علیه السلام: «التَّشَهُّدُ ثَنَاءٌ عَلَی اللّهِ تَعالی، فَکُنْ عَبداً لَهُ فِی السِّرِّ خَاضِعاً لَهُ فِی الفِعْلِ کَمَا أَنَّکَ عَبدٌ لَهُ بِالقَولِ وَالدَّعوی»، فنحن عندما نتشهد ونعترف بالتوحید، أی التوحید فی العباده، والتوحید بالذات، والتوحید بالفعل، فکما أننا فی مقام القول والادعاء نعتقد ونقرّ أننا عبید للّه تبارک وتعالی فیجب أن نکون کذلک فی باطننا وسرّنا، أی نعیش حاله العبودیّه والخضوع للّه تعالی فی مقام العمل والفعل.

«وَصِل صِدْقَ لِسَانِکَ بِصَفاءِ صِدْقَ سِرِّکَ»، یعنی کما أنّک تعیش حاله العبودیّه والعباده فی الظاهر، یجب علیک أن تستشعر هذه الحاله من العبودیّه والعباده فی باطنک أیضاً.

«فَإِنَّهُ خَلَقَکَ عَبْدَاً وَأَمَرَکَ أَنْ تَعْبُدَهُ بِقَلْبِکَ وَلِسَانِکَ وَجَوارِحِک».

ص:۵۰۸

۱- (۱) مصباح الشریعه، ص ۶۸، باب ۱۷، التشهد.

أحیاناً یطرح البعض هذه الشبهه ویقول: إنّ العباده للّه تعالی، وحینئذٍ یکفی التوجّه القلبی للّه فی العباده، ولا یحتاج إلی ذکر اللسان وفعل الجوارح من القیام والرکوع والسجود، والجواب: إنّ الإنسان مرکّب من ظاهر وباطن، وکما أنّ الإنسان له باطن فله ظاهر أیضاً، وأنّ اللّه تبارک وتعالی أراد أن یتحرّک الإنسان فی مسار العباده والعبودیّه بظاهره وباطنه معاً، فعندما یقف الإنسان ببدنه أمام الحقّ تبارک وتعالی ویفنی ظاهره فی اللّه تعالی فهذا یکشف عن أنّ هذا الإنسان یعیش فی باطنه هذه الحاله أیضاً، أمّا الشخص الذی یتحرّک بجوارحه وأعضاء بدنه فی طلب الدنیا، وتکون عینه ویده وفکره و... وسائر أعضائه وقواه تسیر فی طلب الدنیا وفی مسیر غیر اللّه، فکیف یستطیع قلبه أن یتوجّه إلی اللّه تبارک وتعالی؟ إنّ اللسان الذاکر هو الذی أدخل هذا الذکر والتسبیح إلی قلب الإنسان، یجب أن تکون أجزاء وجوارح الإنسان وأبعاده الوجودیّه کلّها مرتبطه بالتوحید، ولذلک یقول الإمام علیه السلام فی سیاق هذا الحدیث:

«وَأَنْ تُحَقِّقَ عُبُودِیَّتَکَ لَهُ بِرِبُوبِیَّتِهِ لَکَ»، وهذا یعنی أنّ حقیقه العبودیّه تستدعی طلب ربوبیّه اللّه تعالی، فما لم تکمل وتتمّ العبودیّه من العبد فلا یحصل علی القرب من مقام الربوبیّه، ولو أنّ الإنسان أراد الحصول علی القرب من الحقّ تعالی وأن یجعل اللّه تعالی حاکماً ومهیمناً علی وجوده وکیانه فیجب علیه تقویه أواصر العبودیّه والشعور بالرقیّه للّه.

«وَتَعْلَمَ أَنَّ نَواصِی الخَلْقِ بِیَدِهِ، فَلَیسَ لَهُمْ نَفَسٌ وَلا لَحظَهٌ إلّا بِقُدْرَتِهِ وَمَشِیئَتِهِ، وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ إتیانِ أَقَلَّ شَیءٍ فِی مَمْلَکَتِهِ إلّا بِإذنِهِ وَبِإرَادَتِهِ»، فجمیع العباد والمخلوقات عاجزون علی فعل أی عمل مهما کان صغیراً بدون مشیئه الباری تعالی وإذنه، لأنّ کلّ عمل یقع فی دائره مملکته وقدرته تعالی.

«قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ : «وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ ما یَشاءُ وَ یَخْتارُ ما کانَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ سُبْحانَ اللّهِ

وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ»۱» ، هذا يعنى أنّه لا اختيار للعباد فى أفعال اللّه تعالى وأنّه تعالى منزّه عمّا يتصوّر الخلق وما يجعلون له من شرك، وكلّ هـذه الحقائق هى آثار للتوحيد الخالص، وهو أن يعلم الإنسان أنّ اللّه «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ»، فالخلق بيد اللّه تعالى ولا تأثير للناس فيما يختاره اللّه، وهـذا هو الغرض من التشـهد والصّلاه بأن نصل إلى مراتب عاليه من التوحيـد والكمال المعرفى باللّه تعالى، إن شاء اللّه.

۱۶۵- أدب التشهد

ذكرنا أنّ التشـهد يبيّن هذه الحقيقه، وهى أنّ هذا السفر والمعراج الإلهى يهدف للوصول إلى مرتبه عاليه من التوحيد، ومن أجل أن يحقّق المصلّى جميع أقسام التوحيد فى وجوده ويرتوى قلبه وعقله من معارف التوحيد وحقيقته، فأدب التشهد هو أنّ المصلّى عندما يرفع رأسه من السـجود ويجلس للتشـهد يجب أن يستشـعر حاله من الخوف والقلق تهيمن على وجوده، لأنّك الآن صليت عـده ركعـات وتحـدّثت مع اللّه تعالى ودعوته فلا ينبغى أن تكون هـذه الأعمال والكلمات غير مقبوله عنـد اللّه تعالى، يجب أن يجلس المصـلّى للتشـهد بحـاله من الخوف والحيـاء والقلق ولاـ يعتبر مـا أتى به من العبـاده للّه تعـالى شـيئاً مهمّاً فى مقابل عظمه البارى تعالى وألطافه وعنايته.

ونعود هنا إلى أصل وأساس الدين وهو كلمه التوحيد: «أشـهدُ أَنْ لاإِلَهَ إِلّا ا للّهُ»، يعنى أنّ هذا القيام والركوع والسجود لا قيمه له فى مجال عباده الذات المقدّسه، ونعود إلى كلمه التوحيد والتى يقول عنها البارى تعالى: «كَلِمَهُ لاإِلَهَ إِلّا

اللّهُ حِصنِی فَمَنْ دَخَلَ حِصنِی أَمِنَ مِنْ عَذابِی»(۱)، فیجب علی الناس فی مسار العباده والعبودیّه الـدخول فی هذا الحصن الإلهی لنکون فی أمن من العذاب الإلهی، یجب علینا الشـهاده بوحدانیّه اللّه تعالی والشـهاده بنبوّه وعبودیّه النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله لأنّ جمیع أمور الوجود تعود إلی هاتین الشـهادتین، أحـدهما الشـهاده بالتوحید، والأخری الشـهاده بنبوّه ورساله النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله.

یقول المرحوم الشهید الثانی رحمه الله فیما یتّصل بهاتین الشهادتین: «فإنّهما أوّل الوسائل وأساس الفواضل»(۲).

إذا أراد الإنسـان أن یفتـح بـاب الحوار والارتبـاط مع اللّه تعـالی ویجعـل نفسه فی حصن وحرز البـاری تعـالی وجب علیه القیـام بأمرین: أحـدهما، الاعتقاد والتصـدیق القلبی بالتوحید، والآخر، الاعتقاد بنبوّه نبیّ الإسـلام ورسالته، أمّا ما ورد فی الأذکار بأنّه لا یوجـد ذکر أهم من ذکر «لا إله إلّااللّه» فهـذا یعکس هـذه الحقیقه أیضاً، فأفضل شـیء فی مجال العلاقه بین الإنسان وربّه هو أن یجعل الإنسان نفسه فی مرتبه التوحید، ثمّ یتوجّه إلی أحبّ الخلق إلی اللّه ویؤدّی شـهادته بعبودیّه ونبوّه الرسول الکریم صلی الله علیه و آله إلی جانب کلمه التوحیـد، یعنی أننا نعترف ونعلم بأنّ النبیّ الأکرم صـلی الله علیه و آله هو عبـد من عبیـد اللّه ورسوله إلی الخلق، رغم أنّ الشهاده بالنبوّه وردت إلی جانب الشهاده بالتوحید.

وسـبق أن ذکرنا أنّ الشـهاده بالرساله والنبوّه تقع فی باطن الشـهاده بالتوحیـد، کما أنّ الشـهاده بالتوحید تکمن فی باطن الشـهاده بالرساله والنبوّه، وکذلک فإنّ الشهاده بالولایه کامنه فی باطن الشهاده بالتوحید والنبوّه، وهذه الخصوصیّه موجوده فی التشهد.

ص:۵۱۲

۱- (۱) . بحار الأنوار، ج ۳، ص ۱۳؛ و ج ۹۰، ص ۱۹۲.

۲- (۲) التنبیهات العلیّه علی وظائف الصّلاه القلبیّه، ص ۱۲۷.

وعلى هذا الأساس يجب على المصلّى الالتفات إلى أسرار وآداب التشهد، ويهتمّ بمراعاه هذه الآداب لتحظى صلاته بالقبول من قِبل البارى تعالى، ولئلا تذهب أعماله من القيام والركوع والسجود هباءً منثوراً، ولذلك ينبغى عليه أن يجلس للتشهد بحاله من الخجل والحياء لأنّه لم يتمكن من أداء هذه العباده وهذه الصّلاه حقّها ولم يقدّم للّه تعالى عملاً جيداً وقيم، والآن يريد أن يشهد بالتوحيد ويشهد بنبوّه الرسول الكريم صلى الله عليه و آله لجبران هذا القصور والتقصير ولتنفتح عليه أبواب الرحمه الإلهيّه.

ص:٥١٣

الفصل العاشر: السّلام

اشاره

ص:۵۱۵

۱۶۶– حقیقه التسلیم

وآخر قسم من البحث فی أسرار الصّلاه، یتمحور حول التسلیم فی الصّلاه، ولذلک نبیّن هذا القسم بشکل موجز، فالتسلیم یعنی نهایه هذا السفر المعنوی والمعراج الإلهی، فالنقطه المهمّه هنا هی أنّ المصلّی یستطیع أن یذکر سلام الصّلاه علی نحو الحقیقه عندما یشعر واقعاً بأنّه غاب عن عالم الدنیا وعالم الکثرات ویعیش فی عالم الآخر عندما کان فی صلاته ثمّ رجع إلی هذا العالم مرّه أخری بالتسلیم، ولکن ذلک الشخص الذی کان فی صلاته یعیش أجواء الدنیا ویفکّر فی مطلباتها، أی أنّه لم یکن غائباً عن هذا العالم المادی ولم یسافر فی صلاته نحو اللّه تعالی فی معراج القرب، فإنّ هذا التسلیم لا یساوی شیئاً فی عالم الحقیقه والمعنی سوی لقلقه اللسان، لأنّ الخروج من الدنیا والعروج إلی عالم الملکوت لم یتحقّق لدی هذا الشخص لیکون لسلامه فی نهایه الصّلاه معنی وحقیقه.

والمصلّی إذا کان فی هذا السفر فی سلامه من تصرفات الشیطان وتسویلات

ص:۵۱۷

النفس الأماره وكان قلبه فى هذا المعراج المعنوى سليماً وغير ملوث بشوائب الأنانيّه وحبّ الدنيا فإنّ تسليمه يكون ذا حقيقه ومعنى وإلّا لا سلام له(۱).

وجاء فى كتاب «مصباح الشريعه» روايه عن الإمام الصادق عليه السلام بالنسبه لمعنى السلام فى نهايه الصّلاه، فقال الإمام عليه السلام: إنّ معنى السلام فى ختام كلّ صلاه عباره عن الأمان: «مِنْ أدّى أَمرَ اللّهِ وَسُنَّهَ نَبِيِّهِ صلى الله عليه و آله خَالِصاً للّهِ خَاشِعاً فِيهِ فَلَهُ الأَمَان مِنْ بَلاءِ الدُّنيا وَبَراءَهٌ مِنْ عَذابِ الآخِرَهِ».

ويتابع الإمام بقول: «السَلامُ اسْمٌ مِنْ أَسمَاءِ اللّهِ تَعَالى أَودَعَهُ خَلقَهُ، لِيَستَعْمِلُوا مَعنَاهُ فِى المُعَامَلاتِ وَالأَمَانَاتِ وَالإِنصَافَاتِ وَتَصدِيقُ مُصَاحَبَتِهِم فِيمَا بَينَهُم وَصِحَّهُ مُعَاشَرَتِهِم»، فلو أنّ الإنسان فى جميع أموره وجميع معاملاته وتواصله مع الآخرين استند واستعمل اسم اللّه تبارک وتعالى واقعاً فإنّه سيكون مصحوباً بالسلامه والأمن من كلّ أمر وفى كلّ فعل من أفعاله ولا يستطيع الشيطان أن يتدخل ويلوّث أعماله وسلوكياته بشوائب غير إلهيّه، هذه الحقيقه مركوزه فى التسليم فى الصّلاه.

ثمّ يقول عليه السلام: «وَإِذا أَرَدْتَ أَنْ تَضَعَ السَّلامَ مَوضِعَهُ، فَاتَّقِ اللّهَ وَلِيَسلَمْ مِنْکَ دِينَکَ وَقَلْبَکَ وَعَقلَکَ، وَلا تُدَنِّسَها بِظُلمَهِ المَعاصِى»، وهذا يعنى أنّ التقوى الإلهيّه شرط ليتحقّق السلام فى نفس الإنسان على نحو الحقيقه ويسلم بوسيله التقوى دين الإنسان وقلبه وعقله بشرط أن لا يتلوّث بظلمه المعاصى ولوث الذنوب.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: إذا أردت أن تدرک المعنى الواقعى للسلام فيجب عليک أن تحقّق فى نفسک حاله التقوى، وهذا يعنى أنّ الشخص الذى لا يعيش حاله التقوى، ويتلفظ بالسلام، الذى هو اسم من أسماء اللّه، سواءً فى صلاته أو فى غير صلاته، فهذا السلام لم يقع موقعه المناسب، ويجب أن يتحلّى الإنسان فى

۱- (۱) انظر: آداب الصّلاه، ص ۳۶۷.

دینه وقلبه وعقله بالسلامه ویراقب دینه وقلبه وعقله لئلا تتلوّث بشوائب الذنوب، وعندها یتحقّق السلام الحقیقی، ثمّ یقول علیه السلام: ینبغی أن تکون الملائکه الحفظه فی أمانٍ منک، فالملائکه الموکّلون بالإنسان لمراقبه أعماله وأفعاله وکلماته، سیشعرون بالألم والاستیاء عندما یصدر عمل قبیح من هذا الشخص.

وثمّه نقاط مهمّه فی سیاق هذه الروایه مورد البحث، حیث یقول الإمام الصادق علیه السلام: أنّ معنی السلام هو أن یکون صدیقک فی أمان منک وکذلک عدوّک.

«وَمَنْ لا یَضَعُ السَّلامَ مَوَاضِعَهُ هَذِهِ فَلا سَلامَ وَلا تَسلِیمَ وَکَانَ کَاذِباً فِی سَلامِهِ وإِنْ أَفشَاهُ فِی الخَلْقِ»(۱)، فلو أنّ دینه ونفسه وعقله لم یکن فی أمان منه ولم یکن أصدقاؤه وأرحامه وأهله فی أمان منه وحتی لو سلّم علیهم فإنّ السلام هذا لا واقعیّه له ویعتبر سلاماً کاذباً.

نسأل اللّه تعالی أن یوفّقنا للإتیان بالصّلاه الحقیقیّه ونستطیع أن نحقق هذا الاسم من أسماء اللّه الحسنی فی جمیع أبعاد حیاتنا ومعیشتنا، وظاهرنا وباطننا بحقّ محمّد وآله الطاهرین صلوات اللّه علیهم أجمعین.

۱- (۱) . بحار الأنوار، ج ۸۲، ص ۳۰۷.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.



مرکز
القائمیة
اصبهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹